

الذخائر ٧٤

الجزء الأول

الحَيَوَانُ

تأليف

أبي عجمان عمر بن محمد الجاحظ

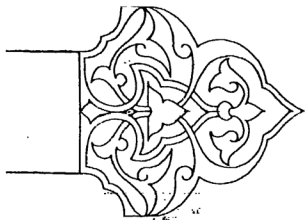
بتحقيق د. شمع

عبد السلام محمد هارون

تقديم

أ. د. أحمد رفاعة باشا





الذخائر ٧٤

سرد الأول

الحَيَوَانُ

تأليف
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

تقديم
أ. د. أمّ فؤاد باسما

المدينة العامة لقصور الثقافة



الذخائر

رئيس مجلس الإدارة

أنس الملقى

أمين عام النشر

محمد السيد عيد

الإشراف العام

فكرى النقاش

رئيس التحرير

أ.د. محمود فهمى حجازى

نائب رئيس التحرير

أ.د. عبد الحكيم راضى

مدير التحرير

د. محمود فؤاد

سكرتير التحرير

رأفت زريق الشرقاوى

مستشارو التحرير

أ.د. إبراهيم عبد الرحمن

أ.د. السباعى محمد السباعى

أ.د. حسنين محمد ربيع

أ.د. حسين نصار

أ.د. عبد الله التطاوى

أ.د. عبده على الراجحى

أ.د. محمد حمدى إبراهيم

أ.د. محمد عونى عبد الرؤوف

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى

١٦ ش أمين سامى - قصر العينى - القاهرة

رقم بريدى ١٢٥٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف

عزيزى القارئ .. مرة أخرى تلتقى سلسلة (الذخائر) مع الجاحظ - أبى عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) مؤلفاً، فقد سبق أن أصدرت له كتاب (البرصان و العرجان و العميان و الحولان)، كما تلتقى مع المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون (١٩٠٩ - ١٩٨٨) محققاً ، بعد أن قدمت كتاب الجاحظ السابق و مجموعة (نواير المخطوطات) بتحقيقه .

أما كتاب الجاحظ الذى نقدمه هذه المرة ، وهو - أيضاً - بتحقيق (الأستاذ هارون)، فهو كتاب (الحيوان) الذى يعد من أهم كتب الجاحظ وأشهرها ، وقد ألفه فى الشطر الأخير من حياته ، وقدمه إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق ، من خلفاء العباسيين .

عزيزى القارئ .. إن نشر كتاب من كتب الجاحظ عمل يستحق - فى ذاته - الاهتمام ، إذ لم يكن الجاحظ - فى كل ما كتب - مؤلفاً عادياً ، أما حين يكون هذا الكتاب هو كتاب (الحيوان) فإن الأمر يستدعى - زيادة على الاهتمام - مزيداً من التأمل والمراجعة ، وربما التصحيح . فالموضوع المختلف للكتاب - حتى عن تلك الكتب التى ألفها العرب فى أصناف من الحيوان - ووجود ترجمة لكتاب الفيلسوف اليونانى أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م) عن الحيوان متاحة فى عصر الجاحظ ، وما ثبت من نقل الجاحظ فى كتابه عن هذه الترجمة ، إلى جانب التكوين الثقافى و الفكرى للجاحظ نفسه .. كل ذلك من شأنه أن يفتح الباب أمام العديد من الأسئلة ، وهى أسئلة تتعلق بتاريخ دخول الفكر اليونانى إلى ساحة الفكر العربى ، وإلى أى مدى كان تأثير ذلك

الفكر الوافد ، ثم إلى أى مدى استطاعت العقلية العربية الاستفادة منه مع التوفيق بينه و بين ثوابتها فى الدين والفكر واللغة .

إن السؤال الأخير يكتسب أهمية خاصة فى حالة الجاحظ ، ذلك الذى دخل إلى موضوع كتابه مزوداً بعقيدة دينية معينة ، وموقف كلامي مستقل ، وما بين الأمرين مزوداً بثقافة فلسفية خاصة عملت عملها فى صوغ مواقف الكلامية ، كما عمل معتقده الدينى فى تحويل البعض من أصول هذه الفلسفة ، تمثيلاً مع ذلك المعتقد ودعماً لتلك المواقف .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن جهد الجاحظ فى كثير مما كتب - خاصة فى كتابيه الكبيرين - الحيوان والبيان والتبيين - كان موجهاً - بصوف النظر عن تعدد الموضوعات فى الظاهر - إلى خدمة معتقده الدينى ومواقفه الكلامية ، والسياسية أيضاً ، وأن ثمة تكاملاً فى هذا الصدد بين كتاب (الحيوان) الذى سبق إلى الوجود - وبين كثير مما أثرى الحديث عنه فى كتبه الأخرى - خاصة (البيان والتبيين) .. أدركنا مدى خطورة كتاب الحيوان ، سواء من حيث موقعه فى تاريخ الثقافة العربية ، أو موقعه فى بنية فكر صاحبه ، وأدركنا تبعاً لذلك ما كان له من أثر فى اللاحقين ، سواء من القدماء الذين نقلوا عنه و تأثروا به ، كابن قتيبة وأبى حيان التوحيدي ، أو الذين اختصروه ، ومنهم هبة الله بن سناء الملك ت ٦٠٨ هـ - والموفق البغدادى وابن منظور ، أو من المحدثين من العرب والمستشرقين الذين تجاوزت دراساتهم عن الجاحظ و كتبه العشرات إلى المئات ، ومن بينها عدد غير قليل اختص به كتاب الحيوان من مختلف جوانبه . و السبب فى ذلك هو - كما يدرك متأمل الكتاب - غنى مادته و ثراؤها ووفرة المعلومات التى يستقى منها مؤلفه وتتوعد بها ، وقدرة ذلك المؤلف الخارقة على

استحضار هذه المعلومات والتتقل - صراحة أو فى خفاء - بين موضوع وموضوع سعياً إلى هدف أعتقد أنه كان واعياً به إلى أقصى درجات الوعى ، وهو تثقيف قارئه وحمله بكل الوسائل على المضى فى القراءة ثم على استيعاب ما يقرأ ، ثم على تدبيره و الاعتبار به .

من هنا كان شغف الجميع بكتاب الحيوان وشدة تعلقهم به نظراً لتعدد جهات النظر إليه، فهناك من رآه كتاباً فى علم الحيوان ومن رآه كتاباً فى العجائب و الخرافات ، ومن رآه كتاباً فى الأدب والنقد ، ومن رآه كتاباً فى الدين أو علم الكلام . ومن هذه الزوايا جميعها دخل الباحثون إلى الكتابة عنه ، فمن الباحثين من اهتم بهدف الجاحظ من تأليف كتابه ، ومنهم من كتب عن مصادر الأخبار الواردة فيه بين شرقية وغربية ، كما كتب أكثر من باحث عن العلاقة بين (حيوان) الجاحظ و (حيوان) أرسطو ، ومنهم من كتب عن الطب البيطرى وعلم الحيوان عند العرب فى ضوء كتاب الجاحظ ، وكتب بعضهم عن النزعة الدينية والكلامية فيه . وكذلك عن المبادئ الفلسفية التى أخذ بها وعمل على تطويرها لمصالح أفكاره ومواقفه الخاصة . أما عن القضايا الأدبية والنقدية واللغوية فى الكتاب فقد كُتب فيها العشرات من البحوث والدراسات .

وأنت - عزيزى القارئ - واجدٌ فى هذا الجزء الأول من الحيوان مائدة شهية متنوعة من الأفكار والموضوعات ، ستجد ثروة من الشعر العربى قل أن تجتمع فى كتاب ، فالشعر هو عمدة الشواهد على ما يورده الجاحظ من صفات الحيوان وسائر أحواله ، وهذا أمر عام فى كل أجزاء الكتاب . وستجد - فى هذا الجزء أيضاً - حديثاً عن تاريخ الشعر العربى، بمعنى أوليات ظهوره واكتمال نضجه، وقد نختلف الجاحظ فيما حدده من تاريخ، ولكن القضية مثارة على كل حال.

على أنك لن تعد كلاماً ذا قيمة فى قضية ترجمة الشعر ، حيث يرى الجاحظ أن " الشعر لا يستطيع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حوّل تقطّع نظمه ، وبطل وزنه ، وذهب حسنه " الحيوان ٧٥/١ . كما أن له حديثاً عن أثر الشعر فى نباهة القبائل والأشخاص وفى قضاء الحوائج ودوره فى تخليد المآثر ، وكيف عمدت العرب إليه فى تخليد مآثرها وذلك فى مقابل لجوء العجم إلى تخليد مآثرهم عن طريق البنيان ٧٢/١ .

|| هذا إلى جانب بعض القضايا البلاغية التى يسوقها - أو يسوق الرأى فيها - ضمن حكاية أو حوار ، كالذى كان بين معاوية وصُحّار العبدى من سؤال الأول عن مفهوم البلاغة ، وجواب الثانى بأنها الإيجاز ، ليزيد الجاحظ بعد ذلك تحديداً لمفهوم الإيجاز والإطالة ، فالإيجاز " ليس يُعنى به قلة الحروف و اللفظ " ويكشف حديثه عن نسبية المعيار فى تحديد الإيجاز والإطالة ، فقد يكون موضوع الكلام أو الموقف بحاجة إلى كلام كثير ثم لا يُعدّ هذا الكثير إطالة ، كذلك الأمر بالنسبة للإطالة ، فهناك من الموضوعات ما يكفى فيه أقل كلام ممكن ، فلا يُعدّ ذلك القليل من قبيل الإيجاز . فلكل من الإيجاز والإطالة موضعه الذى يليق به بحسب موضوع الكلام وحاجة المتلقى ٩١/١ - ٩٣ .

والمثل على هذا أسلوب القرآن الكريم ، فـ " الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى والحنف ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد فى الكلام " ٩٤/١ .

وإذا كان من الواجب على المتكلم أن يراعى حق المتلقى وحق الموضوع أيضاً - بإيراد الكلام على ما يناسبهما من حيث الإيجاز أو

الإطالة ، ومن حيث شيوع الألفاظ وسهولتها أو ندرة الألفاظ وصعوبتها ، فإن عليه أيضاً أن يراعى حق الخطاب ذاته ، فى حدود المستوى الذى أخذ فيه المتحدث ، فإذا بدأ المتحدث كلامه عربياً فصيحاً فعليه أن يحافظ على إعرابه وفصاحته فلا يلحن فيه ، أما إذا بدأه ملحوناً من كلام المولدين فلا يجب أن يعود فيه إلى الإعراب ، يقول الجاحظ : " إن الإعراب يفسد نواذر المولدين ، كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب ، لأن سامع ذلك الكلام (يقصد الكلام الملحون) إنما أعجبه تلك الصورة وذلك المخرج ، وتلك اللغة ، وتلك العادة ، فإذا دخلت على هذا الأمر - الذى إنما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التى فيه - حروف الإعراب والتحقيق والتنقيط ، وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهل المروءة والنجابة .. انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته ٢٨٢/١ .

والطريف أن هذا الأصل الذى قرره الجاحظ فى بلاغة الكلام الملحون قد جاء على سبيل الاستطراد - فى أعقاب عبارات صدرت ملحونة عن أستاذه إبراهيم النظام ، فحكاها الجاحظ كما هى ، ثم نبه القارئ إلى قصده حكايتها كما صدرت عن صاحبها ، لأن هذا هو المسلك الأمثل فى رواية نواذر المولدين .

هذا وللجاحظ كلام دقيق فى شروط الترجمة الجيدة إذ " لا بد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة و المنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية " ٧٦/١ . وقد يكون مما يتصل بحديث الترجمة بمعنى أو بآخر - ولو أنه ليس متصلاً فى مكان واحد عنده - حديثه عن اللغة و تغير مواضعاتها من زمن إلى زمن ، وضرورة معرفة المتصدى لتفسير كلام أو تاويل نص بتلك المواصفات ، وإلا

أخطأ في الفهم وضل عند التأويل " فللعرب أمثال واشتقاقات و أبنية و موضع كلام يدل عندهم على معانيهم و إرادتهم ، و لتلك الألفاظ مواضع آخر ، ولها حينئذ دلالاتٌ آخر ؛ فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب و السنة ، والشاهد والمثل ؛ فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم و ليس هو من أهل هذا الشأن .. هلك و أهلك " ١٥٣/١ - ١٥٤ .

كما أن له كلاماً في فضل الكتب - بمعنى نقل العلم عن طريقها من مكان إلى مكان . وزمان إلى زمان .

- فـ " الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار وتباعد ما بين الأمصار .. وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويذهب العقل و يبقى أثره " ٨٥/١ .

كذلك فإن من يقرأ الجاحظ على مهل يتأكد أنه كان تلميذاً مجتهداً لأعلام الفلسفة الطبيعية من اليونانيين ، ومن السابق لأوانه استعراض آثار هذه الفلسفة كاملة في تفكيره ، خاصة في مجال الأدب والسياسة و الاجتماع ، بل قد يكون هذا العرض صعباً في حدود كلمة (التعريف) التي ترد - عادة - في بداية كل حلقة ، لذلك اكتفى هنا بإيراد شاهد هذه التلمذة ، تلمذة الجاحظ على أصحاب تلك الفلسفة ، مما ورد في هذا الجزء الأول من كتاب الحيوان ، وذلك في سياق أحد استطراداته كالعادة ، تلك الاستطرادات التي قد يتولد بعضها من بعض على نحو تلقائي لا يكاد يشعر به القارئ .

يقول : " أو ما علمت أن الإنسان الذي خُلِقَت السموات والأرض وما بينهما من أجله .. إنما سمّوه (العالم الصغير) سليل (العالم الكبير) لما وجدوا فيه من جميع أشكال ما في العالم الكبير ، ووجدنا له الحواس

الخمس ، ووجدوا فيه المحسوسات الخمس ، ووجدوه يأكل اللحم والحب ، ويجمع بين ما تقتاته البهيمة والسبع ، ووجدوا فيه صولة الجمل ووثوب الأسد وغدر الذئب وروغان الثعلب ...

وسَمَّوه العالم الصغير لأنهم وجدوه يصور كل شئ بيده ويحكى كل صوت بفمه . وقالوا : لأن أعضائه مَسْؤُمة على البروج الاثني عشر و النجوم السبعة ، وفيه الصفراء وهى من نتاج النار ، وفيه السوداء وهى من نتاج الأرض ، وفيه الدَّم وهو من نتاج الهواء ، وفيه البلغم وهو من نتاج الماء ، وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة " ٢١٢/١ - ٢١٣ .

والقول بخلق الإنسان من العناصر الأربعة - وهى : النار والأرض والهواء والماء - وتَحْكُمُ غلبة واحد منها على مزاجه وتَصْرِفاته .. هو قول بعض الطبيعيين وعلى رأسهم أُنْبازوقليس ، بل إن مصطلحى (العالم الصغير) و(العالم الكبير) هما من مصطلحات أولئك الفلاسفة بالفعل ، نجد أولهما عند ديموقريطس Democritus والآخر عند ليوكيبوس Leukippos وكلاهما من فلاسفة تلك المدرسة التى ظهر تأثيرها فى مؤلفاته المختلفة .

أما القول بأن من مبررات هذه التسمية - تسمية الإنسان بـ (العالم الصغير) قدرته على تصوير كل شئ بيده و حكاية كل صوت بفمه ، فيحمل إقراراً بقدرة الإنسان على المحاكاة ، وقد توسَّع الجِلْظ فى مواضع أخرى - فى الحديث عن هذه المقدرة ، أو هذه الطبيعة التى أودعها الله فى الإنسان ، أو طَبَّعَ عليها ، والتى تظهر آثارها فى قدرة الإنسان - أو بعض أفراده - على محاكاة الأصوات والحركات والأشكال محاكاة تفوق الأصل المحاكى وتُحدث من التأثير ما لا يحدثه

ذلك الأصل ، مما يشير فيما أعتقد ، إلى معرفة الجاحظ بأفكار أرسطو ونظريته في المحاكاة .

✎ أما عن الفكر الكلامي في كتاب الجاحظ فهو أوضح من أن ندلى عليه ، ومعروف أن من كبار هموم المتكلمين - خاصة المعتزلة - البحث عن تجليات حكمة الله في خلقه ، تدليلاً على وحدانية الله وقدرته التي تتجلى فيما أودع خلقه من قدرات ، ومن بينها قدرة (البيان) التي هي - بنص القرآن - من تعليم الله تعالى ، الذي ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ .

وقد عرّف الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عرّف البيان بأنه " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يقضى السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله ، كأنما ما كان ذلك البيان ومن أى جنس كان الدليل " ، ثم أعقب ذلك التعريف بذكر أسباب البيان - أو وسائله ، وسائل الإبانة ، فقال : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء .. اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى (نصبة) البيان " . ٧٦/١ .

وخلصة حديثه عن هذا الصنف الأخير وشرحه له : أنه دلالة الكائنات - كل الكائنات - بذواتها دون لسان أو إشارة - على حكمة الله سبحانه وقدرته ..

✎ إذا كان كتاب (البيان والتبيين) - الذي جاء لاحقاً في تأليفه على كتاب الحيوان - قد تكفل ببسط الحديث في الوسائل الأربع الأولى

: اللفظ والخط والإشارة والعقد * ثم أشار بإيجاز إلى الوسيلة الخامسة وهي النّسبة - نسبة الكائنات من جماد وحيوان ، وهيأتها التي جاءت عليها وما تحمله من دلالة ، فإن كتاب الحيوان - الذي جاء سابقاً على تأليف (البيان) - يقدم - قبل كتاب البيان - الإطار الشامل لمنظومة وسائل البيان عند الجاحظ ويضع - في هذا السياق - مبحث الحيوان في موضعه الطبيعي من هذه المنظومة ، ولنستمع إلى هذا التقديم والشرح من الجاحظ : "ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شيء وجعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة. فاستوى بذلك الشيء العاقل وغير العاقل في جهة الدلالة على أنه حكمة، واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل، فكل مستدل دليل ، وليس كل دليل مستدلاً . فشارك كل حيوان سوى الإنسان جميع الجماد في الدلالة وفي عدم الاستدلال ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً . ثم جعل للمستدل سبباً يدل به على وجوه استدلاله ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسمّوا ذلك بياناً .

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ وخط وعقد وإشارة . وجعل بيان الدليل الذي لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه ، واقتياده كل فكر فيه إلى معرفة ما استخزن من البرهان ، وحشى من الدلالة وأودع من عجيب الحكمة ، فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ، ومعربة من جهة صحة الشهادة على أن الذي فيها من التدبير والحكمة مخبر لمن استخبره ، وناطق لمن استنطقه " الحيوان ٣٣/١ ، ٣٤ .

* العقد هو طريقة في الحساب باستخدام اليد والأصابع ، وكان معروفاً عند الرومان ، وأطلقوا عليه (حساب الأصابع) .

مبحث البيان - إذن - موجود فى فكر الجاحظ ومبسوط فى كلامه قبل تأليفه كتاب البيان ، وما كتاب البيان الذى ألف بعد الحيوان - على أهميته - سوى تكملة للحديث فى أسباب البيان ، أو وسائله ، خاصة بما كان باللفظ والخط والإشارة والعقد ، ليستأثر كتاب الحيوان بالنصيب الأوفر من الحديث عن القسم الخامس من أقسام البيان ، وهو ما عدا تلك الوسائل ، وأهم مكونات هذا القسم هو عالم الحيوان بكل أنواعه وفى كل حالاته ..

وبهذه الوظيفة يحتل عالم الحيوان مكانه بين أصناف الدلالات من لفظ وخط وإشارة .. إلخ ، وهذه - من المنظور الكلامى - هى الرابطة التى تربط كتاب البيان - الذى جاء بعد كتاب الحيوان - بهذا الأخير - ليكون تفرعاً عليه وتطويراً (سابقاً) لما جاء فيه ، خاصة ما يتصل بالوسيلة الخامسة من وسائل البيان - النصبه - أو دلالة الكائنات بنواتها ، ومن بين هذه الكائنات عالم الحيوان .

عزيزى القارئ ..

وإذا كانت موضوعات الأدب و النقد فى مؤلفات الجاحظ ، وفى كتاب الحيوان بالذات، قد تتوالت بمستويات مختلفة فى عديد من المؤلفات كما سبق أن أشرت ، وكما سأحاول أن أشير فى التعريف بالأجزاء التالية ، فإن الجديد الذى تعتر به هذه الطبعة ، وتشرف ، هو المقدمة العلمية الرصينة التى تفضل بكتابتها الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا العميد السابق لكلية العلوم بجامعة القاهرة وأستاذ الفيزياء بها ، ونائب رئيس جامعة القاهرة حالياً .

وسيدنته عضو المجمع العلمى المصرى ، وعضو لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة ، وعضو اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة

العلم ، ورئيس جمعية التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لتعريب العلوم .

وقد شارك بالتأليف والترجمة فى إصدار عدد من الكتب والموسوعات فى مجالات الفيزياء والرياضيات و تبسيط العلوم .

ومن مؤلفاته : فيزياء الجوامد ، البصريّات ، الفيزياء الحيوية .

ومن مترجماته : الفيزياء الجامعة ، أساسيات الفيزياء .

ومن مؤلفاته فى مجال الحضارة الإسلامية وتاريخ العلوم عند العرب :

- التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة .

- أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى .

- العلوم الكونية فى التراث الإسلامى .

- فى فقه العلم والحضارة .

- فلسفة العلوم بنظرة إسلامية .

عزيزى القارئ .. إنه مكسب كبير لسلسلة الخزائر ، وشرف

تعتز به هيئة تحريرها أن يقدم كتاب الحيوان عالم جليل هو الأستاذ

الدكتور أحمد فؤاد باشا صاحب هذه المؤلفات وغيرها فى تاريخ العلم

والحضارة فى تراثنا العربى الإسلامى .

عبد الحكيم راضى

كتاب الفرس

للأصمى .

كتابا النحل والخمرات

لأبي حاتم السجستاني . وللأصمى كتاب في النحل والعسل^(١)



٢ وهذه الكتب لم توثق للقصد العلمي الخالص ، وإنما أريد بها أن تكون باحثة في اللغة أولاً ، فهي بمثابة معجمات لغوية خاصة بما ألقت له ، فهي لا تبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه وأحواله وعاده ، وإنما تجعل ههنا الأول والثاني هو اللغة ، وقد يكون منها أن تبحث البحث العلمي ، ولكن على سبيل الاستطرد ومشايعة القول .
وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتتكشف أمامك صورة ما أسلفت .

فهذا أول كتاب الابل للأصمى^(٢) :

« قال أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْبٍ الأصمى : أجود وقتٍ يُحمل فيه على الناقة أن يُجَمَّ سنةً ويحمل عليها . فيقال : قد أُضربت القحل ، وأضربها القحل . فإذا حمل عليها في كل عام فذلك الكشاف . يقال ناقة كَشُوفٌ ، وقد أكَشَفَ بنو فلان العام فهم مُكَشِفُونَ : إذا لَمَحَتْ إبلهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

(١) اعتمدت في استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبنية الوعاة ، ونزعة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) س ٦٦ - ٦٧ من مجموعة الكنتز اللغوي المطبوع في بيروت ١٣٢٢ .

تقديم

بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا

مؤلف كتاب الحيوان :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، الملقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، عالم موسوعي اشتهر فى القرنين الثانى و الثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) ، وشغف منذ نشأته فى البصرة بالقراءة حتى أنه اعتاد أن يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها ليطالع الكتب التى لا يقدر على اقتنائها ، مما ساعده على أن يلم بمختلف العلوم والمعارف ، ويحصل على ذخيرة وفيرة من ثقافة عصره وأخبار الأولين .

تتلمذ الجاحظ على أكابر اللغويين والفقهاء وعلماء الكلام ، وخالط الناس على اختلاف طبقاتهم ، فأخذ الفصاحة من شفاء العرب ، ودرس اللغة والأدب والشعر والأخبار على أشهر علماء البصرة أمثال أبى عبيدة معمر بن المثنى ، وأبى زيد الأنصارى ، والأصمعى ، ودرس النحو على الأخفش ، ودرس علم الكلام وأصول المعتزلة على أبى إسحاق النظام ، ثم انتقل إلى بغداد وأفاد من علمائها كثيرا ، واتصل بالحكام والأمراء والخلفاء فأكرموه وقدروا فضله ونبوغه وأحلوه المكان اللائق بأدبه وعلمه . عاصر الخليفة المهدى ، والرشيد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتز ، وتوفى فى البصرة عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م بعد أن جاوز التسعين من عمره .

ترك الجاحظ مؤلفات عديدة فى شتى مجالات المعرفة وصلت حوالى ثلاثمائة كتاب ورسالة ، أشهرها :

- ١-البخلاء .
- ٢-البيان والتبيين .
- ٣-التاج فى أخلاق الملوك .
- ٤-المحاسن و الأضداد و العجائب و الغرائب .
- ٥-البرصان و العرجان و العميان و الحولان .
- ٦-الحيوان :

حققه محمد بدر الدين النعسانى الحلبي ، القاهرة : المطبعة الحميدية
 ١٩٠٥ م القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٠٧ م
 وحققه عبد السلام هارون : القاهرة : مطبعة مصطفى البناي
 الحلبي وأعاد طبعه فى بيروت - دار الجيل ودار الفكر ١٩٦٥ .
 وحققه فوزى عطوى ، دمشق : مكتبة محمد حسين النورى ، د.ت.
 أهمية كتاب الحيوان للجاحظ :

جاء كتاب الحيوان خليطاً من المعارف العامة والملاحظات
 الخاصة ، حاول فيه أبو عثمان أن يوفق بين العقيدة وبين التفكير العلمى
 وما يقبله العقل الإنسانى ، متخذاً من الكون بكل ما فيه برهاناً على ما
 يقول . ودراسة الحيوان اتجاه جديد عند العرب فى بحث حقائق الكون ، لم
 يهتم به الإنسان كثيراً فى العصور القديمة ، إلا فيما يحتاج إليه فى طعامه
 أو كسائه أو مداوته ، أو استخدامه فى تيسير أعماله ونشاطاته المختلفة .
وكان الجاحظ سباقاً إلى إدراك أهمية ما نسميه اليوم " الثقافة
العلمية للجميع " فهو يؤمن بأن العلم مشترك إنسانى ، ليس ملكاً لأمة
 دون أمة ، وأنه إنما وضع ليفيد منه جميع الناس على اختلاف أجناسهم
 ونحلهم ، ويقول مؤكداً هذه الغاية من تأليف كتابه :

" وهذا كتاب تستوى فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم ،
 لأنه وإن كان عربياً أعرابياً وإسلامياً جماعياً ، فقد أخذ من طرف الفلسفة
 وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب
 (القرآن) والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة ، ويشتهيه الفتيان
 كما يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك ، ويشتهيه اللاعب
 نو اللهو كما يشتهيه المجد ذو الحزم ، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه
 الأريب ، ويشتهيه الغبى كما يشتهيه الفطن .. "

ومصادر كتاب الحيوان هي مصادر ثقافة العصر الذى عاشه
 الجاحظ، وما أضاف إليها من خبراته ومعارفه ومشاهداته ، فقد أخذ عن
 اليونان والهنود والفرس ، وتأثرت ثقافته بما أخذ واقتبس عن هذه الأمم ،
 لكنه كان نزاعاً إلى التجديد ، فهو لا يرى بأساً بأن يدخل العربية عنصر
 من عناصر آداب الأمم المعروفة فى عصره المشهورة بالعلم والحكمة
 والأخلاق والآداب ، ويقول فى ذلك : " .. وقد نقلت كتب الهند ،
 وترجمت حكم اليونان ، وحولت آداب الفرس ، فبعضها ازداد حسناً
 وبعضها ما انتقص شيئاً .. وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ، ومن
 قرية إلى قرية ، ومن لسان إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخر من
 ورثها ونظر فيها ... " وهذا يعنى أن أبا عثمان بذل غاية الجهد فى
 تحرى الحقيقة وإيصالها إلى الناس ، بعد التثبت والتجربة والعقل
 والبرهان ليكون الحكم فى النهاية أقرب إلى الحق والصحة .

وأدرك الجاحظ المفهوم الحقيقى لعملية تطور الفكر البشرى ،
ودور العقل والإرادة فى دفع العملية إلى الأمام باستمرار ، فقال فى كتابه
الذى بين أيدينا : " وينبغى أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا

فينا . على أنا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا
يجد من العبر أكثر مما وجدنا .. " .

وأكد مراراً في كتابه على أن الفرق ما بين الإنسان والحيوان إنما
يتمثل في القدرة على التفكير وصولاً إلى حرية الاختيار ، فهو يقول : " إن
الفرق بين الإنسان والبهيمة ، والإنسان والسبع والحشرة ، والذي صير
الإنسان إلى استحقاقه قول الله عز وجل : ﴿ وسخر لكم ما في السموات
وما في الأرض جميعاً منه ﴾ ، ليس هو الصورة ، وأنه خلق من نطفة
وأن أباه خلق من تراب ولا أنه يمشي على رجليه ويتناول حوائجه
بيديه ، لأن هذه الخصال كلها مجموعة في النبله والمجانبين والأطفال
والمنقوصين .. والفرق، الذي هو الفرق، إنما هو الاستطاعة والتمكين ،
وفي وجود الاستطاعة وجود العقل والمعرفة ، وليس يوجب وجودهما
وجود الاستطاعة .. " .

ومن هنا نلاحظ أن أبا عثمان كان ينطلق في بحثه من مسألة
الإيمان ، فهو يرى أن البحث في هذه الكائنات على اختلافها حجماً
وتكويناً ووظيفة يعتبر وسيلة من وسائل الاعتبار والتأمل في حكمة الخالق
من هذا التنوع العجيب في خلق الكائنات ، فالنمل لا يقل شأناً في تمثيله
حكمة الخالق عن الفيل أو الإنسان .. بل ربما هو أكبر شأناً في ذلك ، إذا
اعتبر الإنسان بالخفي والدقيق من الأمور . ويقول في ذلك : " .. ونحن
نرى أن تمثيل ما بين خصال الذرة (أى النملة) والحمامة والفيل والبعير
والثعلب والذئب أعجب . ولسنا نعنى أن للذرة ما للطاووس من حسن ذلك
الريش وتلاوينه وتعاريفه ، ولا أن لها غناء القرس في الحرب و الدفع
عن الحريم ، لكنها إذا أردنا مواضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس ،
والحسن اللطيف من الشيء السخيف ، والنظر في العواقب من الخلق

الخارج من حدود الإنس والجن والملائكة ، لم نذهب إلى ضيخم البدن وعظم الحجم ولا إلى النظر إلى الحسن ولا إلى كثرة الثمن ..

ولذلك اتسعت موسوعة الجاحظ لتشمل كل ما عرفه من حقائق علمية ومعارف فى المعتقدات والمذاهب وعقائد العامة وأقاصيصهم ونوادر الأعراب وأشعار العرب وأقوال الحكماء ، مهما بدت لعين الناظر ضئيلة فى قيمتها المعرفية .

والجاحظ فليسوف طبيعى سار على غرار النظام فى منهج تحرير العقل واعتبار الشك والتجربة أساساً للبحث قبل الإيمان واليقين . ويزداد المنهج التجريبي عند الجاحظ وضوحاً وتأكيداً عندما نعلم أنه يلجأ دائماً إلى التجربة ليتحقق بنفسه من صحة نظرية من النظريات أو رأى من الآراء . ولكل تجربة عنده هدف وغرض ، ففى بعضها كان يقطع طائفة من الأعضاء ليرى هل ستعود وينمو بدل منها ، وفى بعضها كان يعطى الحيوان جرعات مختلفة من السموم والمواد الكيماوية ويلاحظ تأثيرها على الحيوان ، وحينما كان يرمى بتجربته إلى معرفة بيض الحيوان والاستقصاء فى صفاته ، وكان حينما يقدم على ذبح الحيوان وتفشيش جوفه وقناصته ، ومرة كان يدفن الحيوان فى بعض التراب ليعرف حركاته ، ومرة كان ينوق الحيوان ، وفى أوقات كان يبيع بطن الحيوان ليعرف مقدار ولده ، كذلك كان يجمع أضداد الحيوان فى إباء واحد مع بعضها البعض ليعرف تقائلها ويلاحظ سلوكياتها ، كما مارس التشريح على بعضها ليتعرف على أحشائها ووظائفها . وكان يفتح الأرحام ليرصد مراحل تطور الأجنة وأشكالها وأعدادها .

وأجرى الجاحظ بنفسه تجارب الارتباط الشرطى على كلب محبوس للتعرف على نكاته ورد فعله ، فكان سابقاً بذلك عالم البيولوجيا

"بافلوف" بعدة قرون كما قارن بدقة بين سلوك القرد والإنسان . واكتشف تأثير الهرمونات على الجسم ، ولا سيما هرمون الذكورة الذى تفرزه الخصية فى الرجل و الحيوان . وطبق نظريته على الحيوان المخصى بالذات و سجل ملاحظاته بشأن لحم الحيوان المخصى بقوله: إنه يكون "لينا ورطبا وطيبا إن كان عضلا صلبا " . وبين أن الخضاء يسقط الشعر من الجلد ويجعل الجلد أملس رقيقا وصافيا فى اللون ، ويتغير الصوت ونبراته لدى المخصى ، وقد جاء فى هذا متوافقا مع رأى علم وظائف الأعضاء الحديث.

ومن الناحية النظرية كان الجاحظ سباقا إلى القول بمفهوم نظرية التطور فى الحيوان ، ولكن على أساس قدرة الله تعالى فى تدرج الكائنات للنوع الواحد ، بخلاف ما جاء به دارون من مفهوم الانتخاب الطبيعي فى كتابه (أصل الأنواع) . فقد أكد الجاحظ على أن الصورة الأصلية للأنواع تفرعت إلى صور جديدة بالتكوين المتدرج لخصائص جديدة ساعدتها على التكيف مع الظروف البيئية التى تعيش فيها .

وسجلت موسوعة الجاحظ إشارته المبكرة إلى مفهوم الهندسة الوراثية وتحسين النسل (الأيوجينا) عندما تحدث عن التهجين المولد وعبر عنه بالنتاج المركب ، ومن ذلك قوله : " إننا وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل " . وعرف النتاج المركب بأنه ولادة بين جنسين مختلفين من الحيوان ومن الناس .

والنتاج المركب ممكن بين عدد من أجناس الحيوان : بين الذئب والكلبة ، وبين الحمار والفرس ، بين الحمام البرى والحمام الأليف ، ثم هو غير ممكن بين عدد آخر من أجناس الحيوان كالتيس والنعجة ، أو كالبقرة والجاموس على قرب ما بينهما فى الشكل .

والنتاج المركب ممكن بين سلالات البشر . قال الجاحظ :
 "ورأينا الخُلاسى من الناس - وهو الذى يتخلق بين الحبشى والبيضاء -
 والعادة من هذا التركيب أن يخرج (المولود) أعظم من أبويه وأقوى من
 أصليه . ورأينا اليسرى من الناس - وهو الذى يخلق بين البيض والهند
 - لا يخرج ذلك النتاج (منه) على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه
 يجيء أملح وأحسن " .

وقد ميز الجاحظ بين الأمور الواقعية فى مجال النتاج المركب
 وبين الخرافات والأباطيل التى انتشرت فى أيامه ، فيقول : " وقد تجاسر
 ناس على توليد أبواب من هذا الشكل (ويقصد به التهجين بين أنواع
 حيوانية بعيدة بنسبها عن بعضها) فادّعوا أموراً ولم يحفلوا بالتقريع
 والتكذيب عند مسألة البرهان .. ومثل هذه الأقوال لا يحققها الامتحان
 (التجربة) وما عندنا من معرفة بها " . وتشكك الجاحظ فى الأقوال حول
 تسافد الكلاب مع الثعالب ، و الثعالب مع الهرة الوحشية ، وسفه هذه
 الأقوال بعد تنفيذها ، ووصف أهلها بأنهم ناقلون غير مدققين ، ومقلدون
 غير مطبقين . ورأى الجاحظ أن أرسطو لم يثبت بعض الأمور بالعيان
 والسماع والامتحان والتجربة ، وقد أتى فى كتاب " الحيوان " على بعض
 أقوال أرسطو " فى (الحيوان) ففندها وأظهر نواحى الضعف فيها ،
 وأوضح كيف أن أرسطو لو لجأ إلى التجربة لتحقيقها لما قال بها ولما أتى
 على ذكرها .

وينبغى ألا يفهم من مناقشتنا لبعض محتويات كتاب الحيوان
 للجاحظ أننا نحاول إثبات ممارسة الجاحظ للمنهج العلمى التجريبى كما
 يمارسه العلماء المعاصرون ، فالجاحظ من علماء القرن التاسع الميلادى ،
 وليس من الإنصاف أن نقيمه بمقياس العصر الحاضر ، ولكننا نذهب إلى

تأكيد ما يحمله من صفات الباحث المدقق والعالم المجرب فى مرحلة مبكرة من تاريخ التفكير العلمى ، فهو من رواد الحقيقة ، ويحاول الوصول إليها عن طريق التجربة وإعمال العقل ، بل كان فى كثير من الأحيان يشك فى النتائج التى يتوصل إليها ويستمر فى الشك وتكرار التجربة ، ويدعو إلى ذلك كله حتى تثبت صحة النظريات والآراء ، وتتجلى له الحقيقة ، ويتعرف على مواضع اليقين والحالات الموجبة لها .

من ناحية أخرى لا يقتصر كتاب " الحيوان " للجاحظ على أنه موسوعة تشتمل على شتى المعارف ، بل إنه يصلح أن يكون مصدراً من مصادر اللغة والبحث فى المصطلح العلمى . ذلك أن أبا عثمان قد أفاد كثيراً من ثراء اللغة العربية الزاخرة بالألفاظ والتعابير عن الأشياء والألوان والأصوات بجميع هيئاتها وأشكالها وبرجاتها ، ولم يدخر وسعاً فى البحث فى أصول العربية عن أنسب الألفاظ والتعابير التى يمكن أن تخدم العالم الطبيعى ، خاصة أن عامة المترجمين الأوائل لم يكونوا يتقنون العربية إتقاناً كافياً لتأدية المعانى المطلوبة لترجمة المصطلحات العلمية . ونجده على سبيل المثال ، يصنف الحيوان إلى فصيح وأعجم ، فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان ومن الأعجم " ما يرغو ويثغو وينهق ويصهل ويشحج (أو يشمخ) ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويضغو ويهدر ويصفر ويصوصى ويقوى وينعب ويزأر وينزب ويكش ويعج (أو يبح) .. "

فالعالم بحاجة ماسة إلى علم دقيق باللغة التى يعبر بها عن علمه ، وقد استطاع الجاحظ أن يوسع إطار العربية ليشتمل على كثير مما جازى على الفكر فى عصره ، ولكن دون تطبيق على نفسه أو على العلم الذى هو بصده ، فما لا يوجد له مقابل فى العربية من أسماء أجنبية ، يضعه

بلفظه الأجنبي وبحروف عربية ، وهو المنهج الذى يتبعه العلماء الآن عند ترجمة المصطلحات العلمية إلى العربية ، أو تعريبها .

وهكذا جاء كتاب " الحيوان " للجاحظ موسوعة شاملة أفاد منها كل من جاء بعده ، وحظيت باهتمام الكثيرين من العلماء والمؤرخين والباحثين ، لكن أبا عثمان يعتذر فى تواضع جم عن أوجه القصور فى إتمام هذا الكتاب الذى استغرق تأليفه سنين طويلة ، موضحاً أسباب ذلك بقوله : " وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه . أول ذلك العلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ثم كان من كتب العرض والجوهر والطفرة والتولد والمداخلة والغرائب والتماس ، لكان أسهل وأقصر أياماً وأسرع فراغاً ، لأنى كنت لا أفزع فيه إلى تلقط الأشعار وتتبع الأمثال واستخراج الأى من القرآن والحجج من الرواية مع تفرق هذه الأمور فى الكتب وتباعد ما بين الأشكال . فإن وجدت فيه خلاً من اضطراب لفظ ، ومن سوء تأليف ، أو من تقطيع نظام ، ومن وقوع الشيء فى غير موضعه ، فلا تتكر بعد أن صورت عندك حالى التى ابتدأت عليها كتابى .. "

مراجع للاستزادة

- ١- قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، سلسلة الألف كتاب (٤) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، مقدمة المؤلف بتاريخ ١٩٥٦ م .
 - ٢- د. وديعة طه النجم ، منقولات الجاحظ عن أرسطو فى كتاب الحيوان ، نصوص ودراسة ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الطبعة الاولى ، الكويت ١٤٠٥ هـ .
- ١٩٨٥ / م .

- ٣-د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- ٤-د. أحمد فؤاد باشا ، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى، دراسات تأصيلية ، دار الهداية ، القاهرة ١٩٩٧ م .
- ٥-عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ م .
- ٦-د. عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ١٩٨٠م .

أحمد فؤاد باشا

هذه الطبعة

لقد كان أمامى وأنا أعمل فى إعداد كتاب الحيوان للصدور فى إطار سلسلة الذخائر .. كان أمامى طبعان ، كلتاهما تحمل اسم المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون محققاً ، أولاهما صدرت فى مصر عن مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ، أرّخ المحقق تقديمها فى رجب ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م و الأخرى صدرت فى بيروت عن دار الجيل ودار الفكر زاد فيها المحقق إلى تقديم الطبعة المصرية تقديمًا آخر أرّخه فى ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

تقع الطبعة المصرية فى سبعة أجزاء بينما تقع الطبعة البيروتية فى ثمانية أجزاء . وبمقارنة الطبعتين كانت الملاحظات المبدئية من حيث الشكل هى ما يلى :

١- أن صفحات متن الكتاب فى أجزاء الطبعتين متطابقة تماماً ، بل هى تتطابق فى بدايات الصفحات ونهاياتها ، و تكاد تتطابق فى بدايات الفقرات ونهاياتها أيضاً .

٢- أنه باستثناء الجزء الأول الذى تتساوى فيه صفحات الطبعتين تقريباً (تزيد طبعة بيروت بأربع صفحات) فإن أجزاء الطبعة المصرية تزيد صفحاتها بأعداد غير قليلة على الصفحات فى أجزاء الطبعة البيروتية .

٣- أن الطبعة البيروتية تزيد - كما سبق - جزءاً على الطبعة المصرية .

هنا تتبادر عدة أسئلة :

السؤال الأول : السبب فى قلة صفحات الأجزاء فى الطبعة البيروتية من ٢ إلى ٧ .

والجواب : أن الطبعة البيروتية أسقطت خمسةً من الفهارس الكاشفة التى ذكر المحقق أنه أعدها من أجل تيسير الانتفاع بالكتاب، هذه الفهارس هى : ما يتعلق من الأبحاث بالحيوان ، ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام ، ما يتعلق من الأبحاث بالمعارف ، ما ترجم من الأعلام فى الشرح ، و أخيراً مراجع الشرح و التحقيق . هذه الفهارس ألغيت من أجزاء الطبعة البيروتية، وغنى عن التأكيد أهميتها لقارئ الكتاب فى كل جزء على حدة، وهو ما هدف إليه الأستاذ المحقق من إعدادها ، وإلحاقها بكل جزء من أجزاء الطبعة المصرية .

السؤال الثانى : يتعلق بتساوى عدد صفحات الجزء الأول من الكتاب فى الطبعتين ، على الرغم من إسقاط الفهارس المذكورة من الطبعة البيروتية .

والجواب : أن الجزء الأول من الطبعة البيروتية قد أضيفت إليه خمس وثلاثون صفحة تتضمن معارضات نصوصه مع نسخة الأمبروزيانا التى رجع المحقق إليها فى الطبعة البيروتية ، والتى تحوى الجزء الأول وبعض الجزء الثانى ، ولما كان الجزء الأول قد تم طبعه قبل إجراء المعارضة مع تلك المخطوطة ، خاصة نسختها التى اجتلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، فقد ألحق المحقق نتائج هذه المعارضة بهذا الجزء من الطبعة البيروتية . ذلك هو السبب فى تساوى صفحات الجزء الأول من الطبعتين رغم نقص الفهارس المذكورة من الطبعة البيروتية .

السؤال الثالث : وهو يتعلق بطبيعة الجزء الثامن من الطبعة البيروتية ، والواقع أن هذا الجزء ليس سوى شطر من الجزء السابع من الطبعة المصرية مضافاً إليه فهرس جديد هو (فهرس اللغة التى فسرها شارح الحيوان فى الحواشى أو الاستدراكات) ، و يشغل

الصفحات من ١٠٥ إلى ٢٦٤ . وهو - كما نرى - يكاد يكون نوعاً من تحصيل الحاصل ، ولا تعوّض زيادته الخسارة التى تلحق بقارئ الكتاب بسبب إسقاط الفهارس التى سبقت الإشارة إليها فى الطبعة المصرية .

لقد كان حرصى مع زملائى من هيئة تحرير السلسلة ، وكذلك مع عدد من الأساتذة مستشارى التحرير ، أن نقدم لقارئنا النسخة التى تحقق له أقصى إفادة ممكنة ، وقد استقر رأينا على أن هذا الهدف يمكن تحقيقه عن طريق الخطوات التالية :

١- اعتماد الطبعة المصرية أساساً لهذه الطبعة ، بما تشتمل عليه الطبعة المصرية من مجموعة الفهارس التى أسقطتها الطبعة البيروتية .

٢- إلحاق صفحات معارضة الجزء الأول مع نسخة الأميروزيانا - كما جاءت فى الطبعة البيروتية - بالجزء الأول من الطبعة الجديدة التى نقدمها لقارئ النخائر .

٣- بذل أقصى الجهد فى الإفادة من معارضة نسخة الأميروزيانا مع الجزء الثانى من الكتاب بطريقة المونتاج .

٤- تصحيح أخطاء الطبع الملحقة بآخر كل جزء من أجزاء الطبعة المصرية بنفس الطريقة .

٥- تصحيح بعض الأخطاء الطباعية التى سجلتها الطبعة البيروتية على الطبعة المصرية ، والتى ربما يكون قد فات المحقق تسجيلها فى الطبعة المصرية .

نائب رئيس التحرير

كتاب
الحسين

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليمين قلبك ، وأفاض عليك من الخير ، وعقد بيننا وبينك سبباً من الرضا ، وحجّب إلينا كما حجب إليك الحق ، وأمتع عينك وقلبك ، بما سيطر لك من حجب الجاحظ ، وما اقتن فيه وأبدع ؛ وأضيق عليك البشاشة ، وأسبغ ظل العافية^(١) .

١ - بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظ إمامٌ قد من أئمة البيان في العربية ، وليس من الإسراف والمغالاة أن نعدّه زعيمَ البيان العربي ، نطلق القول في ذلك إطلاقاً .

هو زعيمُ للبيان العربي في قوّته وأسرّه ، وفي دقّته وصحّته ، وحلاوته وجماله وفنّه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربي ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربية ، التي كانت في الصدر القديم من مكتبات الدنيا ، فيما أسدت للإنسانية والفكر العربي واللسان العربي من خير ، وما بسطته على ظلام للدينيات المتهاقّة من نور .

٢ - عصر الجاحظ

كان الجاحظ في العصر الذهبي للأمة العربية : عصر هارون والمأمون ؛ والعلوم والآداب والفنون يومئذٍ تزخر بها معاهد البصرة وبنداد والكوفة .

(١) للجاحظ منهج في البيان ، من سار في أوله دفعه الإيجاب إلى أن يحاول السلوك إلى غاية . وقد أبدى على فضله ، إلا أن أجل صدر تقديمي له في مثل صورة ياته .

وقرطبة، وسائر عواصم الإسلام، وكان للمعين قياضاً مترعاً، والقولُ في نشاط وفورة، والتأليف والترجمة لهما دوى النحل في كل صُقع. الدين يدعو إلى العلم والثور، والمال نلوع وجوهه في عيون أهل الفضل، فيد كي العزائم، ويُبرم العقد. والعلم ولود، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به في سبيل الظما، وحينما شبع منه رجع به في سبيل الجوع.

٣ - التأليف في عصر الجاحظ

عاصر الجاحظ ثلاثة ممن ضربوا بسهم كبير في وفارة الإنتاج الفكري والتأليف، واستوزوا على غاية قصر عنها من عدام :

أحدم : أبو عبيدة معمر بن النخعي (١١٠ - ٢٠٩) ، وكان من أهل البصرة، ولد وتوفي بها^(١). قال صاحب الوفيات : « وتصانيفه ، تقارب مائتي مصنف^(٢) » . وقد سرد منها ابن النديم في فهرسه مائة وخمسة^(٣) ، وقال فيه الجاحظ : « لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه^(٤) » .

والثاني : أبو الحسن علي بن محمد المدائني (١٣٥ - ٢٢٥) له نحو مائتين وأربعين مصنفًا ، على ما أحصيت في فهرس ابن النديم ، وقد روى الجاحظ عنه في البيان وفي الحيوان روايات كثيرة .

وثالث هذه الجماعة : هشام بن محمد الكلبي الكوفي (٢٠٠ - ٢٠٦) عدت كتبه في الفهرس فأنقشها نحو مائة وتسعة وثلاثين مؤلفًا^(٥)

(١) جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٣ : ٢٠٦) .

(٢) الوفيات (٢ : ١٠٦) .

(٣) الفهرس ٧٩ مصر ، ٥٣ ليسك .

(٤) البيان للجاحظ (١ : ٢٢٤) .

(٥) ١٤٧ مصر ، ١٠١ ليسك . ولم يكن تحديد العدد في هذا الموضع والذي قبله لمرونة عبارة ابن النديم .

كان للجاحظ في هؤلاء الرُّهط أسوة ، وحافزٌ في المسابقة والمنافسة ، إلى ما وهبه الله من لَسَنِ واقتدار ، ومن ذكاء خارق وقَـاذٍ ، وذَا كِرَة - في العلم - قوية^(١) ، واستهتار بالمعرفة والتبُّين .

حدث أبو هفان^(٢) قال : « لم أَر قطُّ ولا سمعتُ من أحبَّ الكتبَ والمَعلومَ أكثرَ من الجاحظ ، فإنَّه لم يقع بيده كتابٌ قطُّ ، إلا استوفى قراءته ، كأنَّما ما كان ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الورَّاقين ، ويثبت^(٣) فيها للنظر » .

والجاحظ في صدر الجزء الأول من الحيوان ، نعتٌ للكتب ، يقع منه الدَّليلُ على ما ملأ الله به صدرَ هذا الرَّجل من إيمانٍ بما للعلم والكتب من شرفٍ وجاه . وما للتفهُّم والقراءة من مكانٍ عالٍ ، ومنزل كريم .
والعَجَبُ أنَّ تلك الأسفارَ الَّتِي عُني بها صاحبنا ، لم تَبَرَّ به ولم تبادله الوفاء ، فندرتْ به ، « وكان موته بسقوط مجلِّدات العلم عليه^(٤) !! » .

٢ - مؤلفات الجاحظ

خرج الجاحظ عن زُهاء ثلاثمائة وستين مؤلفاً في ألوان شتى من المعرفة ، رأى أكثرها في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد ، سبطُ ابن الجوزي^(٥) التوفى سنة ٦٥٤ .

(١) ذكر الجاحظ كما في تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدياء (٦ : ٥٦) مرجليوث أنه نسي كتيبه ثلاثة أيام ثم ذهب إلى أهله فقال بمن أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان !! وهكذا طفت ذاكرته في العلم على ذاكرته في غيره .

(٢) كان أخباراً راوية مصنفًا . الفهرس ٢٠٧ مصر ، ١٤٤ ليسك .

(٣) في الأصل : « بيت » .

(٤) شذرات الذهب (٧ : ١٢٢) .

(٥) مرآة الزمان الورقة ٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر (مصورة دار الكتب =

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذى يقول فيه
 السعوى^(١) : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه » . على
 أن أذن ماترلُ إليه فى التقدير ، أن تكون مائة وثيقاً وسبعين كتاباً . قال
 ابن حجر فى لسان الميزان^(٢) : « وسرد ابنُ النديم كتبه ، وهى مائة وثيقٌ
 وسبعون كتاباً » .

وياقوت فى معجم الأديباء^(٣) قد ذكر فهرست كتبه ورسائله ، فأثبت
 منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفًا .

وليس بنا أن نحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ، ولكن ما نريد أن نقول :
 إن الجاحظ فى الرعييل الأول من مؤلفى عصره وكتابه .

والآن نسأل : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً ، وفى أى مطرَح طَوَّحَ
 بها الزَّمانُ !! لقد ضرب النَّهرُ على كثيرها ، فسادت فى مثل صنعة الساحر ،
 لمعت حينئذ ثم انكفأت .

أنقول : إن أعاصير الخلافِ المذهبيِّ عصفت بها ، فلم ضاعت آثارُ
 غيره من أهل السنة والجماعة ؟ !

الحق أن الخوَدَ الذهنيَّ وهبوطَ المهْم ، كان لهما معظم الأثر فى ضياع
 هذه النفائس وقدها ، والحق أن القَوْضى السياسيَّة التى مُنبت بها الأممُ
 الإسلاميَّة فى مسائلها الأولى ، والتى كانت قاتمةً - فى أكثر ما تقوم - على
 التدمير والتخريب والانتقام - جعلت تهديم فى هذا الصَّرح الفكريِّ ، حتى
 أنت على كثيرٍ من قواعده ، ولم تبق إلا وشلاً من محيط !!

== المصرة). والنس فيها: «أمامصفاته ثلثائة وستون مصنفًا، ووقفت على أكثرها
 فى معهد الإمام أبى حنيفة» .

(١) فى مروج الذهب (٤ : ١٣٥) .

(٢) لسان الميزان: (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأديباء (٦ : ٧٥ - ٧٨) مرجليوث .

ومهما أحرزنا فقد كثير من آثار الجاحظ ، فإنَّ مما يجلب إلينا العزاء ،
أن تبقى الأيام منها قدراً لا يستهان به ولا تنفاسته ، قد سار بعضه بين الأدباء
فكان له فضل كبير في تقويم ألسنتهم وتأديبهم ، وحث بعضه الآخر خزان
متناثرة في أرجاء المعمورة ، ساعل جهدى على إخراج ما يمكن منها ، بعون الله ،
مامدٌ لى في الحياة .

٥ - ابن النديم والجاحظ

والعجب أن الناظر في فهرس ابن النديم يكاد لا يرى فيه شيئاً عن
الجاحظ ، إلا عرضاً واستطراداً ، مع أن ابن النديم كان من أساطين الوراقة ،
وأبرز مختصّ بفن الكتب والمكتبات .
لقد عجبت ، ووجدت شيخ الروبة وقيدها « أحمد زكى باشا »
قد سبقني بهذا في أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السر عن ذلك ،
بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة
ناقصة^(١) . وقد أسلفت قريباً^(٢) نصّاً من لسان اللّيزان ، يؤيد ماذهب إليه
شيخ الروبة .

٦ - منحى الجاحظ في التأليف

صنع الجاحظ هذه الكتب جميعاً . ولم يكن همه غيره من المؤلفين ،
في الجمع والرواية والحفظ ، وإنما كان وكده أن يتكرّر وأن يُطَرَف ، وأن
يخلق للناس يدباً ، يسمح على جميعها بالدعاة والمزّل ، ويشيع الفكاهة

(١) مقدمة التاج ٤٣ - ٤٤ .

(٢) انظر ص ٦ من هذا التقديم ..

في أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئين إليه ، واستولى منهم بذلك على شتى ميولهم إلى ما يكتب ، فصَبَوْا إليه وأغرموا به غراماً !
وطرق الجاحظُ في كتابته أواباً عجيبية ، وتقرَّب إلى العامة^(١) وحرَّص أشدَّ الحرَّص على استرضائهم . ولم ينسَ في ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة في المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ - قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيان^(٢) : « ومن عجيب الحديث في كتبه ، ما حدثنا به عليُّ ابن عيسى النخعيُّ الشيخ الصالح . قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيعتنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالتفهرست . وصرَّح في جللتها : الفرق بين النبي والمنفي ، وكتاب دلائل النبوة وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع^(٣) لشيء دعاه إليه . فأحييتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرُ على واحدٍ منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّبَ بالفرق خطأ . فهمني ذلك وساءني ، في سوء ظفري به . فلما شخَّصت من مصرَ ودخلتُ مكة -

(١) قال الجاحظ في البيان (١ : ١٠٥) : « وإذا سمعتموني أذكر العوام فأني لست أعني الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، ولست أعني الأكراد في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار ، ولست أعني من الأمم مثل الير والطليسان ، ومثل موفان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج . ولأعني الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والباقيون همج وأشباههمج .
وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يلنوا منزلة الخاصة منا » . فهنا ما بيني الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ - ٧٣) مرجليوث .

(٣) الحيوان (٤ : ١٢٢) س ١٤ .

- حرسها الله تعالى - حاجًا ، أقمت منادياً بعرفاتٍ ينادى - والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلافِ بلدانهم وتنازُحِ أوطانهم ، وتبايُنِ قبائلهم وأجناسهم ، من المشرق إلى المغرب ، ومن مهبِّ الشمال إلى مهبِّ الجنوب ، وهو المنظر الذى لا يشابهه منظر - : رحم الله من دلنا على كتاب الفروق بين النبى والمطفى لأبى عثمان الجاحظ ، على أى وجه كان !

قال : فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالحليمة وقال : حجّت الناس مِنّى ولم يعرفوا هذا الكتاب ، ولا اعترفوا به !

قال ابن الأخشاد : وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسى عندها .

قال ياقوت : « وحسبك بها فضيلة لأبى عثمان ، أن يكون مثلاً ابن الأخشاد - وهو من هو ، فى معرفة علوم الحكمة ، وهو رأسٌ عظيم من رءوس المعتزلة - يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام . وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدي الناس اليوم لا تكاد تخلو خزائنه منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر » .

١ - وللسعودى ، وهو ممن يُمَدُّ فى خصوم الجاحظ ، يقول فى مروج الذهب ^(١) فى نعت كتب الجاحظ : « وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور ^(٢) ، تجلّو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان ؛ لأنه نظمها أحسن نظم ، وورّعها أحسن ورّع ، وكساها من كلامه أجزل لفظ . وكان إذا تخوّف مَلَك القارئ ، وبُسماء السامع ، خرج من جدِّ إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة . وله كتبٌ حسان ، منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ؛ لأنه جمع فيه بين المنثور والنظوم ، وغرر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبلغ الخطب ؛

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٧) .

(٢) يزيد ما كان عليه من الاعتزال وعداوة الشيعة ، وكان المسعودى شيعياً .

مالو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين
والبعلاء . وسائر كتبه في نهاية السكّال ، مالم يقصد منها إلى نصب ، ولا
صوابها أو إلى دفع حقّ » .

وهذا حديث آخر ، تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من
شأوه غاية :

قال أبو القاسم السيرافي^(١) : « حضرنا مجلس الأستاذ أبي الفضل
ابن العميد ، فجرى ذكرُ الجاحظ ، ففضّ منه بعضُ الحاضرين ، وأزرى به ،
وسكت الوزيرُ عنه . فلما خرج الرجلُ قلت له : سكتَ أيُّها الأستاذ عن هذا
الرجلِ في قوله ، مع عادتك في الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجد في مقابلته
أبلغ من تركه على جهله . ولو واقفته وبيّنتُ له ، لنظر في كتبه وصار بذلك
(إنساناً) يا أبا القاسم . فكتب الجاحظُ تعلّم العقل أولاً ، والأدب ثانياً !!
ولم أستصلحه لذلك » .

والخليفة المأمون العباسي ، كان من قُرّاء الجاحظ ، ومن المقدّرين
لعلمه وفضله في كتبه .

قال الجاحظ - وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون^(٢) : « ولما قرأ
للمأمون كتي في الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه - وكان قد
أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها . قال لي : قد كان بعضُ من يرتضى
عقله ، ونصدّق خبره ، خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة
فقلت : قد تُرَبِّي الصَّفةُ على العِيان فلما رأيتها رأيت العِيان قد أُرِي على الصَّفة ،
فلما فكّيتها أُرِي على العِيان ، كما أُرِي العِيان على الصَّفة !! » .

(١) الحديث في وفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .

(٢) البيان (٢ : ٢١١) .

٨ - ذِيع كُتِبَ الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيب وتنتشر، وتطير إلى الآفاق، في حياته،
للرغبة الملحة فيها، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير.

وإليك صورة تذكير عن مبلغ هذا الذِّيع، وتَقَمُّك على مقداره :

روى الخطيب البغدادي في كتابه ^(١) عن يحيى بن علي، أنه قال :
حدثني أبي قال : قلت للجاحظ : إني قرأت في فصل من كتابك للسمي
كتاب البيان والتبيين ^(٢) : إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام،
واستشهدت ببنتي مالك بن أسماء - يعني قوله ^(٣) :

وَحَدِيثُ أَنَّهُ هُوَ مِمَّا يَنْتَعُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحنا

قال : هو كذلك . قلت : أفا سمعت بخبر هند بنت أسماء بن خارجة مع
الحجاج، حين لحنت في كلامها، فاب ذلك عليها فاحتجَّت بيت أخيها،
فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فطنة، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى
في الظاهر، لتستر معناه وتورِّي عنه، وتُفهم من أرادت بالتعريض، كما قال
الله تعالى : ﴿وَلْتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ولم يُرد الخطأ من الكلام . والخطأ
لا يُستحسن من أحد ؟ ! فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط إلى هذا الخبير
لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . قال : آلاَن وقد سار الكتاب
في الآفاق !! هذا لا يصلح ! .

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) وانظره كذلك في معجم الأدباء (٦ : ٦٥)

مرجليوت .

(٢) انظر البيان (١ : ١١١) .

(٣) في استعمال اللحن من بعض نسائه .

وصورة أخرى^(١) : قيل لأبي هفان وقد طال ذكر الجاحظ لأبي هفان - : لم لا تهجو الجاحظ ، وقد ندّد بك ، وأخذ بمخنّك ؟ ! قال : أمثلّ يُخدع عن عقله ؟ ! والله لو وُضِعَ رسالة في أرنية أنفى ، لما أمست إلا بالصّين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبه تغزو الآفاق ، وتطير في الدّنيا ، إلى أن كتب لها ما كتب .

٩ - وراق الجاحظ

لم يكن بدّ للجاحظ ، وقد منحه الله في القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجيباً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكّن من تحقيق مطمحيه ، فكان له وراق^(٢) خاصّ ، يكتب له ويكتب عنه .

عُثر على اسم هذا الوراق في موضعين : أحدهما أمالي القالي^(٣) حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبي بكر بن دُرَيْد ، لليلي الأخيلية - وقال لي : كان الأصمعيّ يرويها لحميد بن ثور الهلالي - قال أبو علي : فكنا وجدته بخط ابن زكريا « وراق الجاحظ » في شعر حميد :

يا أيها السّديم الملوّى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما
والموضع الثاني : معجم الأدباء^(٤) ، حيث ذكر ياقوت كتابي « النساء »

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .

(٢) ما كان أجدر بهذه الكلمة أن تستعمل في معنى « السكرتير » التي حيرت اللغويين

(٣) أمالي القالي (١ : ٢٤٨) .

(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .

و « النمل » وقال : « قال ابن النديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخط
زكرياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، وراق الجاحظ » .
وقد عرف ابن النديم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته ، على
حين ذكره القائل غفلاً ، مما يرجح لدينا أن يكون الصواب في اسم هذا
الوراق ، ما نقل ياقوت عن ابن النديم .

تقديم كتاب الحيوان

١ - كتب الحيوان

سبق اليونانيون أسلافنا العرب ، إلى التأليف في علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم الحيوان^(١) : « وفيه كتب قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائمه ومنافسه . وكتاب الحيوان لأرسططاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليوناني إلى العربي . وقد يوجد سريانيًا نقلًا قديمًا ، أجود من العربي . ولأرسطو أيضًا كتاب في نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضار » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبي القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللوفيق البغدادي أيضًا . ونستطيع أن نقول : إن الجاحظ أول واضع لكتاب عربي جامع في علم الحيوان . وقد كان قبله وفي عصره محاولات شتى لطاققة من العلماء ، يتحدثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الأدب

لأبي حاتم السجستاني (٢٤٨ - ٠٠٠) ، وللأصمعي (١٢٢ - ٢١٦) ،
ولأبي عبيدة (١١٠ - ٢٠٩) ، وللنضر بن شميل (١٢٢ - ٢٠٣) ،

(١) كشف الظنون (١ : ٤٥٦) .

ولأبي زياد الكلابي^(١) ، ولأحمد بن حاتم الباهليّ (٢٣١ - ٥٠٠) .

كتب الخيل

لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦) ، وابن الأعرابي (١٥٠ - ٢٣١) ،
وأبي عبيدة ، وأبي جعفر محمد بن حبيب البغداديّ (٢٤٥ - ٥٠٠) ،
وأبي محمّد بن هشام الشيبانيّ (٢٤٥ - ٥٠٠) ولأحمد بن حاتم .

كتب الغنم والشاء

لأبي الحسن الأخفش (٢١٥ - ٥٠٠) ، وللتّصريف بن شميل ، وللأصمعيّ .

كتب الوهموسى

للأصمعيّ ، ولأبي زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ - ٢١٥) ولأبي حاتم
السّجستانيّ .

كتب الطير

لأبي حاتم السّجستانيّ ، وللتّصريف بن شميل ، وأحمد بن حاتم الباهليّ .

كتب البازى والمهام والحيات والعقارب

لأبي عبيدة .

(١) اسمه يزيد بن عداقة بن الحر ، أعرابي بدوي . قال دعلج : قدم بهنداد أيام المهديّ حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعرا من بني كلاب . ابن التّديم ٦٧ . مصر ، ٤٤ ليلى .

* حربٌ كشفَ لفتحِ إعراراً *

وإليك نصّاً آخر من خلاله^(١) :

« ومما يذكّر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقه حمراء وإذا بولغ في نعت مُحمرته قيل : كأنه عرّق أرطاة . ويقال أجلد الإبل وأصبرها الحُمْر . فإذا خلطَ الحمرة قُتِنوا فهو كُميت . فإذا خلطَ الحمرة صفرة قيل : أحمر مدّعى . قال مُحمّد بن ثور :

وصار مدمّها كُميتاً وشُبّهت قروحُ الكلّي منها الوجارَ للمدّما »
وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعي^(٢) :

« أسماء عدد الإبل : النّود : ما بين الثلاثة إلى العشرة . والصّرمة القطعة التي ليست بالكثيرة . والضّبة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين ، إلى الأربعين .

والمكّرة : إلى الخمسين ، إلى الستّين إلى السبعين .

والهجمة : المائة وما داناها . والمهيدة : مائة . والمرج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج والبرك : إبل القوم جميعاً ، التي تروح عليهم . قال متمم :

ولا شارف حبشاء ريمتُ فرجعتُ حنيناً ، فأبكي شجوها البرك أجمعا

٢ - كتاب الحيوان للجاحظ

هذه صورة من صور كتب القوم في الحيوان . أمّا الجاحظ فأماكم

(١) ص ١٢٧ من الكتاب السابق .

(٢) ص ١٥٧ . وكتاب الوحوش للأصمعي طبع في فينا سنة ١٨٨٨ ، والخيل له في فينا ١٨٩٥ ، والشاء له في بيروت ١٨٩٦ .

كتابهُ ، ينطقُ بين يديكَ بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهذيب فهو شأنُ كلِّ كتابَةٍ جديدةٍ ، فى أمرٍ متشعبِ الأطرافِ ممدودِ النواحي .

٣ - مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسال : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأن أصاب هذا القريض المتدافع ؟

لقد استغثت كتاب الحيوان نفسه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته ، فوضح لى أن صاحبه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لا ينضب من القرآن والحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده - (الشعر العربى) فالشعر العربى وبخاصة البدوى منه ، قد تحدّث عن الحيوان حديثاً طويلاً ، تحدّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشى ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدّثوا فى نفعها فلم يذروا دقيقة من دقائقها ، وتكلّموا فى حملها ونتائجها ، ورأى وحشيها ، وحلبها وألبانها ، وألوانها ونجارها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، وزرعها وشربها وسيرها وسراها ^(١) .

وكان لهم فى الخليل نعتٌ مفصّل ، وغنايةٌ بمثل ما اعتنوا به فى الإبل .

(١) مما أقدم به الآن لإعداد كتاب يبيّث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجو الله العون فى إتمامه .

ووقفوا كذلك لكلاهما وشأنهم . وتكاد لا تجد قصيدة معدودة للعرب
إلا وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيات - وفلواتهم مواطن غنية بها - فلم يُفعلوا ونطق شعرهم
بالأسد^(١) ، والتمر ، والذئب^(٢) ، والثعلب ، والضب ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُسور والعُقبان والزَّحَم ، والحِنداء والقطا والحجل .
ولو أردت أن أستقصى سائر ما نفتوا من الحيوان ، في شعرهم وحديثهم
وأسماءهم - ما استطعت . ولو استطعتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أن العرب - والأعراب بهم خاصة - قد تَفَقَّهوا معرفة
الحيوان ، وبرعوا في ذلك البراعة ، واستوعبوا حاله وعاده . وهو يقول
في ذلك^(٣) :

« وقلَّ معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب
الطبَّاء (والتكلمين) إلا ونحن قد وجدناه أَوْقَرِيًّا منه في أشعار العرب
والأعراب » .

وقال في الكلام على السَّباع المشتركة الخلق^(٤) : « وقد ذكرنا منها
ما كان مثل الضَّبِّ والسَّبعِ والسمبار ؛ إذ كانت معروفة عند الأعراب ،
مشهورة في الأخبار ، منوها بها في الأشعار » .

(١) أشهر عربي وصف الأسد هو أبو زيد الطائي . انظر خبره في الأغاني ولبقات
ابن سلام ومعجم الأدباء .

(٢) كانوا يهخرون أحيانا بإشراكهم الذئب فيما يطعمونه . ومن عرف بذلك الفرزدق .
وله خبر مع الذئب في إطعامه لحم شاة له . خمسة دواوين العرب ١٦٠ .

(٣) الميوان (٣ : ٨٣) ساسي .

(٤) الميوان (٦ : ٩) ساسي .

وهو يُظهر السبب في جودة معرفة الأعراب للحيوان ، بقوله ^(١) :
 « وربما ، بل كثيراً ما يُبتَلَوْنَ بالنَّابِ والخَلْبِ ، والدَّغِ واللَّسَمِ ، والمعضِّ
 والأكل . فخرجت بهم الحال إلى تعرف حال الجاني والجرح والقتال ، وحال
 الجنى عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطلبُ والحرب ، وكيف الداء والدواء ؛
 لطول الحاجة ، ولطول وقوع البصر . مع ما يتوارثون من المعرفة بالداء
 والدواء » .

والكتاب مفصل بكثير من الشعر العربي ، موشع بميوز ما نظم العرب
 والأعراب في الحيوان من شعر .

وللجاحظ ثقة تامة في الشعر العربي ، فهو يصدره في الرد على أرسطو ،
 ويحتج به عليه . قال بعد أن سرد قول أرسطو في عقوق العقاب ^(٢) : « هذا
 قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأما أشعار العرب فهي تدل على خلاف ذلك . قال دريد بن الصمة :
 وكلّ لجسوج في العناق كأنها إذا اغتمست في الماء فتخاه كاسر
 لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناه عاقر»



وللمادة الثالثة من مواد الكتاب ، هي (كتاب الحيوان لأرسطو ^(٣)) .
 وقد قل عنه الجاحظ نوصلاً ليست من الكثرة بمكان ، ولكنها من القيمة
 والتفاسة بمكان عظيم .
 وصاحبنا رجل جرىء العقل ، عنيف الفكر ، فهو لا يقبل هذه النصوص

(١) الحيوان (٦ : ٩) ساسي .

(٢) الحيوان (٧ : ١٤) ساسي .

(٣) سبق التعريف بهذا الكتاب ص ١٤ .

بعلاّتها ، بل يطرحها على الممتحن ، ولا يظأطى بفكره لها ، وإنما يصعد به
عالياً ليرى وجه الحق فيها ، وقلّما ترك واحداً منها إلا تكلم فيه ، وعرضه
على الحقيقة .

فمن ذلك ما قال^(١) : « وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً
وثب بعد أن خصى ، فنزا على بقرة فأحبها » وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد
هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق
هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت في الكلام الذى أسلفت ، ردّه عليه بالشعر العربى .
وقال أرسطو فى القيل^(٢) : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من
البرد » فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد ، فما قولهم فى أحاديثهم ،
طلبوا من الملك القيل الأبيض ، والقيل الأبقع ، وجاء فلان على القيل
الأسود ؟ ! » .

وقال الجاحظ فى ردّه على أرسطو^(٣) : « وقد سمعنا ما قال صاحب
المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ
لا يحقّقها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحياناً يتنذر صاحبنا عن أرسطو ، بأن المترجمين لكتابه لم يحسنوا
النقل . ، ولم يتوخوا الدقة والمطابقة . فهو يقول^(٤) : « ولعل المترجم قد أساء
فى الإخبار عنه » ويقول^(٥) : « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحرّين

(١) الحيوان (٥ : ١٤٧) ساسى .

(٢) الحيوان (٧ : ٧٠) ساسى .

(٣) الحيوان (١ : ٨٥) ساسى .

(٤) الحيوان (٢ : ١٨) ساسى .

(٥) الحيوان (٦ : ٧) ساسى .

وأحاديث السامعين ، وإلى ما في كتاب رجل - يعنى أرسطو - لعلّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويرأى إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ؛ بسوء ترجمته » .
وله نحو من هذا الكلام في الردّ على صاحب المنطق في مواضع أخر من كتابه^(١) نكتني بالإشارة إليها .



والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلام الذى ولّاه المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيار العارم ، إلى مواطن شتى من نواحي الحجاج والجدل . وكأنا خلق الله كل رجل من أهل الاعتزال لسائناً دائب التصرف والعمل . فهم إن فرغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجوير ، وفى الوعد والوعيد ، فرّغوا إلى الكلام فى الساتحة والخطارة ، وفيما يظهر للعين أنّه دقيق مهين .

والكتاب معرض لطريف لهذه المنازعات الكلامية ولاسيما الجزأين الأوّل والثانى منه . فكثيراً ما يمرّ على بصرك : « قال صاحب الكلب » و « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . . .

ويبدو أيضاً ، أنّه كان فى عصر الجاحظ نزاع كلامى خاص ، فى المقايسة بين الكلب والديك ، يتقدّم الفريق الأوّل أبو إسحاق إبراهيم النظام ، ويتزعّم الزمخشري الآخر معبد^(٢)

كما أنّ بعض الناس كانوا ينظرون إلى هذا النمط وإلى هذا الضرب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلمين ، بين الاستغراب والاستفكار .

(١) انظر منها الحيوان (٣ : ١٦٢) ، (٤ : ٥٢) ، (٥ : ١٥٦) ، (٦ : ٦) ، (٧ : ٤٠) ساسى .

(٢) انظر الحيوان (١ : ١٧٥) ساسى . وانظر كذلك (٢ : ٥٥) .

وقد ردّ عليهم الجاحظ ردّاً مسهباً ، صدّره بقوله ^(١) : « فَإِنْ قُلْتَ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ، حَتَّى يَتَفَرَّغَ لَذَكْرٍ مُحَاسِنُهُمَا وَمَسَاوِيَهُمَا ، وَالْمَوَازَنَةُ بَيْنَهُمَا ، وَالتَّنَوُّهُ بِذِكْرِهِمَا ، شَيْخَانِ مِنْ عِلْيَةِ التَّكَلُّمَيْنِ وَمِنْ الْحِلَّةِ لِلتَّقَدُّمَيْنِ . . . » ثم هو ينشئُ بعد ذلك دِفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إِنَّ البحث في شأن الحيوان ، ضربٌ من ضروب التعبّد ، ولَوْ من ألوان البحوث الدينية ، التي تنتهي بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ما أبدع وبرّأ .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، في عنايته بالحيوان والحديث فيه ، أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه ، « وجمع فيهما كثيراً من هذه الترائب والفوائد ، وتبه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة ، والموعظة البليغة ^(٢) » .

ذلك الرجل هو بشر بن العتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة ، سمّيت بالبشرية ^(٣) وتوفي سنة ٢١ هـ .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين في الجزء السادس من الحيوان ، وتكلّم فيهما كلاماً طويلاً ، استغرق نحو نصف الجزء .



والسادة الخامسة من مواد الكتاب هي تلك الخبرة الشخصية ، وذلك الوَلُوعُ الذي كان يدفعُ بصاحبنا إلى السؤال ممّن يتوسّم فيه العلم . وكان الجاحظ

(١) الحيوان (١ : ٩٣ - ١٠٤) ساسي .

(٢) العبارة للجاحظ نفسه في الحيوان (٩١ : ٦) .

(٣) مقانين العلوم ١٩ ومبجم الزركلي ١٤٧ .

بطبعه شعبيًا ، مع أنه كان مقرَّبًا نافذَ الكلمة عند الوزراء والخلقاء^(١) . فهو قد جالس للملاحين مرارًا ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك ما يقول^(٢) :

وسمعت حديثًا من شيوخ ملاحي الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم . . . »

وهو يتحدث مع صائِد المصافير ويقول^(٣) : « وخبرني من يصيد المصافير . . . » .

وأحيانًا يخاطب الحوَّاثين ، ويقف منهم موقفَ السَّمْع إلى الشَّكوى . وفي ذلك يقول^(٤) : « وشكا إلى حوَّاث مرةً فقال : أفقرتُ هذا الأسود ومنعني الكسب ؛ وذلك أنَّ امرأتِي جهلت فرمتُ به في جَوْنَةٍ فيها أفاعى ثلاثٌ أو أربع ، فابتلعنَّ كلَّهنَّ - وأراني حيَّةً منكرةً ! »

وله نقاش في شأن القليل مع عبدي يدعى « غانميا »^(٥) . وما حدا به إلى الحديث معه إلا أنه من ذوى الخصاص والجلد كما عرفت .

٤ - متى ألف كتاب الحيوان ؟

قيل لأبي العيناء : ليت شعري ، أي شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال :

(ليت شعري ، أي شيء كان الجاحظ لا يحسن) ؟ !

- (١) انظر لذلك تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٩) حيث يقول الجاحظ : « حالي أن الوزير يشكلم برأيي ، وينفذ أمري ، ويؤثر (صوابها : يوتر) الخليفة الصلات إلى » .
- (٢) الحيوان (٢ : ٤٥) ساسي .
- (٣) الحيوان (٢ : ١٢١) ساسي .
- (٤) الحيوان (٦ : ١٣٤) وانظر (٤ : ١٣٤) ساسي .
- (٥) الحيوان (٥ : ٣٥) ساسي .
- (٦) جمع الجواهر للحصري ١٦٥ .

نعم، كان الجاحظ أنجباً به الدنيا، تعرف ذلك إذا قرأت كتاب الحيوان ولمست ما يحتاج إليه من جهد، وما يتطلبه من وعي واسع، وانتباه دقيق ثم عرفت بعد ذلك كله أن تلك الملمة الخالصة، صنعها صاحبها وأنتم حركها، وهو في سنّ عالية، مفلوج يقول في شكاية مرضه: «أنا من جانبي الأيسر مفلوج، فلو قُرض بالمقاريض ما جعلت به، ومن جانبي الأيمن مُنقرَس، فلو مرّ به الثّبابُ لألّمت!!^(١)».

قال الحُصْرِيُّ^(٢): «ومن إحدى عجائبه، أنه ألف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال» يعنى السنّ العالية، والقالج الشديد.

وما بالنّا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول^(٣): «وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه: أوّل ذلك العلة الشديدة...».

وهنا مشكلةٌ تطلع علينا من ثنايا نصوص عدّة، فقد قالوا إنّ الجاحظ فُلج في آخر أيامه^(٤) وقالوا كذلك إنّه ألف كتابه الحيوان باسم محمد ابن عبد الملك الزّيات^(٥) المتوفى سنة ٢٣٣، وأنّه أهداه إليه فأعطاه خمسة آلاف دينار^(٦)، فهل نقول إنّ الجاحظ ظلّ مفلوجاً ثنتين وعشرين سنة^(٧) في الأقل؟! ذلك مانفّيه العادة، ويحيله الكثير من الواقع فيما يرى الناس.

(١) ابن خلكان.

(٢) في جمع الجواهر ١٦٥.

(٣) الحيوان (٤: ٦٩) ساسى.

(٤) الوفيات وتاريخ بغداد وشذرات الذهب (٢: ١٢٢).

(٥) معجم الأدباء (٦: ٧٥) مرجليوث.

(٦) معجم الأدباء (٦: ٧٦) مرجليوث.

(٧) هي فرق ما بين وفاة ابن الزيات سنة ٢٣٣ ووفاة الجاحظ سنة ٢٥٥ في أصح الروايات.

ولكننا نرجع إلى تاريخ علته من المراجع التي بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون »^(١) قد عني بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علّة الجاحظ أنّه حضر مائدة ابن أبي دواد ، وفي الطعام سمك ولبن . وكان ابن بُحْتِشُوع الطّبيبُ حاضراً ، فنهاه عن الجمع بينهما ، فقال الجاحظ : إنّ السمك إن كان مضاداً للبن فإني إذا أكلتهما دفع كل منهما ضرراً الآخر . وإن كانا متساويين فكأنّي أكلت شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لأحسن الكلام ولكن إن شئت أن يُجَرَّب فكلّ . فأكل فأصابه فالج عظيم . »

فإذا عرفنا أنّ أحمد بن أبي دواد قد توفى سنة ٢٤٠^(٢) وابْتلى بالفالج بعد موت عدوّه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً في سنة ثلاث وثلاثين^(٣) .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إنّ مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة . وأن المعنى بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته وأحبّ أن أشير هنا إلى أنّ الجاحظ ابتدأ في تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ في صنوه الآخر في الذّبع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنصّ قاطع في البيان^(٤) يدلّ على ذلك . قال : « كانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

(١) سرح العيون ص ١٣٦ ، وانظر مثل هذا النص مضطرباً في عيون الأتباء . (١ : ١٨١) .

(٢) مروج الذهب (٤ : ٤٧) وشذرات الذهب (٢ : ٩٣) .

(٣) مروج الذهب (٤ : ٤٧) .

(٤) البيان (٣ : ٤٦) .

مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار ؛ لما ذكرت من عَجَبِكَ بذلك . فأجبت
أن يكون حظُّ هذا الكتاب في ذلك أوفر ، إن شاء الله تعالى » .
كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أن الجاحظ كان يسمي كلَّ جزء من أجزاء
الحيوان مصحفاً . وفي النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً في نهاية
كل جزء : « تم المصحف ... من كتاب الحيوان ويليه المصحف ... » .

هـ - جهد الجاحظ في تأليف الحيوان

هو يحدِّثنا بذلك فيقول^(١) : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالات
تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك : العلة الشديدة . والثانية : قلة
الأعران . والثالثة : طول الكتاب . والرابعة : أني لو تكلفت كتاباً في طوله
وعدد أفاضله ومعانيه ، ثم كان من كتب العرض والجوهر ، والصفرة
والتوليد والمداخلة ، والفرائز والنحاس^(٢) لكان أسهل وأقصر أياماً ، وأسرع
فراغاً ؛ لأنني كنت لا أفزع فيه إلى تلَقُّط الأشعار وتلَبُّع الأمثال واستخراج
الآي من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرُّق هذه الأمور في الكتب » .
بهذا شرح صاحبنا جهده في تأليف الكتاب ، وبين ما بذل في تأليفه
وجمه ، من عنتٍ ومشقة .

(١) الحيوان (٤ : ٦٩) والنظر ص ٧٠ منه أيضاً .

(٢) النحاس هنا بمعنى الطبيعة .

٦ - عدد أجزاء الكتاب

جرى بعض الناسخين والطابعين ، على ألا يتقيدوا في النسخ أو الطبع بتقسيم المؤلف لكتابه ، وكنت خشيت أن يكون وقع هذا التصرف في كتابنا هذا ، وأدركني الرعب في ذلك . ولكنت وجدت من نصوص الكتاب ما يشهد بأن تقسيم للطبوعة الأولى من الحيوان هو نفسه تقسيم الملاحظ . ففي الجزء السابع بالصحيفة الثالثة ، نجد هذا النص . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذي ذكرنا فيه القيل بما حضرن . . . » ونجد في ثنايا الكتاب نصوصاً آخر تشهد بصحة هذا التقسيم ^(١) .

وإن في مطابقة نهايات أجزاء الطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشفطية للرموز إليها برمز « س » التي يصرّح فيها بختام كل جزء بهذه العبارة : « تمّ للمصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » - إن في ذلك لدليلاً آخر على صحة التقسيم التي سنتبعه .

٧ - قيمة كتاب الحيوان

لا يعرف فضل هذا الكتاب ، إلا من نظر فيه طويلاً ، وتناول نواحيه بالدّرس والتبّين .

وقد يؤم اسمه أنه قد خصّص بالحيوان وما يمت إليه بسبب . ولكن

(١) الحيوان ٤ : ٢ ، ٥ : ٢ ، ٦ : ٢ - ٣ وبما يضم إلى ذلك قول ياقوت في معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

الحقُّ أَنَّ الكتابَ معلَّمٌ واسعٌ ، وصورةٌ ظاهرةٌ لثقافة العصر العباسي ،
للمتنبِّة الأطراف .

قد حوى الكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعية^(١) ، والمسائل
الفلسفية ، كما تحدَّث في سياسة الأقاليم والأفراد ، وكما تكلم في نزاع أهل
الكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدَّث الكتاب في كثير من المسائل الجغرافية ، وفي خصائص كثير
من البلدان ، وفي تأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر ، كما تناول الحديث
في الأجناس البشرية وتباينها ، وكما عرَّض لبعض قضايا التاريخ .
وفيه كذلك حديث عن الطب والأمراض : أمراض الحيوان والإنسان
وبيان لكثير من المفردات الطبية ، نباتها وحيوانها ومعدنها .

تحدَّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب ، وأحوالهم وعادهم ، ومزاعمهم
وعلومهم . كما أفاض القول في آي الكتاب العربي ، وحديث الرسول
العربي ، وكما فصل بعض مسائل الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوانٌ جمعَ الصِّفوةَ المختارةَ من حُرِّ الشعر العربي
ونادره . وناهيك باختيار أبي عثمان ! وإن أردت الأمثال فهو قد جمع لك
منها القدرَ الكبير ، أو أحييت الحديث في البيان وقد الكلام والشعر ،
وجدت ما ارتاح إليه نفسك وتطمئن .

أمَّا فكاهة الجاحظ فهذه قد نُثرت في الكتابِ ثرا ، وإنَّها لتطالعك
بين الفينة والأخرى ، متمثلةً فيما يروى من نادرة ، أو يحكى من قصة ،

(١) ولعل هنا ما حدا بالفقير له أحمد تيمور باشا ، أن يضع نسخته الخفية في قسم
الطبيبات من مكتبته .

وأما المحزون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحي التي غابت على كثير من متأدبي عصر الملاحظ ، التي لم يكن فيها خرج حينئذٍ ولا خشية .
هذه صفةُ للكتاب مجلّة ، أوجزتها إيجازاً ولم أُرِدْ تفصيلها ، فذلك إنما يكون في كتاب .

على أنَّ الفهرس الذي ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يميّز للقارئ أشياء وأشياء غيرَ ما ذكرت ، وبه يظهر كثيرٌ مما كن في جنّبات ذلك الكنز القيم .

تصحيح الكتاب

١ - قراءة الكتاب

كان أول عهدي بدراسة هذا الكتاب منذ أربع سنوات مضى ،
وكنت أجدني أمضى في الكتاب وأتابع قراءته ، رغم ما كان يحفل به
من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحالٍ تشجع قارئه على المتابعة
مما كان عليه من سوء نظام واستعجام .

وكنت أثناء قراءتي أكتب تصحيحات على جوانبه بقدر ما استطاعه
جهدى ، كما عانيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزائه بعضها ببعض .

والذى يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على
تثبيت ما يريد القارئ على وعيه وفهمه ؛ فالجاحظ معلمٌ حريص على إفادة
تلميذه ؛ ولكن تلميذه لا يجلس بين يديه ، أو يسأله ليتلقى عنه المعرفة ، بل
يؤلف له أستاذَه الكتابَ جامعا ، ويدعُه يُفِيدُ مما يقرأ ويفهم . والجاحظ
كلام فى هذا المعنى بالجزء الأول من الحيوان ^(١) . ولقد تقمى هذا التكرار
فى مقارنة النصوص وتصحيحها .

(١) ص ٤٢ أول ، ٨٥ ثانية .

٢ - البدء فى تحقيقه

وعُدت لقراءة الحيوان فى الصيف الماضى . فطلب إلى حضرات
ناشرى هذا الكتاب أن أقوم بإعداده للطبع .

فبسطنى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أن
من الضرورى أن أنفع بالنسخ الخطية والمصورة المودعة دار الكتب
المصرية ، حتى يخرج الكتاب للناس أقرب ما يكون إلى السلامة .

شرعتُ فى مقارنة النصوص بالنسخ . فهالنى الأمر واستعظمت التبعة التى
أُثبت على عاتقى ؛ للتخالف الشديد ما بين النسخة والأخرى فى صور
الألفاظ ، وفى الزيادة والنقص ، والإعجام والإيهال . وحاولت أن أنكسر
وأرشد عن الميدان الذى هابه قبلى رجل ورجل .

لولا أن شدت من عزيمتى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث
فى مصر غير مدافع ، «الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر» ، فقد قربت
- حفظه الله - إلى الأمر ، واستهضى ، وبسطلى من عونه الأدبى ، ماهوتن
على ، ما كنت أعدته فى الحال .

وإنى لأسجل له هنا شكراً صادقاً ، واعترافاً بما أسدى وأرشد ، وما
أعان وعضد . جزاه الله خير ما يُجزى به عالم فاضل !

٣ - مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى ، فكنت أجد
بها تصحيحات عجيبة لتحريفات عجيبة وقعت فى الكتاب . ووجدت
فى البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص ، وفى كتب ابن

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقات
جَمَّةٌ للأخبار والأعلام ، وما قيل في الحيوان ^(١) . ولعل السرَّ في ذلك أن
الملاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه ^(٢) ، وأنه كان
معاصراً له ^(٣) .

ولست أعْطِ سائر الكتب ، التي أفردتُ لها ثبَتاً ، حقَّها من الاشتراك
في إقالة عشرة هذا الكتاب الجليل .

٤ — تنظيم الكتاب

كان لا بدَّ لي وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على النَّاسِ في ثوبٍ
عصرهم ، وأن أخرج به من ظلام الماضي إلى نور هذا الزَّمن . فاستقصيتُ
جهدي في أن أرتبها ترتيباً حديثاً لا يُخلُّ بوضعه الأوَّل ، ولا يعتدى على حقِّ
مؤلفه . فلم أبتدعْ فيه إلا الضَّبْطَ والترقيم ، بعد عرض كلماته على المعجمات .
وثانيةً أتَّى فصلت أثنائه بعنوانات تميِّز مسائله ، وتظهرها أعلاماً لطريقه
المهيِّج الممتدِّ ، ولم أشأ أن أجعلها معوجةً اللهجة ، مسيرةً لما طرأ على لغة هذا
الزَّمن من أساليب الأعاجم ، بل قرَّبْتُها تقريباً من لغة الملاحظ نفسه ؛
واقبستها اقتباساً من تضاعيف كلامه ؛ ليكون بذلك التساوُّق والتَّناسُب .
وقد ميَّزْتُ هذه العنوانات الإضافية بأقواس خاصة ، وتركْتُ الأصلية منها
مجرَّدة من الأقواس . فهذا فضلُ ما بين هذه وتلك .

(١) في عيون الأخبار (٢ : ٦٢ - ١٠٤) كلام في الحيوان نجد مثله في أجزاء متفرقة
من كتاب الحيوان ، وسيمر عليك ذلك في حواشي الكتاب .

(٢) انظر عيون الأخبار (٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩) حيث صرح ابن قتيبة بإجازة
الملاحظ له .

(٣) ولد ابن قتيبة سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٨٦ .

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارض بعضه ببعض ، وأن يَقرَنَ بين نصوصه المتشابهة - وذلك يقتضى الإشارة إلى صفحاتٍ من أجزاء قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقام صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيةً ثانية ، هي تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشاربها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصة من هذا الكتاب .

٥ - أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاط الكتاب بين إشارات الزيادة : [.] ، ونهت فى كل منها على مصدر التكيل ، أما ماورد من هذه الإشارات مهلاً من التنبيه فهو ما كان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى صورة « كوبريلي » الرموز إليها برمز « د » وقد افردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ ^(١) .

٦ - النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاج ما بين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ - فأول تلك النسخ ، هي الصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلي . وهذه النسخة جيّدة مقروءة ، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

(١) انظر لتلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ - ١٠٦ .

مجلدات هي الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها في التحقيق بالرمز « د » .

٢ — وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ س . وهي نسخة كاملة في مجلدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهي في جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « س » .

٣ — وثالثها النسخة الخطية التي تحمل رقم ٥٥٦ في دار الكتب المصرية ، وتبتدئ بأول الكتاب وتنتهي بالصفحة الثمانين من الجزء الثاني من النسخة المطبوعة ، وكتب في صدرها « مشترى من قوهسيون حصر الأملاك بالضبطية في ٢٣ يوبه سنة ٨٨٣ » وقد رمزت إليها بالرمز س

٤ — ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ س بدار الكتب المصرية . خطها محمد جاد القماش الأشموني سنة ألف وثلثمائة وخمسة . وهي في بدئها واتهاها مثل سابقتها وقد رمزت إليها بالرمز « ١٠ س » .

٥ — وخامسها النسخة التيمورية ، برقم ٤٥ طبيعيات ، كتب على صدرها :

« مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢٨٠ وصار في ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستقامت مساعيه ، طالعه كاتبه الفقير على الليثي خادم الإمام ، وفيه مافيه فليتأمل قاريه » وفي نهايتها : « برسم كتبتية العبد الحقير موسى بن جرجس بن أبي نوفل الطراباسي الكاتب اشتراه من الشاكر الشاعر في سنة ١١٥٧ هجرية ثم انتقل بالشراء الشرعى إلى ملك حضرة الأستاذ الشيخ على الليثي » وهذه النسخة مثل سابقتها في البدء والانتها . وهذه لم أرمز إليها ، بل صرحت باسمها .

٦ — والسادسة النسخة المطبوعة في المطبعة الحميدية ، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٤ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسى » . وهى فى سبعة أجزاء . ولم يمكن الاhtداء إلى معرفة الأصول التى طبعت عنها . ولكن يظهر مما أثبت فى أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية : فقد ورد فى أسفل (٢ : ٥) عبارة : « كما فى النسخ التى بأيرينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ . . . تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما ينشرون من كتب العرب ، وابتدعوا ذلك ابتداء ، فلم يفض السبق . ولا ريب أن الفهارس للكتب العربية ، ولا سيما القديم منها ، هي بمكان الحيا للأرض الطيبة ، به تؤتى نفعها وثمرتها ، وبخاصة فى هذا العصر ، الذى أصبح الوقت فيه نهبا مقسما بين مطالب المدنية وتعهيدات الحضارة ، فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا السير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك فى حاجة ملحة إلى ما يمكنه من تحصيل الكثير فى السير من الزمن ، وإلى ما يذال له الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق فى الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الكتاب هي كما ترى :

- ١ — فهرس تفصيلي لأجناس الحيوان .
 - ٢ — فهرس لأعلام الحيوان .
 - ٣ — فهرس لأعلام الناس .
 - ٤ — فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .
 - ٥ — فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .
 - ٦ — فهرس للأمثال .
 - ٧ — فهرس للشعر .
 - ٨ — فهرس للأرجاز .
 - ٩ — فهرس للغة .
 - ١٠ — فهرس للكتب .
 - ١١ — فهرس لأيام العرب .
 - ١٢ — فهرس للمعارف العامة .
- وقد أفردت لها مجلدا كبيرا ، يلحق بالكتاب في نهايته إن شاء الله .
- وآثرت ذلك ابتعادا عن التكرار والإعادة .
- والفهرس الأخير منها ، وهو فهرس المعارف ، قد قسمته على أجزاء الكتاب ، فجعلت لكل جزء نصيبا منه ، كي يتمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره ، ثم أضمت أطرافه فأجعل منها فهرسا واحدا .
- وسيجد القارئ في نهاية كل جزء ، فهرس خاصة به ، جعلتها على نمط طريف ، مقتبسا ثانيها وثالثها ورابعها ، من عنوانات الكتاب : أصليها والإضافات منها .



وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أن ليس يوجد في عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتابَ الذي أخرجته ، مبراً من العيب ، سليماً من التحريف . فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن الناس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية في عصرها الأول .

أقول : ليس يُوجد القرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيي الناشرون من أثر الأسلاف .

وأما أنا فلستُ بمكان من يدعى العصمة ، أو يخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولسكنني يعجبني أئى بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأئى التزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أسقط حرفاً ولم أزد حرفاً ، إلا استأذنت القارى ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبّهت القارى إلى ما صنعت .

وجعلت من دأبى في الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاً على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئن القارى ، وليكون شريكاً في النظر والتأمل .

وعسى أن أكون قد أصبت في على هذا بعض التوفيق ، وظهرت على

كثير من الحق ، ومن الله أستمدّ العون في هذا العمل ، الذي أسْتَهْمُ
به في بث الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفي خدمة هذه الامة
الكريمة القوية .

وأدعو الله جاهداً ، أن أكون أبداً في طريق الإخلاص ، وعلى
نهج الحق والإنصاف ما

بِجَهِّ (سَيِّدِ) مُحَمَّدٍ هَارُونَ

منشأة البكري
في يوم الاثنين : ١٠ رجب سنة ١٣٥٧

كتاب الحَيَوَانِ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تفتي

جَبَّكَ اللَّهُ الشُّبْهَةَ ، وَعَصَمَكَ مِنَ الْحَيْرَةِ ، وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعُرْفَةِ ٢
نَسَبًا ، وَبَيْنَ الصَّدَقِ سَبَبًا ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ التَّثَبُّتَ ، وَزَيَّنَ فِي عَيْنِكَ
الْإِنصَافَ ، وَأَذَاكَ حِلَاوَةَ التَّقْوَى ، وَأَشْرَقَ قَلْبُكَ عِزَّ الْحَقِّ ، وَأَوْدَعَ صَدْرُكَ
بَرْدَ الْيَقِينِ (١) ، وَطَرَدَ عَنْكَ ذُلَّ الْيَأْسِ ، وَعَرَّفَكَ مَا فِي الْبَاطِلِ مِنَ الذَّلَّةِ ،
وَمَا فِي الْجَهْلِ مِنَ الْقِلَّةِ .

ولعمري لقد كان غيرُ هذا الدعاء أَصُوبَ في أَمْرِكَ ، وَأَدْلَى عَلَى
مِقْدَارِ وَزْنِكَ ، وَعَلَى الْحَالِ الَّتِي وَضَعْتَ تَسَكُّكًا فِيهَا ، وَوَسَّمتَ عَرْضَكَ
بِهَا ، وَرَضِيَتْهَا لَدِينِكَ حِطًّا (٢) ، وَلَمْ يَرْوُكَ شِكْلًا [قَدْ انْتَهَى إِلَى
مَيْلِكَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ ، وَهَمَّكَ عَلَيْهِ ، وَطَعْنُكَ عَلَى مَعْبَدٍ ، وَتَنَقُّصِكَ
لَهُ فِي الذِّى كَانَ جَرَى بَيْنَهُمَا فِي مَسَاوِي الدِّيكِ وَمَحَاسِنِهِ ، وَفِي ذِكْرِ مَنَافِعِ
الْكَلْبِ وَمُضَارَّةِ ، وَالذِّى خَرَجَا إِلَيْهِ مِنْ اسْتِقْصَاءِ ذَلِكَ وَجْمَعِهِ ، وَمَنْ تَتَّبِعِهِ
وَيُظْلِمُهُ ، وَمَنْ لِلْوَاظِنَةِ بَيْنَهُمَا ، وَالْحُكْمِ فِيهِمَا ، ثُمَّ عَبَيْتَنِي بِكِتَابِ حِيلِ
الْأَصْوَصِ ، وَكِتَابِ غِشِّ الصَّنَاعَاتِ ، وَعَبَيْتَنِي بِكِتَابِ الْمَلَحِّ وَالطَّرْفِ ،
وَمَا خَرَّ مِنْ النُّوَادِرِ وَبَرْدُ ، وَمَاعَادَ بَارِدِهِ (٣) حَارًّا لَقَرَطَ بَرْدَهُ حَتَّى

(١) فِي ط «البر واليقين» . وَمَا أَثْبَتَهُ فِي ل ، ١٠ س وَهُوَ الصَّوَابُ

(٢) كُنَا فِي ل ، ١٠ س وَهُوَ تَصْحِيحُ مَا فِي ط «وَرَضِيَتْهَا لِعَرْضِكَ حِطًّا»

(٣) فِي ل «وَعَادَ بَارِدُهَا» وَمَا هُنَا عَنْ النُّسخَةِ م .

أَمَعَ بِأَكْثَرِ مِنْ إِمْتَاعِ الْحَارَّةِ ، وَعَبَتْنِي بِكِتَابِ احْتِجَاجَاتِ الْبِخْلَاءِ ،
وَمُنَاقَصَتِهِمْ لِلشُّمْعَاءِ ، وَالْقَوْلِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّدَقِ ^(١)] إِذَا كَانَ ضَارًّا
فِي الْعَاجِلِ ، وَالْكَذِبِ إِذَا كَانَ نَافِعًا فِي الْآجِلِ ، وَلَمْ يُجْعَلِ الصَّدَقُ أَبَدًا
مَحْمُودًا ، وَالْكَذِبُ أَبَدًا مَذْمُومًا ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْقَسِيرَةِ وَإِضَاعَةِ الْحُرْمَةِ ،
وَبَيْنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْحَمِيَّةِ وَالْأَنَفَةِ ، وَبَيْنَ التَّقْصِيرِ فِي حِفْظِ حَقِّ الْحَرَمَةِ ، وَقِلَّةِ
الْإِكْتِرَافِ لِسُوءِ ^(٢) الْقَالَةِ ؛ وَهَلِ الْفِيْرَةُ اكْتِسَابُ وَعَادَةٍ ، أَمْ بَعْضُ مَا يُعْرَضُ
مِنْ جِهَةِ الدِّيَانَةِ ، وَلِبَعْضِ التَّزْيِيدِ فِيهِ وَالتَّحَسُّنِ بِهِ ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي طَبَاعِ
الْحَرِيَّةِ ، وَحَقِيقَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ ، مَا كَانَتْ الْعُقُولُ سَلِيمَةً ، وَالْآفَاتُ مُنْفِيَّةً ^(٣)
وَالْأَخْلَاطُ مُعْتَدِلَةً .

وَعَبَتْنِي بِكِتَابِ الثَّرَحَاءِ وَالْمُجَنَّاءِ ، وَمِفَاخِرَةِ الشُّودَانِ وَالْجُرَّانِ ،
وَمَوَازِنَةِ مَا بَيْنَ حَقِّ الْخُتْلَةِ وَالْعُمُومَةِ ؛ وَعَبَتْنِي بِكِتَابِ الزَّرْعِ وَالنَّخْلِ
وَالزَّيْتُونِ وَالْأَعْنَابِ ، وَأَقْسَامِ فُضُولِ الصَّنَاعَاتِ ، وَمَرَاتِبِ التَّجَارَاتِ :
وَبِكِتَابِ فَضْلِ مَا بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَفَرْقِ مَا بَيْنَ الذَّكُورِ وَالْإِنَاثِ ،
وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَقْبَلْنَ وَيُفَضَّلْنَ ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَكُنَّ الْمَغْلُوبَاتِ وَالْمَفْضُولَاتِ ،
وَنَصِيبِ أَيُّهُمَا فِي الْوَلَدِ أَوْفَرَ ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ يَكُونُ حَقُّهُنَّ أَوْجِبُ ، وَأَيُّ
عَمَلٍ هُوَ بَيْنَهُنَّ أَلْيَقُ ، وَأَيُّ صِنَاعَةٍ هُنَّ فِيهَا أَبْلَغُ .
وَعَبَتْنِي بِكِتَابِ الْقِصَصَاتِيَّةِ وَ [كِتَابِ] الْمُدْنَاتِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى

(١) سَقَطَتْ هَذِهِ الْبَيَانَةُ مِنْ جَمِيعِ النُّسخِ الْخَطِيَّةِ أَيْضًا مَاعْدَا ل وَ م .
(٢) فِي ط « بِسُوءِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل . قَالَ فِي الْقَامُوسِ « مَا أَكْثَرَتْ لَهُ :
مَا أَبَالَى بِهِ » . وَقَالَ الزَّيْدِيُّ : الْأَصْلُ فِيهِ أَلَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّقْيِ وَشَدَّ اسْتِعْمَالَهُ
فِي الْإِبْرَافَاتِ .

(٣) هُنَا مَا فِي ل ، وَفِي ط « مُنْفِيَّةٌ » وَبَنِيكَ يَغْدُ الْمُنَى .

القططانية ، وزعمت أني تجاوزتُ فيه حدَّ الحية إلى حدَّ العصية ،
وأني لم أصل^(١) إلى تفضيل المدنية إلا ينقص^(٢) القططانية . وعبّئي^٣
بكتاب العرب والموالي ، وزعمت أني بحثت الموالى حقوقهم ، كما أني أعطيتُ
العرب ما ليس لهم . وعبّئي بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول في
فرق ما بين العرب والعجم ، هو القول في فرق ما بين الموالى والعرب .
ونسبتني إلى التكرار والترداد ، وإلى التكثير ، والجليل بما في المُعاد من
الخطأ ، وحلّ الناس المؤمن .

وعبّئي بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة
العرب إياها ، وكيف اختلفا في جهة العلة^(٣) مع اتفاقهما على جملة الديانة ،
وكيف صار عبّاد البدّة^(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام
المنجورة ، أشدَّ الديّانين إلفاً لما دانوا به^(٥) ، وشغفاً بما تعبّدوا له^(٦) ،
وأظهروهم جدّاً وأشدّهم على من خالفهم ضغناً ، وبما دانوا صنّاً^(٧) ،
وما الفرق بين البدّ والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين

(١) في ل « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) في ط « بتقصي » والثبت هنا في ل . وفي القاموس « وهو يتقصه :
يقع فيه ويضمه » .

(٣) في ط « العلة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط « عبادة البدة » وهو تصحيف صوابه ما في ل . والبدّة جمع بد
— يضم الباء — وهو الصنم ، عرب « بت » وجهه بدّة وأبداد .

(٥) في ل « أشد الناس إلفاً لما دانوا به » .

(٦) في ط « وشغفاً لما » وصوابه ما أثبتته عن ل . يقال شغف بالشيء إذا
علق قلبه به .

(٧) في ل « صباة وعجبا » .

الذمية والجنسية ، ولم صوّروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صوّروا
عظمتهم ورجال دعوتهم ، ولم تأثّقوا في التصوير ، وتجوّدوا^(١) في إقامة
التركيب ، وبالقوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوّلية تلك
العبادات ، وكيف افرقت تلك النحل ، ومن أيّ شكل كانت خُدع تلك
السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عدداً ، وكيف شمل ذلك للذهب
الأجناس المختلفة .

وعبّتي بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف
أجناس القلز والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف
يسرع الاقلاب إلى بعضها ، ويبطئ عن بعضها ؛ وكيف صار بعض
الألوان يصبغ ولا ينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ
وينصبغ ، وما القول في الإكسير والتلطيف .

وعبّتي بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين
الجن والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة
المهدد واستطاعة الغريت^(٢) ، وفي الذي كان عنده علم من الكتاب ،
وما ذلك العلم^(٣) ، وما تأويل قولهم كان [عنده اسم الله الأعظم]

(١) في ط « تجردوا » بالراء . وصوابه مافى ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) في ط « وكيف القول في استيلاء الغريت على سليمان وفي المهدد » وهو
كلام مشوه محرف وضعت بـله مافى ل . ومعرفة المهدد هي التي يشير إليها
القرآن الكريم بآية « وجئتكم من سبأ نبأ يقين » وأما استطاعة الغريت فهو
مافى قوله تعالى « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك
طرفك » يعني عرش بلقيس .

(٣) في ط « وما الذي هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه في ل .

وعبّتي بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ في الأرزاق والإفاقات
 [وكيف أسباب التثمير والترقيح ^(١)] وكيف يجتلب ^(٢) التجار الحرفاء ،
 وكيف الاحتيالُ للودائع [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذي يوجب
 لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشَّ
 الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد سترُوا وكشف
 ما مؤهَّوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبّتي برسائلي [
 وبكلِّ ما كتبت [به] إلى إخواني وخُلَطائي ، من مزج وجِدِّ ، ومن
 إفصاح وتعريض ، ومن تعافُل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال ميسِّمه باقياً
 ومدحٍ لا يزال أثره نامياً ؛ ومن مُلحٍ تُضحك ، ومواعظٌ تُبكي . ٤
 وعبّتي برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ،
 وتصويري لها في أحسن صورة ، وإظهارِي لها في أتمِّ حلية . وزعمتَ أنّي
 قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيدية ، ومن حدِّ الاعتدال في
 التشعُّع والاعتقاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمتَ أنّ مقالة
 الزيدية خطبة مقالة الرافضة ^(٣) ، وأنَّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ^(٤) .
 وزعمتَ أنّ في أصلِ القضية - والذي جَرَّتْ عليه العادة ، أن كلَّ كبيرٍ
 فأولُه صغير ، وأنَّ كلَّ كثيرٍ فإنما هو قليل جمع [من] قليل ، وأنشدت
 قولَ الراجز ^(٥) :

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) في ط « تجرد » وصوابه في ل .

(٣) في ط « خطبة مقالة الرافضة » وتصحيحه من ل .

(٤) في ط « خطبة مقالة الغالية » وصوابه ما في ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز في المحاسن والأشهاد ٤٤ .

قد يَلْحَقُ الصَّغِيرُ بِالْجَلِيلِ وَإِنَّمَا الْقَرَمُ مِنَ الْأَفِيلِ
وَسُحْقُ النَّخْلِ مِنَ النَّسِيلِ
وَأَنشَدْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ ^(١) :

رَبِّ كَبِيرٍ هَاجَهُ صَغِيرُ وَفِي الْبُحُورِ تَفَرَّقَ الْبُحُورُ
وَقُلْتَ ، وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ ^(٢) :
فَاعِلْمٌ يُبَيِّنُ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعِلْمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهَيِّجُ لَهُ الْعَظِيمُ
وَقُلْتَ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

صَارَ جِدًّا مَا مَرَحَتْ بِهِ رَبِّ جِدِّ سَأَفَهُ اللَّعْبُ
وَأَنشَدْتَ قَوْلَ الْآخَرِ ^(٣) :
مَا نَنْتَظِرُونَ بِحَقِّ وَرْدَةٍ فِيكُمْ تُقْصَى الْأُمُورُ وَرَهْطُ وَرْدَةٍ غُيِّبَ ^(٤)
قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدَّمَاءُ تَصَبُّبُ
وَقَالَتْ كَبْشَةُ بِنْتُ مُعْدِيكَرِبَ :

(١) البيت في المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق . مراهق فرزدق به يوم اقال : من هذا الذي ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمي ولده ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام في المحاسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرًا .

(٣) في ط « قول الآخر وهو قول عنترة » وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها في ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيت لطرفة بن العبد مثبتان في ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ٢ : ٣٧١ سلفية ، ومعاهد التنميس ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هي أمه ، وكان أبوطرفة قيد ماب وهو غلام ، فلما انقسم إجماعه المال ظلموا أمه .. ماتتظرون : أي تنتظرون .

جَدَعْتُمْ بعد الله آتَفَ^(١) قومه بنى مازن أن سُبَّ راعى المحَرَّم^(٢)
وقال الآخر^(٣) :

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ القَادِحُ وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ المَارِحُ
وقول [العرب] « العَصَا من العُصَّةِ ، ولا تلد الحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً^(٤) » .

وعبت كتابى فى خلق القرآن ، كما عبت كتابى فى الردِّ على المشبهة

- وعبت [كتابى] فى القول فى أصول الفتيا والأحكام ، كما عبت كتابى .
فى الاحتجاج لنظم القرآن وغرب تأليفه وبديع تركيبه . وعبت معارضتى
للزيدية وقضلى^(٥) الاعتزال على كلِّ نَحْلَةٍ ، كما عبت كتابى فى الوعد
والوعد ، وكتابى على النصارى واليهود^(٦) ثمَّ عبتُ جملةَ كتبى فى المعرفة
والتمسَ تهيئتها بكلِّ حيلة ، وصغَّرت من شأنها ، وحطَّطت من قدرها ،
واعترضت على ناسخها والمتنفعين بها ، فعبت كتابَ الجوابات ، وكتابَ
المسائل ، وكتابَ أصحابِ الإلهام ، وكتابَ الحجَّة فى تثبيت النبوة ،
وكتابَ الأخبار ، ثمَّ عبت إنكارى بصيرة غنام المرتدِّ ، وبصيرة كلِّ
جاحد ، وملحد وتفرقي بين اعتراض العُمَر^(٧) ، وبين اشتبصار الحقِّ ، وعبت

(١) فى ط (آ تاف) وأثبت ما فى ل ، س ، ١٠ س . وأُتِفَ يجمع على
أُتُوفَ وآتَفَ وآ تاف .

(٢) فى ط ، ل ، س ، ١٠ س : « المحَرَّم » بلقاء وتصحيحه من الخزانة
بضبط البغدادى ٣ : ٧٧ واليت من آيات سنة رواها البغدادى وذكر لها
قصة طويلة طريفة .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما فى البيان والبيان ٣ : ١١٩ .

(٤) فى ط « حية » ويطلب أن يكون تصحيح طبع .

(٥) فى ط « تفضيل » والوجه ما فى ل .

(٦) فى ط « النصارى واليهودى » وأثبت ما فى ل .

(٧) هنا ما فى ل ، س ، ١٠ س . وفى ط « القمر » وهو تحريف .
والقمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

كتاب الردّ على الجهنيّة في الإدراك ، وفي قولهم في الجهات^(١) ، وكتاب
فرق ما بين النبيّ والملتقى ، والفرق ما بين الحيل والمخاريق^(٢) ، وبين
الحقائق الظاهرة والأعلام الباهرة^(٣) . ثمّ قصدت إلى كتابي هذا بالتصغير
لقدرة والتهجين لنظمه ، والاعتراض^(٤) على لفظه ، والتحجير لمعانيه ،
فوزّيت على نختته وسبكه ، كما زوّيت على معناه ولفظه ، ثمّ طعنت في
الغرض الذي إليه نزعنا ، والغاية التي إليها قصدنا^(٥) على أنّه كتابُ معناه
أنبه من اسمه ، وحقيقته آتق من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسّط
العالمى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى^(٦) ، ويحتاجُ إليه الرّيس كما يحتاجُ إليه
الحاذق : أما الرّيس فلتعلّمُ والدّربة ، وللتّرتيب والرياضة ، وللتّمرين
وتتّكين العادة ؛ إذ كان جليله يتقدّم دقيقه ، وإذ كانت مقدّماته مرتبةً
وطبقاتُ معانيه منزّلة . وأما الحاذقُ فلكفاية المؤنة ؛ لأنّ كلّ من التقط
كتاباً جامعاً ، وبأباً من أئمّات العلم مجموعاً ، كان له غنمه ، وعلى مؤلّفه
غرّمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كدّه ، مع تعرّضه لطاعين البغاة ،
ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضِه عقله المكدود على العقول الفارغة ،
ومعانيه على الجهايلة ، وتحكيمة فيه للتأوّلين والحسدّة . ومتى ظنّ رجلاً
صاحبُ علم ، أو هجمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادّعُ رافه ، ونشيطُ جاحث ،

(١) في ل « الجهالات » .

(٢) في ط « المخارق » .

(٣) في ل « القاهرة » وفي ط « البصرة » وصوابها ما في س ، ١٠ س .

(٤) في ط « الاعتراض » .

(٥) في ل « أجرينا » .

(٦) هذا ما في ل . وفي ط « كما يحتاجُ إليه الخاص » .

ومؤلفه مُتَعَبٌ مكدود ، فقد كُفِيَ مَوْنَهُ جمعه وخزَنه ، وطلبِهِ وتَبَّعِهِ ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر ، وفَلَّ الحَدَّ ، وأدرك أقصى حاجته وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أن له عند ذلك أن يَجْعَلَ هُجُومَهُ عليه من التوفيق ، وظفره به بأباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُم ، وتنشأ به فيه العُربُ والعَجَم ، لأنه وإن كان عَرَبِيًّا أَعْرَابِيًّا ، وإِسْلَامِيًّا جَمَاعِيًّا ، فقد أَخَذَ مِنْ طُرُقِ ٦ الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماعِ وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وَجْدانِ الحَاسَّة ، وإحساس الغريزة . ويشتهيه القَتِيان كما تشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه القَاتِلُ كما يشتهيه الناسُك ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللهو كما يشتهيه المجدُّ^(١) ذو الحِرَم ، ويشتهيه الفُؤْلُ كما يشتهيه الأريب ويشتهيه النَبِيُّ كما يشتهيه القَطِين .

وعبَّئِي بِحِكَايَةِ قَوْلِ العُثْمَانِيَّةِ^(٢) والضَّرَارِيَةِ وَأَنْتِ تَسْمَعُنِي^(٣) أقول في أوَّل كتابي : وقالت العُثْمَانِيَّة والضَّرَارِيَّة ، كما سمعتني أقول : قالت الراضية والزَّيْدِيَّة ، فحَكَتْ عَلَى بالنَّصْبِ لِحِكَايَتِي [قول العُثْمَانِيَّة] فَهَلَّا حَكَتْ عَلَى بِالتَّشْيِيعِ لِحِكَايَتِي [قول الراضية] !! وهَلَا كُنْتُ عِنْدَكَ مِنَ الْعَالِيَةِ لِحِكَايَتِي حَجَجِ الْعَالِيَةِ ، كما كُنْتُ عِنْدَكَ مِنَ النَّاصِبَةِ لِحِكَايَتِي قَوْلِ النَّاصِبَةِ !! وقد حكينا في كتابنا قولَ الإِبَاضِيَّةِ والصُّفَرِيَّةِ ، كما حكينا قولَ الْأَزَارِقَةِ والزَّيْدِيَّةِ . وعلى

(١) في ل. « الجدى » نسبة إلى الجد ضد الغزل .

(٢) في ط « بِحِكَايَةِ سِرِّ قَوْلِ العُثْمَانِيَّةِ » وكلمة « سِر » هذه لا وجود لها في جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذلك في ل. وفي ط « كما سمعتني » .

هذه الأركان الأربعة بُنيت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ
ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ومحمولٌ عليها ، وإلا كُنّا عندك من الخارجية ، كما
صرنا عندك من الضَّرارية والناصبية : فكيف رضيت بأن تكون أسرعَ
من الشيعة ، أسرعَ إلى أعراض الناس من الخارجية^(١) ، اللهم إلا أن تكون
وجدتَ حكايتي عن العنائية والضَّرارية أشيعَ وأجمعَ ، وأتمَّ [وأحكم]
وأجودَ [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتي قد وهنت حقَّ أوليائك ، بقدر
ما قويتَ باطل أعدائك !! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من
الكتاب حاضراً ، وبرهانك على مادعيت وانحائها] .

وعبّيتي بكتاب العباسية ، فهلاً عبّيتي بحكاية مقالة من أبي وجوب
الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن تركَ النَّاسِ سُدى
بلاقيهم أردُّ عليهم ، وهماً بلا راعٍ أريجٍ لهم ، وأجدرُ أن يجمع لهم ذلك بين
سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نشرًا لا نظامَ لهم ، أبعدُ من
الفساد ، وأجمعُ لهم على المرشد !! بل ليس ذلك بك ، ولكنه بهرك
ما سمعتَ ، وملاً صدرك الذي قرأت ، وأبعثك وأبظرك ، فلم تتجبه للحجة
وهي لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لك بادية^(٢) ، ولم تعرف بابَ
الخروج إذ جهلت بابَ المدخل ، ولم تعرف المصادر إذ جهلت الموارد .

رأيتَ أن سبَّ الأولياء أشقى لدائك ، وأبلغَ في شفاء سقمك ؛ ورأيتَ
أن إرسالَ اللسان أحضرُ لذَّةً ، وأبعدُ من النَّصب ، ومن إطالة الفكرة ،
ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

(١) في ل « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة »

(٢) في ط « وهي لك معوضة ، ولم تعرف المقاتل وهي لا بادية »

ولو كنتَ فَطِنْتَ لِعَجْرِكَ ، [و^(١)] وَصَلْتَ قَهْصَكَ بِتِمَامِ غَيْرِكَ ،
 وَاسْتَكْفَيْتَ مَنْ هُوَ مَوْقُوفٌ عَلَى كِفَايَةِ مِثْلِكَ ، وَحَيْسٌ عَلَى تَهْوِيمِ أَشْبَاهِكَ ٧
 كَانَ ذَلِكَ أَزِينَ فِي الْعَاجِلِ ، وَأَحَقُّ بِالْمُتَوَبِّهِ فِي الْآجِلِ ، وَكَنتَ إِنْ
 أَخْطَأْتِكَ الْغَنِيمَةُ لَمْ تُحْطِكَ السَّلَامَةُ ، وَقَدْ سَلِمَ عَلَيْكَ الْخَالَفُ بِقَدْرِ مَا يُبْتَلَى
 [بِهِ] مِنْكَ لِلْوَاقِفِ ، وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يُبْتَلِ مِنْكَ إِلَّا بِقَدْرِ مَا أَلْزَمْتَهُ مِنْ مُؤَنِّو
 تَتَقِفِكَ ، وَالتَّشَاغُلِ بِتَقْوِيمِكَ . وَهَلْ كُنْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الْعَرَبِيُّ :
 « هَلْ يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْجُ الْكَلَابِ »

وإلا كما قال الشاعر :

هَلْ يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرٍ^(٢)
 وَهَلْ حَالْنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :
 مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بَلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَعَ الْبَحْرَانِ
 وَكَأَنَّ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَنَسُّ أَمْ لِحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَسِمُ
 وَمَا أَشْكُ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ طَوْلَ إِعْرَاضِنَا عَنْكَ مَطِيَّةً لَكَ ، وَوَجَّهْتَ لِحْنَنَا
 عَنْكَ إِلَى الْخَوْفِ مِنْكَ ، وَقَدْ قَالَ زُفَرٌ بْنُ الْحَارِثِ لِبَعْضِ مَنْ لَمْ يَرْحَقْ^٢
 الصَّفْحَ ، فَجَعَلَ الْعَفْوَ سَبِيلًا إِلَى سُوءِ الْقَوْلِ :

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ١٤٦ . والرواية هناك « ما يضير » .

(٣) هو الفرزدق كما في البيان للجاحظ ٣ : ١٤٦ . والخزاعة ٢ : ٥٠١ ، بولاق .

فَإِنْ عَدْتَ وَاللَّهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ مَنَحْتُكَ مَسْنُونٌ^(١) الْغَرَارِينَ أَرْزَقَا
فَإِنْ دَوَاءَ الْجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطَّلَى وَأَنْ يُغْمَسَ الْعَرِيضُ حَتَّى يَفْرَقَا^(٢)
وقال الأول :

وَصَغَانٍ ذَاوَيْتَهَا بَصَغَانٍ حَتَّى شَفَيْتُ وَالْحَقُودِ حُودَا
وقال الآخر :

وَمَا تَقَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَافَهُمْ كَمِثْلِ وَقَكَ جُهَالًا بِجَهَالٍ^(٣)
فَاقْعُسْ إِذَا حَرَبُوا وَاحْرُبْ إِذَا قَسَوْا وَوَازِرِ الشَّرَّ مَثَالًا بِمِثَالٍ
فَإِنَّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا سِنَانُ زُفَرٍ بِنِ الْحَارِثِ ، وَلَا مَعَارِضُهُ هُؤَلَاءِ الشَّرِّ
بِالشَّرِّ ، وَالْجَهْلَ بِالْجَهْلِ ، وَالْحَقْدَ بِالْحَقْدِ ، فَإِنْ عِنْدِي مَقَالٌ لِلْسَعُودِيِّ^(٤) :
فَسَا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْنَا وَفِيهِ الْمَادُّ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَأْتَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلَمَا فَمَا كَسَى الْأَفْوَاهُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ^(٥)

(١) في ط (مصقول) و غرار اليف أى حده لا يوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما في ل وكذا في البيان ٢ : ٢٤٢ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يفرقا

مكننا ورد البيت في ط وهو تحريف أصلحه من ل ومن البيان للجاحظ ٣ : ٢٤٢ . والطللى : الأعناق أو أموها جمع طلية أو طلاة بضم الطاء في كل منهما والعريض ، كسكيت : الذى يعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت في ط على هذه الصورة :

وَمَا تَقَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَافَهُمْ كَمِثْلِ رَقَكَ جُهَالًا بِجَهَالٍ

وصحناه من البيان ٣ : ١٨٩ ومن ل ، س . والوقسم : التهم والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى في أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها .

(٥) في الأمالى « فاحشى الأقوام » وفي ل ، س « ولا تهبجا أن ترجعا »

فلو شئتُ أَذْلَى^(١) فيكما غير واحد علانية أوقال عندى في السَّرِّ
فإن أنا لم أَمُرْ ولم أَنه عنكما صَحَّكَتْ لَهُ كَيْمًا يَلْجُ وَيَسْتَشْرِى^(٢) ٨
وقال التَّمْرِ بْنُ تَوَلَبَ :

جَزَى اللهُ عَنِّي حَمْرَةَ ابْنَةِ نُوْفِلٍ جَزَاءً مُغْلٍ بِالْأَمَانَةِ كَاذِبٍ^(٣)
بِمَا حَبَّرْتُ عَنِّي الْوُشَاةَ لِيَكْذِبُوا عَلَىَّ وَقَدْ أَوَلَيْتُهَا فِي النَّوَائِبِ
يقول : أخرجتْ خَبَرَهَا ، فخرج [إلى] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتُ أَنْ نَارِضَكَ لِمَارِضَتِكَ فِي الْقَوْلِ بِمَا هُوَ أَقْبَحُ أَثَرًا وَأَبْقَى
وَسَمًا ، وَأَصْدَقُ قِيلًا ، وَأَعْدَلُ شَاهِدًا . وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ تَرَكَ الْمَارِضَةَ فَقَدْ
صَفَحَ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَارِضٍ فَقَدْ انْتَصَرَ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) قَوْلًا ، إِنْ
ضَمَمْتَهُ فَقَدْ كَفَيْتَنَا مَثُونَةَ الْمَارِضَةِ ، وَكَفَيْتَ نَفْسَكَ لَزُومَ الْعَارِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِنْ كُنْتَ لَا تَرْهَبُ ذِيَّ لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مَنَصْتُ فَيْكَ لِمُسْمُوعِ خَنَاءِ الْقَاتِلِ^(٥)
فَالسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكِلِ

(١) في ط وكذا في البيان « أول » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س
والأمال . وفسرها المرتضى بقوله : معناه لو شئتُ اغتابكما عندى غير واحد

(٢) في ط « يلج » بالماء وأثبت ما هو في أمال المرتضى و. ل ، ١٠ س والبيان

(٣) كذا في ل ، ١٠ س .. وغل وأغل بمعنى خان .. وفي ط « مغل »
وتحرفه ظاهر .. وفي س « مغل » . زيادة يقتضيهما السياق .

واللغة أنها أظهرت سن الحب ، فداع حتى وصل إلى الوشاة الذين يتنى هو
أن يباؤا عندها .

(٤) هو كعب بن زهير الصحابي الذي « أجازته الرسول الكريم بيردته التي بيعت بالثمن
الجزيل ، حتى بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم وبقيت في خزائن
بني العباس إلى أن وصل النول وجرى ماجرى » الحزاة ٤ : ١٢ بولاق .

(٥) كذا في الحزاة . وفي ل ، س « فاخش سكوتك آذنا منصتا »
وآذنا : مصنيًا .

مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ من مُنَحدرِ سائلٍ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ
فلا تهِجِ إن كنتَ ذا إربةٍ حربُ أخى التجربةِ العاقلِ
فإنَّ ذا العقلِ إذا هيجته هيجتَ به ذا خَبَلِ خايلِ
تُبصرُ في عاجلِ شدَّاته عليك غِبَّ الضررِ الآجلِ

وقد يقال : إنَّ العفوَّ يُفسد من اللِّيم بقدرِ إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعفوُّ عندكليبِ القومِ موعظةٌ وبعضه لسقيهِ القومِ تدريبٌ
فإنَّ كُتبا^(١) أسأنا في هذا التمريرِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخذُ فينا بحُكمِ
القرآنِ ولا بأدبِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام ولم يَفْزَعْ إلى ما في الطِّفْلِ
الصحيحة ، وإلى ما توجهُ القاييسُ المطردةُ ، والأمثالُ المضروبةُ ، والأشعارُ
السائرةُ ، أولى بالإساءة وأحقُّ باللائمةُ ، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴾ وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام « لَا تَجْنِ
بِمَعْنِكَ عَلَى شِمَالِكَ » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذي أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ
عليه من حُجَجِ العقولِ .

فأما ما قالوا في المثلِ المضروبِ [« رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ » وأما
قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباءِ لِمَنْ أَخَذَ إِنْسَانًا بِذَنْبِ غَيْرِهِ ، وما صَرَّبُوا في ذلك
من الأمثالِ ، كقولِ النابغةِ حيث يقول في شعره :

وكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتَهُ كَذَى المَرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَانِعٌ

(١) في ط « فانا كُتبا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إيلَهُم العَرَّ كَوَّوا السِّمَّ ليدفعه عن السِّمِّ ، فأسقمُوا
الصَّحِيحَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبْرِثُوا السِّمَّ .

وكانوا إذا كَثُرَتْ إِبِلُ أَحَدِهِمْ قَبِلَتْ الألفَ ، فَمَثُوا عَيْنَ الفِئَلِ ،
فإنْ زَادَتْ الإِبِلُ عَلَى الألفِ قَثُوا العَيْنَ الأُخْرَى ، وَذلكَ المَقْثُ والمَعَى اللذان
سَمِعْتَ فِي أشعارِهِمْ .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمقثيِّ والمعىِ وبيتِ المَحْتَبِيِّ والمُخَفَّتِ^(١)

[وكانوا يزعمون أن المقثاً يطرد عنها العين والسواف^(٢) والغارة ،

فقال الأول :

قَثَاتُ لَهَا عَيْنَ الفَحِيلِ عِافَةً وفيهِنَّ رَعْلَاءُ السامِعِ والحامِي^(٣)

(١) هذا البيت دخل على الكتاب ، ويعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستمهاد به
في هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المقثي » إلى قصيدته
التي يقول فيها مهاجياً لجرير :

ولست وإن قَثَاتَ عَيْنَكَ واجداً أبأ لك إن عد الماعى كدارم
وبكلمة « المعى » إلى قوله :

وإنك إذ تسمى لتدرك دارما لأنت المعى يا جرير المكلف
و « بيت المحتبي » إشارة إلى قوله :

بيتاً زرارة محب بفتائه وبجاشع وأبو الفوارس نهشل
و « المخفقات » يريد قوله :

وَأين تهضى المالكان أمورها بحق وأين المخفقات اللوامع
انظر ابن سلام ١٣٦ مصر ، ٩١ ليدن ، والقائض ٧٦٨ ليدن . وقد ورد
البيت مصحفاً على الوجه الآتي :

غلبتك (بالمقثاً والمعى) وبيت (المحتبي) والمخفقات

(٢) السواف : اللواتن يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالنسب .

(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ والفحيل : النجب في ضرابه ، وعنى باليافة التناؤل .

الرعاة : التي تشق أذنهما ، وترك مدلاًة ، لكرهما] .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأثنية ، كقول الرجل : إذا بلغت إلى كذا وكذا وكذلك غنمى ، ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نسلك الرجبية والجمع عتائر - والعتائر من الظباء - فإذا بلغت إبلٌ أحدهم أو غنمه ذلك العدد ، استعمل التأويل وقال : إنما قلت إنى أذبح كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أن الغنم شاء ، فيجمل ذلك القربان شاء كله مما يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارث بن حنظلة اليشكري :
عنتاً باطلاً وظلماً كما نعتت عن حجرة الربييض الظباء
بعد أن قال :

أَمْ عَلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ أَنْ يَقْسَمَ غَلَبَهُمْ وَمِنَّا الْجَزَاءُ
وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إما لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ،
ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما
تتبع أن الوحش الجمار ، فقال في ذلك عوف بن الحرع^(١) :

تَمَنَّتْ طِيٌّ جَهْلًا وَجُبْنًا وَقَدْ خَالَيْتُهُمْ فَأَبَوْا خِلَائي^(٢)
هَجَوْنِي أَنْ هَجَوْتُ جِبَالَ سُلَى : كَضَرَبِ الثَّوْرِ لِلْبَقَرِ الظَّمَاءِ
وقال في ذلك أنس بن مذكّر في قتله سليلك بن السُّلَكَةِ :

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَغْقَلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لِمَاعَاتِ الْبَقَرِ^(٣)
أَقْتَتِ لَلْمَرْءِ إِذْ نَيْكَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَنْ يُشَدَّ عَلَى وَجْعِهَا النَّفَرِ^(٤) ١٠

(١) في ط « عوض بن الجزع » وهو على الصواب الذي أثبتته ، في ل ، س

١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتعت عن شرب الماء .

(٤) الرجاء : الاست . والتفر بالتحريك : السير في مؤخر السرج .

وقال الهيثبان الفهمي^(١) :

كما ضُرِبَ اليمسُوبُ أَنْ عَافَ بَاقِرُهُ وما ذَنَبُهُ إِنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرُهُ
ولما كان الثورُ أُميرَ البقر ، وهى تطيمه كطاعة إناث النحل اليمسوب ،
سمَّاه باسم أمير النحل .

وكانوا يزعمون أَنَّ الجنَّ هى التى تصُدُّ الثَّيرانَ عن الماءِ حتى تُنمِكَ
البقرُ عن الشربِ حتى تهلك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإِنِّي وما كُفِّتُمُونِي - وَرَبِّكُمْ - لأَعْلَمُ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْوَبَا^(٢)
لِكَالثَّوْرِ والجنَّى يَضْرِبُ ظَهْرَهُ وما ذَنَبُهُ إِنْ عَافَتِ المَاءَ تَشْرِبَا
وما ذَنَبُهُ إِنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرُهُ وما إِنْ تَعَافَتِ المَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا^(٣)
كَأنه قال : إذا كان يُضْرَبُ أبدأً لَأَهْأَعَفَتِ الماءَ ، فَكَأَنَّهَا إِعْأَعَفَتِ الماءَ لِيُضْرَبَ .

وقال يحيى بن منصور النُّهْلِيُّ فى ذلك :

لِكَالثَّوْرِ والجنَّى يَضْرِبُ وَجْهَهُ وما ذَنَبُهُ إِنْ كَانَتِ الجنُّ ظَالِمَهُ
وقال نَهْشَلُ بْنُ حَرْيٍّ^(٤) :

أَتَرَكَ عَارِضُ وَبَنُو عَدِيٍّ وَتَقَرَّمَ دَارِمٌ وَهُمْ بَرَاهُ
كَدَابِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بِالْبَرَارَى إِذَا مَا عَافَتِ البَقْرُ الظَّمَاءَ^(٥)
وكيف تَكَلَّفَ الشَّعْرَى سُهَيْلاً وَيَنْهَمَا الكَوَاكِبُ وَالسَّمَاءُ

(١) فى الأصل « الهيثبان » وانظر الإصابة ج ٢ ص ٩ والقاموس « هيب » .

(٢) فى ط ، ع ، س ، ١٠ س « أحربا » بالراء . . وما أتبعه عن ل . . يقال
حاب بكذا : أثم ، والصدر الجوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان
حوبا كبيرا » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقير ويقور وياقور وياقورة .

(٤) له ترجمة فى خزنة البندادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) لعلها « المبرأوى » .

وقال أبو نؤيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أثوب بذنب العطرقي^(١) :
 أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي ونصحي إذن هاديتني بالخلق^(٢)
 ولأساق سراق العرافة صالح^(٣) يني ولا كلفت ذنب العطرقي^(٤)
 وقال خدش^(٥) بن زهير حين أخذ يدماء بني محارب^(٦) :
 أكلفت قتلى معشر لست منهم ولا دارهم دار ولا نصرهم نصري
 أكلفت قتل العيص عيص شوايط وذلك أمر لم تنف له قدرى^(٧)
 وقال الآخر :

١١ إذا عركت عجل بنا ذنب طي عر كنا بقم اللات ذنب بني عجل
 ولما وجد اليهودي أبا حنبل^(٨) الضبابي في منزله فخصاه فمات ، وأخذ
 حنبل بني عبس بجنابة اليهودي ، قال قيس بن زهير : أتأخذنا بذنب
 غيرنا ، وتسألنا القتل والقتل يهودي من أهل تيماء ؟ فقال : والله أن لو
 قتلت هيف الريح ، لوديتموه ! فقال قيس لبني عبس : الموت في بني ذبيان
 خير من الحياة في بني عامر ! ثم أنشأ يقول :
 أكلفت ذا الحصين إن كان ظلماً

وإن كنت مظلوماً وإن كنت شاطناً^(٩)

- (١) في ط « العطرط » بالفاء ، وصوابه في ل ، س ، ١٠ س .
 (٢) في ل و ١٠ س « إذن مايتني » .
 (٣) في ط « سراق العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .
 (٤) في ط « خراش » وما هنا عن ل . و خدش شاعر جاهلي ، من أشراف بني عامر .
 (٥) في ط « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكذا يوضع من الشعر .
 (٦) في ط « عيص شواهد » وهو تحريف ما في ل ، س ، ١٠ س وفيها
 كذلك « لم يكلف له » وصوابه ما في ل ، س ، ١٠ س .. وثق القدر :
 وضع لها الأثافي . ووجه الكلام « أكلفت قتل العيص .. » .
 (٧) في ل « أبا حنبل » .
 (٨) شاطناً : بعيداً نائياً .

خصاه أمرو^١ من آل تيماء طائر
ولا يَمدُّمُ الإنسى والجنُّ كائنا^(١)
فَهَلَّا بنى ذُيَّانَ - أُمُّكَ هَابِلٌ -
رَهْنَتْ يَهْيَفُ الرَّيْحُ إنْ كُنْتَ رَاهِنَا
إِذَا قُلْتُ قَدْ أَقْبْتُ مِنْ شَرِّ حَبِضٍ
أَتَانِي بِأُخْرَى شَرَّهُ مُتَبَاطِنَا
قَدْ جَمَلْتُ أَكْبَادُنَا تَجْتَوِيكُمْ^(٢)
كَتَجْتَوَى سَوْقُ الْعِضَاهِ الْبَكَارِزَانَا^(٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَلَ لُقْمَانُ بْنُ عَادٍ ابْنَتَهُ - وَهِيَ صُحْرُ أَخْتِ لُقْمٍ - قَالَ حِينَ قَتَلَهَا :
أَلَسْتُ أَمْرَأَةً ! وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَزَوَّجَ عِدَّةَ نِسَاءَ ، كُلُّهُنَّ خُنَّ فِي أَنْفُسِهِنَّ ،
فَلَمَّا قَتَلَ أَخْرَاهَنَّ وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّاهُ صُحْرُ ابْنَتِهِ ، فَوَثَبَ
عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا وَقَالَ : وَأَنْتِ أَيْضًا أَمْرَأَةٌ ! وَكَانَ قَدْ ابْتُلِيَ بِأَنَّ أَخْتَهُ كَانَتْ
مُحَمَّدَةً^(٣) ، وَكَذَلِكَ كَانَ زَوْجُهَا ، فَقَالَتْ لِإِحْدَى نِسَاءِ لُقْمَانَ : هَذِهِ لَيْلَةٌ
طُهْرِي وَهِيَ لَيْلَتُكَ ، فَذَعِينِي أَنَا فِي مَضْجِعِكَ ، فَإِنَّ لُقْمَانَ رَجُلٌ مُنْجِبٌ ،

(١) في ل « من آل تيماء طائر » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .
(٢) الكرزون وقد يكسر والكرزين بفتح الكاف وسكون الراء وكسر الزاي :
الفأس الكبير .
(٣) المحممة والمحمق أيضا : المرأة تلد المحق . قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٦٧ :
وكانت تحت رجل أمحق .

فَمَسَى أَنْ يَقَعَ عَلَى فَأُنْجِبَ . فَوَقَعَ عَلَى أُخْتِهِ فَحَمَلَتْ بِلَقِيمٍ . فهو قولُ المُرِّ
بنِ تَوَلَبَ^(١) :

لَقِيمٌ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتِهِ لَهُ وَإِنَّمَا
لِيَالِي حَقٌّ فَلَسْتُ حَصَنَتْ عَلَيْهِ فَعَرَّ بِهَا مُظْلِمًا^(٢)
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكِمٌ فَنَجَاتَ بِهِ رَجُلًا مُحْكِمًا^(٣)
فَضَرَبَ الْعَرَبُ فِي ذَلِكَ الْمَثَلَ بِقَتْلِ لُقْمَانَ ابْنَتَهُ مُحَرَّرًا ، قَالَ خُفَّاءُ
بنِ نَدْبَةَ فِي ذَلِكَ :

وَعِيَاشٌ يُدِبُّ لِي اللَّيَالِي وَمَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ مُحَرَّرٍ^(٤)
وَقَالَ فِي ذَلِكَ ابْنُ أَذِينَةَ^(٥) :

أَتَجْمَعُ تَهَيَّامًا بِلَيْلَى إِذَا نَأَتْ وَهَجَرَاتِهَا ظُلُمًا كَمَا ظَلَمْتُ مُحَرَّرُ
وَقَالَ الْحَارِثُ بنِ عَبَّادٍ :

قَرَّبًا مَرِيطَ النِّعَامِ مِثِّي لَقِيتُ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالٍ^(٦)
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَظِمَ اللَّهُ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِي
وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَأَظْنُّهُ ابْنُ الْمُفَضَّلِ :

(١) شاعرٌ بضمُّش أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وقرساتهم

(٢) في ط « فَرَبَه » . وغربها : خدعها . ومظلماً : في الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذي يلد حكماً ، ويقابله المحقق : الذي يلد الحق .

(٤) في تَمَارِ القلوب ٢٤٥ « وعباسٌ يمهّد لي الليالي » وفي ل « وعياش يدب
إلى » وأدبها : جعلها تدب .

(٥) هو عروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعرٌ مقدّم من أهل المدينة
ويعد في الفقهاء والمحدثين أيضاً ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة

في الأغاني ٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حِيَالٍ : أى بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد
جد الجدد .

فَلَا تَلُمُ الْمَرْءَ فِي شَأْنِهِ قَرَبَ مَلُومٍ وَلَمْ يَذْنِبْ
وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عُذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ وَكَمْ لَائِمٍ قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ^(١)

(حديث سننار)

وقال بعض العرب ، في قتل بعض الملوك^(٢) لِسِنَارِ الرُّومِيِّ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا
عَلَ الْخَوَرَنَقَ وَرَأَى بُنْيَانًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ ، وَرَأَى فِي ذَلِكَ الْمُسْتَشْرِفِ ، وَخَافَ
إِنْ هُوَ اسْتَبْقَاهُ أَنْ يَمُوتَ فَيَبْنِي مِثْلَ ذَلِكَ الْبُنْيَانِ لِرَجُلٍ آخَرَ مِنَ الْمُلُوكِ ،
رَمَى بِهِ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْكَلْبِيِّ^(٣) فِي شَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
بَعْضِ الْمُلُوكِ :

جَزَانِي جَزَاءَهُ اللَّهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ
سِوَى رَصِّهِ الْبُنْيَانِ سَبْعِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقِرَامِيدِ وَالسَّكْبِ^(٤)
فَلَمَّا رَأَى الْبُنْيَانِ تَمَّ سُحُوقُهُ

وَأَصَّ كِمِثْلِ الطَّوْدِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ^(٥)
وَوَظَنَ سِنَارُهُ بِهِ كُلَّ حَبِوَةٍ وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمُودَةِ وَالْقُرْبِ^(٦)

(١) كذا ورد الشطران كأنهما بيت واحد ، وحفظي أن الشعر الأول عجز ، صدره :
تَأَن وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِ لَصَاحِبِ

(٢) قال الميمون بن عدي : إنه النعمان بن أمية الفيس بن عمرو بن عدي . وقال ابن الكلبي :
هو بهرام جور بن يزيد جرد .

(٣) في نثر القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبي .

(٤) القراميد : منفردة قرد يكفر وهو الأجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وعبرك .
وفي نثر القلوب « عشرين حجة » وفي معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) في معجم البلدان « كمثل الطود والنامخ الصعب » .

(٦) في ل « حبة » بمعنى السرور .

فقال أقذفوا بالعليج من رأس شاهق فذلك لعمرُ الله من أعظم الخطب وجاء المسلمون ، يروى خلفٌ عن سلف ، وتابعٌ عن سابق ، وآخرٌ عن أول ، أنهم لم يختلفوا في عيب قول زياد^(١) « لَأَخَذَنَّ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ ، وَالسَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ ، وَالْجَارَ بِالْجَارِ » ولم يختلفوا في لعن شاعرهم حيث يقول :
إِذَا أُخِذَ الْبَرِيُّ بِبَغْيٍ ذَنْبٍ تَجَنَّبَ مَا يُحَاذِرُهُ السَّقِيمُ
قال : وقيل لعنوا بن عبيد : إِنْ فَلَانًا قَدَّمَ رَجُلًا لِيُضْرَبَ عَنْقَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ! فقال : لَوْلَا أَنَّ الْمَجْنُونَ يَلِدُ عَاقِلًا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . قال :
١٣ قال عمرو : مَا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ إِلَّا بِالْحَقِّ !

وَمَا قَالَتِ النَّفْلِيَّةُ لِلْجَحَافِ فِي وَقْعَةِ الْبَشْرِ^(٢) : فَضَّ اللَّهُ فَالَكَ وَأَعْمَكَ ، وَأَطَالَ سُهَادَكَ ، وَأَقَلَّ رُقَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتَ الْإِنْسَاءَ أَعْمَالِينَ تُدِي ، وَأَسَافِلَهُنَّ دُمَى !! فقال لمن حوله : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ هَذِهِ مِثْلَهَا لَخَلَّيْتُ سَبِيلَهَا ! فبلغ ذلك الحسن فقال : أَمَّا الْجَحَافُ فَخُذُوا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ .
قال ، وذمَّ رجلٌ عند الأحنف بن قيس الكُفَاةَ بالسَّعْنِ ، فقال عند ذلك الأحنف « رَبُّ مَذْمُومٌ لَا ذَنْبَ لَهُ^(٣) » .
فبهذه السيرة سرت فينا .

وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن^(٤) :
وَإِنْ أَمَرْتُ أُمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه ، والكلام في خطبته البراء المروفة .

(٢) في ط « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات وانظر المعجم .

(٣) الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٢٣٨ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ ، وأصحابِ الفكرِ والعِبَرِ ، وأربابِ النَّحْلِ ، والعلماءِ وأهلِ البصرِ بمخارجِ اللَّيْلِ ، وورثةِ الأنبياءِ ، وأعوافِ الخلفاءِ ، يكتبونَ كتبَ الظُّرُفَاءِ والمُلَحَّاءِ ، وكتبَ القُرَاغِ والخُلَعَاءِ ، وكتبَ الملاهي والفكاهاتِ ، وكتبَ أصحابِ الخصوماتِ ، وكتبَ أصحابِ المرءِ ، وكتبَ أصحابِ العصبيةِ وحميةِ الجاهليةِ !! ألاأنهم لا يحاسبونَ أنفسهم ، ولا يوازنونَ بينَ ما عليهم ولهم ، ولا يحافونَ تصفحَ العلماءِ ، ولا لأئمةِ الأربابِ^(١) ، وشنف الأَكْفَاءِ ، ومَشْنَأَ^(٢) الجلساءِ ؟!

فهلأأسكتَ - يَرْحَمُكَ اللهُ - عَنَ عَيْبِهَا والطَّنِ عليها ، وعن المَشُورَةِ والموعظةِ ، وعن تخويفِ مافي^(٣) سوءِ العاقبةِ ، إلى أن تبلغَ حالَ العلماءِ ، ومراتبَ الأكْفَاءِ ؟!

فأمَّا كتابُنا هذا ، فسنذكرُ مُجْمَلَةَ المذاهبِ^(٤) فيه ، وسنأتِي [بعد ذلك] على التفسيرِ ، ولعلَّ رأيكَ عند ذلك أن يتحوَّلَ ، وقولكَ أن يتبدلَ ، فتثبتَ أو تكونَ قد أخذتَ مِنَ التوقُّفِ بنصيبٍ [إن شاء الله] .

(١) كفا في ل وفي ط « ولائمة الأدياء » .

(٢) في ط « شئأة » وصوابه شئأة وأثبت مافي ١٠ س وأما في ل فعي

« مساءة » والشنف بالتحريك وكذا المشئأة بمعنى هو البض .

(٣) في ل « مافي » .

(٤) في ط « المذاهب » والوجه ما أثبت من ل ، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنَّ العالمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متَّفق ،
ومختلف ، ومتضاد ؛ وكلُّها في جملة القول جادٌّ ونامٌ . وكان حقيقة القول في
الأجسام من هذه القسمة ، أن يقال : نامٌ وغيرُ نامٍ . ولو أنَّ الحكماء وضعوا
لكلِّ ما ليس بنام اسمًا ، كما وضعوا للناس اسمًا ، لاتبعنا أثرهم ؛ وإِنَّمَا
نتهى إلى حيث انتهوا . وما أَكْثَرَ ما تكونُ دلالة قولهم جادٌ ، كدلالة
قولهم مواتٌ . وقد يَفْتَرِقَانِ في مواضع بعض الافتراق . وإذا أُخرجت^(١)
من العالمِ الأفلاك والبروج والنجوم والشمس والقمر ، وجدتها غيرَ نامية ،
ولم يجدهم يسئون شيئًا منها بجمادٍ ولا موات ، وليس لأنَّها تتحركُ من تلقاء
أفْسَها لم تُسمَّ مواتًا ولا جادًا .

وناسٌ يجعلونها مدبرةً ، وناسٌ غير مدبرةً ، ويجعلونها مسخرةً وغيرَ
١٣ مسخرة^(٢) ، ويجعلونها أحياء من الحيوان ؛ إذ كان الحيوانُ إِنَّمَا يحيا
بإحيائها له ، وبِمَا تُعطيه وتُعيِّره . وإِنَّمَا هذا منهم رأى ، والآنمى في هذا
كلُّه على خلافهم ، ونحن في هذا الموضع إِنَّمَا نعبر عن لُغتنا ، وليس في
لُغتنا إلا ما ذكرنا .

والناسُ يسئون الأرضَ جادًا ، وربما يجعلونها مواتًا إذا كانت لم

(١) في ط « خرجت » .

(٢) في ل و س « مدبرة غير مدبرة ويجعلونها مسخرة غير مسخرة »
وما هنا صوابه .

تَنْبُتٌ قَدِيمًا ، وهى مَوَاتِ الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا
فهى له .

وهم لا يَجْلُونَ الماءَ والنَّارَ والهواءَ ، جَاذًا ولا مَوَاتًا ، ولا يَسْمُونَهَا
حيوانًا مادامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النَّماءِ والحسنِ .
والأَرْضُ هى أَحَدُ الأَرْكَانِ الأربعة ، التى هى الماءُ والأَرْضُ والهواءُ
والنَّارُ ، والاسمانِ لا يتعَاوَرَانِ عِنْدَهُم إِلَّا الأَرْضُ .

(نَقْسَمُ النامى)

نَمَّ النَّامِ على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام :
شئ يَمْشِى ، وشئ يَطِيرُ ، وشئ يَسْبَحُ ، وشئ يَنْسَاحُ ^(١) . إِلَّا أَنْ كُلَّ
طَائِرٍ يَمْشِى ، وليس الذى يَمْشِى ولا يَطِيرُ يسمى طائرًا . والنوعُ الذى يَمْشِى
على أربعة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أَنَّ الحشراتِ
راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلَةِ طباعِ البهائمِ والسباعِ . إِلَّا أَنَّنَا فى هذا كُلِّهِ
تتبع الأسماءَ القائمةَ ^(٢) والمعروفة ، البائِثاتِ بأَفْسِهَا ، للتمييزاتِ عند سامعِهَا ،
مِنْ أَهْلِ هذه اللغةِ وأصحابِ هذا اللسانِ ، وَإِنَّمَا نَقْرُدُ مَا أَفْرَدُوا ،
وَنَجْمَعُ مَا جَمَعُوا ^(٣) .

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ما أفردوا ، ونجمع ما جمعوا » .

(تقسيم الطير)

والطيرُ كلُّ سَبْعٍ وبهيمة وهمج . والسباعُ من الطيرِ على صَرَيْنٍ :
ففيها المتاقُ والأحرارُ والجوارحُ ، ومنها البغاثُ^(١) وهو كلُّ ما عظمَ من
الطير : سبعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكن من ذواتِ السلاحِ والحلابِ
المعقَّة ، كالنَّسورِ والرَّخَمِ والغِرَّانِ ، وما أشبهها من لثامِ السباع .
ثم الخشاشُ ، وهو ما لطفَ جِرمُه وصَغُرَ شخصه ، وكان عديمَ السلاحِ
[٣] كالزُّرَقِ^(٢) واليُؤْيُؤِ^(٣) والبادنجارِ^(٤) .

فأما الهمج فليس من الطير ، ولكنه ممَّا يطير . والهمجُ فيما
يطيرُ ، كالخشراتِ فيما عشى .

والحياتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أَدخلُ في معنى السَّبْعِيَّةِ مِنَ
الأفاعي والتعابين ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانت من ذواتِ
الأنيابِ وأكَّالةِ اللحومِ وأعداءِ الإنسِ وجميعِ البهائمِ ، ولذلك تأكلها
الأوتالُ^(٥) والخنزيرُ والقنَافِذُ والعقبانُ^(٦) والشاهِرُكُ^(٧) والسنانيرُ ، وغير
ذلك من البهائمِ والسباعِ . فَمَنْ جَعَلَ الحَيَّاتِ سَبَعاً ، وسَمَّاها بذلك عندَ
بعضِ القولِ والسببِ فقد أصابَ ، ومن جعلَ ذلك لها كالاسمِ الذي هو العلامةُ

(١) في الفاموس ، البغاث مثله : طائرٌ أغبرُ جمه كقزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة ينتشر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق ، وفيه خلل وخبث .

(٤) اليؤيؤ : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا في ط و س و ١٠ س . وفي ل « الباذنجان » . وأراها محرفة عن

« الباشق » أنظر الحيوان ٢ : ٦٨ .

(٦) في ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للباحظ ٦ : ١٢٤ .

(٧) في ط « الغرَّان » .

(٨) الشاهرك : الفئ من السباع قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو ممرَّب شامرغ ، ومعناه
ملك الطير . . الدميري .

كَالْكَلْبِ وَالذِّئْبِ وَالْأَسَدِ فَقَدْ أَخْطَأَ

وَمِنْ سِيَاحِ الطَّيْرِ شَكْلٌ يَكُونُ سِلَاحُهُ الْخَالِبَ كَالْعُقَابِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، ١٥
وَشَيْءٌ يَكُونُ سِلَاحُهُ الْمَنَاقِيرَ كَالنُّسُورِ وَالرَّحَمِ وَالْفَرَّانِ ، وَإِنَّمَا جَعَلْنَاهَا
سَبَاعًا لِأَنَّهَا أَكَالَةُ لُحُومٍ .

وَمِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ الْمَنَاقِيرَ كَالْكِرَاكِيِّ وَمَا أَشْبَهَهَا ،
وَمِنْهُ مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ الْأَسْنَانُ كَالْيَوْمِ وَالْوَطْوَاطِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ الصِّيَاصِ كَالدَّيَكَةِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ سِلَاحُهُ السَّلْحُ ^(١)
كَالْجُبَارِيِّ ^(٢) وَالتَّلْبِ .

وَالسَّبُعُ مِنَ الطَّيْرِ مَا أَكَلَ اللَّحْمَ خَالِصًا ، وَالْبَهِيمَةُ مَا أَكَلَتْ الْحَبَّ
خَالِصًا . وَفِي الْفَنِّ الَّذِي يَجْمَعُهَا مِنَ الْخَلْقِ الْمَرْكَبِ وَالطَّبِيعِ الْمَشْتَرَكِ ، كَلَامٌ
سَنَأْتِي عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْمَشْتَرَكُ عِنْدَهُمْ كَالْعَصْفُورِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِذِي خَبَلٍ مَعْقِفٍ وَلَا مِئْسَرٍ ^(٣)
وَهُوَ يَلْقُطُ الْحَبَّ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا يَصِيدُ التَّمَلَّ ^(٤) إِذَا طَارَ ، وَيَصِيدُ الْجُرَادَ ،
وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ ، وَلَا يَرْقُ فِرَاحَهُ كَمَا يَرْقُ الْحَامُ ، بَلْ يُلْقِمُهَا كَمَا تُلْقِمُ
السَّبَاعُ مِنَ الطَّيْرِ فِرَاحَهَا . وَأَشْبَاهُ الْعَصَافِيرِ مِنَ الْمَشْتَرَكِ كَثِيرٌ ، وَسَنَذْكُرُ
ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) السِّلْحُ وَالسَّلَاحُ كَثْرَابٌ : النِّجْوُ .

(٢) فِي ط « كَالْجُبَارِيِّ » وَالصُّوَابُ كَالْجُبَارِيِّ كَمَا فِي ل . وَهُوَ مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي
سِلَاحُهَا سِلَاحُهَا .

(٣) لِلنَّسْرِ كَجِلْسٍ وَمِئْسَرٍ : مَقَارِ الطَّيْرِ .

(٤) فِي ط « النَّحْلُ » وَالصُّوَابُ « النَّحْلُ » كَمَا فِي ل . فَإِنَّ النَّحْلَ طَائِرٌ بِطَبِيعِهِ ،
وَأَمَّا النَّحْلُ فَيُعْرَضُ لَهُ الطَّيْرَانِ حِينَ الْكِبَرِ ، قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَإِذَا اسْتَوَتْ لِلنَّحْلِ أَجْنَحَةٌ حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنَا عَطْبُهُ

وليس كلُّ ماطر يجنّاحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجبلانُ والحَبَلُ
واليعاسيبُ والنبابُ والزَّنايرُ والجِرَادُ والنملُ ، والقِراشُ والبَعُوضُ والأَرْضَةُ
والنحلُ وغيرُ ذلك ، ولا يسمّى بالطير . وقد يقال ذلك لما عند [بعض] الذِّكرِ
والسبب . وقد يسمّون الدجاجَ طيِّراً ولا يسمّون بذلك الجرّاد ، والجِرَادُ
أَطِيرٌ^(١) ، والمثلُ المصروبُ به أشهر . والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ
وليست من الطير . وجعفر بن أبي طالب ذو جناحين يَطِيرُ بهما في الجنة
حيثُ شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجَنَاح . وليس
بالريشِ والقوادمِ^(٢) والأباهرِ^(٣) والخوافي^(٤) ، يسمّى طائراً ، ولا يعلمه
يسقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفَّاشَ والوطواطَ من الطير ، وإن كانا
أمرطين ليس لهما ريشٌ ولا زَعَبٌ ولا شَكِيرٌ ولا قَصَبٌ^(٥) وهما مشهوران
بالحمل والولادة ، وبالزَّضاع ، ويظهر حَجَمُ الآذان ، وبكثرة الأسنان .
والنعامة ذاتُ ريشٍ ومنقارٍ وبيضٍ وجَنَاحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكةٌ ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من
معانيه . ألا ترى أنَّ في الماء كَلْبَ الماء ، وعُزَّ الماء ، وخِزِرَ الماء ؛
وفيه الرُّقَّةُ^(٦) والسَّلَحَفَةُ ، وفيه الضَّفَدَعُ وفيه السرطان ، والتَّيْنِيبُ^(٧) ،

- (١) في ط « طير » والصواب ما في ن . وأطير : أشد طيرنا .
- (٢) القوادم والقُدَامَى - كجاري - أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة
- (٣) الأبهر : الجانب الأقصر من الريش جمعه أباهر .
- (٤) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .
- (٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صفار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صفار الريش .
- (٦) قال السمرى : بكسر الراء وبالفاء ضرب من دواب الماء يشبه التماسح . والرق أيضاً : العظم من السلاحف وجمعه رقوق .
- (٧) ورد هنا الاسم محرفاً في جميع النسخ فهر في ط « التبتل » وفي ن « التبتل » وفي س « التبتل » وصوابه في السمرى قال « على وزن قبيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر » وانظر معجم الملووف ٢٥١ .

والتَّسَاحُ وَالذُّخْسُ وَالذُّلْفَيْنِ وَاللَّخْمُ وَالْبَنَكُ^(١) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَصْنَافِ .
وَالْكُوسَجُ وَالِدُ الْأَخْمِ ، وَلَيْسَ لِلْكُوسَجِ أَبٌ يُعْرَفُ . وَعَامَّةُ ذَا يَنْبِشٍ فِي
الْمَاءِ ، وَيَبِيتُ خَارِجًا مِنَ الْمَاءِ ، وَيَبْيِضُ فِي الشَّطِّ ، وَيَبْيِضُ بِيضًا لَهُ
صُفْرَةٌ ، وَقَيْضٌ وَغَيْرَتِي ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْمَاءِ مَعَ السَّمَكِ .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك في لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك
يقال في الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يَصْنَعُ صَمْتًا قَطُّ ولا يجوز عليه
خلافه ، والناطق لما لم يَتَكَلَّمْ قَطُّ ، فيحملون ما يرغوا ، وَيَشْعُو ، وَيَهْقُ ،
وَيَصْهَلُ ، وَيَسْجَحُ ، وَيَخُورُ ، وَيَبْغَمُ ، وَيَعْوِي ، وَيَنْبَحُ ، وَيَرْقُو ،
وَيَصْفُو ، وَيَهْدِرُ ، وَيَقْفِرُ ، وَيُصَوِّصِي ، وَيُقَوِّقُ ، وَيَنْعَبُ ، وَيَرَّأَرُ ،
وَيَنْزِبُ^(٢) ، وَيَكْنِشُ ، وَيَعْسَجُ^(٣) ، على نطق الإنسان إذا جمع بعضه على بعض .
ولذلك أشباهه ، كالدُّكُورِ وَالْإِنَاثِ إذا اجتمعوا ، وكالْعَمِيرِ التي تَسْمَى لَطِيمَةً ،

(١) في الأصل « البلب » والصواب ما كتبه عن القاموس وعن معجم المألوف
٢٢٥ قال الفيروزبادي « والبَنَكُ ، كقنفذ وجندل : دابة كالذلفين أو حنك يقطع
الرجل نصيفين فيلعه » .

(٢) في ط « يقر » وفي ل « ينير » وهو تعريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للابل ، والثناء للشاة ، والتهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشجيج
للغفال ، والحوار للثيران ، والبنام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ،
والزقاء للديكة ، والضضاء للثانير ، والمهدير للفحول ، والصغير للنسور ،
والصوصأة للجراء ، والقوقأة للدجاج ، والنعيب للفران واليوم ، والزثير للأسد ،
والزريب للظباء أو ذكرورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحده مجلودها .
والبعيج : الصياح ، وأحب هذه الكلمة « يفح » والفتح صوت الأفاعى
تحده بأفواهاها .

وكالظن ؛ فَإِنَّ هذه الأشياء إذا وجد بعضها إلى بعض ، أو أخذ بعضها من بعض ، سُمِّيَتْ بأَنبَهِ النوعَيْنِ ذِكْرًا ، وبأَقْوَاهَا . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهمُ إرادته إلا ما كان من جنسه . ولعمري إنا نفهم^(١) عن الفرس والحمار والكلبِ والسَّوَرِ والبعير ، كثيرًا من إرادته وحوالجه وقصوده^(٢) ، كما نفهم إرادة المصبيِّ في مَهْدِهِ ونعلم^(٣) - وهو من جليل العلم - أنَّ بكاءه يدلُّ على خلاف ما يدلُّ عليه ضحكُه . وحممته الفرسِ عند رؤية الخِلاَةِ^(٤) ، على خلاف ما يدلُّ عليه حممته عند رؤية الحِجْرِ ، ودُعَاءِ المِرَّةِ المَرَّةَ خلافُ دعائها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيح ، وإنَّ عَرَبَ عن نفسه بالفارسيَّةِ أو بالهنديَّةِ أو بالروميَّةِ ؛ وليس العربيُّ أسوأَ فهمًا لَطَمَطَمَةِ الرُّومِيِّ [من الرومى] لبيان لسانِ العربيِّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجم ، فهذا هو التأويل في قولهم أعجم ، وإذا قالوا : العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إِنَّمَا يَعْنُونَ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بالعربيَّةِ ، وأنَّ العربَ لا تفهم عنه . وقال كثير :

فبُورِكَ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى بِنْتَهُ وَصَامَتْ مَا أَعْطَى ابْنَ لَيْلَى نَاطِقَهُ

(١) كذا على الصواب في ل .. وفى ط « إن التعميم » .

(٢) في الأصول « وقصوده » بالراء ولم يظهر معناه فكُتِبَتْ مكانه « قصوده » جمع قصد

(٣) في ط « ونفهمه » .

(٤) في ط « الفحل » وليس بالوجه . والوجه ما في ل ، وورد في ط زيادة

« من » قبل « حممة » وإثباتها يفسد التركيب .

ويقال « جاء بما صأى^(١) وصمت » فالصامت مثل الذهب والقصة ، وقوله صأى^(٢) يعنى الحيوان كله ، ومعناه نطق وسكت ؛ فالصامت فى كل شىء سوى الحيوان .

ووجدنا كون العالم بما فيه حكمة ، ووجدنا الحكمة على ضربين : شىء جليل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشىء جليل حكمة ، وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة . فاستوى بذاك الشىء العاقل^{١٧} وغير العاقل فى جهة الدلالة على أنه حكمة ؛ واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل وليس كل دليل مستدل ، فشارك كل حيوان سوى الإنسان ، جميع الجاد فى الدلالة ، وفى عدم الاستدلال^(٣) ، واجتمع للإنسان أن كان دليلاً مستدلاً . ثم جليل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجعل البيان على أربعة أقسام : لفظ ، وخط ، وعقد^(٤) ، وإشارة ،

(١) فى ط « صأى » بالضاد وهو تصحيف صوابه ما فى ل ، س .
(٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بياناً » . و « وسموا ذلك بياناً » عبارة إضافية لا معنى لها .

(٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٧١ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جلّ النعم ، وفقدان جمهور النافع » فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعاً فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تعين . وقد ألفوا فيه كتباً وأراجيز » وانظر الخزانة .

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لَا يَسْتَدِلُّ تَمْكِينُهُ الْمُسْتَدِلِّ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاقْتِيادُهُ كُلٌّ مِنْ ^(١) فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةٍ مَا اسْتُخْزِنَ مِنَ الْبَرَهَانِ ، وَحُشِيَ ^(٢) مِنْ الدَّلَالَةِ ، وَأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الْحِكْمَةِ . فَالْأَجْسَامُ الْخُرْسُ الصَّامِتَةُ ، نَاطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ ، وَمُعَرِّبَةٌ مِنْ جِهَةِ شَحَةِ الشَّهَادَةِ ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْيِيرِ وَالْحِكْمَةِ ، نَخْبَرُ لِمَنْ اسْتُخْبِرَهُ ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ ، كَمَا خَبَّرَ الْمُرْزَالُ وَكُشُوفُ اللَّوْنِ ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَكَمَا يَنْطَلِقُ السَّمْنُ وَحُسْنُ النَّصْرَةِ ، عَنْ حَسَنِ الْحَالِ ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ نَصِيب] :

فَمَاجُوا فَأَنْتَوُا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْخَفَافُ

وَقَالَ آخَرُ :

مَتَى نَكَتُ فِي عَدُوٍّ أَوْ صَدِيقٍ تُخْبِرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

وَقَدْ قَالَ الْفُكْلِيُّ ^(٣) فِي صِدْقِ شَمِّ الدُّبِّ وَفِي شِدْقِ حَسِّهِ وَاسْتِرَاحِهِ :

يَسْتُخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعْ بِمَثَلِ مِقْرَاعِ الصِّفَا الْمَوْعِ ^(٤)

وَقَالَ عَنَتَرَةُ ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ :

حَرَقَ الْجَنَاحَ كَانَ لَحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ ^(٥)

(١) فِي ط « وَاقْتِيَادُهُ فَكَل » وَأَصْلَتِ الْبَابَةُ مِنْ ل .

(٢) فِي ط « وَحُشِيَ » وَهُوَ تَصْغِيرُ ظَاهِرٍ تَوْجِيهِهِ فِي ل .

(٣) هُوَ أَبُو الرَّدْيِيِّ الْعَمَلِيُّ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ٧٢ .

(٤) قَالَ الْجَلَّاحُظُ فِي الْبَيَانِ : انْتِفَاعُ : الْفَأْسُ الَّتِي يَكْسِرُ بِهَا الصَّخْرَ . وَالْوَقْعُ : الْحَدُّ .

(٥) فِي ط « حَرَقَ » بِأَخَاءِ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ ، صَوَابُهُ فِي ل وَفِي الْبَيَانِ . قَالَ الْجَلَّاحُظُ

فِي الْبَيَانِ ١ : ٧٢ : الْحَرَقُ : الْأَسْوَدُ ، شَبَّهَ لَحْيَهُ بِالْجَلَمَيْنِ لِأَنَّ الْغُرَابَ يَنْبَغِي

بِالْقُرْبَةِ وَالْقُرْبَةِ ، وَيَقْطَعُ كَمَا يَقْطَعُ الْجَلَمَانِ . ه . وَقد ذَكَرَ ابْنُ رَشِيْقٍ هَذَا الْبَيْتَ فِي

الْمَعْدَةِ ١ : ٢٠٢ وَجَعَلَهُ مِنَ التَّشْبِيهَاتِ الْعَمَمِ ، الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ أَصْحَابُهَا إِلَيْهَا وَلَا تَعْدَى

أَحَدٌ يَهْدُمُ عَلَيْهَا .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان في قصصه: سَلِ الْأَرْضَ، قُلْ: مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ،
وَعَرَسَ أَشْجَارَكَ، وَجَعَلَ ثِمَارَكَ؛ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِرَارًا، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا.
فموضوعُ الجسمِ وتَصَبُّته، دليلٌ على ما فيه وداعيةٌ إليه، ومنبهةٌ^(١)
عليه، فالجأؤُ الأَبَكُمُ الأُخْرُسُ من هذا الوجه، قد شاركَ في البيانِ الإنسانَ
الحَيَّ الناطقَ. فَمَنْ جَعَلَ أَقْسَامَ الْبَيَانِ خَمْسَةً، قد ذهبَ أيضاً مذهباً له
جوازٌ في اللغة، وشاهدٌ في العقل. فهذا أُحْدُ قِسْمَي الْحِكْمَةِ، وأُحْدُ ١٨
مَعْنَى^(٢) ما استخزنها^(٣) اللهُ تعالى من الودِعة.

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوان، مِنْ ضُرُوبِ
المعارف، وفَطَرَهَا عليه من غريبِ^(٤) الهداياتِ، وسَخَّرَ حَنَاجِرَهَا لَهُ مِنْ
ضُرُوبِ^(٥) النِّعَمِ الموزونة، والأصواتِ اللَّحْنَةِ، والمخارجِ الشَّجِيَّةِ،
والأغاني المطربة، فقد يقال إنَّ جَمِيعَ أصواتها معدَّلة، وموزونة مَوْفَّعة،
ثمَّ أَلْزَمَ سَهْلَ لها من الرِّقِّ العجيبِ في الصَّنعة، مما ذلَّلَ اللهُ تعالى
لِمَنَاقِيرِهَا وَأَكْفَفَهَا، وكيفَ فَتَحَ لها من بَابِ المَعْرِفَةِ على قدرِ ما هَيَّأَ لها
من الآلةِ، وكيفَ أَعْطَى كَثِيراً مِنْهَا مِنَ الحَسِّ اللطيفِ، والصَّنْعَةِ
البديعة، من غيرِ تَأْدِيبٍ وتَقْيِيفٍ، ومن غيرِ تَقْوِيمٍ وتَلْقِينٍ، ومن غيرِ
تَدْرِيجٍ وتَمْرِينٍ، فَبَلَّغَتْ بِمَعْوَهَا وبمَقْدَارِ قُوَى فِطْرَتِهَا، من التَّبْدِيعِ

(١) في ط « ومهيئة » والوجه ما في ل.

(٢) في الأصل « معنى » والصواب التنبيه.

(٣) في ط « ضرب » وصوابه في ل.

(٤) في الأصل « استخزنهما » والضمير راجع إلى « الحكمة ».

(٥) في ط « غريب » وهو تصحيف ظاهر.

والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، مالا يقدّر عليه خُلقُ رجالِ
الرأى ، وفلاسفهُ علماء البشر ، بيّد ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناس
أَكْلَهُمْ خصالاً وأَمْثَلَهُمْ خلالاً ، لأمين جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من
جهة التعسف والاقتدار ، ولا من جهة التقدم فيه ، والتأني فيه ، والتأني له ،
والترتيب لمقدماته ، وتمكين الأسباب المُعِينَةِ عليه . فصار جهد^(١) الإنسان
الثاقبِ الحسّ ، الجامعِ القوّى ، المتصرّفِ فى الوجوه ، المقدّمِ فى الأمور ،
يعجز عن عفو كثير منها ؛ وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجرى منها ، كما
أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطيت الشّرفة ، وكما علّم النحل ، بل^(٢)
وعرّف الثّوّط من بديع المعرفة ، ومن غريب الصّنع ، فى غير ذلك من
أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم^(٣) العجز فى أنفسهم فى أكثر ذلك ،
إلا بما قوى عليه الممتّع والخشاشُ وصغارُ الحشرات ، ثم جعل الإنسان
ذا العقل والتمكين^(٤) ، والاستطاعة والتصرف ، وذا التكلف والتجربة ،
وذا التأني والمنافسة ، وصاحب الفهم والمسابقة^(٥) ، والمتبصر شأن العاقبة ،
مضى أحسن شيئاً كان كلُّ شىءٍ دونه فى القموض عليه أسهل ، وجعل
سائر الحيوان ، وإن كان يحسنُ أحدها مالا يحسنُ أحدُ الناس متى
أحسن شيئاً عجيباً ، لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه فى الظن ، وأسهلُ
منه فى الرأى ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه فى الحقيقة . فلا الإنسان جعل

(١) فى ط « جملة » وصوابه فى ل .

(٢) هذا الحرف ليس فى ل .

(٣) فى ط ، ل « يوجد » موضع « يوجب لهم » وما أثبتته هو الوجه .

(٤) فى ط « ليعلم الانسان أن ذا العقل والتمكين » ووجهه ما فى ل لثم

المقارنة بقوله بعد « وجعل سائر الحيوان .. الخ » .

(٥) فى الأصل « السابقة » وكتبت مأهواً أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأحسنَت هذه الأجناسُ
 بلا تعلم ، ما يمتنع على الإنسان وإن تعلم ، فصار لا يحاوله ؛ إذ كان ١٩
 لا يطعم فيه ، ولا يحسدها ؛ إذ لا يؤمل اللعاقب بها ، ثم جعل تعالى وعزاً ،
 هاتين الحكمتين بإزاء عيون الناظرين ، ونجاة أسماع المعتبرين ، ثم حثَّ
 على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتعاظ والازديجار ، وعلى التعرف والتبيين ،
 وعلى التوقُّف والتذكُّر ، فجعلها مذكِّرةً منبهةً ، وجعل القطر تنشئاً (١)
 الخواطر ، وتجولُ بأهلها في المذاهب ذلك الله رب العالمين ، ﴿ فَبَارِكْ
 اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجدِّ في الكتاب)

وهذا كتابٌ موعظةٌ وتعريفٌ وتنبيه . وأراك قد عبته قبل أن
 تنفَع على حُدوده ، وتفكرَ في فصوله ، وتعتبرَ (٢) آخرَه بأوله ، ومَصَادِرَه
 بمواردِه ، وقد غلطك فيه بعضُ ما رأيت [في أثنائه] من مزج لم تعرف
 معناه ، ومن بطلالة لم تطلع على غورها ؛ ولم تدبرَ لم اجتلبت ، ولا لأى
 علة نُكَلِّفت ، وأى شيء أُرِيعَ بها ، ولأى جدِّ احتمل ذلك الهزل ،
 ولأى رياضة تُجسِّمَت تلك البطلالة ؛ ولم تدبرَ أنَّ الزاح جدُّ إذا اجتلب
 ليكون علةً للجدِّ ، وأنَّ البطلالة وفارٌّ ورزاة ، إذا نُكَلِّفت لتلك العاقبة .
 ولما قال الخليلُ بن أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما في ل . . وفي ط « وجعل الفكر ينشئ » .

(٢) في الأصل « تفكر » والوجه : « تعتبر » .

حَتَّى يَتَعَلَّمَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، قَالَ أَبُو شَمْرٍ : إِذَا كَانَ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَذَلِكَ
مِثْلُ كِتَابِنَا هَذَا ؛ لِأَنَّهُ إِنْ حَمَلْنَا جَمِيعَ مَنْ يَتَكَلَّفُ قِرَاءَةَ هَذَا الْكِتَابِ
عَلَى مَرَّةٍ الْحَقِّ ، وَصُعُوبَةِ الْجِدِّ ، وَثِقَلِ الْمَثُونَةِ ، وَحِلْيَةِ الْوَقَارِ ، لَمْ يَصِرْ عَلَيْهِ
مَعَ طَوْلِهِ إِلَّا مَنْ تَجَرَّدَ لِلْعِلْمِ ، وَفَهَمَ مَعْنَاهُ ، وَذَاقَ مِنْ ثَمَرَتِهِ ، وَاسْتَشْعَرَ قَلْبَهُ
مِنْ بُعْذِهِ ، وَنَالَ سُرُورَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يُورِثُ الطُّوْلُ مِنَ الْكَدِّ ، وَالكَثْرَةُ
مِنَ السَّامَةِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يُقَادُّ إِلَى حَظِّهِ بِالسَّوَاحِيرِ ^(١) ، وَبِالسُّوقِ الْعَنِيفِ ،
وَبِالْإِخَافَةِ الشَّدِيدَةِ .

(نَعَتُ الْكِتَابِ)

ثُمَّ لَمْ أَرَكْ رَضِيْتَ بِالطَّعْنِ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ لِي بَيْنَهُ ، حَتَّى تَجَاوَزْتَ
ذَلِكَ إِلَى أَنْ عَيْتَ وَضَعَ الْكِتَابِ كَيْفَمَا دَارَتْ بِهَا الْحَالُ ، وَكَيْفَ تَصَرَّفَتْ ^(٢)
بِهَا الْوُجُوهُ ، وَقَدْ كُنْتُ أُعْجِبُ مِنْ عَيْبِكَ الْبَعْضَ بِلَا عِلْمٍ ، حَتَّى عَيْتَ
الْكُلَّ بِلَا عِلْمٍ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى التَّشْنِيعِ ، ثُمَّ تَجَاوَزْتَ ذَلِكَ إِلَى
نَصَبِ الْحَرْبِ فَعَيْتَ الْكِتَابَ ؛ وَنَعَمَ الذَّخَرُ وَالْعَقْدَةُ ^(٣) هُوَ ، وَنَعَمَ
الْجَلِيسُ وَالْعُدَّةُ ، وَنَعَمَ النُّشْرَةُ وَالزُّهْدَةُ ، وَنَعَمَ الْمَشْتَغَلُ وَالْحَرْفَةُ ، وَنَعَمَ الْأُنَيْسُ
لِسَاعَةِ الْوَحْدَةِ ، وَنَعَمَ الْمَعْرُفَةُ بِلِلَادِ الْغَرَبَةِ ، وَنَعَمَ الْقَرِينُ وَالْخَيْلُ ، وَنَعَمَ
الْوَزِيرُ وَالنَّزِيلُ . وَالْكِتَابُ وَعَالِمٌ مُلِّئٌ عِلْمًا ، وَظَرْفٌ حُشِيٌّ ظَرْفًا ، وَإِنَاءٌ

(١) السَّاجُورُ : خَشَبَةٌ تَقْلَقُ فِي عِقْقِ الْكَلْبِ . وَسَجَرُهُ : شَدَهُ بِهِ كَسُجْرِهِ .

(٢) فِي الْأَسْلِ (تَصَرَّفَ) .

(٣) الْعَقْدَةُ ، بَضْمُ الْمَيْنِ : مَا فِيهِ بِلَاغُ الرِّجْلِ وَكِفَايَتُهُ .

شَحْنُ مُرَاحًا وَجِدًا ؛ إِنْ شَتَّ كَانَ أَيْنٌ مِنْ سَخْبَانٍ وَائِلٌ ، وَإِنْ شَتَّ
كَانَ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَإِنْ شَتَّ صَحِكَتْ مِنْ نَوَادِرِهِ ، وَإِنْ شَتَّ عَجِبَتْ
مِنْ غَرَائِبِ فَرَائِدِهِ ، وَإِنْ شَتَّ أَلْهَتِكَ طَرَائِفُهُ ، وَإِنْ شَتَّ أَشْجَبَتْكَ
مَوَاعِظُهُ ، وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهُ ، وَبِرَاجِرٍ مُغَرٍّ ، وَبِنَاسِكٍ فَاتِكَ ، وَبِنَاطِقٍ
أُخْرَسَ ، وَبِبَارِدٍ حَارٍ . وَفِي الْبَارِدِ الْحَارِّ يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ هَانِي ^(١) :

قُلْ لِّزُهَيْرٍ إِذَا انْتَحَى وَشَدَا أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ فَأَنْتَ مِهْدَارٌ ^(٢)
سَخَنْتَ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرْتَ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَتَجَبَّبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ التَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌ ^(٣)
وَمَنْ لَكَ بِطَيْبٍ ^(٤) أَعْرَابِيٍّ ، وَمَنْ لَكَ بِرُومِيٍّ هِنْدِيٍّ ، وَبِفَارِسِيٍّ ^(٥)
يُؤْتَانِي ، وَبَقَدِيمٍ مَوْلَدٍ ، وَبِمَيِّتٍ مَمْتَعٍ ^(٦) ، وَمَنْ لَكَ بِشَيْءٍ يَجْمَعُ لَكَ
الْأَوَّلَ وَالْآخَرَ ، وَالنَّاقِصَ وَالْوَافِرَ ، وَالْخَفِيَ وَالظَّاهِرَ ، وَالشَّاهِدَ وَالغَائِبَ ،
وَالرَّفِيعَ وَالْوَضِيعَ ، وَالْفَتَى وَالسَّمِينَ ، وَالشَّكْلَ وَخِلَافَهُ ، وَالْجِنْسَ وَضَدَّهُ .
وَبَعْدَ : فَتَى رَأَيْتَ بَسْتَانًا يُحْمَلُ فِي رُذْنٍ ^(٧) ، وَرَوْضَةً تَقْلُ ^(٨) فِي
حِجْرٍ ، وَنَاطِقًا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى ، وَيُسْتَرْجَمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ !! وَمَنْ لَكَ

-
- (١) الأبيات في الديوان ١٨٩ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ .
(٢) في ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار .
وفي ط « مهذار » بالذال .
(٣) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٤) في ط « بطيب » وأصلحه من ل ومن المحاسن ٤ .
(٥) في ط « بفارس » وصوابه في ل والمحاسن ٤ .
(٦) في ط « بمتنع » . وفي المحاسن : « ونجيب متنع » .
(٧) الرذن : أصل السكم .. ويظهر أنهم يستعملونه كذلك في السكم نفسه .
(٨) في ط « تغلب » والوجه « تغل » لتلاصق مع « يحمل » إذحاحا بمعنى .. وفي
المحاسن « تتقل » .

بمؤنس لاينام إلا بنومك ، ولا ينطق إلا بما تهوى ؛ آمنٌ مِنَ الأرض ،
وأَكْتَمُ السرِّ من صاحب السرِّ ، وأَحْفَظُ للوديعَةِ من أرباب الوديعَةِ ،
وأَحْفَظُ لما اسْتُحْفِظَ من الآدميين ، ومن الأعرابِ المرَّيين ^(١) ، بل مِنَ
الصَّبَّانِ قَبْلَ اعْتِراضِ الاشتغال ، ومن العُمَيَّانِ قَبْلَ التَّمَتُّعِ بِتَمْيِيزِ الْأَشْخَاصِ ،
حِينَ الْعِنَايَةُ تَأْتِي لَمْ تَنْقُصْ ، والأَذْهَانُ فَارِغَةٌ لَمْ تَنْقَسَمْ ، والإِرَادَةُ وَافِرَةٌ
لَمْ تَنْشَبْ ، وَالطَّيْنَةُ لَيِّنَةٌ ، فَهِيَ أَقْبَلُ مَا تَكُونُ لِلطَّبَائِعِ ، وَالْقَضِيبُ
رَطْبٌ ، فَهُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنَ الثَّلُوقِ ، حِينَ هَذِهِ الْخِصَالُ لَمْ يَخْلُقْ
جَدِيدُهَا ، وَلَمْ يُوْهَنْ غَرْبُهَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقْ قُوَاهَا ، وَكَانَتْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) :
أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا
وَقَالَ عُثَيْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ ^(٣) :

لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَسِيبُ صَبِيْهِمْ يَنْ الْقَوَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْشَعُ ^(٤)
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : التَّعَلُّمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وَقَدْ قَالَ جِرَانُ الْعُودِ ^(٥) :

[تَرْكُنْ بِرَجُلَةِ الرُّوحَاءِ حَتَّى تَنْكَرْتَ الدِّيَارُ عَلَى الْبَصِيرِ]

كَوْخِي فِي الْحِجَارَةِ أَوْ وُشُومٍ بِأَيْدِي الرُّؤْمِ بِأَقْيَةِ النَّثُورِ

وَقَالَ آخَرُ ، وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

وَإِنْ مِنْ أَدَبْتِهِ فِي الصَّبِيِّ كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

(١) فِي ط « التمرين » وَإِنَّمَا يَصْرَبُ الْأَعْلَامُ . وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ فِي ل .

(٢) هُوَ مَجْنُونُ بَنِي عَامِرٍ كَمَا فِي بَيَانِ الْجَلِيزِ ٢ : ٤٥ .

(٣) الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ ل .. وَفِي ط « نَهْمَةُ بْنُ الطَّبِيبِ » وَالتَّصْحِيحُ مِنْ س .

(٤) نَشَعَ الصَّبِيُّ وَأَنْشَعَهُ : أَوْجَرَهُ .. وَالنَّشُوعُ : الْوَجُورُ .

(٥) شَاعِرٌ نَعَرَى اسْمَهُ عَامِرُ بْنُ الْحَارِثِ ، لَقِبَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ بِخَطَابِ امْرَأَتِهِ :

خُفْنَا خَنَرًا يَا جَارِقَ قَائِنِي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعُودِ قَدْ كَادَ يَصْلِحُ
وَلَهُ دِيْوَانٌ طَبَعَتْهُ دَارُ الْكُتُبِ .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا . بعد الذي قد كان في يَبْسِهِ^(١)
وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيْلِ الْغُلَامِ الْمُؤَدَّبِ وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْبَبُ
وقال آخر :

وَتَلُوْمُ عَرِسَتِكَ بَعْدَ مَا هَرِمَتْ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْمَهْرَمِ
وقد قال ذو الرُّمَّةَ^(٢) لعيسى بن عمر^(٣) : أَكَبَّ شِعْرِي ؛ فَالْكِتَابُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنَ الْخَفْظِ . لَأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ يَنْسَى الْكَلِمَةَ وَقَدْ سَهَرَ فِي طَلَبِهَا لَيْلَتَهُ ،
فَيَضَعُ فِي مَوْضِعِهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا ، ثُمَّ يُشَدِّدُهَا النَّاسَ ، وَالْكِتَابُ لَا يَنْسَى
وَلَا يُبَدِّلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ .

وعبَّتِ الْكِتَابَ ، وَلَا أَعْلَمُ جَارًا أَبَرَّ ، وَلَا خَلِيطًا أَنْصَفَ ، وَلَا رَفِيقًا
أَطْوَعَ ، وَلَا مُعَلِّمًا أَخْضَعَ ، وَلَا صَاحِبًا أَظْهَرَ كِفَايَةً ، وَلَا أَقْلَ جِنَايَةٍ ، وَلَا
أَقْلَ إِثْنًا وَلَا إِيرَامًا ، وَلَا أَخْفَلَ أَخْلَاقًا ، وَلَا أَقْلَ خِلَافًا وَإِجْرَامًا ، وَلَا
أَقْلَ غَيْبَةً ، وَلَا أَبْعَدَ مِنْ عَصِيهِ^(٤) ، وَلَا أَكْثَرَ أَعْجُوبَةً وَتَصَرُّفًا ، وَلَا أَقْلَ

(١) المحفوظ « من ييسه » .

(٢) في ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر التقي ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل في هيف فنسب إليهم ، إمام في
النحو والعرية أخذ عن أبي عمرو وعبد الله بن أبي اسحق ، وروى عن الحسن
البحري والمباج بن ربيعة ، وعنه الأصمعي ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفا
ذهبت كلها ، وكان يتغمر في كلامه . حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره ،
أنه سقط عن حمار فلجتمع إليه الناس فقال : « مالي أراكم تكأتم على
كتكأكم على ذي جنة ؟ ! افرهقوا عني » واتهمه عمر بن هبيرة بودية ، فضربه
نحو ألف سوط ، فجعل يقول « والله إن كانت إلا أنيابا في أسنفاط قبضها
عشاروك ! » .

(٤) العنصية : الكذب والإفك والبهتان .

تصلاً وتكافؤاً ، ولا أبعد من مرأه ، ولا أترك لشغب ، ولا أزهّد في جدال ،
ولا أكفّ عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريباً أحسن موافاةً ، ولا أنجّل
مكافاةً ، ولا أحضّر معونةً ، ولا أخفّ مؤونةً ، ولا شجرة أطول عمراً ، ولا
أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مجتنبى ، ولا أسرع إدراكاً ، ولا
أوجد في كل إبان ، من كتاب . ولا أعلم نتاجاً في حدّاته سنّه وقُرب
ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من التداير العجيبة
والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ،
ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القويمة ^(١) ، والتجارب الحكيمة ، ومن
الإخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتنازحة ، والأمثال السائرة ، والام
البائدة ، ما يجمع لك الكتاب . قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة
والسلام ﴿ إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ﴾ فوصف نفسه ،
٢٢ تبارك وتعالى ، بأن علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم ، واعتد بذلك
في نعمه العظام ، وفي أياديه الحسام . وقد قالوا : القلم أحد اللسانين ، وقالوا :
كل من عرف النعمة في بيان اللسان ، كان بفضل النعمة في بيان القلم
أعرف . ثم جعل هذا الأمر قرآناً ، ثم جعله في أوّل التنزيل
ومستفتح الكتاب .

(كون الاجتماع ضرورياً)

ثمّ أعلم ، رحمك الله تعالى ، أن حاجة بعض الناس إلى بعض ، صفة
لإزمة في طبيعتهم ، وخلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزألهم ، ومحيطه
بجماعتهم ، ومشتلة على أديانهم وأقصاهم ، وحاجتهم إلى ما غاب عنهم -

(١) في الأصل « القديمة » بالذال .

تَمَّا يُعِيشُهُمْ وَيُنْجِيهِمْ ، وَيَمْسِكُ بِأَرْمَاتِهِمْ ، وَيُصْلِحُ بِهِمْ ، وَيَجْمَعُ شَمْلَهُمْ ، وَإِلَى التَّوَاوُنِ فِي دَرْكِ ذَلِكَ ، وَالتَّوَاوُنِ عَلَيْهِ - كَحَاجَتِهِمْ إِلَى التَّوَاوُنِ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَضُرُّهُمْ ، وَالتَّوَاوُنِ عَلَى مَا يَحْتَاجُونَ مِنَ الِارْتِقَاءِ بِأُمُورِهِمُ الَّتِي لَمْ تَغِبْ عَنْهُمْ ، فَحَاجَةُ الْغَائِبِ مَوْصُولَةٌ بِحَاجَةِ الشَّاهِدِ ، لِحَاجَةِ الْأَدْنَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَقْصَى ، وَاحْتِيَاجِ الْأَقْصَى إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَدْنَى ، مَعَانٍ مُتَضَمِّنَةً ، وَأَسْبَابُ مُتَّصِلَةٌ ، وَحِبَالٌ مُنْعَقِدَةٌ ، وَجَلَّ حَاجَتُنَا إِلَى مَعْرِفَةِ أَخْبَارٍ مِّنْ كَانَ قَبْلُنَا ، كَحَاجَةِ [مَنْ كَانَ قَبْلُنَا إِلَى أَخْبَارِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَحَاجَةِ] مَنْ يَكُونُ بَعْدَهُ إِلَى أَخْبَارِنَا ، وَلِذَلِكَ تَقَدَّمَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْبَيِّنَاتُ بِالرُّسُلِ ، وَلَمْ يَسْحَرْ لَهُمْ جَمِيعَ خَلْقِهِ ، إِلَّا وَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى الِارْتِقَاءِ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ . وَجَلَّ الْحَاجَةُ حَاجَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا قِيَامُ وَقُوتِ ، وَالْأُخْرَى لَذَّةٌ وَإِشْتِيَاقٌ وَازْدِيَادٌ فِي الْآلَةِ ، وَفِي كُلِّ مَا أَجْذَلَ النَّفُوسِ . وَجَمَعَ لَهُمُ التَّنَادُ ^(١) . وَذَلِكَ الْمَقْدَارُ مِنْ جَمِيعِ الصَّنَفَيْنِ وَفَوْقَ لِكثَرَةِ حَاجَتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ ، وَعَلَى قَدَرِ اتَّسَاعِ مَعْرِفَتِهِمْ وَتَعَدُّ غَوَرِهِمْ ، وَعَلَى قَدَرِ احْتِمَالِ ^(٢) طَبْعِ الْبَشَرِيَّةِ وَفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، ثُمَّ لَمْ يَقْطَعْ الزِّيَادَةَ إِلَّا لِعَجْزِ خَلْقِهِمْ عَنْ احْتِمَالِهَا ، وَلَمْ يَجْزْ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَجْزِ ، إِلَّا بِعَدَمِ الْأَعْيَانِ ، إِذْ كَانَ ^(٣) الْعَجْزُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، وَنَعْتًا مِنْ نُعُوتِ الْمَبِيدِ .

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدًا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ حَاجَتِهِ بِنَفْسِهِ ^(٤) دُونَ الْاِسْتَعَانَةِ

(١) فِي ط « الْمَتَاد » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) فِي ط « اِعْتَلَّ » وَتَصْبِيحُهُ مِنْ ل .

(٣) فِي ط « إِذَا » وَهُوَ تَعْرِيفٌ يَفِيقُ كَثِيرًا فِي مَوَاضِعَ تَشَبُّهٍ هُنَا .

(٤) فِي ط « بِنَفْسِهِ » وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ عَنْ ل .

بعض من ستر له ، فأذناهم مسخر لأفصاهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم ،
وعلى ذلك أحوج الملوك إلى الشوفة في باب ، وأحوج الشوفة إلى الملوك
في باب ، وكذلك الغنى والفقير ، والعبد وسيده . ثم جعل الله تعالى كل
شيء للإنسان خوفاً ، وفي يده مذللاً ميسراً^(١) إما بالاحتياط له والتلطف
في إراغته واستنائه ، وإما بالصولة عليه ، والفتك به ، وإما أن يأتيه
سهواً ورهواً . على أن الإنسان لولا حاجته إليها ، لما احتال لها ، ولا صال
عليها . ٢٣ إلا أن الحاجة تفرق في الجنس والجهة والحيلة ، وفي الخط والتقدير .
ثم تعبد الإنسان بالتفكير فيها ، والنظر في أمورها ، والاعتبار
بما يرى ، ووصل بين عقولهم وبين معرفة تلك الحكم الشريفة ، وتلك
الحاجات اللازمة ، بالنظر والتفكير ، وبالتنقيب^(٢) والتنقيب ، والتثبت^(٣)
والتوقف ؛ ووصل معارفهم بمواقف حاجاتهم إليها ، وتشاعروهم بمواقع
الحكم فيها بالبيان عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيان الذي جعله الله تعالى سبباً فيما بينهم ، ومعبراً عن حقائق
حاجاتهم ، ومعرفاً لمواقع سد الخلة ورفع الشبهة ، ومداواة الحيرة ، ولأن
أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح المائلة ، والأجسام
الجامدة ، والأجرام الساكنة ، التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكمة

(١) في ط « مذ ، إلا ميسراً » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط « والتحب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والباقي في ط « والتثبت » .

وَكُنُوزِ الْآدَابِ ، وَبِنَايِعِ الْعِلْمِ ، إِلَّا بِالْعَقْلِ الثَّاقِبِ الْلطِيفِ ، وَبِالنَّظَرِ
التَّامِّ النَّافِذِ ، وَبِالْأَدَاةِ السَّكَّامَةِ ، وَبِالْأَسْبَابِ الْوَافِرَةِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَكْرُوهِ
الْفِكْرِ ، وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ وُجُوهِ الْمُدْعِ وَالْتَحَفِ مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى ؛ وَلَئِنْ
الشَّكْلُ أَفْهَمُ عَنْ شِكْلِهِ ، وَأَسْكَنُ إِلَيْهِ وَأَصَبُّ بِهِ . وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي
أَجْنَاسِ الْبَهَائِمِ ، وَضُرُوبِ السَّبَاعِ . وَالصَّبِيُّ عَنِ الصَّبِيِّ أَفْهَمُ لَهُ ، وَلَهُ آفُ
وَإِلَيْهِ أَنْزَعُ ، وَكَذَلِكَ الْعَالِمُ وَالْعَالَمُ ، وَالْجَاهِلُ وَالْجَاهِلُ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا جَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ لَأَنَّ
الْإِنْسَانَ عَنِ الْإِنْسَانِ أَفْهَمُ وَطَبَاعُهُ بِطَبَاعِهِ آتَسُ ؛ وَعَلَى قَدَرِ ذَلِكَ يَكُونُ
مَوْقِعُ مَا يَسْمَعُ مِنْهُ .

ثُمَّ لَمْ يَرْضَ لَهُمْ مِنَ الْبَيَانِ بَصْنَفٍ وَاحِدٍ ، بَلْ جَمَعَ ذَلِكَ وَلَمْ يَفْرِقْ ،
وَكَثُرَ وَلَمْ يَقُلْ ، وَأَظْهَرَ وَلَمْ يُخْفِ ، وَجَعَلَ آلَةَ الْبَيَانِ الَّتِي بِهَا يَتَعَارَفُونَ
مَعَارِبَهُمْ ، وَالتَّرْجُمَانِ الَّتِي إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمْ ، فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ ،
وَفِي خَصَلَةٍ خَامِسَةٍ ، وَإِنْ قَصَصْتُ عَنْ بُلُوغِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فِي جِهَاتِهَا ، فَقَدْ
تُبَدَّلَ بِمَجْنَسِهَا أَلَدَى وَضِعَتْ لَهُ وَصُرْفَتْ إِلَيْهِ ، وَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ : الْفُظْ ،
وَالْخَطْ ، وَالْإِشَارَةُ ، وَالْعَقْدُ ؛ وَالْخَصَلَةُ الْخَامِسَةُ مَا أَوْجَدَ مِنْ حُجَّةِ الدَّلَالَةِ ،
وَصَلَوْهِ الشَّهَادَةُ وَوُضُوحِ الْبَرْهَانِ ، فِي الْأَجْرَامِ الْجَامِلَةِ وَالصَّامِتَةِ ،
وَالسَّاكِنَةِ الَّتِي لَا تَنْتَبِهُنَّ ^(١) وَلَا تَحْسُ ، وَلَا تَفْهَمُ وَلَا تَتَحَرَّكُ إِلَّا بِدَاخِلٍ
يَدْخُلُ عَلَيْهَا ، أَوْ عِنْدَ مُسَلِّكِ خَلَى عَنْهَا ، بَعْدَ [أَنْ] كَانَ تَقْيِيدَهُ لَهَا .

ثُمَّ قَسَمَ الْأَقْسَامَ وَرَتَّبَ الْحُسُوسَاتِ ، وَحَصَلَ الْمَوْجُودَاتِ ، فَجَعَلَ
الْفُظْ السَّمْعَ ، وَجَعَلَ الْإِشَارَةَ النَّظَرَ ، وَأَشْرَكَ النَّظَرَ وَاللَّامِسَ فِي مَعْرِفَةِ

(١) فِي ل : « لَا تَنْتَبِسُ » أَيْ تَنْطَلِقُ .. وَالْبَيِّنُ هُنَا مَعْنَاهُ التَّفْهِيمُ .

٢٤ القعد ، إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك ، على قدر نصيب اللامس . وجعل الخط دليلًا على ما غاب من حوائجه عنه ، وسببًا موصولًا بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازنًا لما لا يأمن نسيانه ، ثم قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكاف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشام والذائق نصيبا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير واليسيط ، ولبطلت^(١) معرفة التضاعيف ، ولقدموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات^(٢) ، ولو أدرَكوا ذلك لما أدرَكوه^(٣) إلا بعد [أن] تغط المتونة ، وتتقضى المنّة ، ولصاروا في حال معجزة وحسور ، وإلى حال مضيعة وكلال حدّ ، مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الدلالة لكان أربح لهم ، وأردّ عليهم ، أن يُصرف ذلك الشغل في أبواب منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

وقع الحساب معلوم ، والخلة في موضع فقده معروفة . قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ

(١) في ط « ولبطلت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات بإثبات ألفات بدوواتها في ط ورسمت في ل بخذفها

(٣) في ط « ولو أذكروا ذلك لما أذكروه » وهو تحريف أصله من ل .

وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ ﴿١٠﴾ وَالْبَيَّانَ عَرَفَ النَّاسُ الْقُرْآنَ . وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ، وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ ، لِيَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابِ ﴾ فَأَجْرَى الْحِسَابَ مُجْرَى الْبَيَانِ بِالْقُرْآنِ . وَبِحُسْبَانِ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، عَرَفْنَا حَالَاتِ الْمَدِّ وَالْجُزْرِ ، وَكَيْفَ تَكُونُ الزِّيَادَةُ فِي الْأَهْلَةِ وَأَنْصَافِ الشُّهُورِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ النِّقْصَانُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، وَكَيْفَ تِلْكَ الْمَرَاتِبُ وَتِلْكَ الْأَقْدَارُ .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ الدَّوْنَةُ والأخبارُ المَحَلَّةُ ، والحكمُ المَخْطُوطَةُ التي تَحْصُنُ الْحِسَابَ وَغَيْرَ الْحِسَابِ ، لَبْطَلَ أَكْثَرُ الْعِلْمِ ، وَلَغَبَ سُلْطَانُ السَّيَانِ سُلْطَانُ الذِّكْرِ ، وَلَمَّا كَانَ لِلنَّاسِ مَفْرَعٌ إِلَى مَوْضِعٍ اسْتَدَّكَارٍ . وَلَوْ تَمَّ ذَلِكَ لَحَرُمْنَا أَكْثَرَ النِّفْعِ ؛ إِذْ كُنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مَقْدَارَ حِفْظِ النَّاسِ لِعَوَاجِلِ حَاجَتِهِمْ وَأَوَائِلِهَا ، لَا يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلًا مَذْكُورًا وَلَا يُفْنِي فِيهِ غَنَاءُ^(١) مَحْمُودًا . وَلَوْ كُفِّ عَامَّةُ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَيَصْطَنِعُ الْكُتُبَ ، أَلَّا يَزَالَ حَافِظًا لِقَهْرِهِ كُتُبَهُ ، لَأَعْجَزَهُ ذَلِكَ ، وَلَسُكِّفَ شَطَطًا ، وَلَشَغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا هُوَ أَوْلَى بِهِ . وَفَهْمُكَ لِمَعَانِي كَلَامِ النَّاسِ ، يَنْقَطِعُ قَبْلَ انْقِطَاعِ فَهْمِ عَيْنِ الصَّوْتِ بِمَجْرَدَا ، وَأَبْدُ فَهْمِكَ لَصَوْتِ صَاحِبِكَ وَمُعَامِلِكَ وَالْمَعَارِنِ لَكَ ، مَا كَانَ صِيَاحًا صَرَفًا ، وَصَوْتًا مَصْمُوتًا وَنِدَاءً خَالصًا ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ بَعِيدٌ مِنَ الْمَفَاهِمَةِ ، وَعُطِّلٌ مِنَ الدَّلَالَةِ . فَجَعَلَ الْفُطْرُ

(١) فِي ط « غْنَا » وَصَوَابُهُ الدِّكَا فِي ل .

لأقرب الحاجات ، والصوت لأقرب لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنازح
 ٢٥ من الحاجات . فأما الإشارة فأقرب المفهوم منها : رَفَعُ الحَوَاجِبِ ، وكسُرُ
 الأَجْنان ، ولئى الشَّفاءِ وتحريك الأعناق ، وقَبْضُ جِلْدَةِ الوجه ؛ وأبعدُها
 أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل ، تُجَاهَ عَيْنِ الناظر ، ثمَّ يَنْقَطِعَ عملُها
 ويدرس أثرُها ، ويموت ذكرُها ، ويصير بعد كلِّ شَيْءٍ فَضْلٌ عن انتهاء
 مدى الصوت ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوط والكتب .
 فأىُّ نفعٍ أعظمُ ، وأىُّ مِرْفَقٍ أعونُ من الخطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا !!
 وليس للعقدُ حظُّ الإشارةِ فى بُعدِ الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزَّ وجلَّ القلمَ فى المكان الرفيع ، ونوّه بذِكْرِهِ فى
 المنصب الشريف حين قال ﴿ نَ وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
 كما أقسمَ بِمَا يُحِطُّ بِالْقَلَمِ ؛ إذ كان ألسانُ لا يتعاطى شأوه ، ولا يشقُّ
 غبارَه ، ولا يجرى فى حلبته ، ولا يتكلف [بُعْدَ] غايته . لكن لما أن
 كانت حاجات الناس بالحضرة ^(١) أكثرَ مِنْ حاجاتهم فى سائر الأماكن ،
 وكانت الحاجةُ إلى بيانِ اللسانِ حاجةً دائمةً واكدةً ، وراهنَةً ثابتةً ،
 وكانت الحاجةُ إلى بيانِ القلمِ أمراً يَكُونُ فى النِّيبَةِ وعند النائبة ، إلّا
 ما خَسَّتْ به الدواوين : فإنَّ لسانَ القلمِ هناك أبسطُ ، وأثرُه أعمُّ ، فلذلك

(١) المخضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قَدَّوْا اللسانَ على القلم . فاللسانُ الآنَ إِنَّمَا هو في منافع اليد^(١) والرافقِ
التي فيها ، والحاجاتِ التي تبلُغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حَظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة ، ثم نَصيبُها في تعويمِ القلم ،
ثم حَظُّها^(٢) في التصوير ، ثم حَظُّها في الصناعات ، ثم حَظُّها في القَدِّ ،
ثم حَظُّها في اللَّبِّعِ عن النفس ، ثمَّ حَظُّها في إيصالِ الطعامِ والشرابِ إلى
القوم ، ثم التوضُّؤُ والامتناسح^(٣) ، ثم انتقادِ الدنانيرِ والدرهمِ ولُبْسِ الثَّيَّابِ ،
وفي الدفعِ عن النفس ، وَأَصْنَافِ الرَّغْمِ ، وَأَصْنَافِ الضَّرْبِ ، وَأَصْنَافِ
الطعنِ ، ثم التَّقَرُّ بالعُودِ وتحريكِ الوترِ ؛ ولولا ذلك لبَطَلُ الضَّرْبُ كُلُّهُ
أو عَائِثُهُ . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها صَرَبُ الطُّبُلِ واللَّدَفُ ،
وتحريكُ الصَّفَّاقَتَيْنِ^(٤) ، وتحريكِ مَخَارِقِ خُرُوقِ الزَّامِيرِ ، وما في ذلك من
الإطلاقِ والحبسِ . ولولم يكن في اليدِ إِلَّا إِسْكَاءُ العِنانِ والزَّمامِ والخطامِ ،
لَكَانَ من أعْظَمِ الحُظُوظِ .

وقد اضْطَرَّ بوا في الحُكْمِ بينَ القَدِّ والإشارة ، ولولا أَنَّ مَقْرَأَنَا في هذا
الكتابِ سوى هذا البابِ ، لقد كَانَ هذا نَمَّا أَحَبُّ أَنْ يَعْرِفَهُ إِخْوَانُنَا

(١) في ل « إِنَّمَا يوفى منافع اليد » .

(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هي في ط « خطها » وهو تصحيف أصْلَح من ل .

(٣) في ط « والتمسح » .

(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التي يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية :
قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذَ في هذا الباب من الكلام ، إلا بعدَ
٢٦ الفراغِ ممَّا هو أولى بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازعني ، ولم تعيبَ كتبِي ، من
طريقِ فضل^(١) ما بين العتد والإشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ،
وإنمَّا قصدنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتابُ هو الذي يؤدِّي إلى الناس كتبَ الدين^(٢) ، وحسابَ الدواوين ؛
مع خفةِ قلبه ، وصغرِ حجمه ؛ صامتٌ ما أسكته ، وبلغٌ ما استنطقته . ومن
لك بمسامرٍ لا يتديك في حالٍ شُغلك ، ويدعوك في أوقاتِ نشاطك ،
ولا يُخرجك إلى التجمل له والتذمُّ منه . ومن لك بزائرٍ إن شئتَ جعل
زيارته عِبا ، ووُروده خُسا ، وإن شئتَ لزمك لزومَ ظلك ، وكان منك
مكانٌ بعضك .

والقلمُ مكثفٌ بنفسه ، لا يحتاج إلى ما عند غيره ؛ ولابدَّ لبيان اللسانِ
من أمورٍ : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارةُ لمَّا فهموا عنك^(٣) خاصَّ
الخاصِّ إذا كان أخصَّ الخاصِّ قد يدخل في باب العام ، إلَّا أنَّه أدنى
طبقاته ؛ وليس يكتفي خاصُّ [الخاصِّ] باللفظ عمَّا أداه ، كما اكتفى عامُّ
العامِّ والطبقات التي بينه وبين أخصَّ الخاصِّ .

والكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك ، والصديق الذي لا يُغريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) في ل « كتب علم الدين » .

(٣) في ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيق الذي لا يملك ، والمستريح الذي لا يستريح^(١) ، والجار الذي لا يستبطنك ، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا ياملك بالسكر ، ولا يخدعك بالتناق ، ولا يخال لك بالكذب . والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطلت إمتاعك ، وشهد طبعك ، ويسط لسانك ، وجود بنائك ، ونغم ألقائك ، ويصح^(٢) نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام وصدقة الملوك ، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر ، مع السلامة من الترم ، ومن كد الطلب ، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم ، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقاً ، وأكرم منه عرفاً ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغبياء . والكتاب هو الذي يطعمك بالليل كطاعته بالهار ، ويطعمك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتل نوم ، ولا يعتره كلال السهر . وهو العلم الذي إن افتقرت إليه لم يحفر ك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عزلت لم يدع طاعتك ، وإن هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلقاً بسبب أو معتصماً بأذى حبل ، كان لك فيه غنى من غيره ، ولم تضطر^(٣)ك [معه] وحشة الوحلة إلى جليس سوء . ولو لم يكن من فضله عليك ، وإحسانه إليك ، إلا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر إلى المارة بك ، مع ما في ذلك من التمرض للحقوق التي تترك ، ومن فضول

(١) المستريح : طالب العرف . واستراؤه : استبطأه . وفي ط « يشترك » . وفي ل

« يشترك » وهما تحريف ما أثبت

(٢) البجح محرك الفرح ، وبجح به كفرح ، وبجحه تبيجا فبجح : أي أفرحه ففرح .

النظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعنك^(١)، ومن ملابس صغار الناس، وحضور أفعالهم الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة، وجهالاتهم الذمومة، لكان في ذلك السلامة، ثم الفنيمة، وإحراز الأصل، مع استفادة الفرع. ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخف المني وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب، وكل ما أشبه اللعب، لقد كان على صاحبه أسبغ النعمة وأعظم المنّة.

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفراغ نهارهم، وأصحاب الفسكات ساعات ليهم، الكتاب. وهو الشيء الذي لا يرى لهم فيه مع النيل أثر في ازدياد تجرية ولا عقل ولا مروءة، ولا في صوب عرض، ولا في إصلاح دين، ولا في تثير مال، ولا في ربّ صنعة^(٢) ولا في ابتداء إنعام.

(أقوال لبعض العلماء في فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة، قال المهلب لبنيه في وصيته: يَا بَنِي لَا تُقَوْمُوا فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عَلَى زَرَادٍ أَوْ وَرَقٍ^(٣).

وحدثني صديق لي قال: قرأت على شيخ شامي كتاباً فيه من آثار غطفان فقال: ذهب المكارم إلا من الكتب.

وسمعت الحسن اللؤلؤي^(٤) يقول: عَبَّرَتْ أَرْبَعِينَ عَامًا مَا قِلْتُ

(١) بدل هذه الجملة في ط « ومن عادة الحرس ».

(٢) ربّ الصنعة: تهديها..

(٣) الزراد: صانع الدروع.. والمهلب يوصي بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم.

(٤) في ط « أبا الحسن اللؤلؤي » والصواب ما أثبتته. والحسن هذا هو ابن =

ولايتُ [ولا اتكأت] إلّا والكتابُ موضوعٌ على صدرى ^(١) .

وقال ابن الجهم : إذا غشيتي النعاس في غير وقت نوم - وبئس الشيء النومُ الفاضلُ ^(٢) عن الحاجة - قال : فإذا اعتراني ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحكم ، فأجدُ اهتزازي للفوائد ، والأريحية ^(٣) التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يشقى قلبي من سرور الاستبانة وعزّ التبيين ^(٤) أشدَّ إيقاظاً من نهيق الحمار وهذه الهدم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنْتُ الكتابَ واستجدته ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه - فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظرُ كم بقي من ورقه مخافة استنفاده ، واقطع المادّة من قلبي ، وإن كان المصحفُ عظيم الحجم كثير الورق ، كثير العدد - فقد تمّ عيشي وكملّ سروري .
وذكر العتي ^(٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرة ورقه

= زياد اللؤلؤ الكوفي، فاض فقيه من أصحاب أبي حنيفة، أخذ عنه وسمع منه، وكان عالماً بذهبه بالرأى. وله عدة كتب في الفقه. عن معجم الأعلام للزركلي .. وقد روى الجاحظ في البيان ٢ : ٢٣٠ ، ٣ : ٢١٤ أن الحسن اللؤلؤي كان في بعض الليالي بالرقعة يحدث للأُمون ، وللأُمون يومئذ أمير، إذ نَس للأُمون . فقال له اللؤلؤي : نمت أيها الأمير ؟ ففتح للأُمون عينه وقال : سوق والله ! خذ يا غلام بيده !!

(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلّا وقت النعاس . . وغيرت : مكنت . وقال يعقيل : نام وقت الظهيرة .

(٢) في ط « الفاضل » والصواب ما في ل .

(٣) في الأصل « الأريحية » والوجه ما أثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التبيين » .

(٥) في ل « العتي » وهو تصحيف ما في ط وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة

رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموي القرطبي الأندلسي وكان فاضلاً وتوفى سنة ٢٥٤ هـ .. وثانيهم محمد بن عبد الجبار التبي أبو نصر مؤرخ من الكتاب العمراء ، أصله من الري ونشأ في خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رئاسة الإنشاء في خراسان والعراق وتوفى سنة ٤٢٧ هـ . وثالثهم هذا الذي يعبه الجاحظ =

لنسخته . فقال ابن الجهم : لكفى ما رغبتى فيه إلا الذى زهدك فيه ؛ وما قرأت قط كتاباً كبيراً فأخلانى من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتي ذات يوم لابن الجهم : ألا تبغى من فلان !! نظرت فى كتاب الإقليدس مع جارية سلتويه^(١) فى يوم واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه خرّ مخيّر ، وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتاب من سلتويه على تعليم جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة !! قال العتي : وكيف ظننت به هذا الظن ، وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنى سمعته يقول لانيه : كم أفتت على كتاب كذا ؟ قال : أفتت عليه كذا ، [قال]^(٢) إنما رَغَبْتى^(٣) فى العلم أتى ظننت أنى أفتق عليه قليلاً وأكتسب كثيراً ، فأما إذ صرت أفتق الكثير ، وليس فى يدي إلا المواعيد ، فأنى لأأريد العلم بشئ !!

== وهو محمد بن عبدالله من بنى عتبة بن أبي سفيان .. أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتي أحبن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » قال ابن التميم « كان العتي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » ... عن قاموس الزركلى .

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل خدم المتصم واختص به حتى إن المتصم لما مات سلمويه قال « سألقى به ، لأنه كان يملك حياتى ويدبر جسدى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بقله ، فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى المواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلى ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتى »

(السماع والكتابة)

فإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا بد من أن تكون كتبه أكثر من سماعه ؛ ولا يعلم ، ولا يجمع العلم ، ولا يختلف [إليه]^(١) ، حتى يكون الإفاق عليه من ماله ، ألدَّ عنده من الإفاق من مال عدوه . ومن لم تكن ففته التي تخرج في الكتب ، ألدَّ عنده من إفاق عشاق القيان ، والمستهترين بالبنيان^(٢) ، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيّاً . وليس ينتفع بإفاقه ، حتى يؤثر اتّخاذ الكتب ، إثاراً الأعرابي فرسه بالبن على عياله ، وحى يؤمل في العلم ما يؤمل الأعرابي في فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندی مرة: ودت أن الزنادقة لم يكونوا حرصاء على الغلاة^(٣) بالورق النقي الأبيض ، وعلى تحيّر^(٤) الخير الأسود المشرق البراق ، وعلى استجادة الخط والإرغاب لمن يخط ، فإني لم أركورق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . وإذا غرمت مالا عظيماً مع حيّ للمال وبقيض الغرم - كان سخاء النفس بالإفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيم العلم ،

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والراد أن يختلف إليه تلاميذه

(٢) المستهتر : المولع بالشئ التهلك فيه . وفي ط « ألدَّ عنده من عشق القيان وإفاق المستهترين بالبيان » وهي عبارة مضطربة أبدلتها بما في ل تصح .

(٣) في ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما في ل . . وحريص إنما يجمع على حراس - كرمان ، وحراس ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) في ط « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامة من سُكر الآفات .
قلت لإبراهيم : إن إفاق الزنادقة على تحصيل الكتب ، إفاق النصارى
على البيع ، ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكمة وكتب فلسفة ، وكتب
مقاييس وسُنن [و] تبيين وتبيين^(١) ، ولو كانت كتبهم كتباً تُعرفُ الناس أبواب
الصناعات ، أو سُبل التكبُّس والتجارات ، أو كتب ارفاقات ورياضات ،
أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والآداب - وإن كان ذلك لا يقرب
من غنى ولا يبعد من ماثم - لكانوا ممن قد يجوز أن يُظنَّ بهم تعظيمُ
البيان ، والرغبة في التبيين^(٢) ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة ، [و] على
طريق تعظيم الله ، فأثما إفاقهم في ذلك ، إفاق المجوس على بيت النار ،
وإفاق النصارى على صُلبان الذهب ، أو إفاق الهند على سَدَنَةِ البِدَّة
ولو كانوا أرادوا العلم لكان العلم لهم مُرضاً ، وكتب الحكمة لهم مبذولة ،
والطرق إليها سهلةٌ معروفة . فما بالهم لا يصنعون ذلك إلا بكتب
دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى بيوت عبادتهم ! ولو كان هذا المعنى
مستحسنًا عند المسلمين ، أو كانوا يرون أنَّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ
على الخُشوع ، لبلغوا في ذلك بقومهم ، مالا تبلغه النصارى بقاية الجهد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشق ، حين استجاز هذا السبيل ملكٌ من
ملوكها ، ومن رآه قد علم أنَّ أحدًا لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخروا قسَمهم

(١) في الأصل « نيين وتبيين » وصححه بما ترى .

(٢) في ط « التبيين » .

به ، فلما قام عمرُ بن عبد العزيز ، جلَّه بالجلال ، وغطَّاه بالكرايس^(١) ،
وطبَّخَ سلاسلَ القناديلِ حتَّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريقُ ؛ وذهب
إلى أنَّ ذلك الصنيعَ بجانبُ سنَّةِ الإسلام ، وأنَّ ذلك الحُسْنَ الرائعَ
والحاسنَ الدِّقَّاقَ ، مذهلةٌ للقلوب ، ومُشغلةٌ دونَ الخشوع ، وأنَّ البلاءَ
لا يكونُ مجتمعاً وهناك شيءٌ يفرِّقه ويعترضُ عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنه ليس في كتبهم مثلُ شائر ، ولا خبرٌ
طريف ، ولا صنعةٌ أدب ، ولا حكمةٌ غريبة ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلاميةٌ ،
ولا تعريفٌ صناعة ، ولا استخراجٌ آله ، ولا تعليمٌ فلاحيةٌ ، ولا تديير^(٢)
حرب ، ولا منازعة^(٣) عن دين ، ولا مناصلةٌ عن نَجْلة . وجُرُّ ما فيها
ذِكْرُ النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافُدُ الغفاريات ، وذِكْرُ
الصنديد ، والتهويل بعمود السنخ^(٤) ، والإخبار عن شقلون ، وعن الهامة
[والهامة] و [وكلُّه] هَذَرٌ وعِثٌّ وخُرافةٌ ، وسُخْرِيَّةٌ وتكذُّبٌ ، لا ترى
فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مؤثراً ، ولا تدييرَ معاشٍ ، ولا سياسةً عامَّةً ،
ولا ترتيبَ خاصَّةً^(٥) . فأى كتابٍ أجهلُ ، وأى تدييرٍ أفسدُ من كتابٍ

(١) الكرايس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيرهه ليرة
فلال . والنسبة كراييسى كأنه شبه بالأنصارى .

(٢) في ط « تدبير » والوجه ما في ل .

(٣) في ل « مقارعة » .

(٤) في ط « الصبح » .

(٥) في ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصة » والعبارة مشوهة أصلتها
من ل .

يوجب على الناس الإطاعة ، والبنوع^(١) بالديانة [لا^(٢)] على جهة الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاحٌ معاشٍ ولا تصحيحٌ دينٍ؟! والناسُ لا يحبُّون إلا ديناً أو دنياً : فأما الدنيا فأقامهُ سرقها [وإحضر قمها .. وأما الذين فأقلُّ ما يُطمع في استجابة العامة] ، واستمالة الخاصة ، أن يصوّر في صورة مغلفة ، وعموّة تمويه الدينار البهرج ، والدرهم [الزائف] الذي لا يغلظ فيه الكثير ، ويعرف حقيقة القليل^(٣) . فليس إتقاهم عليها من حيث ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [أختلافاً وأكثر] فساداً ، يحتاج من التزييع والتويه^(٤) ، ومن الاحتشاد له والتفليط^(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمنا أن النصرانية أشدَّ انتشاراً من اليهودية تعبدًا ، فعلى حسب ذلك يكون تزييدهم في توكيده واحتفالهم في إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عند بعض العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدعُ بعضاً ، فقال لي : اكتب كلَّ ما تسمع ، فإنَّ مكان ما تسمع أسودَ خيرٌ من مكانه أبيض^(٦) .

(١) في ط « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيه الكلام .

(٣) في ط « وعموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذي (لا) يغلظ فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » ووجه العبارة من ل بعد أن حذفت (لا) .

(٤) في ط « إحتاج من التزييع والتويه » وتصحيحه من ل .

(٥) في ل « والتفليط » بالطاء .

(٦) كننا في س .. وفي ط « من مكان أبيض » وفي ل « فإن أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض » .

وقال الخليل بن أحمد : تكثر من العلم لتعرف ، وتقل منه لتحفظ .
وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر ..
وأشدد قول ابن يسير ^(١) :

أما لو أعي كل ما أسمع وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقل هو العالم المصقع ^(٢)
ولكن نفسي إلى كل نو ع من العلم تسمع تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع
وأحصر بالعنى فى مجلسى وعلى فى الكتب مستودع
فمن يك فى علمه هكذا يكن دهره القهرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمك للكتب لا ينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال ابن إسحاق : كلّف ابنُ يسيرِ الكتب ما ليس عليها إن
الكتب لا تحي الموتى ، ولا تحوّل الأحمق عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ،
ولكنّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول ، فالكتب تشجّد وتفتق ،
وترهف وتشفى . ومن أراد أن يعلم كل شىء ، فينبغى لأهله أن يداووه !

(١) هو محمد بن يسير الرياشى ، يقال إنه مولى لى ريش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشى
الأخبارى الأديب . وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متغزلاً ، لم يفارق البصرة ،
ولا وفد إلى خليفة ولا شريف متجماً ولا تجاوز بلده . وكان ماجناً هباء خيماً ،
وكان من بخلاء الناس .. انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ .. والشعر نسيه
الجاحظ فى المحاسن ص ٨ إلى الأصمى ولكنه هنا يؤكّد بعبقريته للشعر أنه لابن يسير
(٢) فى الأصول « خير ما قد جمعت » والصواب ما أثبتته .

فإن ذلك إنما تصوّر له بشيء اعتراه !! فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطابقة ، ولا يدع أن يمرّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدّر عليه من سائر الأصناف ، فيكون علماً بخواص ، ويكون غير غفلٍ من سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً إلاّ نسي ما هو أكثر منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدثني موسى بن يحيى قال : ما كان في خزانة كتب يحيى ، وفي بيت مدرسه^(١) كتاب إلاّ وله ثلاث نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه ، ٣١ فرأيت ينظر في دفتر وجليسه فارغ اليد ، إلاّ اعتقدت أنه أفضل منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قيل لنا يوماً : إن في دار فلان ناساً قد اجتمعوا على سوءة ، وهم جلوس على خيرة لهم^(٢) ، وعندهم طنبور . فسورنا عليهم^(٣) في جماعة من رجال الحى ، فإذا فتى جالس في وسط

(١) في ل « مدرسه » وهو تحريف سوابه في ط .. والمدارس : جمع مدرس كبير ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضوع الذي يقرأ فيه القرآن ومنه قالوا : مدراس اليهود .. فالوجه ما أثبتته عن ط .

(٢) في ط « على خيرة » وما هنا عن ل و س فإن ضبطت بضم الحاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الحاء كان المراد بها الخسيرة الصغيرة من السعف .. ولكل وجه .

(٣) في ل « قدسنا عليهم » ولعلها « قدسنا عليهم » أى حنن بعضنا بعضاً .

الدار ، وأصحابه حوله ، وإذا هم بيضُ اللَّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءَةُ فى ذلك البيت ، وإن دخلتموه عثرتم عليها ! قلت : والله لا أكشفُ فِتْيَ أصحابه شيوخ ، وفى يده دفتراً علم ، ولو كان فى ثوبه دُمٌ يحبى بن زكريّا !!

وأشدَّ رجلٌ يُونسَ النحوى :

استودعَ العلمَ قرطاساً فضيعةً فَبِئْسَ مستودعُ العلمِ القراطيسُ
قال ، فقال يونس : قَاتَلَهُ اللهُ ، ما أَشدَّ ضَرَانَتَهُ بالعلم ، وأحسنَ صِيَانَتِهِ له ، إِنَّ عِلْمَكَ مِنْ رَوْحِكَ ، وَمَالَكَ مِنْ بَدَنِكَ ، فَضَعْفُهُ مِنْكَ بِمَكَانِ الرُّوحِ ، وَضَعْفُ مَالِكَ بِمَكَانِ الْبَدَنِ !!

وقيل لابن داحية - وأخرجَ كَتَابَ أبى الشمقمق ، وإذا هو فى جلود كَوْفِيَّةٍ ، ودَفَّتَيْنِ طَائِفَتَيْنِ^(١) ، بِخَطِّ عَجِيبٍ - فقليل له : لقد أُضِيعَ مِنْ تَجَوُّدِ بَشَرٍ^(٢) أبى الشمقمق ! قال : لا جرم والله !! إِنَّ الْعِلْمَ لِيُعْطِيكُمْ عَلَى حَسَابٍ مَا تُعْطُونَهُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ أُوْدِعَهُ سُودَاءَ قَلْبِي ، أَوْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا عَلَى نَاضِرِي ، لَفَعَلْتُ .

ولقد دخلت على إسحاقَ بنِ سليمان فى إِمْرَتِهِ ، فرَأَيْتُ السَّمَايَيْنِ وَالرَّجَالَ مُتَوَلَّاءَيْنِ عَلَى رِءُوسِهِمُ الطَّيْرَ ، ورَأَيْتُ فِرْشَتَهُ وَبِرْجَتَهُ ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو فى بَيْتِ كَتَبِهِ ، وَحَوَالِيهِ الْأَسْفَاطُ وَالرُّهُوقُ ، وَالْقَطَائِرُ وَالْذَفَائِرُ وَالْمَسَاطِرُ وَالْخَابِرُ ، فَمَا رَأَيْتُهُ قَطُّ أَنْجَمَ وَلَا أَنْبَلَ ، وَلَا أَهْيَبَ

(١) فى ط « طائفتين » والصواب ما فى د نسبة إلى الطائفت .

(٢) فى د « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أُجزل منه في ذلك اليوم ؛ لأنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة ، ومع السودة الحكمة .

وقال ابن داحية : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبدِ الله بنِ عمر بنِ الخطاب ، لا يجالسُ الناسَ ، وينزلُ مقبرةً من المقابر ، وكان لا يكادُ يرى إلّا وفي يده كتابٌ يقرؤه . فُسِّلَ عن ذلك ، وعن نزوله المقبرة فقال : لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أمتنعُ ^(١) من كتاب ، ولا أسلمَ من الوحدة . فقيل له : قد جاء في الوحدة ما جاء ! فقال : ما أفسدها للجاهل [وأصلها للعاقل !]

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوط بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منقمة الخطِّ . قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَقُولُونَ ﴾ وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ ، عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولولم تكتب أعمالهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظُ نسيانًا ، ولكنَّه تعالى وعزَّ ، علم أنَّ كتابَ المحفوظِ ونسخه ، أوكدُ وأبلغُ في الإنذار والتحذير ، وأهيبُ في الصدور .

(١) كذا في ط وفي المحاسن ص ٤ «ولا آنس» فلعل صحة ما معنا «أمتنع» من الإمتناع.

وخط آخر ، وهو خط الحازي والعراف^(١) والزاجر . وكان فيهم
 حليس^(٢) الخطاط الأسدي ، ولذلك قال شاعرهم في هجئهم :
 فأتهم عساريط الحميمين إذا غزوا غناؤكم تلك الأخطيط في الثرب^(٣)
 وخطوط آخر ، تكون مستراحاً للأسير والمهموم والمفكر ، كما يعتري المفكر
 من قرع السن ، والفضبان من تصفيق اليد وتمحيض العين . وقال
 ناطق شراً :

لتقرعن على السن من ندمه إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقه
 وفي خط الحزين في الأرض يقول ذو الرمة^(٤) :

عشيّة مالي حيلة غير أنني بلفظ الحصى والخط في الدار مولى^(٥)
 أخط وأحو الخط ثم أعيدته بكفى والعربان في الدار وقع
 وذكر النابغة صنيع النساء ، وفزعهن إلى ذلك ، إذا سبين واغتربن
 وفكرن ، فقال :

(١) في ط « الحادي والعراف » وتحقيقه من ل . . والحازي : صاحب
 الكهانة في العرب . . والعراف : الكاهن أو الطبيب . . قال عروة بن حزام :
 جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف حبران هما شفيان

(٢) كذا في س ورسائل الجاحظ طبع الساسي ص ١٣٠ . . وورد في ل برسم
 « حليس » وفي ط برسم « جلس » .

(٣) المضاريط : جمع مضطرب كفتند ، ومضارب كملابط ، وعضروط كعضفور ، قال في
 القاموس : هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، والثيم .

(٤) قال الصائفي في الثمار ٢١٤ « ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر في
 أمر بأصبه ، ثم بأصبغ أخرى ويقول : ابناعيان ! أسرعا البيان !! ثم يثير بما
 يرى وهو مشتق من قولك : أرايت ما أريد عياناً . وهنا معنى قول ذي الرمة :

عشيّة مالي حيلة غير أنني بلفظ الحصى والخط في الدار مولى
 (٥) في الثمار كما كتبت « بلفظ » بالالف بدل الفاء ، وفي الأصل : « بلفظ » وإنظر
 تفسير الجاحظ الآتي .

وَيَحْطُلْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَحْبَانُ رُمَّانَ التَّدْيِ النُّوَاهِدِ
وقد يفرغ إلى ذلك الحِجْلُ والمُتَعَلِّلُ ، كما يفرغ إليه المَهْمُومُ وهو قولُ القاسمِ
ابن أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا يَنْقَرُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لَتَلْسُنِ السَّلَاتِ بِالْعِيدَانِ^(١)
بَلْ يَسْطُونَ وَجُوهَهُمْ فَتَرَى لَهَا عِنْدَ الْقَاءِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
وقال الحارث بن الكِنْدِيِّ ، وذكر رجلاً سأله حاجة فاعتراه العيبُ
بأسنانه ، فقال :

وَأَصْنُ بِكُمَّ يَحْتَكُ ضِرْسًا يُرِينَا أَنَّهُ وَجِعٌ بِضِرْسِ
وربما اعتري هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا في موضع حصى ، ولم يَكُونُوا
في موضع تراب ، وهو قولُ امرئ القيس :

ظَلَّيْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي قَاعِدًا أَعْدُ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي خَسْرَاتِي
وقال أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ :

نَهْرًا جَارِيًا وَيَتًّا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَنِ فُضْلُ نَدَاكَ
فِي تَرَاخٍ مِنَ الْكَلَامِ جَزَلٍ لَمْ تَعْلَمْهُمُ بَلَقَطِ حَصَاكَ^(٢)
وقال الآخر ، وهو يصف امرأة قُتِلَ زوجها ، فهي مجزونة تنقُطُ الحصى :
وَبِيضَاءِ مِكَسَالٍ كَأَنَّ وَشَاحَهَا عَلَى أُمِّ أَحْوَى الْمُقْلَتَيْنِ خَذُولِ^(٣)

(١) في ط « يَنْكُونُ » وهو تصحيف ، وفي س « يَنْكُونُ » ، وفي ل
وذلك عين الأخبار ٣ : ١٥٢ « لَا يَنْقَرُونَ » كما أثبت .

(٢) « تَرَاخٍ » لها « بَرَاخ » كسحاب ، وأصل معناه التسيح من الأرض .. و « تَعْلَمْهُمُ »
هي في ط « تَعْلَمُهُمُ » وليس يعني . وفي ل « تَعْلَلْ لَهُمُ » وهو
خطأ كتابي .

(٣) في ط « الْمُقْلَتَيْنِ » وهو تصحيف عجيب .. وأحوى المقلتين يعني به الطغي .
والخذول من وصف أمه ، وهي التي خذلت أصحابها فاهتردت عنهم قائمة على ولدها ، فهي
فزة ولهة على خشفها ، وهي تمد عتقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحصى

مع الضَّيْح ، أَوْ فِي جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ
يقول : لَمْ أُعْطِهَا عَقْلًا عَنْ زَوْجِهَا ، وَلَمْ أُورَثْهَا إِلَّا أَلْهَمَ الَّذِي دَعَاها إِلَى لَقَطِ
الْحصى . يَخْبِرُ أَنَّه لَمَنْعَتْه ، لَا يُوصَلُ مِنْهُ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْد .

(أقوال الشعراء في الخط)

وَمَا قَالُوا فِي الْخَطِّ ، مَا أَنْشَدَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ
قال : قَالَ الْفَنَّعُ الْكَنْدِيُّ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، مَدَحَ فِيهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ :
كَالْخَطِّ فِي كُتُبِ الْغَلَامِ أَجَادَهُ ^(١) بَعْدَهُ ، وَأَسَدٌ مِنْ أَقْلَامِهِ ^(٢)
قَلَمٌ كَخَرْطُومِ الْحَمَامَةِ مَائِلٌ مُسْتَحْفَظٌ لِلْعِلْمِ مِنْ عِلَامِهِ
يَسِمُ الْحُرُوفَ إِذَا يَشَاءُ بِنَاءِهَا لِبَيَانِهَا بِالنَّقْطِ مِنْ أُرْسَامِهِ
مِنْ صُوفَةٍ نَفَثَ الْمَدَادُ سُخَامَهُ حَتَّى تَغَيَّرَ لَوْنُهَا بِسُخَامِهِ
يَحْنَى فَيَقْصَمُ مِنْ شَعِيرَةٍ أَهْهِ ^(٣) كَقَلَامَةِ الْأُظْفُورِ مِنْ قَلَامِهِ
وَبَاقِهِ شِقٌّ تَلَاءَمَ فَاَسْتَوَى سُقَى الْمَبْدَأِ ، فَزَادَ فِي بَلَامِهِ
مُسْتَعْجِمٌ وَهُوَ الْفَصِيحُ بِكُلِّ مَا ^(٤) نَطَقَ اللِّسَانُ بِهِ عَلَى اسْتَعْجَامِهِ

(١) فِي ط « كَنْف » وَفِي ل « كَف » وَالْوَجْهَ مَا كَتَبْتَهُ مِنْ س .

(٢) فِي ط « بَعْدَهُ » وَهُوَ تَصْغِيرُ ظَاهِرٍ .

(٣) فِي ط « يَحْنَى » وَإِنَّمَا هُوَ « يَحْنَى » بِالْهَاءِ كَمَا فِي ل ، أَيْ يَرِقُ سَنَهُ ، فَيَنْتَشِرُ
فِي الْكِتَابَةِ . وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ حَفَا الْقَدَمِ وَالْحَفَ وَالْخَفَرِ .

(٤) فِي ط « مُسْتَعْجِمٌ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل لِأَنَّهُ الْوَجْهَ . . وَاسْتَعْجِمَ : سَكَتَ ،
وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

فَاسْتَعْجِمْتَ دَارَ نَمٍ مَا تَكَلَّمْنَا وَالِدَارَ لَوْ كَلَّمْنَا ذَاتَ أَخْبَارِ

ولا تراجئةُ بالسنة لهم تبيان مايتلون من ترجمه
ماخط من شيء به كتابه ماإن يبرح به على استكثامه
وهجاؤه قاف ولام بعدها ميم معلقة بأسفل لايه
ثم قال :

قالت لجارتها النزيلُ إذ رأت وجهَ المقنع من وراء لثامه
قد كان أبيضَ فاعتراه أدمه فالعينُ تُنكره من أذهامه
كم من يُوزِلُ عامها مهريّة سُرحِ اليدين ومن يُوزِلُ عامه
وهبَ الوليدُ برخلها وزمامها^(١) وكذلك ذاك برخله ، وزمامه
وقويزج عتد أعدّ لنيّة لبنُ الفُوحِ فعاد ملء حزامه^(٢)
وهبَ الوليد بسرّجها ولجامها وكذلك ذاك بسرّجها ، ولجامه
أهدى المقنع للوليد قصيدة كالسيفِ أُرهِفَ حذّه بحسامه
وله المآثرُ في قریش كلها وله الخلافةُ بعد موت هشامه
وقال الحسن بن جماعة الجذامي^(٣) في الخط :

(١) في ط « وزماعمها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) التي بالكسر : الشحم . القورج : مصغر فارح ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل
من الإيل . المتدحرجة وكسفت : المد للجرى أو الشديد ، التام الخلق . الفوح :
الثاقبة قد لفتت .. وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإيل ... قال الأعرج
العمي (المجاسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما ترال تفجع تلوم وما أدري علام توجع
تلوم على أن أمنج الورد لفحة وماتتوى والورد ساعة تفزع
إذا هي قامت حاسرا مشمعة نخب الفؤاد رأسها مايقنع
وقت إليه باللاجام ميسرا هنالك يميزني بما كنت أصنع
وقال قبيصة بن النصراني الجرمي (المجاسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرتي يا بنت آل سعد أأن حليت لفحة للورد
جهلت من عنائه المتد ونظري في عطفه الألد
(٣) كذا في ل و س .. وقد ورد بالحاء في ط .

إِلَيْكَ بِسْرَى بَاتَ يُرْقِلُ عَالِمٌ

أَصْمُ الصَّدَى مُحَرَّرِفُ السَّنِّ طَاعِمٌ^(١)
بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَالَهُ لِسَانٌ وَلَا أُذُنٌ بِهَا هُوَ سَامِعٌ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ بِسْرِهِ لَدَيْهِ ، إِذَا مَا حُجِّجَتْهُ الْأَصَابِعُ
لَهُ رِيْقَةٌ مِنْ غَيْرِ فَرْثٍ تَمُدُّهُ وَلَا مِنْ ضُلُوعٍ صَفَّقَتْهَا الْأَضَالِجُ^(٢)
وَقَالَ الطَّائِيُّ ، يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :

وَمَا بَرَحْتَ صُورًا إِلَيْكَ نَوَازِعًا أَعْتَبْتُهَا مُذَرًّا سَلَتَكَ الرِّسَالُ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى أَلَنَى بِشِبَاهِهِ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكَلَى وَالْفَاصِلُ^(٣)
لَكَ الْخُلُوعَاتُ الْإِلَاءُ لَوْلَا نَجِيْهَا لَمَّا احْتَفَلْتَ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَافِلُ^(٤)
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لِعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَهْمَهَا بَاتَارِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهَوْرًا كَبُ وَأَعْجِمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا امْتَطَى الْحَسَنُ اللَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ الْقَنَانِ وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ
إِذَا اسْتَغْفَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ^(٥)

(١) في ط «إليك سرى» وتصحيحه من س . الصدى : جسد الآدى

بعد موته . فهو بذلك يعنى أن القلم عجيب في وعيه للسر مع صممه ، والصدى كذلك :

رجع الصوت ، فكأن القلم ينطق في القِرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) في ل و س «ضمنتها» . وفي البيت تحريف كما ترى .

(٣) في ط «بشائه» موضع بشائه ، وهو تحريف صوابه في ل والديوان .

(٤) في ط «لولا نجيها لما اختلفت» وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) في ط «إذا استغفر الذهن الجلى» وأثبت ما في ل .

وقدرفته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنايل^(١)
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف ضنى وسميناً خطبه وهو ناعل^(٢)
 أرى ابن أبي مروان أماً لقاؤه فدان وأماً الحكم فيه فاعل
 وقد ذكر البحتري في كلمة له ، بعض كهول العسكر^(٣) ، ومن أنبل
 أبناء كتابهم^(٤) الحيلة فقال :
 وإذا دجت أعلامه ثم انتحت برقت مصابيح ألجى في كتبه

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب خفراً في الصخور ، وقشاً في الحجارة ، وخفّة
 مركبة في البنيان ؛ فربما كان الكتاب هو الناقى ، وربما كان
 الكتاب هو الخفر ، إذا كان تاريخاً لأمر جسم ، أو عهداً لأمر عظيم ،
 أو موعظة يُرتجى شفعها ، أو إحياء شريف يريدون تخليد ذكره ،
 [أو تطويل مدته] كما كتبوا على قبة عُمدان^(٥) ، وعلى باب القيروان^(٦) ،

(١) في ط « وقد رمزته الخنصران وسددت » وهو تحريف ما أتبته من ل
 والديوان .

(٢) في ط « قنى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعري لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة
 إلى الحسن بن وهب ، في مدح التليذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرا منها عبيد الله بن حسان ،
 في كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكمل ١ : ٩٧ . والبيت المذكور
 من قصيدة في ديوان البحتري ٦٧ مطلقها :

من سائل لعذل عن خطبه أو صافح لمصر عن ذنبه

(٤) في ط « أنبل أبناء كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) عُمدان : قصرين من بناء وطيوه ، واختلف في اسم بانيه ، وله صفة عجيبة في معجم البلدان .

(٦) هي المدينة المروقة في أفريقية ، مصرت في الإسلام في أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَنْد^(١) ، وعلى عمود مَأْرَب^(٢) ، وعلى رُكْنِ الْمَشْقَر^(٣) ، وعلى الأَبْلَقِ الْقَرْد^(٤) ، وعلى باب الرها^(٥) ؛ يعمدون إلى الأماكن المشهورة ، وللواضع المذكورة ، فيضمون الخطأ في أبعد المواضع من الدُّنُور ، وأمتعها من الدُّروس ، وأجدر أن يراها من مرَّ بها ، ولا تنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابه وتسجيل المعاهدات والمخالفات)

وأقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوك ، وكلُّ إقطاع ، وكلُّ إقاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهد وعقد ، وكلُّ جوارٍ وحلف ، ولتعتظم ذلك ، والتمتع به والاستناد إليه ، كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والمهنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعداً من التسيان ، ولذلك قال الخارث بن حنَّظلة ، في شأن بكرٍ وتغلب^(٦) :
واذكروا حلف ذي المجاز وما قدَّم فيه ، العهود والكفلاء

(١) بلدة عظيمة في التركستان ، والأصمعي يروي أنه كتب على بابها بالخيرية ، انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) للمشقر : حصن كان بالبحرين ... وفي ط « الركن للمشقر » وأصلحه من ل والمحسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السموءل بن عدياء اليهودي ، مشرف على تيهاء ، بين الحجاز والشام ، على راية من تراب ، فيه آثار أرابية من لبن ، لا تدل على ما عي عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البتان من معلقة الخارث المشهورة ، التي مطلعها :

أذنتنا بينها أسماء رب ثاو عمل منه الثواء

وقد رواها الجاحظ في البيان ٣ : ٣ وقال في البيت الثاني : « الحون : الحياة .

ويروي : الجور » .

حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعَدَّى ، وَهَلْ يَنْقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ !
والمهاريق ، ليس يراد بها الضُّعْفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مهاريق حتى
تكون كتب دين ، أو كتب عهد ، وميثاق ، وأمان . .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرقوم والخطوط فرق ، ولولا الرقوم لهلك أصحاب البر
والقزول ، وأصحاب الساج وعامة المتاجر ، وليس بين الوسوم^(١) التي تكون
على الحافر كله والخف كله والظلف كله ، وبين الرقوم فرق ، ولا بين
العقود والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلها فرق ، وكلها خطوط ،
وكلها كتاب ، أوفى معنى الخط والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعة
والمصورة من الصوت المقطع في الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصورة
من السواد في القرطاس فرق .

٣٦ واللسان : يصنع في جوية^(٢) القمر وفي خارجه ، وفي لهاته وباطن
أسنانه ، مثل ما يصنع القلم في المداد واللينة والهواء والقرطاس ، وكلها
صور وعلامات وخلق موائل ، ودلالات ، فيعرف منها ما كان في تلك
الصور لكثرة ترادها على الأسماع^(٣) ، ويعرف منها ما كان مصوراً
من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار ، كما استدثوا بالضحك على
السرور ، وبالبكاء على الألم ، وعلى مثل ذلك عرفوا معاني الصوت ،
وضروب صور الإشارات ، وصور جميع الهيئات ، وكما عرف المجنون

(١) في الأصل « الرسوم » بالراء ، وإنما هي « الوسوم » جمع وسم .

(٢) لعلها « حوية » كقنية قال في القاموس : استدارة كل شيء .

(٣) كذا في ل . ووردت محرفة في ط برسم « الأسماء » .

لقبه ، والكلبُ اسمه . وعلى مثل ذلك فهم الصبيُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهذُّد^(١) ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابة مع رفع الصوت ، حتَّى إذا رأى سائسه حمحم ، وإذا رأى الحمامُ القيمَّ عليه انخطَّ للقط الحبِّ ، قبل أن يُلقيَ له مايلقطه ، ولولا الوسومُ^(٢) ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموال الخللُ الكثير ، وعلى خزائن الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس في الأرض أمةٌ بها طِرقٌ^(٣) أو لها مُسكَّة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسط ، إلَّا ولهم خطٌّ . فأما أصحاب الملك والمملكة ، والسلطان والحياة ، والدِّيانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقن ، والحسابُ الحكيم ، ولا يخرج الخطُّ من الجزم والسند المنعم كذا كيف كان ، قال [ذلك] الهيثمُ [بن عدى] وأبْن الكلبِي .

(تخليد الأمم لماثرها)

[قال] فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استيفاء ماثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكلٍ من الأشكال .

(١) في ل « وودع الخنوق الوعيد والتهدد » وفي ط « وودع المجنون الوعيد والتهدد » أما كلمة « الخنوق » فواضحة التحريف وكذلك « وودع » . وكتبت « وعى » موضع « وودع » لتتناسب مع « فهم » في الفقرة الباقية .
(٢) في الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .
(٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .

تخليد العرب لمآثرها

وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام الملقى ، وكان ذلك هو ديوانها ، وعلى أن الشعر يُفيد فضيلة البيان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة المأثرة ، على السيد المرغوب إليه ، والممدوح به . وذهبت العجم ، على أن تقيّد مآثرها بالبُنيان ، فبنوا مثل كرد بيداد^(١) ، وبنى أزدشير بيضاء إصطخر ، وبيضاء اللدائن ، والحضر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثم إن العرب أحبّت أن تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشعر ، فبنوا عُمدان ، وكعبة نجران^(٢) ، وقصر مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب^(٣) والأبلى الفرد و[فيه وفي]^(٤) مارد ، قالوا « تمرّد ماردٌ وعزّ الأبلق » وغير ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريف البُنيان ، كما لا تبيح شريف الأسماء ، إلّا لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمامات والقِيَاب الخضر ، والشرف على حيطان الدار ، وكالتقد على الدّهليز وما أشبه ذلك ، فقال بعض من

(١) كذا في ط .. مكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : يعة بناها بنو عبد المنان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاةً للكعبة ، وكان فيها أساقفة ممتعون ، وم الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباحلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزبّاء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد « حصن بدومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزبّاء ، وقد غزّهما ، فامتتا عليها : تمرّد مارد وعزّ الأبلق .. فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتِبُ الحِكْمَةِ وَمَا دَوَّنت العلماء من صنوف البلاغات والصناعات ، والآداب والأرفاق ^(١) ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بَقِيَّة ، أتى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثر رَدًّا ؛ لأنَّ الحِكْمَةَ أضعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحدثنة ، لمن أحبَّ الذكر الجليل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولى من بُنيان الحِجَارَةِ وَحِيطَانِ الدَّرِّ ، لأنَّ من شأن الملوك أنْ يطمسوا على آثارٍ مِّن قَبْلِهِمْ ، وأن يُمَيِّتُوا ذَكَرَ أَعْدَائِهِمْ ، فقد هَدَمُوا بذلك السَّبَبِ [أَكْثَرَ] المَدَنِ وَأَكْثَرَ الحِصُونِ ، كذلك كانوا أَيَّامَ العَجَمِ وَأَيَّامَ الجَاهِلِيَّةِ ، وعلى ذلك همُ في أَيَّامِ الإسلامِ ؛ كما هدم عُثْمَانُ صُومَةَ عُثْدَانَ ، وكما هدمَ الآطَامُ ^(٢) التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادٌ كُلَّ قَصْرِ وَمَصْنَعٍ كَانَ لابنِ عامرٍ ^(٣) ، وكما هدم أصحابنا بناءَ مَدَنِ الثَّامَاتِ لِبَنِي مروان .

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر وهو ما يستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمة ويضمين وهو القصر ، أو الحصن المبنى بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن ربيعة ، أمير فاح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عثمان ، وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق ، وكان شجاعا ، سخيا ، وصولا . لهزمه ، رجلا محبا للعران : وتوفي سنة ٥٩ هـ . ولما بلغ نبأ وفاة معاوية قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن شاور ونبأني ؟!

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوَّلُ من نهَجَ سبيله ، وسَهَّلَ الطريقَ إليه ، امرؤُ القيس بنُ حُجر ، ومُهَلَّل بنُ ربيعة . وكَتَبُ أرسطاطاليس ، ومعلِّه أفلاطون ، ثم بَطْلِمُوس ، وديمقراطس^(١) ، وفلان وفلان ، قبلَ بدءِ الشعرِ بالدُّهورِ قبلَ الذُّهورِ^(٢) ، والأحباب قبلَ الأحباب . ويدلُّ على حداثةِ الشعر ، قولُ امرئِ القيسِ بنِ حُجر :

إِنَّ بَنِي عَوْفٍ ابْتَنَوْا حَسَنًا ضَيْعَةَ الشُّخْلُونِ إِذْ غَدَرُوا^(٣)
أَدَّوْا إِلَى جَارِمِ خِفَارَتِهِ وَلَمْ يَصْغُ بِالْمَغِيبِ مَنْ نَصَرُوا^(٤)
لَا حِمَيْرِيٌّ وَفَى وَلَا عُدْسٌ وَلَا اسْتَعِيرَ بِحِكْمِهَا الثَّنَرُ^(٥)
لَكِنْ عَوْرٌ وَفَى بِذِمَّتِهِ لَا قِصْرَ عَابَةٍ وَلَا عَوْرَ^(٦)
فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرَّارَةٍ ! وكم كان بين موتِ زُرَّارَةٍ ومولدهِ النبي عليه الصلاة والسلام ! ؟ فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له - إلى أن جاء اللهُ بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بقايا الاستظهار فثابتى عام . قال : وفضيلةُ الشعرِ مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلمَّ بلسان

(١) في ط « ذى قراط » : وما أثبتته في ن .. وانظر الففطى (حرف الدال المهملة ثم حرف النال المعجمة) .

(٢) في الأصل « وقيل الدهور » .

(٣) جاءت (حسناً) بالنون في الأصل ويظهر أنه تصحيح ما في الديوان ١٥٩ . والمراد به المعروف والجليل . والسخل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه عليه

(٤) الحفارة : الذمة والمهد ، والحاء مثناة .

(٥) حميرى وعدس : رجلا من بني حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عور قد أجازها بنت حنبر أخت امرئ القيس ، فوفى لها حتى آتى بها نجران ، فهدمه بوفاء الذمة ، ونزعه من كل عيب يشين غيره .

العرب ، والشعر لا يُستطاع أن يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ونفى حوّل
تقطع نظمه وبطلَ وزنه ، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب ، [لا]
كالكلام المشور . والكلام المشور للبتداء على ذلك أحسن وأوقع من
المشور [الذي تحوّل من] موزون الشعر .

٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم في الدين ، والحكم في
الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المآثر وبوّب لهم أبواب القطن ،
وعرفهم وجوه المرافق ؛ حديثهم كحديثهم ، وأسودهم كأحمرهم ، وسيدهم
كفريهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملة لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربي)

وقد نُقلت كتب الهند ، وترجمت حكم اليونانية ، وحوّلت آداب
الفرس ؛ فبعضها ازداد حسنا ، وبعضها ما انتقص شيئا ، ولو حوّلت حكمة
العرب ، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن ؛ مع أنهم لو حوّلوا لم يجدوا في
معانيها شيئا ، لم تذكره العجم في كتبهم ، التي وضعت لمعاشهم وفطنهم
وحكمتهم . وقد نُقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة ، ومن قرن إلى
قرن ، ومن لسان إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنا آخر من ورثها
ونظر فيها ، فقد صحَّ أن الكتب أبلغ في تقييد المآثر ، من البُنيان والشعر .

(قيمة الترجمة)

[ثم قال بعض من ينصر الشعر ويحوطه ويحتج له : إنَّ التَّرجَمَان
لا يؤدّي أبداً ما قال الحكم ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبيه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفیات حدوده ، ولا يقدر أن يوفّيها حقّها ،
ويؤدّي الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم الوكيلَ ويجبُ على المجرى^(١) ،
وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها ، والإخبار عنها على حقّها وصدقها ،
إلا أن يكون في العلم بيمانها ، واستعمال تصاريف ألفاظها ، وتأويلات
مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه . فتى كان رحمه الله تعالى
أبنُ البطريق ، وأبنُ ناعمة ، وأبو قرّة ، وأبنُ فهر ، وأبنُ وهبلى ، وأبنُ
اللقّع ، مثل أرسطاطاليس ؟ ومتى كان خالد^(٢) مثل أفلاطون ؟ ! .

(شرائط الترجمان)

ولا بدّ للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه
في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ،
حتى يكون فيهما سواء غاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين ، علمنا
أنّه قد أدخل الضمّ عليهما ؛ لأنّ كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ،
وتأخذ منها ، وتعرض عليها ، وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين
فيه ، كتمكّنه إذا اقرء بالواحدة ، وإتّما له قوّة واحدة ، فإن تكلم
بلغة واحدة استغرقت تلك القوّة عليهما ، وكذلك إن تكلم بأكثر من
لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات ، وكلما كان الباب

(١) في الأصل « المجرى » وإعما هو « المجرى » وهو في معنى الوكيل ، كما في القاموس
(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ولي الخلافة ثلاثة أشهر .. وقد قام بأول
نقل في الإسلام ، قال الجاحظ في البيان ١ : ٢١٣ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية
خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأي كثير الأرب ، وكان أول من ترجم
كتب النجوم والطب والكيمياء » توفي خالد سنة ٨٥ هـ .

من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل ، كان أشدَّ على المترجم ، وأجدر أن يخطئ فيه ، ولن تجد ألبتة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء . ٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولنا في كتب الهندسة والتنجيم ، والحساب ، واللحن ؛ فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله عز وجل - بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه ، حتى يريد أن يتكلم على تصحيح المعاني في الطباع ، ويكون ذلك مقبوحاً بالتوحيد ، ويتكلم في وجوه الإخبار واحتمالاته للوجوه ، ويكون ذلك متضمناً بما يجوز على الله تعالى ، مما لا يجوز ، وبما يجوز على الناس مما لا يجوز ، وحتى يعلم مستقر العام والخاص ، والقبالات التي تلقي الأخبار العامية المخرج فيحصلها خاصية ؛ وحتى يعرف من الخبر ما يخصه الخبر الذي هو أثر ، مما يخصه الخبر الذي هو قرآن ، وما يخصه العقل مما يخصه العادة أو الحال الرائدة له عن العموم ؛ وحتى يعرف ما يكون من الخبر صدقاً أو كذباً ، وما لا يجوز أن يسمى بصدق ولا كذب ؛ وحتى يعرف اسم الصدق والكذب ، وعلى كم معنى يشتمل ويجمع ، وعند قد أي معنى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة الحال من الصحيح ، وأي شيء تأويل الحال ؛ وهل يسمى الحال كذباً أم لا يجوز ذلك ، وأي القولين أخش : الحال أم الكذب ، وفي أي موضع يكون الحال أظن^(١) ، والكذب أشنع ؛ وحتى يعرف المثل والبديع ، والوحي والكتابة ، وفضل ما بين الخطأ والمذر ، والمقصود والبسوط والاختصار ؛ وحتى يعرف أبنية الكلام ، وعادات القوم ، وأسباب قهائمهم ، والذي ذكرنا

(١) في الأصل « أظن » .

قليلٌ من كثير . ومتي لم يعرف ذلك المترجمُ خطأً في تأويل كلام الدين ، والخطأ في الدين أضرُّ من الخطأ في الرياضة والصناعة ، والفلسفة والكِشْيَاء ، وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجمُ أَلَدَى قد تَرَجَمَ لا يَكُلُ لذلك ، أخطأ على قدر نقصانه من الكمال . وما عَلِمَ المترجمُ بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما عَلِمَهُ بالأخبار النجومية ؟ وما عَلِمَهُ بالحدود الخفية ؟ وما عَلِمَهُ بإصلاح سقطات الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما عَلِمَهُ ببعض الخطرفة لبعض المقدمات ؟ وقد علمنا أنَّ المقدمات لابدَّ أن تكون اضطرارية ، ولابدَّ أن تكون مرتبة ، وكالخط الممدود^(١) وأبْنُ البَريق وأبْنُ قرّة^(٢) لا يفهمان هذا موصوفاً منزلاً ، ومرتباً مفصلاً ، من معلّم رفيق ، ومن حاذقٍ طَبَّ ؛ ٤٠ فكيف يكتب قد تداولته اللغاتُ وأختلافُ الأقلام ، وأجناسُ خطوطِ الليل والأُم ؟!

ولو كان الحاذقُ بلسان اليونانيين يرمى إلى الحاذق بلسان العربية ، ثم كان العربيُّ مقصراً عن مقدار بلاغة اليوناني ، لم يجد المعنى . والناقل القصير ، ولم يجد اليونانيُّ أَلَدَى لم يرضَ بمقدار بلاغته في لسان العربية بُدْأً من الاعتقار والتجاوز ، ثم يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ؛ وذلك أنَّ نسخته لا يعمدها الخطأ ، ثم ينسخُ له من تلك النسخة

(١) في ط « كالخط للدور » وقد كتبت ببله ما في ن .

(٢) في الأصل « وأبو قرّة » وهو تحريف ، وإنما هو ابن قرّة واسمه ثابت : طبيب حاسب فيلسوف ، قالوا : صنف نحو ١٥٠ كتاباً . سرد معظمها الفطى ، في كتابه ٨١ —

مَنْ يَزِيدُهُ مِنَ الْخَطَا الَّذِي يَجِدُهُ فِي النُّسخة ، ثُمَّ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَمَارِضُ
بِذَلِكَ مَنْ يَتْرَكَ ذَلِكَ الْقَدَارَ مِنَ الْخَطَا عَلَى حَالِهِ ، إِذَا كَانَ لَيْسَ مِنْ طَاعَتِهِ
إِصْلَاحُ السَّقَطِ الَّذِي لَا يَجِدُهُ فِي نُسَخَتِهِ .

(مشقة تصحيح الكتب)

وَلَرَبَّمَا أَرَادَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ أَنْ يَصْلِحَ تَصْحِيفًا ، أَوْ كَلِمَةً سَاقِطَةً ،
فَيَكُونُ إِنْشَاءً عَشْرِ وَرَقَاتٍ^(١) مِنْ حَرْفٍ أَلْفُظٍ وَشَرِيفٍ الْمَعْنَى ، أَيْسَرَ عَلَيْهِ
مِنْ إِتِمَامِ ذَلِكَ النِّقْصِ ، حَتَّى يَرُدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ اتِّصَالِ الْكَلَامِ ؛
فَكَيْفَ يُطَبِّقُ ذَلِكَ الْمَارِضُ الْمُسْتَأَجِرُ ، وَالْحَكِيمُ نَفْسُهُ قَدْ أَعْجَزَهُ هَذَا
الْبَابُ ! وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِأَمْرَيْنِ ، قَدْ أَصْلَحَ الْقَاسِدُ وَزَادَ الصَّالِحُ
صَلَاحًا ، ثُمَّ يَصِيرُ هَذَا الْكِتَابُ بَعْدَ ذَلِكَ نُسْخَةً لِلْإِنْسَانِ آخَرٍ ، فَيَسِيرُ فِيهِ
الْوَرَقُ الثَّانِي سِيرَةَ الْوَرَقِ الْأَوَّلِ ؛ وَلَا يَزَالُ الْكِتَابُ تَتَدَاوَلُهُ الْأَيْدِي
الْجَانِيَّةُ ، وَالْأَعْرَاضُ الْمُسَدَّةُ^(٢) ، حَتَّى يَصِيرَ غَلَطًا صِرْفًا ، وَكَذِبًا مَصْمُومًا ،
فَمَا ظَنُّكُمْ بِكِتَابٍ تَتَعَاقَبُهُ التَّرْجُومُونَ بِالْإِفْسَادِ ، وَتَتَعَاوَرُهُ الْخَطَايَا بِشَرٍّ مِنْ
ذَلِكَ أَوْ بَمِثْلِهِ ، كِتَابٍ مُتَقَادِمٍ الْمِيلَادِ ، دُهِرِي الصَّنْعَةِ !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قَالُوا : فَكَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْكُتُبُ أُنْفَعَ لِأَهْلِهَا مِنَ الشُّعْرِ الْمُنْفَى ؟

(١) فِي ط « أَنْشَأَ عَشْرَ وَرَقَاتٍ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل .

(٢) « الْأَعْرَاضُ الْمُسَدَّةُ » وَتَوْجِيهِهِ مِنْ ل . .

قال الآخر: إذا كان الأمرُ على ماقلتم، والشأنُ على ماثرّتم، أليس معلوماً أنَّ شيئاً هذه بَمَيَّتُهُ وفضلته وسُوْرُهُ وصُبَّابته، وهذا مظهرُ حاله على شِدَّةِ الضيم، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداولِ النقص، حُرَى بالتعظيم، وحقيقٌ بالترفضيلِ على البنيان^(١)، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حوّلَ تهاقّتَ، وقَعُهُ مقصورٌ على أهله، وهو يُعدُّ من الأدبِ المقصور، وليس بالبسوط؛ ومن المنافع الاصطلاحية وليست بحقيقة بيّنة^(٢)، وكلُّ شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات، فهي موجودات^(٣) في هذه الكتبِ دونَ الأشعار، وهاهنا كتبٌ هي بيننا وبينكم، مثل كتاب اقليدس، ومثل كتاب جالينوس، ومثل المجسطي^(٤)، ممَّا تولّاه الحِجَاج، وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصي فيها بلاغٌ للناس، وإن كانت مختلفة ومتنوعة ٤١ مظلومة ومفسرة، فالباقي كافٍ شافٍ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلطِ الطبائع الكاملة.

فأما فضيلة الشعر فعلى ماحكينا، ومنتهى تفعه إلى حيث انتهى بنا القول^(٥).

(١) في ط «على البيان» وإعما هو «البنيان» كما يفهم من سياق الكلام وكأ في ل.

(٢) في ط «وليس بحقيقته بيّنة» وصوابه في ل.

(٣) في ط «فهي جودات» وأصلحت تشويه العبارة من ل.

(٤) في ط «المجسطي» بالثين وإعما هو «المجسطي» كتاب بطليموس وقد قام بترجمته كثير من النقلة قالوا: وصحح المأمون كثيراً من حساب وأقيسته المحيط الأرض والدرجة الأرضية، فكان أرساد علمائه أول أرساد في الإسلام، وسموا بمجموع أرسادم «الرصد المأموني».

(٥) في ط «بناء القول» وصحّته في ل.

وحسبك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطب ، والمنطق ،
والهندسة ، ومعرفة اللّحون ، والفلاحة ، والتجارة ، وأبواب الأصباغ ،
والعطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التي في
الحكّامات وفي الأصطرلابات ، والقرسطونات ^(١) وآلات معرفة الساعات ،
وصناعة الزجاج والفسيفساء ^(٢) ، والأسرنج ^(٣) والزنجفور ^(٤) واللازورد ^(٥)
والأشربة ، والأنبجّات ^(٦) ، والآبارجات ^(٧) ولكم اللينا ، والتشادر

(١) هنا اللفظ وجدته في رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (هامش
الكامل ١: ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات .. الخ
ووجدته في كتاب التريخ والتدوير له أيضا ص ٨١٠ طبع الساسي قال : « وخبرني
عن القرسطون كيف أخرج أحد رأسه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم خمس ووزن
جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أم خمس » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهي الميزان
ومن وصفه في العبارة الثانية أنه ضرب من الموازين ، وهو الذي يسميه العامة عندنا
في مصر (القبان) .

(٢) انفساء : ألوان من الحرز تركب في حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١: ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار
حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة في القاموس وفي مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء في الأول :
صبغ معروف .. وجاء في الثاني : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان في
قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا .. قال الخوارزمي : والوزن أن تأخذ واحدا
من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمي ١: ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقة يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبيجات جمع أنبيج قال الخليل : حمل شجرة الهند ، يربب بالسل على خلفة الخوخ ،
عمره الرأس ، فيجوفه نواة كنوا الخوخ ، قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١: ١٠٤ : فمن
هاتسني الانبيجات ، وهي التي ربيت بالسل من الأرجج والاهليلج ، ونحو ذلك . اه
وهي في ط « الأنبيجات » بالهاء وهو تصحيف .

(٧) في الأصل « الانفشارجات » وإنما هي « الآبارجات » قال في القاموس : والآبارجة
بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أبارج معرب لإياه ، وتفسيره الدواء
الإلهي . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ١: ١٠٤ س :

والشَّبه^(١) وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ مامال منها إلى التقويم ، ولهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَا سَتَج^(٢) ، وتعليق الخيش ، واتِّخَاذِ الجَمَازَاتِ^(٣) ، وعمل الحَرَافَاتِ^(٤) ، واستخراج شراب الداذي^(٥) وعمل الدبابات^(٦) .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجاجُ أوَّلَ مَنْ أَجْرَى فِي الْبَحْرِ السَّفْنَ الْمُتَيَّرَةَ لِلسَّعْرَةِ غَيْرَ الْحَرَّزَةِ ، وَلِلدَّهُونَةِ وَالْمُسَطَّحَةِ ، وَغَيْرِ ذَوَاتِ الْجَوْجُو ؛ وَكَانَ أوَّلَ مَنْ عَمِلَ الْحَامِلَ ، وَلِذَا قَالَ بَعْضُ رَجَّازِ الْأَكْرِيَاءِ^(٧) .

أَوَّلَ خَلَقٍ عَمِلَ الْحَامِلَا أَخْرَاهُ رَبِّي عَاجِلًا وَأَجَلَا
وقال آخر :

شَيْبَ أَصْدَارُغِي فَهَنْ بِيضُ مَحَامِلُ لِقِدَّهَا نَقِيضُ^(٨)
وقال آخر :

-
- (١) في ط « الشب » وتصحيحه من ل . . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر هذا قول الفيروزي . وانظر التفسير الآتي .
(٢) في ط « النستاج » وهو تحريف ما في ل قال في القاموس « والنشا وقد عيد : النستاج معرب حذف شطره » والنشا معروف .
(٣) سيفسرها الملاحظ قريبا .
(٤) الحرافات : سفن فيها مراى نيران ، يرى بها العدو .
(٥) قال الفيروزي ، الداذي : شراب للفساق .
(٦) في ل « الزرياب » وهو الذهب أو ماؤه ، معرب . وأما الدبابات فجمع دبابه ، قالوا إنها آله تتخذ للحرب ، فتدفع في أصل الحصن فيقبونه وهم في جوفها .
(٧) مثل هذا الكلام في البيان ٢ : ٢١٥ والبيت فيه .
(٨) البيت في البيان ٢ : ٢١٥ .

شَبَّ أصدائِي فهن يَبْضُ حَمَلٌ فيها رجال قَبْض

لو يتكون سبباً لم يفرضوا

وقال القوم : لولا ما عرفوكم من أبواب الحُلُمَاتِ^(١) لم تعرفوا صنعة الشَّبه ،
ولولا غَضَارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغُضَار ، على أَنَّ أَلَدَى
عَلِمْتُ^(٢) ظاهرٌ فيه التوليد منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينِي ، وعلى أَنَّ
الشَّبه لم نستخرجوه ، وإِنَّمَا ذلك من الأمور التي وقعت اتفاقاً ، لسقوط
الناطق^(٣) من يد الأجير في الضَّرُّ الذَّائِب ، فَخِفَتِ إفساده ، فَلَمَّا رأيتُ
ما أعطاه من اللون عَمِلْتُ^(٤) في الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ
ما تَهَيَّأَ لكم ، ولستم تخرُجون في ذلك من أحدٍ أمرين : إِمَّا أَنْ تكونوا
استمستم الاشتقاق من علم ما أورثوكم ، وإِمَّا أَنْ يكون ذلك تَهَيَّأَ لكم
من طريق الاتفاق !!

(الجملازات)

وقد علمتُ أَنَّ أَوَّلَ شَأْنِ الجَمَازَاتِ ، أَنَّ أُمَّ جعفر أمرت الرِّحَالِينَ
أَنْ يَرِيدُوا في سِيرِ النَجِيبَةِ^(٥) التي كانت عليها ، وخافت فوتَ الرشيد ، ٤٢
فَلَمَّا حُرِّكَتْ مَشَتْ ضَرْوبًا من اللشى ، وصنوفًا من السير^(٦) ، فجمَرت في

(١) في القاموس الحُلُمَات : في اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدرامم من النش .

(٢) في ط « علمت » وهو تحريف .

(٣) الناطق هنا : الذهب .

(٤) في ط « علمت » .

(٥) في ل « البختية » .

(٦) في ل « وضروبا من المرفوع » .

خلال ذلك ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتقيم الأمور ، فوجدت
لذلك الجزيرة راحةً ، ومع الراحة لذّةً ، فأمرتهم أن يسيروا بها في تلك السيرة ،
فما زالوا يقرّيون ويبعدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهي في كل ذلك
تصوّرهم وتخطّطهم ، على قدر ما عرفت حتى شدوا من معرفة ذلك ماشدوا ،
ثمّ إنها فرغتهم لإتمام ذلك حتى تمّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميع
أمركم ، من أن يكون اتفاقاً ، أو اتباعاً أثر .

(الترغيب في اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القول إلى الترغيب في اصطناع الكتاب ، والاحتجاج
على مَنْ زَرَى^(١) على واضع الكتب ، فأقول : إن من شكر النعمة
في معرفة مغاوى الناس ومراشدهم ، ومضارهم ومنافعهم ، أن يُحتَمَلَ ثَقُلُ
موتهم في قلوبهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادهم وإن جهلوا فضل ما يُسَلِّدُ
إليهم ؛ فإن يُصَانَ العلمُ بمثل بذله ، ولن تُسَبِّقِ النعمة فيه بمثل نشره .
على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاميذهم ؛ إذ كان مع التلاقي
يشدُّ التصنع ، ويكثر التظالم ، وتقرط العصبية ، وتقوى الحمية ؛ وعند
المواجهة والمقابلة ، يشدُّ حبُّ الغلبة ، وشهوة المباهاة والرياسة ، مع
الاستحياء من الرجوع ، والأثرة من الخضوع ؛ وعن جميع ذلك تحدث
الضغائن ، ويظهرُ التباين ، وإذا كانت القلوب على هذه الصّفة وعلى هذه

(١) أثبت ما في ل وهي في ط « ذرى » مصحفة .. وزرى عليه كأزرى : عابه ،
والأب أ كثر .

الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب عِلَّةٌ تَمْنَعُ من دَرْكِ البُغْيَةِ ، وإصابة الحِجَّةِ ؛ لِأَنَّ التَّوَحُّدَ يَدْرُسُهَا^(١) ، وللنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ولا يغالب عقله ، وقد عَدِمَ مَنْ لَهُ يُبَاهَى وَمِنْ أَجْلِهِ يَغَالِبُ .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يُفْضَلُ صاحبه ، ويتقدَّمُ مؤلِّفه ، ويرجَّحُ قَلَمُهُ على لسانِهِ بأُمُور : منها أَنَّ الكتابَ يُقْرَأُ بكلِّ مكانٍ ، ويظهرُ مافيه على كلِّ لسانٍ ، ويُوجَدُ مع كلِّ زمانٍ ، على تفاوتٍ ما بينَ الأَعْصَارِ ، وتباغِدٍ ما بينَ الأُمُصَارِ ؛ وذلك أمرٌ يستحيلُ في واضع الكتاب ، والمنازَعِ^(٢) في المسألة والجواب ، ومناقلةُ اللسانِ وهدايته لا تَمُوزَانُ^(٣) مجلسَ صاحبه ، ومبلغَ صوته . وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبه ، ويذهب العقلُ ويبقى أثره ، ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ في كتبها ، وخَلَّدت من عجيبِ حكمتها ، ودَوَّنت من أنواعِ سِيَرِهَا ، حَتَّى شَاهَدْنَا بِهَا مَا غَابَ عَنَّا ، وفتَحْنَا بِهَا كُلَّ مُسْتَعْلَقٍ كَانَ عَلَيْنَا ، فَجَمَعْنَا إِلَى قَلِيلِنَا كَثِيرَهُمْ ، وَأَدْرَكْنَا مَا لَمْ نَكُنْ نَدْرِكُهُ إِلَّا بِهِمْ ، لَقَدْ خَسِرْنَا^(٤) حَظَّنَا مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَلَضَعُفَ سَبِيلُنَا إِلَى الْعُرْفَةِ . وَلَوْلَانَا إِلَى قَدَرِ قُوَّتِنَا ، وَمَبْلَغِ خَوَاطِرِنَا ، وَمُنْتَهَى تَجَارِبِنَا

(١) في ط « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط « والمنازع » .

(٣) في ط « لا يميزان » .

(٤) في ط « لما حزن » والبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ما أثبتته من ل .

لما تذركه حواشينا ، وتشاهده نفوسنا ، قلَّت المعرفة ، وسقطت الهمة ، وارتفعت المزيمه ، وعاد الرأى عقيماً ، والخطر فاسداً ؛ ولكلِّ الحدِّ وتبلَّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثر من كتبهم نفعا ، وأشرف منها خطرا ، وأحسن موقفا ، كتبُ الله تعالى ، فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كلِّ حكمة ، وتعريف كلِّ سيئةٍ وحسنة ، وما زالت كتبُ الله تعالى في الألواح والصحف ، والمهارق ^(١) والصحاف . وقال الله عزَّ وجلَّ ﴿ الْمَ ذِكَّ الْكِتَابُ لَأَرْبَبَ فِيهِ ﴾ . وقال ﴿ مَا فَرَعْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ . ويقال لأهل التَّوراة والإنجيل : أهلُ الكتاب .

(مواصلة السير في خدمة العلم)

وينبغي أن يكونَ سبيلنا لمن بعدنا ، كسبيل من كان قبلنا فينا . على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أنَّ من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحقِّ من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القولُ وصلح الدهرُ وخوى نجم التقيَّة ^(٢) ،

(١) في ط « المهار » وهو تحريف صوابه في ل .

(٢) في ل « حوى نجم التقيَّة » وفي ط « حوى نجم التقيَّة » وقد أصلحت المبارتين بمعارى . وخوى النجم : اخفى وذهب ، وأصله من خوت البار : تهدمت . والتقية : الحذر والخوف .

وَهَبَتْ رِيحُ الْعُلَمَاءِ ، وَكَسَدَ الْعَيْثُ وَالْجَهْلُ ، وَقَامَتْ سَوْقُ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ ! ؟
 وَلَيْسَ يَجِدُ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ حِينٍ إِنْسَانًا يَدْرِبُهُ ، وَمَقَوْمًا يَتَقَفَّهُ .
 وَالصَّبْرُ عَلَى إِفْهَامِ الرِّيَاضِ شَدِيدٌ ، وَصِرْفُ النَّفْسِ عَنْ مُقَابَلَةِ الْعَالَمِ أَشَدُّ
 مِنْهُ ، وَلِلتَّعَلُّمِ يَجْدُ فِي كُلِّ مَكَانٍ الْكِتَابَ عَتِيدًا ، وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ قَائِمًا .
 وَمَا أَكْثَرَ مَنْ فَرَّطَ فِي التَّعْلِيمِ أَيَّامَ صُغُولِهِ ذَكَرَهُ ، وَأَيَّامَ حَدَاثَةِ سَنَتِهِ !!
 وَلَوْلَا جَيَادُ الْكِتَابِ وَحَسَنُهَا ، وَمُبَيَّنُهَا وَمُخْتَصَرُهَا ، لَمَّا تَحَرَّكَتْ هُمُ هَوْلَاءُ
 لَطَلَبَ الْعِلْمَ ، وَزَرَعَتْ إِلَى حُبِّ الْأَدَبِ ، وَأَنْقَتْ مِنْ حَالِ الْجَهْلِ ، وَأَنْ
 تَكُونَ فِي غَمَارِ الْحَشْوِ ، وَلَتَنُخَلْ عَلَى هَوْلَاءُ مِنَ الْخَلَالِ وَالْمُضَرَّةِ ، مِنَ الْجَهْلِ
 وَسُوءِ الْحَالِ ، مَا عَسَى أَنْ يُمْكِنَ الْإِنْخِبَارُ عَنْ مَقْدَارِهِ ، إِلَّا بِالْكَلَامِ الْكَثِيرِ ،
 وَلِنَلَاكَ قَالِ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ « تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا » .

(كِتَابُ أَبِي حَنِيفَةَ)

وَقَدْ تَجَدَّدَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْآثَارَ وَتَأْوِيلَ الْقُرْآنِ ، وَيَجَالِسُ الْفُقَهَاءَ حَسِينِ
 عَالِمًا ، وَهُوَ لَا يُفِدُّ قَعِيمًا ، وَلَا يُجِئِلُ قَاضِيًا ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِ
 أَبِي حَنِيفَةَ ، وَأَشْبَاهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَحْفَظَ كِتَابَ الشُّرُوطِ فِي مَقْدَارِ سَنَةٍ
 أَوْ سَنَتَيْنِ ، حَتَّى تَمَرَّ بِبَابِهِ فَتَنْظُرَ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ الْمَثَالِ (١) ، وَبِالْحَرَاءِ (٢)
 أَلَّا يَمُرَّ عَلَيْهِ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَيْسِيرٌ ، حَتَّى يَصِيرَ حَاجِلًا عَلَى مَصِيرٍ مِنْ
 الْأُمُصَارِ ، أَوْ بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ .

(١) فِي ل « بَابِ بَيْتِ الْعَمَالِ » وَالْبَارِتَانِ سَلِيمَتَانِ ، وَالْعَمَالُ = الْوَلَاءُ
 (٢) رَسَمَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِالْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ فِي الطَّبَوَعَةِ وَهِيَ خَطَأٌ . وَإِنَّمَا هِيَ « الْحَرَاءُ »
 بِالْأَلِفِ . قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ « الْحَرَاءُ : الْخَلِيقُ . وَمِنْهُ بِالْحَرَاءِ أَنْ يَكُونَ ذَاكَ ، وَإِنَّهُ
 لَحَرَى بِكُنَا وَحَرَى كَفَى وَحَرٌ ، وَالْأَوَّلَى لَا تُشْنَى وَلَا تُجْمَعُ » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ؛ ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ، ولا يرضى بالرأى القطيعي ؛ فإن لا ابتداء الكتاب فتنة ومُجَبِّأ ، فإذا سكنت الطبيعة وهذأت الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة ، أعاد النظر فيه ، فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه^(١) في السلامة أقص من وزن خوفه من العيب ، ويتفهم معنى قول الشاعر^(٢) :

إِنَّ الْحَدِيثَ تَقَرُّ الْقَوْمَ خُلُوتُهُ حَتَّى يَلِجَ بِهِمْ عَيٌّْ وَإِكْثَارُ
وَيَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِمْ فِي الْمَثَلِ « كُلُّ مُجَرٍّ فِي الْخَلَاءِ يُسْرِ^(٣) » فَيَخَافُ أَنْ
يَعْتَرِيهِ مَا اعْتَرَى مَنْ أَجْرَى فَرَسَهُ وَحْدَهُ ، أَوْ خَلَا بَعْلَهُ عِنْدَ فَقْدِ خُصُومِهِ ،
وَأَهْلَ الْمَنْزِلَةِ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَتِهِ .

(تداعى المعاني في التأليف)

وليعلم أن صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدّب عند ضربه وعقابه ،

(١) في الأصل « طبعه »

(٢) هروان حرمة كتابي رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسي والبيت كذلك في البيان ١ :

١٤٩ وأدب الكتاب للصولي ١٥٧ . وقد رواه الصولي برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء في البيان ١ : ١٤٩ « وفي المثل المضروب كل مجر في الخلاء مسر ، ولم

يقولوا مسرور . وكل صواب » والوجه في المثل « يسر » كما هو هنا وكما في الميداني

٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْزِمُ عَلَى خَمْسَةِ أَسْوَاطٍ فَيُضْرَبُ مِائَةً؟! لَأَنَّهُ ابْتَدَأَ الضَّرْبَ وَهُوَ سَاكِنُ الطَّبَاعِ ، فَأَرَاهُ السَّكُونَ أَنَّ الصَّوَابَ فِي الْإِقْلَالِ ، فَلَمَّا ضَرَبَ تَحَرَّكَ دَمُهُ ، فَأَشَاعَ فِيهِ الْحَرَارَةَ فَرَادَ فِي غَضَبِهِ ، فَأَرَاهُ الْغَضَبُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي الْإِكْثَارِ ، وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْقَلَمِ ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَبْتَدِئُ الْكِتَابَ وَهُوَ يُرِيدُ مَقْدَارَ سَطْرَيْنِ ، فَيَكْتُبُ عَشْرَةَ؟! وَالْحَفْظُ مَعَ الْإِقْلَالِ أَمْكَنُ ، وَهُوَ مَعَ الْإِكْثَارِ أَجَدُّ .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَاقِلَ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالْمُتَّبِعِ ، فَكَثِيرًا مَا يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنْ وَلَدِهِ ، أَنَّ يَحْسُنَ فِي عَيْنِهِ مِنَ الْمَقْبُوحِ فِي عَيْنِ غَيْرِهِ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ لَقْظَهُ أَقْرَبُ نِسْبًا مِنْهُ مِنْ أَبْنِهِ ، وَحَرَكَتُهُ أَمْسُ بِهِ رَحْمًا مِنْ وَلَدِهِ ؛ لِأَنَّ حَرَكَتَهُ شَيْءٌ أَحَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَبِلَانِهِ ، وَمِنْ عَيْنِ جَوْهَرِهِ فَصَلَتْ ^(١) ، وَمِنْ نَفْسِهِ كَانَتْ ؛ وَإِنَّمَا الْوَلَدُ كَالْمَخْطَلَةِ يَتَخَطَّلُهَا ، وَالنَّحَامَةُ يَقْدِفُهَا ، وَلَا سَوَاءَ إِخْرَاجُكَ مِنْ جِزْئِكَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ مِنْكَ ، وَإِظْهَارُكَ حَرَكَةً لَمْ تَكُنْ حَتَّى كَانَتْ مِنْكَ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ فِتْنَةَ الرَّجُلِ بِشَعْرِهِ ، وَفِتْنَتَهُ بِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ ، فَوْقَ فِتْنَتِهِ بِجَمِيعِ نِعَمَتِهِ .

(ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب)

وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى إِفْهَامِ مَعَانِيهِ ، حَتَّى لَا يَحْتَاجَ

(١) فِي ط - «وَبَدَأَتْهُ مِنْ عَيْنِ جَوْهَرِهِ فَصَلَتْ» وَإِصْلَاحُ الْبَارَةِ وَإِعْمَالُهَا مِنْ ل

السامع لما فيه من الروية ، ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن
 ٤٥ ألفاظ السئلة والحشو^(١) ، ويحطه من غريب الإعراب ووخشي الكلام ،
 وليس له أن يهذب به جدًا ، وينقحه ويصفيه ويروقه ، حتى لا ينطو
 إلّا يلْبُ أَسْبِر ، وباللفظ الذي قد حذف فضوله ، وأسقط زوائده^(٢) ،
 حتى عاد خالصًا لاشوب فيه ؛ فإنه إن فعل ذلك ، لم يفهم عنه إلّا بأن
 يجدد لهم إضامًا مرارًا وتكرارًا ، لأنّ الناس كلّهم قد تعودوا للبسوط من
 الكلام ، وصارت أهامهم لاتزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها
 ويؤخذ بها . ألا ترى أن كتاب المنطق الذي قد وُسم بهذا الاسم ،
 لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب ، لما فهموا أكثره ،
 وفي كتاب اقليدس كلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صنيّ ، ولو سمعه بعض
 الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنه يحتاج إلى
 أن يكون قد عرف جهة الأمر ، وتعود اللفظ المنطقي^(٣) الذي استخرج
 من جميع الكلام .

(قول صحر العبدى في الإيجاز ، ونقده)

قال معاوية بن أبي سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَّاحِ العبدى^(٤) :

(١) في ط « الحشوة » وكلامها صحيح ومتناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) في ل « وتفرق زوائده » .

(٣) في ط « وتعود للفظ المنطقي » وهو تحريف .

(٤) هو صحر بن عياش - وقيل ابن عباس - بن شراحيل بن مقد العبدى من بني

عبد القيس . خطيب بفوه كان من شيعة عثمان ، له حجة وأخبار حسنة ، وكان

نابغة ، توفي نحو سنة ٤٠ هـ .

ما الإيجاز؟ قال: أَنْ تُجِيبَ فلا تبطىء، وتقول فلا تخطىء. قال معاوية:
أو كذلك تقول!! قال صحرار: أَرَقَانِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لا تخطىء ولا تبطىء.
فلو أَنَّ سائلاً سَأَلَكَ عن الإيجاز، قلت: لا تخطىء ولا تبطىء،
وبحضرتك خالدة بن صفوان^(١)، لما عَرَفَ بالبليهة وعند أول وهلة،
أَنَّ قولك « لا تخطىء » متضمن بالقول، وقولك « لا تبطىء » متضمن
بالجواب، وهذا حديث كما ترى آثروه ورَضَوْه، ولو أن قاتلاً قال لبعثنا:
ما الإيجاز؟ لظننتُ أَنه يقول: الاختصار.

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعْنَى به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من
الكلام مَنْ أُنِيَ عليه فيما يسع بطن طومار^(٢) فقد أوجز، وكذلك الإطالة،
وإنما ينبني له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلافه، ولا يردّد وهو
يكتفى في الإفهام بشطره^(٣)، فما فضل عن المقدار فهو الخطل.

(استملاق كتب أبي الحسن الأخفش)

وقلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو، فلم لا تجعل

-
- (١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم التميمي المتهري، كان يجالس
عمر بن عبد العزيز وحشام بن عبد الملك، نشأ بالبصرة، وكان أكثر أهلها
ملا، ولم يتزوج، توفي نحو سنة ١١٥ هـ.
- (٢) الطومار والطومور: الصحيفة، جمه طوامير.
- (٣) في ط « ولا لترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطره » وعدلت القول من د.

كتبك مفهومة كلها ، وما بالنا فهم بعضها ولا فهم أكثرها ، وما بالنا
تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟! قال : أنا رجل لم أصنع كتبى
هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع ^(١) الذى
تدعوني إليه ، قلت حاجاتهم إلى فيها ، وإنما كانت غايى المنالة ،
فأنا أضع بعضها هذا الوضع ^(٢) المفهوم ، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى
التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير ، إذ كنت إلى
التكسب ذهبت ، ولكن ما بال إبراهيم النظام ، وفلان وفلان ،
يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلى في موافقتها ^(٣) ، وحسن
نظره ، وشدة عنايته ، ولا يفهم أكثرها ؟!

وأقول : لو أن يوسف السمتي ، كتب هذه الشروط ، أيام جلس سلطان
ابن ربيعة ^(٤) شهرين للقضاء ، فلم يتقدم إليه رجلان ، والقلوب سليمة
والحقوق على أهلها موقرة ، لكان ذلك خطلاً ونقراً ؛ ولو كتب في دهره
شروط سلطان ، لكان ذلك غرارة وقصا ، وجهاً بالسياسة ، وبما يصلح
في كل دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناس إذا خطبوا في صلح بين المشائر ، أطالوا ، وإذا أنشدوا

- (١) بدلها في ط « الوضع » والوجه ما أثبت من ل .
- (٢) في ل « موافقتها » والوجه ما في ل . والموافقة : الخصومة والجدال .
- (٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلي الصحابي ، من القادة القضاة ، استغضاه عمر على
السكوفة ، ثم ولّى غزو أرمينية في زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السَّاطِئِينَ في مَدِيحِ الْمُلُوكِ أَطَالُوا ، ولِلإِطَالَةِ مَوْضِعٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ
بِغَطْلٍ ، ولِلإِقْلَالِ مَوْضِعٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ تَجَرُّزٍ ..

ولولا أَنِّي أَتَّكَلَّ عَلَى أَنَّكَ لَا تَمُوتُ بِأَبِ الْقَوْلِ فِي الْبَعِيرِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى
الْقَيْلِ ، وَفِي الذَّرَّةِ^(١) حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْبَعُوضَةِ ، وَفِي الْمَقْرَبِ حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَى الْحَيَّةِ ، وَفِي الرَّجْلِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْمِرَاةِ ، وَفِي الذَّنْبَانِ وَالنَّحْلِ^(٢) حَتَّى
تَخْرُجَ إِلَى الْعَرَبَانِ وَالْمَقْبَانِ ، وَفِي الْكَلْبِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الدِّيكِ ، وَفِي
الذَّنْبِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى السَّبْعِ ، وَفِي الظِّلْفِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْجَاغِرِ ، وَفِي الْحَاغِرِ
حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْخُلْفِ ، وَفِي الْخُلْفِ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَى الْبُرْنِ ، وَفِي الْبُرْنِ حَتَّى
تَخْرُجَ إِلَى الْمِخْلَبِ ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الطَّيْرِ وَعِائِقَةِ الْأَصْنَافِ ، لَرَأَيْتُ أَنَّ
جَمَلَةَ الْكِتَابِ^(٣) ، وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُ وَرَقِهِ ، أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِمَّا يُعْمَلُ ، وَيُعْتَدُّ
عَلَى فِيهِ بِالْإِطَالَةِ ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ كِتَابًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ كُتِبَ كَثِيرَةٌ ، وَكُلُّ
مُصَحَّفٍ مِنْهَا فَهُوَ أُمٌّ عَلَى حِدَةٍ ، فَإِنْ أَرَادَ قِرَاءَةَ الْجَمِيعِ لَمْ يَقْطَعْ عَلَيْهِ الْبَابَ
الْأَوَّلَ حَتَّى يَهْجَمَ عَلَى الثَّانِي ، وَلَا الثَّانِي حَتَّى يَهْجَمَ عَلَى الثَّلَاثِ ، فَهُوَ
أَبْدًا مُسْتَفِيدٌ وَمُسْتَطَرِّفٌ ، وَبَعْضُهُ يَكُونُ جَمَامًا لِبَعْضٍ ، وَلَا يَزَالُ نَشَاطُهُ
زَائِدًا ، وَمَتَى خَرَجَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ صَارَ إِلَى الْأَثَرِ ، وَمَتَى خَرَجَ مِنْ أَثَرِ
صَارَ إِلَى خَبَرٍ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْخَبَرِ إِلَى شَعْرٍ ، وَمِنَ الشَّعْرِ إِلَى نَوَادِرٍ ، وَمِنَ
النَّوَادِرِ إِلَى حِكْمٍ عَقْلِيَّةٍ ، وَمَقَائِيسِ سِدَادٍ^(٤) ، ثُمَّ لَا يَتْرِكُ هَذَا الْبَابَ ، وَلَعَلَّهُ

(١) ق ط « الذرة » بالذال وإِنَّمَا هِيَ « الذرة » بالذال كما في ل . والنثر ضرب من
النمل صغار .

(٢) كذا في ل .. وفي ط « وفي الثَّانِي » فقط .

(٣) ق ط « فرأيت أن جملة الكتاب » .

(٤) في الأصل « شداد » والمقياس يمت بالسداد لا بالشدّة .

أن يكون أَهْلًا ، وللالُ إليه أسرع ، حتَّى يَفِضَ به إلى مزح وفكاهة ،
وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخْفًا ، إذ كنتُ إِنَّمَا استعملتُ
سيرةَ الحكماء ، وآدابَ العلماء .

(مخاطبة العرب وبنى إسرائيل في القرآن الكريم)

ورأينا الله تبارك وتعالى ، إذا خاطبَ العربَ والأعرابَ ، أخرجَ
الكلامَ مُخْرَجَ الإشارةِ والوحى والحذف ، وإذا خاطَبَ بنى إسرائيلَ
أوحىَ عنهم ، جملةً مبسوطا ، وزاد في الكلام . فأصوبُ العملُ اتِّباعُ
٤٧ آثارِ العلماء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأخذُ بما عليه الجماعة .

(أقوال لِبعضِ الشعراء في الكتب)

قال ابنُ سيرٍ^(١) في صفحَةِ الكتب ، في كلمةٍ له :
أقبلتُ أهرُبُ لا آلوُ مُباعدةً في الأرضِ منهم فلم يُحصِنِي المهربُ
بقصرِ أوسٍ فآ والت خنادقُهُ ولا النواويسُ فالماخورُ فالخربُ^(٢)
فإنَّما موئيلٌ منها اعتصمتُ به فين ورأى حثيثًا منهم الطلُبُ
لما رأيتُ بأنِّي لستُ معجزهم فوتًا ولا هربًا ، قرَّبتُ أحتجبُ

(١) تهدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) بيتنى البيت في ط بكلمة « قصر » ويشعئ بكلمة « فالهرب » وقد أبدلتها
بما في ل وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد
الولاة الأمويين .

- فصرت في البيت مسروراً بهم جذلاً جَارَ البراءة لاشكوى ولا شغب^(١)
 فزدا يحدثنى الموتى وتنطق لي عن علم ما غاب عني منهم الكتب
 هم مؤنسون وألآف غنيت بهم فليس لي في أنيس غيرهم أرب
 لله من جلساءه لاجلسهم ولا عشيرهم للشوء مرتقب
 لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم ولا يلاقيه منهم منطلق ذرب^(٢)
 أبوانا حكماً تبقى منافعنا أخرى أليالي على الأيام وانتشعوا^(٣)
 قائما آدب منهم مددت يدي إليه فهو قريب من يدي كشب^(٤)
 إن شئت من محكم الآثار يرفها إلى النبي ثقات خيرة نجب
 أو شئت من عرب علماء بأولهم في الجاهلية أنبتني به العرب^(٥)
 أو شئت من سائر الأملاك من عجم نني وتخبر كيف الرأي والأدب
 حتى كأتى قد شاهلت عصرهم وقد مضت دونهم من دهرهم حجب
 يا قاتلاً قصرت في العلم نهيتي^(٦) أمسى إلى الجبل فيما قال ينتسب
 إن الأوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك قد بانوا وقد ذهبوا^(٧)

(١) في الأصول « به جذلاً » والصواب « بهم » وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير
 جماعة المقلاء كما في الآيات الأولى . وأما « جار البراءة » فهي ماصح لي من مقارعة
 ماقى الأصول فهي في ط « جار البوأة » وفي س « جار البوأة » وفي ل
 « حاز البراءة » .

(٢) منطلق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) في ط « والشب » وصوابه في ل .

(٤) في ط « كتب » وهو تصحيف ماقى ل وكتب : قريب .

(٥) في ط « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) التهمة والتهمة : القتل . وقد تستعمل التهمة جمعاً للتهمة .

(٧) كذا في ل . وفي ط :

إن الأوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا
 وهنا البيت مقول القول في البيت السابق ، والبيت الآتي رد على قول هذا الغائل .

مامات منا مروا أبق لنا أدبا نكون منه إذا مامات نكتسب^(١)
وقال أبو وجرة^(٢) وهو يصف صحيفة كتبت له فيها يستين وسقا :
راحت يستين وسقا في حقيبتها ما حمت حملها الأدنى ولا السدا
ما إن رأيت قلو صا قبلها حمت ستين وسقا وما جابت به بلدا^(٣)
وقال الرازي :

٤٨ تَعْلَمَنَّ أَنَّ الدَّوَاءَ وَالْقَلَمَ تَبَقَى وَفِي حَدَثِ الدَّهْرِ النَّعَمُ^(٤)
يقول : كتابك ألقى تكتبه على يبق فتأخذني به ، وتذهب غنى
فيما يذهب .

(نشر الأخبار في العراق)

ومما يدل على قمع الكتاب ، أنه لولا الكتاب لم يُجز أن يعلم أهل
الزَّقَرِ والموصل وبغداد وواسط ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفة

(١) في ط « مامات مثل امرئ » والوجه ما في ل .

(٢) في ط « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاي ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بني
سعد بن بكر بن هوازن ، أمار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ،
وهو أول من شب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة في ترجمته في الشعراء ١٦٥
توفي أبو وجرة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) في ط « جاءت » وصواب الرواية ما أثبتته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧
ليبك ، وقد زاد اللرد بيتا قبل الأول ، وآخر بعد الثاني .. قال المبرد في شرح البيت
الأول : « إنما أراد ما يوجب ستين وسقا ، لا أن الناقة حمت ستين وسقا »
وحدث الشعر في الكامل ، وفهم منه أن أبا وجرة امتدح آل الزبير ، فكتبوا إليه
ستين وسقا من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كل سنة .

(٤) في ط « تعلني أن » وصوابه في ل .

في بياض يوم، حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة، فتعلم بها أهل البصرة قبل الساء .

[وذلك مشهور في الحام الهدي، إذا جُمِلَتْ بُرْدًا^(١)، قال الله جل وعزّ - وذكر سليمان وملكه الذي لم يؤتِ أحداً مثله - فقال ﴿وَتَقَدَّرَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهُدُودَ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ لَا ذُبْحَنُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فلم يلبث أن قال الهُدُودُ ﴿جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قال سليمان ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ وقد كان عنده من يبلغ الرسالة على تمامها، من عِفريت، ومن بعض من عنده علم من الكتاب، فرأى أن الكتاب أبهى وأنبأ وأكرم وأختم من الرسالة عن ظهر لسان، وإن أحاط بجميع ما في الكتاب . وقالت ملكة سَبَإَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ فهذا مما يدل على قدر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة في أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعض الحليّة الكبار، وبعض الأدباء والحكماء، أن يدعو بعض من يجرى تجّراه في سلطان أو أدب، إلى مأذبة أو نِدَام^(٢)، أو خروج إلى منزله، أو بعض ما يشبه ذلك، فلو شاء أن يبلغه الرسول

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفترة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ، وأثبتته من ل .

(٢) مصدر نادمه، بمعنى جالسه على الصراب . والتدَام أيضاً، جمع التديم . ولكنه ليس مراداً هنا .

إرادته ومعناه ، لأصاب مَنْ يُحسن الأداء ، ويصدق في الإبلاغ ، فيرى أن الكتاب في ذلك أسرى وأنبه وأبلغ .

ولو شاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ألا يكتب الكتاب إلى كسرى ، وقيصَرَ ، والنَجَاشِيَّ ، والقوقس ، وإلى ابني الجَلَنْدِي^(١) ، وإلى الباهلة من حمير ، وإلى هَوْدَةَ بن علي ، وإلى اللوك والمظاء ، والسادة النجباء ، لقفل ، ولوجد المبلغ للعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ، علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال ، وألقى تلك المراتب ، وأبلغ في تعظيم ماحواه الكتاب .

ولو شاء الله أن يحمل البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها الكتب لقفل ، ولكنه تعالى وعزَّ ، علم أن ذلك أتمُّ ، وأكل ، وأجمع ، وأنبل .

وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة ، إلى بعض من يشاكله ، أو يجري مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه ، وربما لم يرض بذلك حتى يُعْتَوِنَه ويعظمه . قال الله جلَّ وعزَّ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُفِّ مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ فذكر صفَّ موسى الموجودة ، وصفَّ إبراهيم البائدة المدومة ، ليعرف الناس مقدار النفع ، وللصلحة في الكتب .

(نظام التورث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا ، وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات الصين ، وتورث البنين الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية : والمثونة بالكلفة . وكانت تقول :

(١) الجندی : اسم ملك عمان . وفي الأصل « بنى الجندی » والصواب ما أنبته عن الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وأبنا الجندی ماجيقر - بوزن جعفر - وعياذ (أو عاذ) .

لا تورثوا الابن من المال ، إلا ما يكون عوناً له على طلب المال ، واغذوه
بجلاوة العلم ، واطبقوه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمع العلم أغلب عليه من
جمع المال ، وليرى أنه المدة والعناد ، وأنه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورثوا الابن من المال إلا ما يسد الخلة ، ويكون له
عونا على درك الفضول ، إن كان لأبد من الفضول ؛ فإنه إن كان فاسداً
زادت تلك الفضول في فساده ، وإن كان صالحاً كان فيها أورتومه من العلم
وقيته له من الكفاية ، ما يكسبه الحال ، فإن الحال أفضل من المال ، ولأن المال
لم يزل تابعا للحال ، وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول يمرض
فساد ، وعلى شفا إضاعة ، مع تمام الحكمة ، واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع
غرارة^(١) الحداثة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراث ما أكسبك الأركان الأربعة ، وأحاط
بأصول المنفعة ، وعجل لك حلاوة الحجة ، وبقي لك الأحدثنة الحسنة ،
وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلا كرام الكتب النفيسة ، المشتعلة على ينابيع
العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ، ومعرفة الصناعات ، وفوائد الإرفاق ،
وحجج الدين الذي بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتلجج
الصدور ، ويعود القلب معموراً ، والمرء راسخاً ، والأصل فسيحاً^(٢) .

وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشحذه ، وتداويه وتصلحه ،
وتهذبها ، وتنفي الخبيث عنه ، وتقيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجة ،
وتعودك الأخذ بالثقة ، وتحلب الحال ، وتكسب المال .

(١) الفرارة : الغفلة وقلة التجرية . وفي الأصل الفرارة وهو تحريف .

(٢) كنا .

(وراثة الكتب)

وراثۃ الكتب الشرفۃ ، والأبواب الرفیعۃ ، منبہ للورث ، وکنز عند الوارث ، إلا أنه كنز لا تجب فیہ الزکاة ، ولا حق السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة ، ينقصها ما أخذ منها ، كان ذلك الكنز مائنا يزيده ما أخذ منه ، ولا يزال بها للورث مذكورا في الحكاء ، ومتوفا باسمه في الأسماء ، وإماما متبوعا وعلما منصوبا ، فلا يزال الوارث محفوظا ، ومن أجله محبوبا ممنوعا ، ولا تزال تلك الحجة نامية ، ما كانت تلك القوائد قائمة ، ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر ، ما كان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من ^(١) ورثته كتابا ، وأودعته علما ، فقد ورثته ما يبلى ولا يستقل ، وقد ورثته الضیعة التي لا تحتاج إلى إثارة ^(٢) ، ولا إلى سقي ، ولا إلى إسجال بإيفار ^(٣) ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أكثار ^(٤) ، ولا إلى أن تثار ^(٥) ، وليس عليها عشر ، ولا للسلطان عليها خرّج ، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواء دفعك إليه الكفاية ، أو ما يجلب الكفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان ، فمن لم يقدر إلا على دفع السبب ، لم يجب عليه إحضار المسبب . فكتب الآباء ، تحييب الأحياء ، ومحى لذكر الموتى .

(١) في الأصل « متى » والوجه ما أثبت .

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك انرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

(٤) الأكثار هنا بمعنى الخير من الخبرة (والخبرة أن يزرع الرجل أرض غيره ، على أن يكون إليه النصف ونحوه ، مما تفل الأرض) .

(٥) قد سبق قوله « لا تحتاج إلى إثارة » فهو تكرار ، أو في الكلام تعريف .

وقالوا : ومتى كان الأديب ^(١) جامعاً بارعاً ، وكانت موارثه كتباً بارعة وآداباً جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التلمُّ خطأ ، وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدر أن يسرى إليه عرق من نَجَله ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يحبل بدل الطلب للكسب ^(٢) ، النظر في الكتب ، فلا يأتي عليه من الأيام مقدارُ الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف في سماع العلم ، إلا وقد بلغ الكفاية وغاية الحاجة ، وإِنَّمَا تُسَدُّ الكفاية من [له] ^(٣) تمت آلاته ^(٤) ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحديث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكبل للطلب . فخير ميراثٍ ورث كتبٌ وعلم ، وخير المورثين من أورث ما يجمع ولا يفرق ، ويبصر ولا يعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويمجد بالكلِّ بدون البعض ، ويدع لك الكنز الذي ليس للسلطان فيه حق ، والركاز ^(٥) الذي ليس للقراء فيه نصيب ، والنعمّة التي ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا لِلصَّوْص فيها رغبة ، وليس للخصم عليك حجّة ، ولا على الجار فيه مَؤْنة .

(قول ديمقراط في تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغي أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكلِّ كتاب علم وضعه أحد من الحكماء ، ثمانية أوجه : منها المهمّة ، والمنفعة ، والنسبة ، والصحة ، والصنف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدوير . فأولها أن تكون لصاحبه هِمّة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة

(١) في الأصل . « الأديب » .

(٢) في الأصل « الكتب » .

(٣) زبدت هذه الكلمة في الأصل بخط مخالف .

(٤) في الأصل « آدابه » وإِنَّمَا هي « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز

يُنسَب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صِنْف من أصناف الكتب معروفاً به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسنداً إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدير موصوف .
فدُكرَ أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه في هذا الكتاب ، وهو كتابه الذي يسمى (افوريسموا) تفسيره كتاب الفصول .

(مقالة في شأن الكلب)

وقولك ، وما بلغ من قدر الكلب مع لوّم أصله ، وخبث طبعه ، وشقوّط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، وأجتماع الأم كلّها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل في ذلك كلّ به ، ومع حاله التي يعرف بها ، من العجز عن صولة السباع واقتدارها ، وعن^(١) تمتّعها وتشرّفها ، وتوخّشها وقلة إسماعها ، وعن مسألة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصاحبتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن في طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاتها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة ، ولأنّ الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلق المركّب والطباع الملقّعة ، والأخلاق المجتلبة ، كالبعول المتلونّ في أخلاقه ، الكثير العيوب المتولّدة عن مزاجه .

وشرّ الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادّة ، والأخلاق المتفاوتة^(٢) ، والعناصر المتباعدة ، كالراعي من الحمام ، الذي ذهب عنه هداية الحمام ،

(١) في الأصل « ومن » .

(٢) في الأصل « المتفاوتة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الوزشان ، وقوة جناحه
وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشحْوُ^(١) حلقه ، وشكل لحونه ، وشدة
إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح الخالب . وفي الراعي أنه مُسْرَوِّل
مِثْل ، وحدث له عِظَمُ بدن ، وثقل وزن ، لم يكن لأبيه ولا لأُمِّه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش
تتاجُهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بمقيم ، ولا يبقى للبغلة
ولد وليس بمافر ، فلو كان البغل عقيمًا ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيْدَ
في قوتها ، وأتمَّ لشدهما ، فمع البغل من الشَّيقِ والتَّعَظْ ماليس مع أبيه ،
ومع البغلة من الشَّيقِ^(٢) ، وطلب السِّفاد ، ماليس مع أمِّها . وذلك كله فُذِحَ
في القوة ، وقص في البنية^(٣) ، وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمله
وأخواله ، فترك شيهما ، ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج
أطول عمراً من أبيه ، وأصبر على الأثقال من أبيه .

أو كابدن المذكَّرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث
تتاجا من البغل ، وأفسد أعراقاً من السَّع ، وأكثر عيوباً من السِّبَار ،
ومن كلِّ خَلْقٍ خَلْقٍ ، إذا ترك من ضِدِّه ، ومن كلِّ شجرة مُطْعَمَةٌ بخلاف .
وليس يعتري مثل ذلك الخِلَاصِ من الدجاج ، ولا الورداني^(٤)
من الحمام .

(١) الشحو : الاتساع . وفي الأصل « وشحى » وليس له وجه .

(٢) الشيق : اشتداد الغلظة . وفي الأصل « الشوس » والشوس : النظر في كبر
أو تقيظ . وليس له وجه في الكلام .

(٣) في الأصل « في البنية » .

(٤) العميري : طائر متولد بين الوزشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلُّ ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره ، وتمكنه ، يظهر العجز والعيب . .
 وزعم الأصمعي ، أنه لم يسبق الخلبة فرس أهضم قط .
 وقال محمد بن سلام : لم يسبق الخلبة أبلق قط ولا بقاء .
 والهداية في الحمام ، والقوة على بعد الغاية ^(١) ، إنما هي للصمّة من الخضر ^(٢) .

(الشيات في الحيوان ضعف وتقص)

وزعموا أنّ الشيات كلّها ضعف وتقص - والثّية : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلّ وعزّ ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم ^(١) أنّ ابن للذكرة من المؤنث، يأخذ أسوأ خصال أبيه، وأردأ خصال أمه، فتجتمع فيه عظام الدواهي، وأعيان المساوي، وأنّه إذا خرج كذلك، لم ينفع فيه أدب، ولا يطمع في علاجه طيب، وأنّه رأى في دور ثقيف، فتّى اجتمعت فيه هذه الخصال، فما كان في الأرض يوم، إلّا وهم يتحدثون عنه بشيء، يصغر في جنبه أكبر ذنب كان يُنسب إليه !

(١) الناية : الذي يرسل إليه حمام الزاجل .

(٢) الصمّة : التي لا يتخالط لونها لون آخر .

(٣) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفي ، له خبران في الأغاني (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧)

وَزَعَمَتْ أَنَّ الْكَلْبَ فِي ذَلِكَ كَالْحَنَى ، الَّذِي هُوَ لِأَذْكَرٍ وَلَا أُثَى ،
أَوْ كَالْحَصَى الَّذِي لَمَّا قُطِعَ مِنْهُ مَا صَارَ بِهِ الذَّكَرُ فُخْلًا ، خَرَجَ مِنْ حَدِّ كَالِ
الذَّكَرِ بِفَقْدَانِ الذَّكَرِ ، وَلَمْ يَكُلْ لِأَنَّهُ يَصِيرُ أُثَى ، لِلتَّرِيذَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَبَهْمَةِ الْجَوْهَرِيَّةِ .

وَزَعَمَتْ أَنَّهُ يَصِيرُ كَالنَّبِيدِ الَّذِي يَفْسِدُهُ إِفْرَاطُ الْحَرِّ ، فَيُخْرِجُهُ مِنْ
حَدِّ الْخَلِّ ، وَلَا يَدْخُلُهُ فِي حَدِّ النَّبِيدِ .

وَقَالَ مُرْدَاسُ بْنُ خُذَامٍ ^(١) :

سَقَيْنَا عِقَالًا بِالتَّوَيَّةِ ^(٢) شَرِبَهُ فَالَتْ بُلْبُّ الْكَاهِلِيِّ عِقَالِ
فَقُلْتُ اصْطَبَحْتُهَا بِاعْتَالِ فَأَتَمَّا هِيَ الْخُرُ خَيْلُنَا لَهَا بِخَيْلِ
رَمَيْتُ بُلْبُ الْخَلِّ حَبَّةَ قَلْبِهِ فَلَمْ يَنْتَعَشْ مِنْهَا ثَلَاثَ لَيَالِ
فَجَعَلَ الْخُرُ أُمَّ الْخَلِّ قَدْ يَتَوْلَدُ عَنْهَا ، وَقَدْ يَتَوْلَدُ عَنِ الْخَلِّ - إِذْ كَانَ خُرًّا
مَرَّةً - الْخُرُّ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ ^(٣) :

هَلَّا وَأَنْتَ بِمَاءٍ وَجْهَكَ تُشْتَهَى رَوَدَ الشَّبَابِ قَلِيلَ شَعْرِ الْمَارِضِ
فَالآنَ حِينَ بَدَتْ بِجَدِّكَ لَحِيَةً ذَهَبَتْ بِمَلْحِكَ مِثْلَ كَفِّ الْقَابِضِ
مِثْلَ السَّلَافَةِ عَادَ خُرٌّ عَصِيرَهَا بَعْدَ الْأَذَاذَةِ خَلَّ خُرٌّ حَامِضِ
وَبَصِيرٍ أَيْضًا كَالشَّعْرِ الْوَسْطِ ، وَالْفَنَاءِ الْوَسْطِ ، وَالنَّادِرَةِ الْفَاتِرَةِ ، الَّتِي لَمْ

(١) فِي الْأَغَانِي (١٠ : ٨٧) جِذَامٌ ، وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ (٢٠٧) جِزَامٌ .

(٢) التَّوَيَّةُ مَوْضِعٌ بِالْكُوفَةِ أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا . وَانْظُرْ نِسْبَةَ الْبَيْتِ فِي مَعْجَمِ الْبُلْبَانِ .

(٣) سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ ، هُوَ أَبُو عُثْمَانَ مَوْلَى بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ ، شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ ، أَكْثَرُ
شِعْرِهِ فِي الْغَزْلِ وَالتَّشْيِيبِ بِالذَّكَرِ ، وَكَانَ مِنْ كِتَابِ الْبَرَامِكَةِ ، مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُمْ ،
قَالُوا : وَكَانَ ذَا جُورٍ وَجَمُونَ ، ثُمَّ تَابَ وَأَقْلَعَ ، وَكَانَتْ وَقَاتُهُ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ .

انْظُرْ الْأَغَانِي ٢١ : ٦٩ - ٧٢ وَفَهْرَسْتُ ابْنَ التَّدِيمِ ١٧٨ ، ٢٣٦ مِصْرٌ .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السنُّ ، ولم تخرج من البرد إلى الحر
فتضحك السنُّ^(١) .

باب

ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخضاء
وكيف ما كان قبل الخضاء

قالوا ، كلُّ ذى رَجٍ مُنَنِّةٌ ، وكلُّ ذى ذَفَرٍ وَصْنَانٍ كَرِيهِ الشَّمَةِ^(٢) ،
كَالنَّسْرِ وما أشبهه ، فَإِنَّهُ مَتَى خُصِيَ قَصَّ ثَنُّهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ ، غَيْرَ
الْإِنْسَانِ ، فَإِنَّ الْخُصْيَ يَكُونُ أَتَنَ ، وَصُنَانُهُ أَحَدٌ ، وَيَعْمُ أَيْضاً خَبَثُ
الرَّقِ سَائِرَ جَسَدِهِ ، حَتَّى لَتَوْجَدَ لِأَجْسَادِهِمْ رَائِحَةً لَا تَكُونُ لغيرِهِمْ ،
فَهَذَا هَذَا .

وكلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَلِيقُ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ
اسْتَرْخَى لَحْمُهُ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ ، وَعَادَ رَخَصاً رَطْباً ، بَعْدَ أَنْ كَانَ عَصِلاً^(٣) .
صُلْباً ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرُضَ ، فَخَالَفَ أَيْضاً جَمِيعَ
الْحَيَوَانِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وتعرض للخصيان أيضاً طول أقدامهم ، وأغوجاج في أصابع اليد ،
والتواء في أصابع الرِّجْلِ ، وذلك مِنْ أَوَّلِ طَقْمِهِمْ فِي السِّنِّ ، وَتَعْرِضُ لَهُمْ
سرعة التغيُّر والتبدُّل ، واقلاب من حَدِّ الرُّطُوبَةِ^(٤) والبضاضة وملاسة
الجلد ، وصفاء اللون وورقته ، وكثرة الماء وبريقه ، إلى التكرُّش والكمود ،

(١) هذه نهاية السقط الذي ابدأ من ص ٩٧ .

(٢) في ط « وقيل ذى ذفر وصنان وكريه للشمه » وهو كلام محرف .

(٣) في ل « عصلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) في ل « والاقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التقبض والتخدد^(١)، وإلى الهزال، وسوء الحال، فهذا الباب يعرض
للخصيان، ويعرض أيضاً لمعالجة النبات من الأكرة^(٢) من أهل الزرع
والنخل، لأنك ترى الخصى وكأنَّ السيوف تلعب في لونه، وكأنَّه مرآة
صينية، وكأنَّه وذيلة مجلوة، وكأنَّه حجارة رطبة، وكأنَّه قضيب فضة قد
مسَّه ذهب، وكأنَّه في وجناته الورد، ثم لا يلبث كذلك إلا نسيئات^(٣)
يسيرة، حتى يذهب ذلك ذهاباً لا يعود، وإن كان ذا خصب، وفي عيش
رغد، وفي فراغ بال، وقلة نصب.

(من طرائف عبد الأعلى القاص)

وكان من طرائف ما يأتي به عبد الأعلى القاص، قوله في الخصى،
وكان لعلبة السلامة عليه يتوهم عليه الغفلة، وهو الذي ذكر الفقير مرة
في قصصه فقال: الفقير مرقتة سلفة، ورداؤه علقه، وجردته فلقه،
وسمكتة شلقه^(٤) [وإزاره خرقة].

(قالوا) ثم ذكر الخصى فقال: إذا قُطعت خُصيته، قويت شهوته
وسخنت معدته، ولانت جلده، وانجردت شعرته، واتسعت فمحته، ٤٩
وكرثت دمعته !!

(١) في الأصل « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض.

(٢) في ط « ويعرض أيضاً لسات الأكرة » وتصحيحه من ل.

(٣) النساء بالضم والنسيئة بمعنى النظرة - بكسر الطاء - وتصغر النساء وتجمع، فتكون
نسيئات، والمراد بها الوقت القليل.

(٤) (السلفة): ما يمتلئ به قبل الفداء. ويسمى العامة اليوم « نصيرة » .. وأما
(العلقة) فهو قيس بلايين، أو ثوب يجاب ولا يخالط جانباه، تلبس الجارية وهو إلى
الجزرة .. وأما (العلقة) فيمعي النصف. والبردقة: الرغبة. معرب كرده.
وأما (الشقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثاني فهي واحدة الشق: ضرب
من صفار السمك.

وقالوا ، الخصى لا يصلح كما لا تصلح المرأة ، وإذا قطع العضو الذى كان به خللاً تاماً ، أخرجه ذلك من أكثر معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال ، صيّر كالبغل الذى ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصير طباعه مقسومةً على طباع الذكر والأنثى ، وربما لم يَخْلُصَ له الخلق ولم يَصِفْ ، حتى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولكنه يقع ممزوجاً مركباً ، فيخرج إلى أن يكون منذبداً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولمه التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوزُ عمرُ البغلِ عمرَ أبويه ، وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام ^(١) .

(طلب النسل)

وقالوا ^(٢) ، وللإنسان قوًى معروفةٌ للمقدار ، وشهواتٌ مصروفةٌ فى وجوه حاجاتِ النفوس ، مقسومةٌ عليها ، لا يجوزُ تعطيلها وتركُ استعمالها ، ما كانت النفوسُ قائمةً بطبائعها ومزاجاتها وحاجاتها . وبابُ المنكحِ من أكبرها ، وأقواها ، وأعظمها .

ويدخل فى باب المنكحِ ما فى طبائعهم من طلبِ الولد ، وهو بابٌ من أبوابهم عظيم ، فمنهم من يطلبه للكثرة والنصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوة ، ولذلك استلظت العربُ الرجالَ ، وأغضت ^(٣) على نسب المولودِ

(١) فى ط « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) فى ط « قال » والوجه ما فى د .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفى ط « وأغضبت » والوجه ما كتبه من د .

على فراش [أبيه]^(١)، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول . قال الأشهب
ابن رُمَيْلة^(٢) :

قال الأقاربُ لا تترُكُ كثرتنا وأغنِ فسكَ عَنَّا أيُّها الرجلُ
علَّ بَنِيَّ يَشُدُّ أَلْفَهُ كَثَرَتَهُم والتَّعْبُ يُنَبِّتُ قُضْبَانًا فَيَكْهَلُ^(٣)

وقال الآخر^(٤) :

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَصِفِيُونُ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيُونُ
يشكو كما ترى صِغَرُ البنين ، وضعف الأمر^(٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الولدَ قاسَةً بما له على بني عمه ، ولإشفاقه
من أن تليه القضاة وترتع فيه الأبناء ، فيصير ملكاً للأولياء ، ويقضى به
القاضي الذمام ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكُر ، وللرغبة في العقب ،
أو على جهة طلب الثواب^(٦) في مباهاة المشركين ، والزيادة في عدد المسلمين ،
أو للكسب والكفاية ، وللدافعة والنصرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ،
ولما طبع الله تعالى بني آدم عليه ، من حبِّ التَّزْوِيجِ وكثرة النسل ، كما طبع ٥٠

(١) في الأصل « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير في كلمة (علمه) الآتية مرجع .
وعلى الأصل أيضاً لا نجد للضمير (فراشه) مرجحاً مناسباً .

(٢) وقيل الشعر لتهشل بن حري كما في البيان والبيان فيه ٣ : ٣٨ .

(٣) في البيان « أعظمهم » بدل « كثرتهم » .. وفي ط « التبع » بالعين والصواب
ما أثبت من ل والبيان . والتبع : شجر تعمل منه القسي والسهام .

(٤) هو أكرم بن صبي ، كما في نوادر أبي زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أضاف الرجل
إذا ترك النساء شالماً لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ما أسن » ويقال لولده صبيون ...
والرييون : الذين ولدوا وأبؤهم شباب فهم رجال » و « إن » هي في ط « عسى »
وتصححه من ل والنوادر .

(٥) في ط « السن » .

(٦) في ط « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنابير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همه ونصبه ، وفي جبينه وبخلة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « **الْوَلَدُ مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ** » فيحتمل في الولد لُؤْنُ المروفة ، والمهموم الموجودة لغير شيء قصد له ، وليس في ذلك أكثر من طلب الطباع ، ونزوع النفس إلى ذلك .

وذكر أبو الأخرز الحِمَّانِي عَيْرَ المَانَةِ ^(١) بخلاف ما عليه أصحاب الزواج من الحيوان ، قال عند ذكر سفاده :

لَا مَبْتَغَى النَرَّ وَلَا الْمَازِلَ ^(٢)

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوانات الزَّوْج ، إذا كَرِهَ الولدَ عَزَلَ ، والمزَاج من أصناف الحيوانات إِنَّمَا غَايَتُهَا طَلَبُ النَرِّ ^(٣) والولد . لذلك سُخِّرَتْ ، وله هَيْئَتٌ ، لِمَا أَرَادَ اللهُ تعالى من إتمام حوائج الإنسان ، والحمارُ لا يطلبُ الولدَ ، فيكون إفراغُه في الأنان لتلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عَزَلَ كما يعزِلُ الإنسان ، غير أنَّ غَايَتَهُ قِضَاءُ الشهوة فقط ، ليس يَحْطُرُ ^(٤) على ياله أن ذلك الماء يُحَلِّقُ منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامة اكتساب الرجال وإفناهم ، وهمهم وتصنعهم ، وتحسينهم لما يملكون إِنَّمَا هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلا التَنَمُّصُ ^(٥) والتطْيِبُ والتطوُّسُ ^(٦) [والتعرُّسُ ^(٧)] والتخضُّبُ ،

(١) في ط « وذكر أبو الأخرز الحمام غير المانة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط « لا مبتغى النر ولا بالمازل » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) في ط « النر » .

(٤) في الأصل « يذكر » .

(٥) التمس : تنف الشعر . والتنمس : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوس : التزين .. وبديل « التطوس » في ط « التطرز » وليس بشيء .

(٧) التعرس : التجب .

والذى يُعدُّ لها من الطيب والصنم، والخلي، والكساء، والقرش، والآنية،
لكان في ذلك ما كفى. ولو لم يكن له إلا الاهتمامُ بحفظها وحراستها، وخوفُ
العار من جنائيتها والجنابة عليها، لكان في ذلك المنة العظيمة، والمثقة
الشديدة .

(قول في الفراز ويان سبب شره الخصى)

فإذا بطل العضو الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف
الكثيرة، من اللذة والألم، فباطرار أن تعلم أن تلك القوى لم تبطل
من التركيب، ولم تعد منها الحلقة، وإنما سُدَّ دوتها بسدٍّ، وأدخل عليها
حجاب، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودة من عمل، لأنَّ عمل كلِّ جوهرٍ
لا يعدم إلا بدم ذاته، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاصَتْ^(١) من وجه،
ولا سيما إذا جمَّت ونازعت، ولا بُدَّ إذا زحرت وغزرت، وطلعت^(٢)
وطمعت، من أن تفيض أو تمتلئ لنفسها باباً، وليس بعد المنكح بابٌ له
موقعٌ كموقعِ الطعام، فاجتمعت تلك القوى التى كانت للمنكح وما يشتمل
عليه باب المنكح، إلى القوة التى عنده للطعم، فإذا اجتمعت القوتان فى
باب واحد كان أبلغ فى حكمه، وأبعد غايةً فى سبيله، ولذلك صار الخصىُّ
أَكَلَ من أخيه لأثمه وأبيه، وعلى قدر الاستمرار يكون هضمه، وعلى
قدر حاجة طبعه [وحركة نفسه و]^(٣) الحرارة المتولدة عن الحركة يكون ٥١

(١) كننا على الصواب فى ط .. وفى ل . غاضت .

(٢) فى ط « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت
الكلام من ل .

الاستمرار ، لأن الشهوة من أمتن^(١) أبواب الاستمرار ، والحركة من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور في الطعام)

ودوام الأكل في الإناث أعم منه في الذكور ، وكذلك الحِجرُ دون الفرس ، وكذلك الرمكة دون البرذون ، وكذلك النعجة^(٢) دون الكبش ، وكذلك النساء في البيوت دون الرجال . وما أشك أن الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ، ولكنها تستوفي ذلك المقدار ، وترى عليه مقطعا غير منظور ، وهي بدوام ذلك منها ، يكون حاصل طعامها أكثر . وهن يئاسن الصبيان في هذا الوجه ، لأن طبع الصبي سريع الهضم ، سريع الكلب ، قصير مدة الأكل ، قليل مقدار الطعام ، فللمرأة كثرة معاودتها ، ثم تبين بكثرة مقدار المأكول . فيصير للخصي نصيبان ، نصيبه من شبه النساء ، ثم اجتماع قوى شهوته في باب واحد ، أعنى شهوة المنكح التي تحولت ، وشهوة للطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أي شيء آكل؟ قال : برذونة رغو^(٣) .

ولشدّة نهم الإناث ، صارت البرذنة أشدّ غراما وأزرق ، إذا طلبت الإنسان لتأكله ، وكذلك^(٤) صارت إناث الأجناس الصائدة كالإناث

(١) في الأصل « أمتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) في ط « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغو^(٣) : مرضعة .

(٤) في الأصل « ولتلك » .

من الكلاب [والبُرَاة] وما أشبه ذلك ، أحرص ما تكون عند ارتضاع جرائها [من أطباؤها] حتى صار ذلك منها سبباً للحرص والنهم في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضو تأثير الصوت ، حتى لا ينجى على من سمعه من غير أن يرى صاحبه أنه خصى ، وإن كان النى يخاطبه ويناقله الكلام أخاه أو ابن عمه ، أو بعض أترابه من حوالة جنسه ، وهذا المعنى يعرض لخصيان الصقالية أكثر مما يعرض للخرسانية ، والسودان من السند والجُشَن . وما أقل من تجده ناقصاً عن هذا المقدار ، ألا وله بيضة أو عرق ، فليس يحتاج في صحته تمييز ذلك ، ولا إلى دقة^(١) الحس فيه ، إلى حذق ببقافة ، بل تجد ذلك شائعاً في طباع السقلة والفتراء^(٢) ، وفي أجناس الصبيان والنساء .

(شعر الخصى)

ومتى خصى قبل الإنبات لم ينبت ، وإذا خصى بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه ، تساقط كله إلا شعر العانة ، فإنه وإن قص من غلظه ومقدار عدده فإن الباقي كثير . ولا يعرض ذلك لشعر الرأس ، فإن شعر

(١) في ط . « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الملاحظ.

(٢) كذا في ط وهو الصواب . وفي ل « الفتر » . في القاموس « الفترة محركة ،

والفتراء ، والفتر بالضم ، والفيرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشعار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شعرِ الرأسِ خلافُ حكمِ أشعارِ العينين ، وقد ذكرنا ذلك في موضعه من باب القول في الشعر ، وهذه الخصال من أما كن شعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائد في النبات . ألا ترى أن المرأة لا تصلحُ ، فناسبها [ألخصى] من هذا الوجه ، فإنَّ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرع ، لا من جهة النَّزَعِ والجَلَحِ [والجَلَه] والصَّلَع^(١) ، وكذلك النساء في جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان في قُصَّاصِ مقاديرِ شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزعٍ ولا جَلَحٍ ، إذا لم يكن ذلك حادثاً يُحدِّثه الطعنُ في السن . وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصَّاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصَّاصها ، وليس شعرها كلها دنا من موضع اللامسة والانجراد فيكون أرقَّ حتى يَقلَّ ويضمحلُّ ، ولكنه ينبُت في مقدار ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه اقطاعاً واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتكون لها شَعَرَاتٌ رقيقةٌ رَغِيْبَةٌ كالغِذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخصى إلا من علة في الخصاص ، ولا يرى أبداً بعد مقطع من صُدْعِهِ شَيْءٌ من الشعر ، لا من رقيقته ولا من كثيفه .

(١) النزع : انحسار الشعر من جانبي الجبهة . الجلع : انحساره عن جانبي الرأس .
الجله والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات ألحى والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثر ما رأيته في عجائز النّساقين ، وكذلك القَبَب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بخنثى ، بل [نَجِدُهَا] أنثى تامّة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذى يقوى ، حتى يظهر في غير ذلك المكان [ولا تعرض ألحى للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] وليس يعرض ذلك للخصى وقد ذكر أهل بغداد ، أنه كان لابنة من بنات محمد بن راشد النفاق ، لحية وافرة ، وأنها دخلت مع نساء متنفّبات إلى بعض الأعراس لترى الثرس وجلوة الثروس ، قطعت لها امرأة فصاحت : رجل والله ! وأحال^(١) الخدم والنساء عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلة إلا الكشف . عن فرجها ، فترعن عنها^(٢) وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً للخصى المرأة في الانحيراد والزعر ، بأن تجد المرأة زباً ، النراعين والساقين ، وتجد ركب^(٣) المرأة في الشعر كأنه عانة الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك . ولا يعرض للخصى ما يعرض للذك إذا خصى ، أن يذبل عُضْرُفُ عُرْفِهِ ولحيته .

والخصاء ينقص من شدة الأسر ، وينقص^(٤) مُبرَم القوى ، ويُرخى معاقِد القصب ، ويقرب من الهرم والبلى .

(١) في ل « فأقبل » .

(٢) في ل « فكفّن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط « وينقص » بالصاد . وصوابه ، في ل .

(مشى الخصى)

ويعرض للخصي أن يشتد وقع رجله على أرض السطح ، حتى لو
تفقدت وقع قدمه وقدم أخيه الفحل [ألذي هو أعل^(١) منه] لوجدت
لوقعه ووطئه شيئاً لا تجده لصاحبه . وكان العضو الذي كان يشد
٥٣ توتير النساء^(٢) ، ومعاًقد الوركين^(٣) ومعاليق المصب ، لمّا بطل وذهب
الذي كان يمسكه ويرفقه ، فيخف لذلك وقع رجله ، صار كالذي لا يتماثل ،
ولا يحمل بعضه بعضاً .

(أثر الخصاء في الذكاء)

ويعرض له أن أخوين صقلبيين من أم وأب ، لو كان أحدهما توأم
أخيه ، أنه متى خصى أحدهما خرج الخصى منها أجود خدمة ، وأفطن
لأبواب المعاطاة والمناولة ، وهو لما أهن وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلاً
عند المحاطبة ، فيخص بذلك كله ، ويبقى أخوه على غثارة^(٤) فطرته ، وعلى
غباوة غريزته ، وعلى بلاهة^(٥) الصقلبية وعلى سوء فهم العجيبة .
ويد الإنسان لا تكون [أبداً] إلا خرقاء ، ولا نصير صناعاً ما لم تكن

(١) أعل منه : أضخم منه .

(٢) في ط « وكان العضو الذي به يشتد يشد توتير النساء » وفي ل « وكان العضو
الذي كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال
عرق « النساء » وإنما هو « النساء » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن العى لا يضاف
إلى نسه .

(٣) في ط « ومعاليق الوركين » وليس يسي .

(٤) في ط « غشاوة » وفي ل « غثارة » بالين ولعل صوابها ما أثبت . والأغثر :
الأحق الجاهل .

(٥) في ط « بلاهته » وأبدلتها بما في ل ليم تساوق الكلام .

المعرفة نقاطاً لها، واللسان لا يكون أبرأ، ذاهباً في طريق البيان، متصرفاً في
الأنفاط، إلا بعد أن تكون المعرفة متخلّلةً به، منقلبةً له، واضحةً له في مواضع
حقوقه، وعلى أماكن خطوطه، وهو علةٌ له في الأماكن العميقة، ومصرّفةٌ
له في المواضع المختلفة .

فأول ما صنع الحِصاء بالصَّغْلِيّ تركيُّه عقله، وإرهاقُ حِده، وشغذُ
طبعه، وتحريكُ نفسه . فلما عرّف كانت حركته تابعةً لمعرفته، وقوته
على قدر ماهيته^(١) .

فأما نساء الصقابة وصبيانهم، فليس إلى تحويل طبائعهم، ونقل خلقهم
إلى الفطنة الثاقبة، وإلى الحركة الموزونة، وإلى الخدمة الثابتة الواقعة
بالمواقفة، سبيلٌ . وعلى حسب الجهل يكون الخرق، وعلى حسب المعرفة
يكون الحِذق . وهذا جملة القول في نساءهم، وعلى أنَّهم لاحظوا لهنَّ
عند الخلوة، ولا تقاذ لهنَّ في صناعة؛ إذ كنَّ قد مُنِعن فهم للعاطاة
ومعرفة للنائلة .

والخِصيان مع جودة آلائهم، ووقارة طبائعهم في معرفة أبواب
الخدمة، وفي استواء حالهم في باب العاطاة، لم تراحداً منهم قطُّ تقد في
صناعة تُنسب إلى بعضٍ للشقة، وتضاف إلى شيء من الحكمة، ممَّا
يُعرف بيبعد الرويّة، والنوص بإدامة الفكرة، إلا ما ذكرُوا من نقاذ
تقف^(٢) في التجريك للأوتار، فإنه كان في ذلك مقدماً، وبه مذكورا .

(١) في ط «ماجه» وأثبت ما في ل .

(٢) كذا في ل . وفي ط «دامة» وفي س «تف» .

إِلَّا أَنَّ الْخَصِيَّ مِنْ صِبَاهٍ، يُحْسِنُ صِنْعَةَ الدُّبُوقِ^(١)، وَيُجِيدُ دُعَاءَ الْحَمَامِ الطُّورِيِّ^(٢)، وَمَاشَتْ مِنْ صِنَارِ الصَّنَاعَاتِ .
وقد زعم البصريُّون أَنَّ حَدِيحًا^(٣) الْخَصِيَّ، خَادِمَ مُتَنَّى بْنِ زُهَيْرٍ،
كَانَ يُجَارَى^(٤) مُتَنَّى فِي الْبَصَرِ بِالْحَمَامِ، وَفِي حُجَّةِ الْفِرَاسَةِ، وَإِتْقَانِ الْمَعْرِفَةِ،
وَجُودَةِ الرِّيَاضَةِ، وَسَنَدُ كُرِّ حَالِهِ فِي بَابِ الْقَوْلِ فِي الْحَمَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
هَذَا قَوْلُهُمْ فِيمَنْ خَصِيَ مِنَ الصَّقَالِبَةِ . وَمَلَوْكُنَا لِقَوْلِ خَصِيَّانِ ٥٤
خُرَّاسَانَ أَحْمَدَ، وَهُوَ قَلِيلٌ، وَلِذَلِكَ لَمْ نَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ بِشَيْءٍ مَشْهُورٍ،
وَأَمْرٌ مَذْكُورٌ .

(خَصِيَّانِ السَّنَدِ)

وَأَمَّا السَّنَدُ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَيْضًا مِنَ الْخَصِيَّانِ إِلَّا النَّفْرُ الَّذِينَ كَانَ
خَصَامُ مُوسَى بْنِ كَعْبٍ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بَعْضَهُمْ، وَزَعَمَ لِي أَنَّهُ خَصِيَ أَرْبَعَةً
هُوَ أَحَدُهُمْ، وَرَأَيْتُ الْخِصَاءَ، قَدْ جَذَبَهُ إِلَى حَبِّ الْحَمَامِ، وَعَمِلَ التَّكَكَّ^(٥)،
وَالْمَهْرَاشَ بِالْإِدْيُوكِ، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَجْرِ مِنْهُ عَلَى عَرَقٍ، وَإِنَّمَا قَادَهُ إِلَيْهِ قَطْعُ
ذَلِكَ الْمَضُورِ .

-
- (١) الدُّبُوقُ : هُنَا جَمْعُ دُبُقٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الدُّبُوقُ وَالدُّبُوقَاءُ : غِرَاءٌ يُصَادُ بِهِ الطَّيْرُ .
وَالدُّبُوقُ كَقَوْلِهِ فِي الْقَامُوسِ : لَعِبَةٌ مَعْرُوفَةٌ .. وَلَيْسَتْ مُرَادَةً فِي هَذَا الْكَلَامِ .
(٢) فِي ط « الضَّوَارَى » وَفِي ل « الصَّوَارِ » وَصَوَابُهُمَا « الطُّورِيُّ » وَهُوَ الْوَحْشِيُّ
(٣) فِي ط « خَدِيحًا » بِالْهَاءِ . وَقَدْ كَتَبْتُ مَا فِي ل وَ س .
(٤) فِي ط « يَجْرَى » .
(٥) التَّكَكُّ : رِبَاطُ السَّرَاوِيلِ وَالْجَمْعُ تَكَكَّ، وَيَدْعُو لِي أَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ، كَمَا صَرَحَ بِذَلِكَ الْحَافِي
فِي شِفَاءِ الْغَلِيلِ، وَلَمْ يَحْضُرْ صَاحِبُ الْقَامُوسِ لِذَلِكَ .

(خصيان الحبشة والنوبة وأصناف السودان)

فَأَمَّا الْخَصْيَانُ مِنَ الْحَبْشَانِ وَالنُّوبَةِ وَأَصْنَافِ السُّودَانِ ، فَإِنَّ الْخَصَاءَ
يَأْخُذُ مِنْهُمْ وَلَا يَعْطِيهِمْ ، وَيَنْقُصُهُمْ وَلَا يَزِيدُهُمْ ، وَيَحْطُطُّهُمْ عَنْ مَقَادِيرِ
إِخْوَانِهِمْ ، كَمَا يَزِيدُ الصَّقَالِبَةَ عَنْ مَقَادِيرِ إِخْوَتِهِمْ ، لِأَنَّ الْحَبْشِيَّ مَتَى خُصِيَ
سَقَطَتْ قَسَمُهُ ، وَثَقُلَتْ حَرَكَتُهُ ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ ، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَعْزُضَ لَهُ
فَسَادٌ ، لِأَنَّهُ مَتَى اسْتَقْصَى جِبَاهَهُ . لَمْ يَتَسَاكُ يُولَهُ ^(١) ، وَسُلْسُ مَخْرَجِهِ ،
وَاسْتَرَخَى الْمَسْكُ لَهُ ، فَإِنْ هُمْ لَمْ يَسْتَقْصُوا جِبَاهَهُ ، فَإِنَّمَا يُدْخِلُ الرَّجُلُ مَنَزَلَهُ
مِنْ لَهُ نِصْفُ ذَلِكَ الْعَضْوِ ^(٢) . وَعَلَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ مِنْهُمْ خَصِيًّا أَبَدًا ، إِلَّا وَبُسْرَتِهِ
يُجْرَوُ ، وَنَحْوُهُ ^(٣) شَنِيعَةٌ ، وَذَلِكَ عَيْبٌ شَدِيدٌ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْفَتَقِ ، مَعَ
قُبْحِهِ فِي الْقَيْنِ ، وَشُنْعَتِهِ فِي الدَّكْرِ . وَكُلُّ مَا قَبِيحٌ فِي الْعَيْنِ فَهُوَ مُؤْلَمٌ ،
وَكُلُّ مَا شُنْعٌ فِي النَّفْسِ فَهُوَ مُؤْذٍ . وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجِدُ فِيهِمُ الْأَطْعَمَ ^(٤) ، وَذَلِكَ
فَاشٍ فِي بَاطِنِ شَفَاهِهِمْ . وَمَتَى كَانَتْ الشَّفَاهُ هَذُلًا ، وَكَانَتْ الْمَشَاوِرُ مُنْقَلِبَةً ،
كَانَتْ أَظْهَرَ لِلطَّعَمِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبَرَصِ . وَالْبَيَاضُ الَّذِي يَعْزُضُ لِقَرَامِيلِ
الْخَلِيلِ وَخُصَّاهَا ^(٥) ، ضَرْبٌ أَيْضًا مِنَ الْبَرَصِ ، وَرَبْمَا عَرَّضَ مِثْلَ ذَلِكَ
لِخَشْفَةِ قَضِيبِ الْمُحْتَوْنِ ، إِمَّا لَطَمِ الْحَدِيدِ ، وَإِمَّا لِقَرَبِ ^(٦) عَهْدِهِ بِالْإِحْدَادِ
وَسَقَى الْمَاءَ ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْدُو مَكَانَهُ .

(١) فِي ط « وَلَمْ يَتَسَاكُ يُولَهُ » وَالْوَجْهَ حَذْفُ الْوَائِ كَمَا فِي ل .

(٢) فِي الْكَلَامِ هَسٌ وَتَحْرِيفٌ وَلِلَّ صَوَابِ الْبَابَةِ : « فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَسْغَسْ جِبَاهَهُ فَقَلَّمَا
يُدْخِلُ الرَّجُلُ مَنَزَلَهُ مِنْهُمْ ... الخ »

(٣) فِي ط « وَنَحْوُهُ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَدْ أَبْدَلْتُهَا بِمَا فِي ل . وَالْبَجَرَةُ : الْفَقْدَةُ فِي
الْبَطْنِ وَالْوَجْهَ وَالنَّقْ .

(٤) الْأَطْعَمُ : بَيَاضٌ فِي بَاطِنِ الشَّفَةِ . وَأَكْثَرَ مَا يَتَرَى ذَلِكَ السُّودَانِ .

(٥) فِي ط « وَخُصَّاهَا » وَلَيْسَتْ مُرَادَةً . وَمَا هُنَا جَمْعٌ خَصِيَّةٍ .

(٦) فِي ط وَ س « لَقَدَمٌ » وَهُوَ خَطَأٌ صَوَابُهُ فِي ل وَيُؤَيِّدُهُ مَا كُنِيَ الْجَاهِظُ فِي
الْجِيَوَانِ ٧ : ١١ طَبَعَ السَّاسِيُّ « وَمَنْ أَنْ تَكُونَ لِلْمَوْسَى حَدِيثَةَ الْمَهْدِيَّ بِالْإِحْدَادِ » .
وَطَبَعَ الْحَدِيدُ رَدَاةً .

وكما عظم الحشفة انبسط ذلك البياض على قدر الزيادة فيها ،
وإنما ذلك كالبياض الذي يعرض من حرق النار وتشيطها^(١) ، وكذلك
يعرض للصقالبة من التعالج بالكى ، وربما اشتد بياضه حتى يفحص
ويؤديه^(٢) ، إلا أنه لا يفشو ولا ينتشر ، إلا بقل ما ينسط مكانه ، ويتحول
صاحبه رجلاً ، بعد أن كان صبياً^(٣) . وليس كالذى يعرض من البلغم ومن
المرّة . وبعض البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضه لا يذهب
ولا يقف ، بل لا يزال يتفشى ويتسع حتى ربما سلخه ، ولا يذهب إلا بأن
يذهب به نبي^(٤) ، فيكون ذلك علامة له . ومن البهق الأبيض ما يكاد
يلحق بالبرص^(٥) ، ولكن الذى هوّن أمره الذى ترون من كثرة بُرء
الناس منه .

ثم الخشاء يكون على ضروب ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك
ما يعرض بعد الكبر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض
للعجم ، كما خصى بعض عباهلة اليمن^(٦) علقمة بن سهل الخصى .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمة بن عبدة الفحل ، حين وقع على هذا اسم الخصى .

(١) فى ط « وتشيطه » .

(٢) هو تسهيل « يردّه » أى يجعله ردياً ويفسه .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرحلة ضم الراء : ياتر فى
إحدى رجلى الباب . أما « صيا » فلعلها « مصتا » والمصبت : الذى لا يخالط
لونه لون آخر .

(٤) فى ط « شيء » وقد أبدله بما فى ل .. وكان عيسى عليه السلام يرىء الأكمة
والأبرص باذن الله .

(٥) فى ط « ما يكون ملحقا بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقباهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَبَ الجَدِيلِ^(١) وداعراً ، الصالحين
الكرمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهود على قُدَامَةِ
ابنِ مَظْمُونٍ في شرب الخمر ، وهو الذي قال لعمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه : أَتَقْبِلُ شَهَادَةَ الْخَصِيِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبلُ .

وهو علقمة بن سهل بن عمارة ، فلما سموه الخصى ، قالوا لعلقمة بن
عُبَيْدَةَ : الفحل . وعلقمة الخصى الذى يقول :

فَلَنْ يَدْعَمَ الْبَاقُونَ قَبْرًا لِحَثِّي^(٢) وَلَنْ يَدْعَمَ الْمِيرَاثَ مَنِّي الْوَالِيَا
حِرَاصُ عَلَى مَا كُنْتُ أَجْعُ قَبْلَهُمْ هَنِيئًا لَهُمْ جَمْعِي وَمَا كُنْتُ وَالِيَا
وَدَلِيلُ فِي زُرُوءٍ مُنَّمَتَ أَعْنَقُوا لِسَانَهُمْ قَدْ أَفْرَدُونِي وَشَانِيَا
فَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ لِعَيْرِي ، وَكَانَ لِلْمَالِ بِالْأَسْمَاءِ
وَكَا عَرَضَ لِلدَّلَالِ وَنَوْمَةِ الضُّحَى ، مِنْ خِصَاءِ عُثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ [الرَّمِيَّ]
وَالِي الْمَدِينَةِ لَهَا ، بِكِتَابِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مَنْ يَدْعَى أَبًا عَامِلًا لِلْمَدِينَةِ صَفًّا ، لِأَنَّهُ رَأَى فِي
الْكِتَابِ : أَحْصَى مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْخَنَثَيْنِ قَرَأَهَا : أَحْصَى مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

(١) في ط « الجزيل » وصوابه « الجدِيل » كما في ل والقاموس ، قال : غل للتمنان
ابن التنر .. وأما داعر فهو غل منجب . وجنب البعير : فاده إلى جنبه .
(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا في هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ - ١٨٠
وذيل أمالي القالي ١٣٥ والمفضليات ٣١٥ والقصد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة
هذه الأبيات ، منسوبة إلى مالك بن الربيع .

الْحَثَّيْنِ . وذكر الميثمُ عن الكاتب الذي تولى قراءة ذلك الكتاب ،
أنَّهُ قال : وكيف يقولون ذلك ؟! ولقد كانت الحياء معجبةً بنقطةٍ ، كأنها
سُهَيْل [أو ثَمَرَةٌ صِيحَانِيَّةٌ ^(١)] فقال اليعقوبى ^(٢) : ما وجهُ كتابِ هشامٍ
في إحصاءِ عددِ الْحَثَّيْنِ ؟ وهذا لا معنى له ، وما كان الكتابُ إلَّا بالحاء
للعجوة دون الحياء للمهلة . وذكر عن مشايخ من أهل المدينة أنهم حكوا
عنهما أنهما قالَا : الآن صِرْنَا نساءً بالحق !! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارا
أن يكونا امرأتين ! قال : وذكر أنهما خرجا بالخصلتين من الحياء
والتخنيث ، من فتورِ الكلام ولينِ الفاصل والعظام ، ومن التفكُّك
والتثني ، إلى مقدارٍ لم يروا أحداً بلغه ، لامن محتثات النساء ، ولا من
مؤثتى الرجال .

(أبو همام السنوط)

وكما عرَّض لأبي همام السُّنُوط ^(٣) من امتلاخ اللُّحْمِ مذا كيرِه
وخصيَّه ^(٤) ، أصابه ذلك في البحر في بعض المغازى ^(٥) ، فسقطت لحيتُه ،
ولقَّب بالسُّنُوط ، وخرج لذلك نهماً وشراً .

(١) الصيحاني : ضرب من التمر أسود صلب المضفة . وسمى صيحانيا لأن صيحان اسم
كيش كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأعرت تمرا فنب إلى صيحان .

(٢) في ط ، ل ، س « اليعقوبى » بالباء وإنما هو بالياء كما في مواضع متعددة
من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ في البلاء ١٧٦ وجاء محرفاً بالمسوط ، والسنوط بالفتح والتخفيف :
من لاجية له أصلاً ، أو الخفيف العارضين .

(٤) في ط « من امتلاخ لحم مذا كيرِه وخصيَّه » وهو تحريف صوابه في ل وجاء
في القاموس : اللحم بالنم : ستمك بحرى . وقد ضبط في معجم الملووف ص ٢٢٥
بالفتح سهواً ، قال : وهو يعرف بالقرش في سواحل البحر الأحمر .

(٥) في ل « أصابه ذلك في البحر ستمكة في بعض المغازى » .

وقال ذات يوم : لو كان النخل بفضه لا يحمل إلا الرطب ، وبفضه لا يحمل إلا التمر ، وبفضه لا يحمل إلا الخبز^(١) ، وبفضه لا يحمل إلا البسر ، وبفضه لا يحمل إلا الخلال ، وكنا متى تناولنا من الشراخ بفسره ، خلق^{٥٦} الله مكانها بفسرين ، كما كان بذلك بأس ! ثم قال : أستغفر الله ! لو كنت تمتيت أن يكون بدل نواة التمر زبدة كان أصوب !!
ومنه ما يمرض من جهة الأوجاع التي تعرض للذا كبر والخصيتين ، حتى ربما امتلصها طيب ، وربما قطع إحداها ، وربما سقطتا جميعا من تلقاء أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوام يزعمون أن الولد إنما يكون من البيضة اليسرى^(٢) ، وقد زعم ناس من أهل سليمان بن علي ومواليهم ، أن ولد داود بن جعفر الخطيب المعزلي ، إنما ولد له بعد أن تزعت بيضته اليسرى ، لأمر كان عرض له .

والخصي الطيان ، الذي كان في مسجد ابن رغبان^(٣) ، ولد له غلام ، وكان ليس له إلا البيضة اليمنى ، فجاء أشبه به من الثباب بالثباب ، والعراب بالعراب ، ولوأبصره أجل خلق الله تعالى بفراصة ، وأبعدهم من قياقة ، ومن مخالطة النخاسين ، أو من مجالسة الأعراب ، لعل أنه سلأته

(١) في ط ، س « الخبز » و ل « النصف » وصواب الأول « الخبز » وهو اليسر أرطب إلى نصفه .

(٢) لهذا كلام في البيان ١ : ٢١٥ .

(٣) في ط « ابن رغبان » بالزاي وأبدله بما في ل وما في معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة في المعارف ٢٦٦ « ابن رغبان الذي ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولد حبيب بن مسلمة . . وكان حبيب عظيم القدر ، على الولايات زمن عثمان ومعاوية . »

ونخلصه ، لا يحتاج فيه إلى مجزئ للدلي^(١) ، ولا إلى ابن كرز^(٢) الخراعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل اللل ، من يخصى ابنه ويقفه على بيت العبادة ، ويجعله سادنا ، كصنيع الروم ، إلا أنهم لا يحدثون فى القضيب حدثا ، ولا يتعرضون إلا للأنثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إقبال نسائهم ورواهم^(٣) فقط !! فأما قضاء الوطر وبلوغ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلغون من ذلك مبلغا لا يبلغه الفحل ، كأنهم يزعمون أنه يستقصى جميع ما عردها ويستجلبه ، لقرط قوته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكل خصاء فى الدنيا فأنما أصله من قبل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدعون من الرأفة والرحمة ، ورقة القلب والكبد ، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخصاء مثلة ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جرم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصىان ، من طلب الطوائل وتذكر الأحقاد ، ما لم يظنوه عندهم ، ولا خافوه من قبلهم ،

(١) فى ط «عمرز» وإنما هو «عجز» كما فى ل والقاموس والإصابة . وهو صاى

له ذكر فى الصحيحين .. وكان الرجل قائما .

(٢) فى ل «كرز» .

(٣) فى ط «ودواهم» وتصحيحه من ل ، والرواهب جمع راهبة .

فلاهم يَنْزِعُونَ ، ولا الخَصِيَّانِ يَنْكِلُونَ ، لأن الرِّمَایَةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصى أسواراً بلغ منهم ^(١) ، وإن كان جمع مع الرماية التَّروَةُ ، واتخذ بطرسوس ، وأذنة ، الضَّيَاعَ واصطنع الرجال ، واتخذ المقد المُعَلَّةُ ^(٢) فمضرة كل واحد منهم عليهم ، تَنِي بِمَضْرَةٍ فَأَنْدِ ضَمَح . ولم ترَ عداوة قط تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة في النساء ، وعلى شهوة شديدة للبِصَافَةِ ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ماقدوا ، وهذه ٥٧ خصلة كريمة مع طلب الثوبة ، وحسن الأحداث .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفسه ، فهو في هذا الموضع قد تقدم الروي ، فيما أظهر من حُسْنِ النِّيَّةِ ، وانتحل من الديانة والعبادة ، بخصاء الولد التام ^(٣) ، وبإدخاله النقص على النسل ، كما فعل ذلك أبوالمبارك الصابي . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يعيشون إليه ، ويسمعون منه ، ويسمر عندهم ، للذي يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطُرف الأخبار ، ونوادير الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمع قطُّ بأغزَل منه ، وإن كان يصدق عن نفسه ، فما في الأرض أزنى منه .

(١) ط « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالسهم

وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهم .

(٢) في ط « واتخذ المقد والميد المُعَلَّة » والمقد جمع عقدة وهي الضبعة .

(٣) في ط « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدثني محمد بن عباد قال : سمعته يقول - وجري ذكرُ النساء ومحلُّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عليهنَّ أحرصَ كانَ ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكانَ أذهبَ له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه ، إذ كانَ قد جُعِلَ رجلاً ولم يُجْعَلْ امرأةً - قال ابنُ عباد ، فقال لنا : أَلَسْتُمْ تعلمون أنَّي قد أُرَيْتُ على المائة ، فينبغي لمن كانَ كذلك أن يكونَ وهُنَّ الكِبَرُ ، وقادُ الذِّكْرِ ^(١) ، وموتُ الشهوة ، واقتطاعُ ينبوعِ النطفة ، قد أَمَاتَ حنينه إلى النساء وتفكيره في التزكُّل ، قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ مَنْ عوَّدَ نفسه تركهنَّ مدداً ، وتخلَّى عنهنَّ سنينَ ودَهراً ^(٢) ، أن تكونَ المادة وتغريُّ الطبيعة ، وتوطئُ النفس ، قد حطَّ من ثقلِ منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتُ أنَّ المادة [التي] هي الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعضِ عمدِ هَجَرٍ للمامةِ النساءِ ^(٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ مَنْ لم يذُقْ طعمَ الخلوةِ بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمعْ حديثهنَّ وخلاجاتهنَّ للقلوب ، واستأثرتنَّ للأهواء ، ولم يَرِهِنَّ منكشفاتٍ عارياتٍ ، إذا تقدمَ له ذلك معَ طولِ التَّركِ ، ألا يكونَ بقيَ معه من دواعيهنَّ شيء ، قال ، قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ لِمَنْ قد عِلِمَ أنه محبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خلَاطهنَّ محسوم ، أن يكونَ اليأسُ من أمتنِّ أسبابه إلى الزهد

(١) الذكر هنا في معنى التذكُّار .

(٢) في ل « زهداً » بدل « مدداً » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) في ل « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون من دعاء الزهد في الدنيا ، وفيما يحتويه النساء مع جملهن ، وفتن النساء بهن ، واتخاذ الأنبياء لهن ، إلى أن خصى نفسه ، ولم يذكره عليه أب ولا عدو ، ولا سب سب ، أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار الذي يُميت الذكر لهن ، ويُسرّي عنه ألم فقد وجودهن^(١) ، وينبغي لمن ٥٨ كان في إمكانه أن ينشئ العزم^(٢) ويختار الإرادة التي يصير بها^(٣) إلى قطع ذلك العزم الجامع لكبار الذات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخل على الخلقة ، أن تكون الوسواس في هذا الباب لا تعرفه ، والبواعي لا تفرقه^(٤) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لمن سَخَتْ نفسه عن السكّن وعن الولد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسي هذا الباب ، إن كان قد مرّ منه على ذكر . هذا وأتم تعلمون أنّي سمّلتُ عيني يوم خَصَيْتُ نفسي ، فقد نسيتُ كيفية الصّور وكيف تروع ، وبجملتُ المراد منها ، وكيف تُراد ، أفأكان^(٥) [من كان كذلك] حرّاً أن تكون نفسه ساهيةً لأهيةً مشغولةً بالباب الذي أحتمل له هذه المكارة . قال : قلنا : صدقت . قال : أو لو لم أكن هَرَمًا^(٦) ، ولم يكن هاهنا طولُ اجتناب ، وكانت الآلة قائمةً أليس في^(٧) أنّي لم أذق حيواناً منذ ثمانين

(١) في ل « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .

(٢) في ط « وينبغي لمن كان في مكانه ألا ينسى العزم » .

(٣) في ط « يصيب بها » .

(٤) قراه يقرؤه : قصده . وفي الأصل « تطروه » .

(٥) في ط « فإكان ذلك » وتصحيحه من ل .

(٦) في الأصل « أوليس لو لم أكن هرباً » .

(٧) في الأصل « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُروقي^(١) من الشرابِ غفافة الزيادة في الشهوة ، والنقصان من العزم - أليس^(٢) في ذلك ما يقطع الدواعي ، ويُسكن الحركة إن هاجت ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : فإني بعدَ جميع ما وصفتُ لكم ، لأسمعُ نعمةَ المرأةِ فأظنُّ مرَّةً أنْ كِيدِي قد ذابت ، وأظنُّ مرَّةً أنها قد انصدعت ، وأظنُّ مرَّةً أنْ عَقْلِي قد اختلس ، وربما اضطربَ قُوَادِي عند ضحكٍ إحداهنَّ ، حتَّى أظنُّ أنه قد خرجَ من في ، فكيف ألومُ عليهنَّ غيري ؟!

فإن كان - حفظك الله - تعالى قد صدقَ على نفسه في تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستين سنةً أو سبعين سنةً ؟! وما ظنُّك به قبلَ الخلاء بساعة ؟! وليس في الاستطاعة ولا في صفة الإمكان ، أن يحتجز عن إرادة النساء ، ومعه من الحاجة إليهنَّ والشهوة لهنَّ هذا القدر ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه ، وأعدلُ على عباده ، من أن يكلفهم هجرانَ شيء ، قد وصله بقلوبهم هذا الوصول ، وأكده هذا التأكيد .

وقد خصى نفسه من الصابئين رجالاً ، قد عرفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفي الذي ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون في الخلاء)

وقد ذكر أن عثمان بن مظعون ، استأذنَ النبي صلى الله عليه وسلم في السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةِ » واستأذنه في الخلاء فقال :

(١) في ط « شمل » وما أثبتته من ل .

(٢) في الأصل « لكان » .

« خِصَاءُ أَتَى الصَّوْمَ ، وَالصَّوْمُ وَجَاءَ » فهذا خِصَاءُ الدِّيانَةِ .

(خِصَاءُ الْجَلْبِ وَقِسْوَتُهُ)

٥٩

فَأَمَّا مَنْ خَصَى الْجَلْبَ^(١) عَلَى جِهَةِ التِّجَارَةِ ، فَإِنَّهُ يَجِبُ الْقَضِيبَ ،
وَيَمْتَلِخُ الْأُنْثِيَيْنِ ، إِلَّا إِنْ تَقَلَّصَتْ إِحْدَاهُمَا مِنْ فَرْطِ الْفَرْعِ^(٢) ، فَتَصِيرُ إِلَى
مَوْضِعٍ لَا يُمْكِنُ رُدُّهَا إِلَّا بِعِلَاجٍ طَوِيلٍ ، فَلِلْخَاصِيِّ عِنْدَ ذَلِكَ ظَلَمٌ لَا يَنْبَغِي بِهِ
ظُلْمٌ ، وَظُلْمٌ يُرْبِي عَلَى كُلِّ ظُلْمٍ^(٣) ، لِأَنَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَحْفَلُ بِمَوْتِ الْمُتَقَلِّصِ^(٤) ،
وَيَقْطَعُ مَا ظَهَرَ لَهُ ؛ فَإِنْ بَرَى مُجْبُوبَ الْقَضِيبِ أَوْ ذَا بَيْضَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ تَرَكَ
لِلْأَمْرَةِ وَلَا رَجُلًا وَلَا خَصِيًّا ، وَهُوَ حِينَئِذٍ يَخْنُ تَخْرُجُ لِحَيْتُهُ ، وَيَمْنُ لَا يَدْعُهُ
النَّاسُ فِي دُورِهِمْ وَمَوَاضِعِ الْخُصُوصِ مِنْ بَيْتِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ مَعَ الْخَصِيَّانِ
مَقَرًّا وَمَكْرَمًا ، وَخَصِيبَ الْعَيْشِ مَنَعْمًا ، وَلَا هُوَ إِذَا رُبِيَ بِهِ فِي الْفَحُولِ ،
كَانَ لَهُ مَا لِلْفَحُولِ مِنْ لَذَّةِ غَشِيَانِ النِّسَاءِ ، وَمِنْ لَذَّةِ النِّسْلِ وَالتَّمَتُّعِ بِشَمِّ
الْأَوْلَادِ ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ الْفَحُولِ مُسْتَضْعَفًا مُحْتَقَرًا ، وَعِنْدَ الْخَصِيَّانِ مَجْرَحًا
مُطْرَحًا^(٥) ، فَهُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ السَّدَمِ الْمَعْنَى^(٦) فَلَا أَعْلَمُ قَتْلَهُ - إِذَا كَانَ

(١) الجلب : ما جلب من خيل وغيرها .

(٢) ط « الفرع » والصواب ما في ن .

(٣) ن « وظلم يربي على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط « بموت المتقلص » وصوابه في ن .

(٥) ن « محرجا مطردا » .

(٦) السان : السدم : الذي يرغب عن فخته ، فيجال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ، فيرى
خوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتحه . قال الوليد بن عقبة :
قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق وماتريم

القتلُ قَتْلَةً صرِيحَةً^(١) - مَرِيحَةً - إِلَّا أَصْفَرَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَسْهَلَ عَلَى هَذَا
الْمُظْلَمِ مِنْ طَوْلِ التَّنْذِيبِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ .

(خِصَاءُ الْبَهَائِمِ)

وَأَمَّا خِصَاءُ الْبَهَائِمِ ، فَهُوَ الْوِجَاءُ ، وَهُوَ أَنْ يَشْدَّ عَصَبُ مَجَامِعِ الْخُصِيَّةِ
مِنْ أَسْلِ الْقَضِيبِ ، حَتَّى إِذَا نَدَّرَتِ الْبَيْضَةُ ، وَجَحَّظَتِ الْخُصِيَّةُ ، وَجَأَهَا
حَتَّى يَرْضَهَا ، فَهِيَ عِنْدَ ذَلِكَ تَذُبُّلٌ وَتَنْخَسَفُ ، وَتَذْوِي وَتُسْتَدِيقُ ، حَتَّى
تَذْهَبَ قُوَاهَا ، وَتَسْدَّ الْمَجَارِيُّ إِلَيْهَا ، وَيَسْرَى ذَلِكَ الْفَسَادُ إِلَى مَوْضِعِ تَرْبِيَةِ
النُّظْفَةِ ، فَيَمْنَعُهَا مِنْ أَنْ تَكْثُرَ أَوْ تَعْدِبَ أَوْ تَحْتُرُ .

وَمِنْهَا مَا يَلُونُ بِالشَّدِّ وَالْعَصَبِ ، وَشَدَّةِ التَّحْزِيقِ ، وَالْعَقْدِ بِالْخِلِيطِ الشَّدِيدِ
الْوَتِيرِ الشَّدِيدِ الْقَتْلِ ، فَإِذَا تَرَكَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمِلَ فِيهِ وَحَزٌّ ، أَوْ أَكَلٌ
وَمَنْعَةٌ مِنْ أَنْ يَجْرَى إِلَيْهِ الْغَذَاءُ ، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْقَطِعَ وَيَسْقُطَ .
وَمِنْهُ الْاِمْتِلَاخُ ، وَهُوَ اِمْتِلَاخُ الْبَيْضَتَيْنِ .

(خِصَاءُ النَّاسِ)

فَأَمَّا خِصَاءُ النَّاسِ ، فَإِنَّ لِلْخَاصِي حَلِيلَةً مَرْهَفَةً مُخَمَّاةً ، وَهِيَ الْحَاسِمَةُ ،
وَهِيَ الْقَاطِعَةُ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ [يُقَالُ] خَصَّيْتُ النَّابَةَ أَخْصَيْتُهَا خِصَاءً ،
وَوَجَّأْتُهَا أَجْوَأُهَا وَجَاءً . وَيُقَالُ ، بَرَأْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْخِصَاءِ أَوِ الْوِجَاءِ ، وَلَا يُقَالُ
ذَلِكَ إِلَّا لِمَا كَانَ قَرِيبَ الْعَمْدِ لَمْ يَبْرَأْ مِنْهُ ، فَإِذَا بَرَأَ لَمْ يُقَلَّ لَهُ^(٢) .

(١) ل « صرِيحَةً » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « لَمْ يَقُلْ » وَهُوَ خَطَأٌ فِي الرَّسْمِ أَوْجَبَهُ تَكَرُّرُ اللَّامِ وَالْوِجَاءُ مَا كَتَبْتُ .

وأما الخِصاء فهو أن يسْلَّ الخُصيتين ، والوجاء أن توجأ العروقُ والخُصيتان على حالهما . والعصوب من التيوس الذي تُعَصَّب خُصيتاه حتى تسقطا . والواحد من الخُصيان خَصِيٌّ ومَخَصِيٌّ . ويقال ، ملست الخُصيتين أُمْلِسهما ملسا ، ومَتَتُهُما أَمَتْنهما مَتْنًا ، وذلك أن تشقَّ عنهما الصَّغْن فَتَسْلَهُمَا ٦٠ بـعروقهما . والصَّغْن : جلدة الخُصيتين .

والخِصاء في أحداثِ البهائم ، وفي الفم خاصةً ، يدع اللحمَ رَخَصًا ونِدْيًا عذبا ؛ فَإِنْ خَصَّاه بعد الكبر ، لم يبق خِصاؤه . بعد استحكام القوة . على قلب طباعه . وأجود الخِصاء ما كان في الصغَر ، وهو يسمى بالفارسية ثَرَبَتْ (١) ، يُعْنَى بذلك أَنَّهُ خَصِيَ رطبًا . والخِصْيُ من فحولها أحملُ للشحم ، لعدم الهيج والنَّعْط ، وخروج قواه مع ماء الفَحْلة (٢) ؛ وكثرة السَّاد تورثُ الضَّعْفَ والمُزَالَ في جميع الحيوان . وقد ذُكِرَ لمعاوية كثرة الجماع فقال : ما اشتهر به أحدٌ إلَّا رأيت ذلك في مُنْتَه (٣) .

والدليكَ يُخَصِّي ليرطب لحمه ويطيب ويحمل الشحم .

(خصاء العرب لفحولة الإبل)

وكانت العربُ تَخَصِّي فُحُولَ الإبل ، ثَلَاثًا يَأْكُلُ بعضها بعضًا ، وتستبقى ما كان أجودَ ضِرَابًا ، وأكثرَ نَسْلًا ، وكلَّ ما كان مِثْنًا (٤)

(١) ط « برنخت » .

(٢) ط « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .

(٣) ط « خنته » . والمثني : القوة .

(٤) ط « ماسا » وهو تحريف صوابه في ل .

وكان شاباً ولم يكن مذكاراً، وهم يسمون الإذكار المحق الخفي^(١)، وما كان منها عيائاً طباقاً، فيها ما يجمل السدم اللقي. وإذا كان الفعل لا يتخذ للضراب، شدوا ثيله شداً شديداً، وتركوه يهدر ويُقَبِّب في المَجْمَعَة، ولا يصل إليهنَّ وإن أردنه، فإذا طَلَبَ الفعل جيءَ هنَّ بفعلٍ قَعْسَرِيٍّ^(٢) ويقولون «لَقَوَّةٌ لَأَقْتُ قَيْسَا!» والقيس من الجمال: السريع الإلقاء، والقوة: السريعة القبول لماء الفعل.

وشكت امرأة زوجها، وأخبرت عن جهل باتيان النساء، وعيّه وعجزه، وأنه إذا سقط عليها أطبق صدره - والنساء يكرهنَّ وقوعَ صدور الرجال على صدورهنَّ - فقالت: زوّجني عيائاً طباقاً وكلُّ داء له داء !! . وقال الشاعر :

طباقاً لم يشهدْ خُصُوماً ولم يقدِّ رِكا بآلى أكوارها حين تكف^(٣)

(خصاء العرب للخيال)

وكانوا يَخْصُون الخيل لشبهه بذلك^(٤)، ولعله^(٥) صهيلها ليلة البَيَات، وإذا أكنوا الكمناء وكانوا هُرَّاباً .

(١) ط « وهم يسمون المذكار المحق الخفي » وهو تعريف مافي ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد .

(٣) ط « لم يكن » و « حين تكلف » وفؤ، ل « لم ينخ » و « حين تكلف » وأصلحت البيت كما ترى من ل واليان ١ : ١١٠ .

(٤) ط « للتشبه بذلك » .

(٥) ل « ولقلة » .

(القول في كلمة خنذيد)

ويزعم من لاعلم له ، أَنَّ الخنذيد^(١) في الخليل هو النحصى . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفَّاف بن نُدْبَةَ :

وخنذاذ خنصيةً ونحو^(٢)

وقال بشر بن أبي خازم :

وخنذيد تَرَى الغُرْمُولَ مِنْهُ كَطَيِّ البرْدِ يَطْوِيهِ التَّجَار^(٣)

وليس هذا أَرَادَ بِشَر ، وإِنَّمَا أَرَادَ زَمَانَ الغَزْوِ ، والحال التي يسترى الخليل فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحير^(٤) :

لا لا أَعُوْ ولا أُوْ ب ولا أُغِيرُ على مُضَرٍّ

لَكِنَّمَا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ اللَّطِيُّ مِنَ الدَّبَرِ^(٥)

وإِنَّمَا فَخَرَ بِالغَزْوِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ .

وأما الخنذيد فهو الكريم التأم ، وربما وصفوا به الرجل ، وقال كثير :

على كل خنذيد الضَّحَى مَظْطَرٌّ وَخَيْفَانَةٌ قَدْ هَذَبَ الْجَرَى أَلَمًا^(٥)

وقال القطامي :

(١) يتكرر في ط رسم هذه الكلمة ومشاهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحه من ل ومن اللسان ، ومن البيان ٢٣:٠ - ٢٠ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقضياب ٣٦٢ وصحاح الجوهري .

(٢) البيت منسوب في البيان ٢ : ٢٤ إلى البرجمي ، وهو في اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفي الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن نُدْبَةَ ، إذ أن ابن نُدْبَةَ من بني الصريد ، وهو ابن عم الحنساء ، وليس بنو الصريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما في اللسان : وبرازن كايايات وأتتا

(٣) البيت في البيان ٢ : ٢٤ .

(٤) في الأصل « جد الأحير » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ١٢٠ والأحير السعدي شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العبدي . وله ترجمة في الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما في البيان .

(٥) انتظر : السريع . وهي في الأصل « ممتطرا » وليس بشيء . وآلها : شخصها

[على] كل خنذيد السراة مقلصٌ تحنَّثَ منه لهُم للتكاوس^(١) ومن الدليل على أنَّهم ربما جَلَّوا الرجل إذا ما مدحوه خنذيذا ، قول بعض^(٢) القيسيين ، من قيس بن ثعلبة : دعوتُ بنى سعدٍ إلى فشمِرتُ خناذيدُ من سعدٍ طوالُ السواعدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملك بن مروان ، حين فارقَ مُصعبا :

بأيِّ بلاءٍ أم بآيةٍ عِليَّةٍ يُقدِّمُ قبلي مُسلمٌ والهَلَبُ
وَيُدْعَى ابنُ منجوفٍ أُمَامِي كَأَنَّهُ خَصِيٌّ دَنَا لِمَاءٍ مِنْ غَيْرِ مَشْرَبٍ^(٣)
فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواء أحسنُ من هذا ! قال : فلما
أخذته قيسٌ نصبوه ، فجعلوا يرمونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازل^(٤) ترى؟!
[يريدون بيت ابن الحر^(٥)] :

ألم تر قيسًا قيسَ عِيلانٍ برقتَ لِحاهَا وباعت نبلها بالمغازل
فلما أتى مُصعبُ برأسه ، قال لسويد : يا أبا النِهال ! كيف ترى ؟ قال :
أيُّهَا الأمير ! هو واللهِ الذي أتى الماء من غير مشرب .

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط « القيسيين » وهو تحريف . والبيت في البيان ٢ : ٢٤ منسوباً إلى العيسى ، فصوابه القيسى .

(٣) ط « ويدعى ابن منجوف » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار في البيان والأغانى .

(٤) ط « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفي ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله اختاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألحق نفسه في الفرات ، فبات غريقاً سنة ٦٨ .

وقال أعشى همدان :

وأبو بُرَيْدَةَ الذي حَدَّثَنِي^(١) فِينَا أَذَلَّ مِنَ الْخَصِيِّ الدِّيزَجِ
ويعرض للخصيَّ سرعة اللَّمعة ، وذلك من عادة طبائع الصبيان ثم
النَّساء ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الصَّبِيَّانِ أَغْزَرَ دَمْعَةً مِنَ النِّسَاءِ ، وَكَفَاكَ
بِالشَّيْخِ الْمَرْمِينِ .

(أَخْلَاقُ الْخَصِيِّ)

ويعرض للخصيَّ العبثُ واللَّعبُ بالطير ، وما أشبه ذلك من أخلاق
النَّساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .

ويعرض له الشَّرُّ عند الطعام ، والبخلُ عليه ، والشَّحُّ العامُّ في كلِّ
شَيْءٍ ، وذلك من أخلاق الصبيان. [ثمَّ النَّسَاءُ (٢)] .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ أَبَا رُومَانَ قَيْسًا إِذَا غَدَا خَصِيٌّ بَرَاذِينَ يُقَادِرُ رَهِيصُ
لَمَعِدَةٍ لَا يَشْتَكِي الدَّهْرَ ضَعْفَهَا وَحَنْجَرَةٌ بِالدُّورِقِينَ قَوْصُ

ويعرض للخصيَّ سرعة الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصَّبِّيانِ ٦٢
وَالنِّسَاءِ . ويعرض له حُبُّ النَّمِيمَةِ ، وضيقُ الصدرِ بما أودِعَ من النَّسْرِ ،
وذلك من أخلاق الصبيان والنَّسَاءِ . ويعرض له دُونُ أَخِيهِ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ ،
وَدُونِ ابْنِ عَمِّهِ وَجَمِيعِ رَهْطِهِ ، الْبَصَرُ بِالرَّفْعِ وَالْوَضْعِ ، وَالْكَنَسُ
وَالرَّشُّ ، وَالطَّرْحُ وَالْبَسْطُ ، وَالضَّبْرُ عَلَى الْخِدْمَةِ ، وذلك يعرض للنَّسَاءِ .

(١) ط « الدِّيزَجِ » والصواب ما أثبت من ل . والدِّيزَجِ : قال ابن قتيبة في أدب
الكتاب ١٠٥ « الأخضر هو في كلام العرب الدِّيزَجِ » وقال الاسكافي في مبادئ

اللغة ١٢٣ « والأخضر الأظلم المسمى بالفارسية الدِّيزَجِ » .

(٢) التكملة من نسخة الأميروزيانا .

و يمرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوةُ على كثرة الرُّكض حتى يجاوزَ في ذلك رجالَ الأتراكِ وفُرسانَ الخوارج ، ومتى دَفَعَ إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يتركْ أن يُجِرَى تلك الدابةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مَولاه إليه .

و يمرض له حبُّ الرمي بالنشاب ، الَّذِي يدور في نفسه من حبِّ غزو الرُّوم . و يمرض له حبُّ أن تملكه الملوك ، على الأتقيم له إلا القوت ، ويكونُ ذلك أحبَّ إليه من أن تملكه الشُّوقُ ، وإن ألحقته بعيش الملوك !!

ومن العجب أنهم مع خروجهم من شطر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء ، لا يمرض لهم التخنيث ؛ وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنثاً مضطرباً ، وموثاً يسيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدَّةَ مجانينَ مخنثين ، ورأيتُ ذلك في الرَّجِّجِ الأفطاح ، وقد خبَّرني مَنْ رأى كُردباً مخنثاً ، ولم أرَ خبيثاً قط مخنثاً^(١) ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدري كيف ذلك ولا أعرف اللانع منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهرِ الرأي ، لقد كان ينبغي لهم أن يكونَ ذلك فيهم عاماً^(٢) !

ومما يَرِدُنِي في التعجب من هذا الباب ، كثرةُ ما يمرض لهم من الحَلَقِ^(٣) ، مع قلةِ ما يمرض لهم من التخنيث ، مع مفارقةِهم لشطرِ معاني الرجال إلى شبه النساء .

و يزعم كثير من الشيوخ المعمرين ، وأهل التجربة المميزين ، أنهم اختبروا أعمارَ ضروبِ الناس ، فوجدوا طولَ^(٤) الأعمارِ في الخِصيانِ أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) في الأصل « ولكن كان الأمر ... ولقد ... الخ » وقد قومت العبارة بما ترى

(٣) الحلاق : أن يفقد متاعه ، فينعكس ميله الجنسي .

(٤) ط « أطول » وتصحيحه من ل .

منه ، في مثلِ أعدادهم^(١) من جميع أجناس الرجال ، وأنهم فقدوا أعمارهم وأعمار إخوانهم وبنى أعمارهم الذين لم يَحْصُوا ، فوجدوا طول العمر في الحصيان أعم ، ولم يجدوا في عموم طوال العمر فيهم واحداً نادراً ، كفلان وفلان من الفحول .

وزعموا أنهم لم يجدوا لطول أعمارهم علةً إلاَّ عدم النكاح ، وقلة استغراق النطف لقوى أصلاهم .

قالوا : وكذلك لم نجد فيما يعايشُ الناس في دُورهم من الخيل ، والإبل ، والحير ، والبقر ، والغنم ، والكِلاب ، والدجاج ، والحمام ، والدَّيكة ، والعصافير ، أطول أعماراً من البقال .

٦٣

وكذلك قالوا : وجدنا أقلها أعماراً العصافير ، وليس ذلك إلاَّ لكثرة سفادِ العصافير وقلةِ سفادِ البقال .

وجعل هؤلاء القوم زيادةَ عمر البغل على عمر أبويه دليلاً على أن قول الناس : لا يعيش أحدٌ فوق عمر أبويه ، خطأ ، وأولئك إنما عنوا الناس دون جميع الحيوان .

(النتاج المركب)

وقالوا : قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غُرمول الحمار والفرس والبرذون ، وهؤلاء أعمارهم وأخواله ، فقد وجدنا بعض النتاج المركب ، وبعض القروع المستخرجة ، أعظمَ من الأصل ؛ ووجدنا الحمام الراعي^(٢) أعظمَ من الوَرشان الذي هو أبوه ، ومن الحمامة التي هي أمه ، ولم نجده أخذَ من عمر الوَرشان شيئاً ، وخرج صوته من تقدير أصواتهما ، كما خرج شحيج البغل من نهيق الحمار ، وصهيل الفرس . وخرج الراعي مسرولاً ،

(١) الأعداد : جمع عد بمعنى الند وزته ، فالأعداد : الأنناد .

(٢) ط « الزاغي » والصواب ما في ل . قال في الجبل : الحمامة الراعية : ترعب في صوتها ترعياً ، وذلك قوة صوتها . تاج العروس .

ولم يكن ذلك في أبويه ، وخرج مُثَقَّلًا سَيِّئَ الهداية ، ولورشان هداية ، وإن كان دون الحمام ، وجاء أعظم جثة من أبويه ، ومقدار النفس من ابتداء هديله إلى منقطعه ، أضاف مقدار هديل أبويه .

وقوالج البخت إذا ضربت في إناث البخت ، لم يخرج الحوار إلا أدن^(١) قصير العنق ، لا ينال كلاً ولا ماء إلا بأن يُرْفَعَا إليه ، فيصير لسان نقصان خلقه - جزور لحم ، ولا يكون من اليعملات ولا من السابقة ، ولوعاؤه وكفوه مؤنة تكلف^(٢) للمأكول والمشروب ، ثم بلغ إلى أن يصير جلاً يمكنه الضراب . وكذلك [الأنثى اتى هى] الحائل الى أن تصير ناقة ، فلو ألقها الفحل ، لجاء ولد لها أقصر عنقا من القيل ، الذى لو لم يجعل الله تعالى له خرطومًا يتناول به طعامه وشرابه ، لمات جوعاً وهزالاً ، وليس كذلك العراب . وإذا ضربت القوالج في العراب ، جاءت هذه الجوامز^(٣) والبخت الكريمة ، التى تجمع عامة خصال العراب وخصال البخت ، فيكون ما يخرج التركيب من هذين الجنسین أكرم وأخيم وأقس وأتمن ، ومتى ضربت فحول العراب في إناث البخت جاءت هذه الإبل اليهودية^(٤) [والصررانية^(٥)] فتخرج أقبح منظرًا من أبويها ، وأشد أسراً من أبويها [وقال الراجز :

ولا بهونى من الأباقر]

(١) ط « أتنا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما فى ل .. والدن محركة : اغتاء في الظهر ، ودنو وتظلم في الصدر والعنق . وهو أدن ، وهى دناء ..

(٢) ط « تكلف » . (٣) ط « الجواميز » .

(٤) ط « اليهودية » . ل « اليهودية » وكلاماً تحريف ، وقد جاء في الفاموس « واليهودية من الإبل ما بين السكرمانية والعرية » وجاء في المختص واللسان « واليهودى - بتقديم النون - من الإبل ما بين السكرمانية والعرية ، وهو دخيل في العرية » .

(٥) فى الفاموس والمختص « الصررانيات : بين البخاتى والعراب ، أو القوالج » وفى الأصل « وهى الصررانية » وإنما هما ضربان .

وبعد ، فإن هذه الشهيرة الخراسانية ، يخرج لها أبدان فوق أبدان
أمهاتها وأبائها من الخليل والبراذين ، وتأخذ من عنق الخليل ، ومن
وثاجة^(١) البراذين ، وليس نتائج البرذون خالصاً والفرس خالصاً .
وما أشبه قرابة الحمار بالتمكة والحجبر ، من قرابة الجمل الفالج ٦٤
البخني قرابة الفلوص الأعرايية .

(الحمر الوحشية)

ويقال ، إن الحمر الوحشية ، بخاصة الأخذرية ، أطول الخمر أعماراً ،
وإنما هي من نتائج الأخدر ، فرس كان لأردشيرين بابل ك صار وحشياً^(٢) ،
فحى عدة عانات ففرب فيها ، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر وأحسن ،
وخرجت أعمارها عن أعمار الخليل وسائر الحمر - أعنى حمر الوحش - فإن
أعمارها تزيد على الأهلية مراراً عدة .

(غير أبي سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشياً عاش أكثر وعمر أطول من غير أبي سيارة
عميلة بن أعزل^(٣) ، فإنهم لا يشكون أنه دفع عليه بأهل اللوسم أربعين عاماً !!
قال الأصمعي : لم يكن غيراً وإنما كان أتاناً .

(١) ط « وشاجة » وإنما هي « وثاجة » كما في ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط « صار حماراً وحشياً » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط « عميلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما في ل والبيان ١ : ٢٠٣

وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع باللوسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا - وكذلك هو في كتبهم - أن ملوك فارس ، كانت لهجة بالصيد ، إلا أن بهرام [جور] هو المشهور بذلك في العوام .
 وهم يزعمون أن فيروز بن قباد^(١) الملك الفارسي ، ألحج في طلب حمار أخدرى ، وقد ذكر له ووصف ، فطاوله عند طلبه والتماسه ، ونجد في ذلك فليح به عند طلبه الاغترام ، وأخرجته الحفيظة إلى أن آلى ألا يأخذه إلا أسراً ، ولا يطارد إلا فرداً ، فحمل فرسه عليه^(٢) ، فخطه في خبار^(٣) ، فجمع جبراميزه وهو على فرسه ووثب ، فإذا هو على ظهره ، فمحص به ، فضم فخذه فخطم بعض أضلاعه ، ثم أقبل به إلى معظم الناس ، وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا ، وكان الملك منهم إذا أخذ غيراً أخدرياً وغير ذلك ، فإذا وجدته فتياً^(٤) وسمه باسمه^(٥) وأرّخ في اسمه يوم صيده وخط سبيله ، وكان كثيراً إذا ماصده الملك الذي يقوم به بعده ، سار فيه مثله تلك السيرة وخط سبيله ، فعرف آخرهم صنيع أولهم ، وعرفوا مقدار مقادير أعمارها .

== على فارس عربي أو جل مهرى لفل ، ولكنه ركب عيرا أربين عاماً ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض التالبي في ثمار القلوب في الحديث عنه ص ٢٩٥ .

- (١) ط « فيروز بن قباد » وتصويبه من ل .
- (٢) ط « لا فرداً (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » باقمام الجملة الموضوعه بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخيار بأنه الأرض الرخوة ، وصحفها آخر جعلها « خيار » .
- (٣) ط « خيار » وصوابه في ل .
- (٤) ط « متينا » .
- (٥) ط « وسمه باسم » .

(الحكمة في تخالف النزعات والميول)

ولولا أن ناساً من كلِّ جيل ، وخصائص من كلِّ أمة ، يلهجون ويكلفون بتعريف معاني آخرين لدرست ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزرى على أولئك ، ويعجب الناس من تفرُّغهم لما لا يجدي ، وتركهم التشاغل بما يجدي ، فالذي حبَّب لهذا أن يرصد عمر حارٍّ أو ورشانٍ أوحيةٍ أوضبٍ ، هو الذي حبَّب إلى الآخر أن يكون صياداً للأفاعى والحيات ، يتبعها ويطلبها في كلِّ وادٍ وموضع وجبلٍ للترافات ، وسخرَ هذا ليكون سائسَ الأسدِّ والفهود والثعور والبيور^(١) ، وترك من تلقاء نفسه أن يكون داعي غمٍّ !! والذي فرَّق هذه الأقسام ، وسخرَ هذه النفوس ، وصرف هذه العقول لاستخراج هذه العلوم من مدافنها ، وهذه المعاني من مخايبها ، هو الذي سخرَ بطليموس مع ملكه^(٢) ، وفلاتا وفلاتا للتفرُّغ للأمور السماوية ، ولرعاية النجوم واختلاف مسير الكواكب ، وكلُّ ميسرٍ لما خلق له ، لتتمَّ النعمة^(٣) ولتكمل المعرفة ، وإنما تأبى التيسير للمعاصي^(٤) .

فأما الصناعات فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكاً ، وتقصُر بعضهم على أن يكون صيرفيّاً ، فهي وإن قصرتْه على الحياكة ، فلم تقصُرْه على خُلف المواعيد وعلى إبدال الغزول ، وعلى تشقيق العملِ دون الإحكام والصدق وأداء الأمانة ، ولم تقصِر الصيرفيَّة على التطفيف^(٥) في

(١) في الأصل « البيور » ولما هي « البيور » جمع بير ، وللفريق المألوف بإشاكلام جيد في التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الملاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكاً من ملوك البطالة اليونانيين ، وللفنطى تحقيق دقيق في هذا الوهم في كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط « لتتم النعمة » .

(٤) ل « وإنما تأبى التيسير للمعاصي » .. والمتعزلة يربطون به تعالى ، عن نسبة الفسار أصلاً

(٥) ل « التطفيف » .

الوزن والتعليق في الحساب ، وعلى دسِّ الموتى ، تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع التناج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ التناج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاوج ، إلى تقدير الرأي وما هو أقربُ إلى الظنِّ ، لكانت الأطلاف^(١) تجري بحجج الحوافر والأخاف . ألا ترى أنَّ قرابة الضأن من الماعز ، كقرابة البُخْت من العراب ، والخليل من الحجير !!

وسبيل نتائج الظَّف على خلاف ذلك ، لأنَّ التيسَ - على شدة غلته - لا يعرض للنجعة ، وكذلك الكبشُ والعنز فضلاً عن أن يكون بينهما تناج^(٢) لأنه قد يضرب الجنسُ في الجنس الذي لا يُلْقِحه ، ولا يكون ألقاح إلا بعد ضراب .

و طلب التيس للنجعة قليل وأقلَّ من القليل ، وكذلك الكبش للعنز ، وأقلَّ من ذلك ألا يتلاقح^(٣) ، ولا يبقى ذلك الولد ألبنة^(٤) . وقد تجاسرَ ناسٌ على توليد أبوابٍ من هذا الشكل ، فادَّعوا أموراً ، ولم يحفلوا بالتقريع والتكذيب عند مسألة البرهان !!

(زعم في الزرافة)

زعموا أنَّ الزرافة خلقُ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

(١) ط « الأخفاف » .

(٢) ط « فيها تناج » .

(٣) كذا .

(٤) الكلام من « ويطلب » الخ ساقط من ل .

وبين الذئب وهو ذكر الضباع؛ وذلك أنهم لما رأوا أن اسمها^(١) بالفارسية (أشتركاو بلنك^(٢))، وتأويل «أشتر» بعير، وتأويل «كاو» بقرة، وتأويل «بلنك»^(٣) الضبع، لأن الضباع عُرج، كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُماع، كما عرض للذئب القزل - وكلّ ذئب أقزل - وكما أن كلّ غراب يحجل كما يحجل المقيّد من الناس، وكما أن الصفور لا يمشی، ومشيّه أن يجمع رجله أبداً معاً في كلّ حركة وسكون. وقولهم للزرافة أشتركاو بلنك^(٤) اسم فارسيّ، والفُرس تسمي الأشياء بالاشتقاقات، كما تقول للنعامه: اشتر مرغ، وكأَنهم في التقدير قالوا: هو طائر وجل، فلم نجد هذا الاسم أوجب أن تكون النعامه نتاج ما بين الإبل والطير، ولكن القوم لما شبهوها بشيئين متقاربين، سمّوها بذئبك الشيئين. وهم يسمون الشيء المرّ الخلو «ترش شيرين» وهو في التفسير حلو حامض. فجسّر القوم فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً^(٥)، وجعلوا الخِلقة ضرباً من التراكيب، فقالوا: قد يعرض الذئب في تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها، فتلقح بولده ينجي. خلقه ما بين خلق الناقة والضبع؛ فإن كان أنثى قد يعرض^(٥) لها الثور الوحشي فيضربها، فيصير الولد زرافة؛ وإن كان ولد الناقة ذكر أعرض للهامة فألقحها، فتلد زرافة. ففهم من حبر ألبته أن تكون الزرافة الأنثى تلقح من الزرافة الذكر، وزعموا أن كلّ زرافة في الأرض، فإنما^(٦) هي

(١) ط «أسماءها» وهو تحريف ظاهر.

(٢) ط «أشتركاو بلنك» ..

(٣) ط «بلنك» .

(٤) ط «فوضعوا لتفسير اسمها للزرافة حديثاً» .

(٥) ط «فيعرض لها» .

(٦) ط «إنما» .

من التّاج الذي ركبوا ، وزعموا أنّ ذلك مشهورٌ في بلاد الحبشة ، وأقصى
اليمين ، وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسل ولا يبقى نجله ولا
يتلاقح نسله ، على ما حكينا من شأن الورشان والزّاعي^(١) . وهؤلاء
وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتهمون الكتب ، وتغرّهم كثرةُ أتباعهم ممّن
تجدّه مستهتراً بساع الغريب ، ومُعَرِّماً بالطرائف والبدائع ، ولو أعطوا مع
هذا الاستهتار^(٢) نصيباً من الثبوت ، وحظّاً من التوقى ، لسَلِمَت الكتبُ
من كثيرٍ من الفساد .

(التّاج المركب في الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ، فقال لى صاحب الطيور : إنّه
من نتاج ما بين القمرى^(٣) والفاخته^(٤) .
وقُتِصَّ الطير ، ومن بَاقى كلّ أَوْقَة^(٥) وغيضةٍ في التماس الصيد ،
يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطع ، تلتقى على المياه فتتسافد ،
وأنّهم لا يزالون يرون أشكالا لم يروها قطّ ، فيقدّرون أنّها من تلاقح
تلك المختلفة .

(١) ط ، ل « الورداني والزّاعي » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما في ص ٦٣ من
هذا الجزء .

(٢) ط « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده « القمرى : طائر صغير من الحمام » .

(٤) اليميرى « الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأظواق » . ابن سيده « ضرب من
الحمام المطوق ، واستقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط « أودية » وهو تحريف صوابه في ل . والأوْقَة بالنسب : محض الطير على
رءوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب في الحرياء)

وقال أبو زيد النحوي : وذكر عن لقي من الأعراب أنهم زعموا
أنَّ ذكر أم حُبَيْن هو الحرياء . قال : سمعت أعرابياً من قيس يقول لأمِّ
حُبَيْن حُبَيْنَة ، والحُبَيْنَة هو اسمها . قال : وقيسُ تسمي ذكر العطاء القُضْرُوط
وقال يحيى الأغر : سمعت أعرابياً يقول : لاخير في العطاء ، وإن
كان ضَبّاً مَكُوناً . قال : فإذا ساء أبرص ، والورل ، والوخر ، والضَّبُّ
والحللكاء ، كُلُّها عنده عطاءة .

(ولد الثعلب من الهرة الوحشية)

وزعم يحيى بن نجم^(١) أن الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج
بينهما ولد ، وأنشد قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :
— أبوك أبوك وأنتَ أبْنُه فبئسَ البَيُّ وبئسَ الأبُّ
وأُمْلِكَ سَوْدَاءَ نُوبِيَّةٍ كأنَّ أناملها العنْظَبُ^(٢)
بيتُ أبوكَ بها مُعْدِفًا^(٣) كما ساورَ الهرةَ الثعلبُ

(١) ط و س « علم » .

(٢) العنْظَب : الذكر من الجراد .. وروى « الحنْظَب » كما في الهميرى ٣٩٦ : ٢

والديوان ٦١ والحنْظَب : الذكر من الجراد ، أو الحنْظَاء ، أو ضرب آخر من الخلق

الركب . وفي الأصول « سوداء مادونه » وتصحيحه من الهميرى والديوان .

(٣) ل « مُعْدِفًا » وفي الهميرى « سافدا » وصواب أولاهما بالقاء كما أثبت فُخْكون

بذلك مساوية للثانية في المعنى .. وفي ط « ممرسا » كما في الديوان ، أى سافدا .

وَأَشْهَدُ أَبُو عُبَيْدَةَ قَوْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ :

أَلَا أُلْبِغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ مُغْلَلَةً عَنِ الرَّجُلِ الْيَمَانِي
أَتَغْضَبُ أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ عَفٌّ وَتَرْضَى أَنْ يُقَالَ أَبُوكَ زَانِي
فَأَشْهَدُ أَنْ رَحِمَكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَرَحِمِ الْقَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْأَثَانِ^(١)
قَالَ كَيْسَانَ : وَلَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ :

كَرَحِمِ الْقَيْلِ مِنْ وَلَدِ الْأَثَانِ

إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : كَرَحِمِ الْقَيْلِ مِنَ الْخَزِيرِ . قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :
أَرَادَ هُوَ التَّبْعِيدَ بِعَيْنِهِ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ مَا هُوَ أَقْرَبُ .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار ، أَنَّ أَهْلَ سَفِينَةِ نُوحٍ كَانُوا
تَأَذُّوا بِالْفَأْرِ ، فَطَلَسَ الْأَسَدُ عَطْشَةً فَرَمَى مِنْ مِنتَخَرِهِ بَرُوجَ سَنَانِيرَ .
فَلِذَلِكَ السَّنُورُ أَشْبَهُ شَيْءً بِالْأَسَدِ ، وَسَلَحَ الْقَيْلُ زَوْجَ خَنَازِيرَ - فَلِذَلِكَ
الْخَنَزِيرُ أَشْبَهُ شَيْءً بِالْقَيْلِ - قَالَ كَيْسَانَ : فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ السَّنُورُ
أَدَمَ السَّنَانِيرِ ، وَتِلْكَ السَّنُورَةُ حَوَاءُهَا . [قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لَكَيْسَانَ : أَوْ لَمْ تَعْلَمْ
أَنْتَ أَنَّ لِكُلِّ جِنْسٍ مِنَ الْحَيَوَانِ أَدَمَ وَحَوَاءً ؟] وَنَحْكُ [فَضَحَكَ] الْقَوْمُ .

(١) في ط « فَأَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ » و « آدَمَ » محرف « إِيَّاكَ » وَأَبَيْتُ مَا قِيْلَ ..
وَالْأَيَّاتُ فِي الْحَيَوَانِ ٧ : ٧٣ وَالْخَزَانَةُ ٢ : ٥١٨ بُولَاقُ مَنْسُوبَةٌ كَذَلِكَ إِلَى
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ أَخِي مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ . وَهِيَ فِي الشُّرَاءِ لِابْنِ قَتِيْبَةَ ٧٩
وَالْوَشْحِ ٢٧٣ مَنْسُوبَةٌ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَرْغَ . وَفِي الْأَغَانِي ١٢ : ٧١ : « وَالنَّاسُ
يَنْسُبُونَهَا إِلَى ابْنِ مَرْغَ لِكَثْرَةِ هَجَلِهِ لَزِيَادَ . وَذَلِكَ غَلَطٌ » .

(شره سعد القرقرة)

ولما رأى أبو قردودة سعد القرقرة ، أكل عند النعمان مسلوخاً

بعضاه قال :

بين النعام وبين الكلب منتهى وفي الذئب له ظئر وأخوال^(١) .
يقول : إنَّ سعداً ضرب في أعراقه نجر النعام^(٢) الذي يلتهم الحجر ، ويلتهم الحجارة ،
فيطحن الحجر ويميع الصخر^(٣) ، وضرب في أعراقه [نجر^(٤)] الكلب الذي
يرض كل عظم ، ولا يقبض عليه بكفه إلا وهو واثق بفته ، ولا يسيغه
إلا وهو على ثقة من استمرائه^(٥) فأنما الذئب فإنه لا يروم فكبه شيئاً
إلا ابتلعه بغير معاناة ، عظماً كان أو غيره ، مصمتاً كان أو أجوف
ولذلك قال الرازي^(٦) :

أطلس يُخفي شخصه غبارُه في فيه شَفَرَتُه ونارُه
فأبو قردودة لم يرد أن الذئب والكلب خاله ، وأن النعام نجله ، وإنما
قال ذلك على المثل والتشبيه ، ولم يرد أن له ظئراً من الكلاب ، وخالا من
الذئب . وشبيه ذلك^(٧) قول أمير المؤمنين للمؤمن لبعض الناس : يأنطفئ

(١) ط « وفي الذئب ظئرات وأخوال » .

(٢) في الأصول « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط « يميع » وإنما هي « يميع » بمعنى ييسل كافي ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٥) في ل زيادة بعد هذا الكلام لم أر إثباتها في الصلب لأنها لها وحى : « ما كان

يمكنه أن يأكل في مقعد ما أكل » .

(٦) البتان في البيان ١ : ١١٤ مضافاً إليها بتان آخران هما :

هو الحديث عنه فراره بهم بنى محارب مزداره .

وقد تكلم كثير من العلماء في هذا الشعر . انظر الأمل (٣ : ١٢٩) والكمال (١) ::

(١٧٦) والعمدة (١ : ١٦٨) ودويان المعاني (٢ : ١٣٤)

(٧) في الأصل « وليس ذلك على » وهو تحريف .

٦٨ الحُجَّارِين^(١)، وزنايع الطَّوَّورَة، وأشباه الخُؤُولَة.

وعلى شبيه بذلك قال سلم بن قُتَيْبَة^(٢) لبعض من ذَكَرَهُ، وهو عند سليمان بن علي: أَيُّهَا الأمير، إِنَّ أَلْ فَلَانِ أَعْلَاجُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَوْبَاشُهُ، لثُمَّ غَدْرُ، شَرَابُونِ بِأَهَمِّ^(٣)، ثُمَّ هَذَا بَعْدُ فِي نَفْسِهِ، نُطْقُهُ حَمَازٌ فِي رَحِمِ صَنَاجَةٍ.

(زواج الأختان المتباينة من الناس)

وقال لي أبو إسحق: قال لي أبو العباس - وأبو العباس هذا كَانَ خَتَنَ إبراهيمَ على أخته، وكان رجلاً يَدِينُ بالنجوم، ولا يَقْرَأُ بِشَيْءٍ من الحوادث إِلَّا بما يَجْرِي على الطباع. قال أبو إسحق: وقال لي مرَّةً: أتعرفُ موضعَ الحُطَّةِ من خُلُوةِ النساءِ؟ قُلْتُ: لا والله لا أعرفُهُ. قال: بل أعلمُ أَن لا يَكُونُ الحُطُّ إِلَّا في نِتَاجِ شَكْلَيْنِ متباينين، فالتقاؤُهُما هو الإكسيرُ المؤدِّي إلى الخِلَاصِ: وهو أَن تَزَاجِرَ بَيْنَ هِنْدِيَّةٍ وَخُرَاسَانِيٍّ، فإنها لا تَلِدُ إِلَّا النَهَبَ الإمبرِيزَ. ولكن احْرُسْ وَلَدَهَا؛ إِنْ كَانَ الْوَلَدُ أَتَى فَاحْذَرْ عَلَيْهَا مِنْ شِدَّةِ لُؤَاطِ رِجَالِ خُرَاسَانَ وَزِنَاءِ نِسَاءِ الْهِنْدِ، واعلمُ أَنَّ شَهْوَتَهَا لِلرِّجَالِ على قدرِ حُطُوتِهَا عِنْدَهُمْ، واعلمُ أَنَّهَا سَتَسَاقِقُ النِّسَاءَ على أَعْرَاقِ الْخُرَاسَانِيَّةِ، وَتَتَزَوَّجُ بِالرِّجَالِ على أَعْرَاقِ الْهِنْدِ، واعلمُ أَنَّهُ مِمَّا يَزِيدُ فِي زِنَاهَا وَمَسَاقِقَتِهَا مَعْرِفَتُهَا بِالْحُطَّةِ عِنْدَ الزُّنَاةِ، وبالحُطِّ عِنْدَ السَّحَاقَاتِ^(٤).

(١) في الأصول « الحُجَّار » والوجه الجمع.

(٢) ط « سلام بن قُتَيْبَة » ولَمَّا هُوَ « سلم » كما في د.. وله أخبار في الأغاني.

(٣) ط « شَرَابُونِ مَا هُم » والصواب ما في د.. والكلام مثل. والتعقُّ بالفتح الماء السَّتَقَعُ جَمْعُ أَهَمٍّ فيقال في الثَّلَلِ: لَئِنْ لَمْ يَصْرَبْ بِأَهَمٍّ. يضرب لمن جرب الأمور أو للداهي المتكرِّر، لأنَّ الدليل إذا عرف الفلوات حَفَقَ سلوكَ الطرق إلى الأَهَمِّ.

(٤) د « عند النساء ».

(مما زعموا في الخلق المركب)

وقالوا في الخلق المركب ضُروباً من الحقِّ والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطل زعمهم أَنَّ الشَّبُوطَ ولد الزجر^(١) من البُنيِّ ، وأنَّ الشَّبُوطَ لا يُخلَق من الشَّبُوط ، وأنَّه كاليفل في تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبي وإبلة إلياس بن معاوية [بن قرة] .

وزعموا أنَّ أمَّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصرت^(٢) في حوضٍ لها ضخمةٍ أو بركةٍ كبيرةٍ عدداً كثيراً من الزجر^(٣) والبُنيِّ ، وأنَّها لم تخطُ بهما غيرهما ، فبات أكثره وبقيت بقيةٌ كانت الصميم في القوة ، وفي احتمال تغيُّر المكان فلم تحمل البيضَ حيناً ، ثمَّ إنَّها^(٤) حملت بالشبايط .

(مطر الضفادع والشبايط)

وزعم جُرَيْثُ أَنَّهُ كَانَ بِأَيْدَج^(١) ، فَإِذَا سَحَابَةٌ [دِهَاء] طَخِيَاءُ^(٢) تَكَادَ تَمْسُ الْأَرْضَ ، وَتَكَادَ تَمْسُ قِمَمَ رُءُوسِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ سَمِعُوا فِيهَا كَأَصْوَاتِ الْجَانِيَةِ^(٣) ، وَكَهْدِيرِ الْفُحُولِ فِي الْأَشْوَالِ ؛ ثُمَّ إِنَّهَا دَفَعَتْ بِأَشَدِّ مَطَرٍ رُبِّيٍّ أَوْ سَمِعَ بِهِ ، حَتَّى اسْتَسَلَمُوا لِلْفَرْقِ ؛ ثُمَّ أُنْدَفَعَتْ بِالضَّفَادِعِ الْعِظَامِ ، ثُمَّ

(١) ط « الزجر » بالخاء ولأعما هو الزجر كما في ل . قال الفيروزبدي : سمك عظام ،

(٢) ط « حضرت » .

(٣) ط « فلم تحمل البيض حائم إغما » وتصحيحه من ل .

(٤) في القاموس « أيدج كآحد بلدة من كور الأهواز ، وقرية يسرقت » .

(٥) ط « شجباء » وصوابه مائي ل . والطخياء : الشديدة السواد .

(٦) ل « المجاش » وهي جمع بجش أو بجشة وهي الرعي .

أندفت بالشبايط السَّمان الخِلال^(١) فطبخوا واشتروا ، وملَّحوا وأدَّخروا .

(غرور أبي وائلة والحليل بن أحمد)

وروا عن أبي وائلة أنه زعم أن من الدليل على أن الشَّبوط كالبعل ،
٦٩ أن الناس لم يجدوا في طول ما أكلوا الشبايط في جوفها بيضاً قط . فإن كان
هذا الخبر عن هذا الرجل المذكور بشدة العقل ، المنعوت بثقوب القِراسة
بِدِقَّةِ الفطنة صحيحاً ؛ فما أعظم المصيبة علينا فيه ، وما أخلق الخبر أن
يكون صحيحاً ؛ وذلك أني سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان
وأقسام الأجناس ، يدلُّ على أن الرجل حين أحسنَ في أشياء وهجمه العُجبُ
بنفسه أنه لا يروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه من نفسه الذي غرَّ الحليل
ابن أحمد ، حين أحسنَ في النحرِ والعروض ، فظنَّ أنه يُحسن الكلامَ
وتأليفَ اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابين لا يُشيرُ بهما ولا يدلُّ عليهما إلا
المِرَّةَ المحترقة ، ولا يؤدِّي إلى مثل ذلك إلا خِذلانُ من الله تعالى ؛ فإنَّ
الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيء .

(بيض الشبوط وناسله)

والشَّبوط - حفظك الله تعالى - جنسٌ كثيرٌ الذكور قليلُ الإناث ، فلا
يكون إناثه أيضاً يجمعن البيض ، وإذا جمعن فلو جمعت بيضَ عشرٍ منهنَّ
(٦) ط « الخزال » والصواب « الخِلال » كما في ن . والخِلال : جمع خِلة وهي
المتثلة الأعضاء لما في رقة عظام .

لَمَّا كَانَ كَشِطْرُ بَيْضٍ بُنْيَةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ ^(١) الشَّبُوطِ وَذَقْتُهُ
لِلتَّعَرُّفِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ طَائِلٍ ، وَلَا مُعْجَبٍ . وَكُلُّ صَيَّادٍ تَسْأَلُهُ هُوَ يُنْبِئُكَ
أَنَّهُ لَيْسَ بِبَيْضٍ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ يَكُونُ ضَنْيلاً قَلِيلاً ، لِأَنَّ الشَّبَابِيظَ فِي أَصْلِ
الْعُودِ مِنْ أَقْلٍ السَّمَكِ ، وَكَذَلِكَ الْجَنَسُ مِنْهُ إِذَا كَانَتْ الْأُنثَى مِنْهُ مَذْكَارًا .

(موطن الشبوط)

عَلَى أَنَّهُ رُبُّ نَهْرٍ يَكُونُ أَكْثَرُ سَمَكِهِ الشَّبُوطُ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ كَنَهْرِ
رَامَهُمْ مِنْ . وَالشَّبُوطُ لَا يَتَرَبَّيُّ فِي الْبَحَارِ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَنْهَارِ ؛ وَيَكْرَهُ الْمَاءَ الْمَلْحَ وَيَطْلُبُ الْأَعْدَبَ فَالْأَعْدَبُ ؛ وَيَكُونُ فِي الْمَاءِ
الْجَارِي ، وَلَا يَكُونُ فِي السَّاكِنِ . وَسَنَذْكُرُ شَأْنَهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(رد على ما زعموا في الزرافة)

وَلَمْ يَصِبْ أَبُو وَائِلَةَ ، وَكَذَّبُوا عَلَى أَمِّ جَعْفَرٍ . فَإِذَا ^(٢) قَالُوا فِي الزَّرَافَةِ
مَا قَالُوا ^(٣) فَلَا تَأْتِيهِمْ عَلَى مَا هُوَ دُونَهُ . وَإِنْ كَانَ مَنْ كَذَّبَ عَلَى الْمَوْقِ
وَأَسْتَشْهَدُ النَّبِيَّ أَحَدًا ، فَصَاحِبُ الزَّرَافَةِ قَدْ اسْتَعْمَلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحِيلَةِ ،
وَصَاحِبُ الشَّبُوطِ يَكْذِبُ عَلَى الْأَحْيَاءِ ، وَيَسْتَشْهَدُ الْحُضُورَ . وَإِنْ كَانَ
الَّذِي دَعَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الزَّرَافَةِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَرْكِيبَ اسْمِهِ دَلِيلًا عَلَى تَرْكِيبِ

(١) فِي الْأَصْلِ « قَدَّ » وَالْوَجْهَ مَا أَتَيْتُ . وَفِي ل « يَبِض » مَوْضِعُ « يَبِض » .

(٢) ل « وَإِذَا » .

(٣) انظُرْ ص ٦٥ مِنَ الطَّبْعَةِ الْأُولَى .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنى بقرى ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهة الكبش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أن الكباش ضربت في البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس في تقسيم الحيوان)

وزعم الفرّس أن الحيوان كلّ الذى يلد حيواناً مثله ممّا يمشى على أربع قوائم ، لا يتخلو أجناسها من المزم والضأن ، والجواميسُ عندهم ضأن البقر ، والبغثُ عندهم ضأن الإبل ، والبراكين عندهم ضأن الخيل .

ـــــــ (زعم في الابل)

والناس يقولون في الإبل أقاويل عجيبّة : فبهم من يزعم أن فيها عرقاً من سيفاد الجن ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين ^(١) فحصلوا المثلّ والمجاز على غير جهته ، وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول مُحاربٌ تنفّت شياطين وجنّ جُنُوبُهُ

(١) ط « أعناق » وهو تحريف صوابه في ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لا تهبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فانه أراد أنها على أخلاق الشياطين وحقيقة الأعنان النواحي .. قال ابن الأثير : كأنه قال : كأنها لكثرة آفاتهما من نواحي الشيطان في أخلاقها وطبائعها . وفي حديث آخر : « لا تصلوا في أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمى : المأثور من السيوف الذى يقال : إنَّ الجنَّ عملته .
 وهم يسمون الكبير والخنزروانة والنقرة التى تضاف إلى أنف للتكبير
 شيطانا قال عمر : حتى أنزع شيطانه ، كما قال : حتى أنزع النقرة التى فى
 أفه^(١) . ويسمون الحية إذا كانت داهيةً منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان
 الجماطة^(٢) قال الشاعر :

تعالج مثنى حَضْرَمِيَّ كأنه تَعْمَجُ شَيْطَانٌ بِذِي خِرُوعٍ قَفَرٍ^(٣)
 شَبَّه الزَّمَامَ بِالْحَيَّةِ . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناع كأنها حجاب يكف الشاومن أسطح حشر^(٤)
 والحجاب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم^(٥) . وقد نُهى عن الصلاة عند
 غيوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتتأَمَّ ذلك . وفى الحديث :
 « أنها تطلع بين قرَني شيطان » .

(ضرورة حذف اللغة للعالم والمتكلم)

فللغرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنية ، وموضعُ كلامٍ يدلُّ عندهم على

(١) ابن الأثير : النقرة بالتحريك ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويخلع
 أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنقرة والكبر . وصاحب
 القاموس يضبط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبير كهزمة وبالتحريك ، وإذا كانت
 بمعنى الذباب كهزمة فقط .

(٢) الجماطة : شجر شبهه بالتين أحب شجر إلى الحيات أو التين الجلى أو الأسود الصغير
 أو الجيز قاموس .

(٣) ط « تمامج مئا » والصواب ما أثبت من ل ومن المختصص لسان العرب (شطن) .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفى ل « أسطح جسر » ولعل فى البيت تحريفاً .

(٥) الأيم ككيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف أو علم جمه أيوم وانظر
 معجم الملووف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعٌ أُخَرُ ، ولها حينئذٍ دلالاتٌ أُخَرُ ؛
فمن لم يعرفها جَوَّلَ تأويلَ الكتابِ والشُّنَّةِ ، والشاهدِ والمثلِ ؛ فإذا نظرَ في
الكلامِ وفي ضروبِ من العلمِ ، وليس هو من أهلِ هذا الشأنِ ،
هَلَكَ وأهْلَكَ .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أنَّ من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على
الحير والسنابير والحمام وغير ذلك ^(١) ، فزعموا أنَّ تلك الإبل تسكنُ أرضَ
وَبَارَ ؛ لأنَّها غيرُ مسكونة ، ولأنَّ الحيوانَ كلَّما اشتدَّت وحشيَّته كانَ
للجَلَاءِ أطلب . قالوا : وربما خرجَ الجملُ منها لبعضِ ما يمرضُ ، فيضربُ
في أدنى هَجْمَةٍ من الإبل الأهلية . قالوا فالْمَهْرِيَّةُ من ذلك النَّبَاحُ .

وقال آخرون : هذه الإبلُ الوحشيَّةُ هي الحُوشُ ، وهي التي مِن بقايا إبلِ
وَبَارَ ، فلما أَهْلَكَهُمُ اللهُ تعالى كما أَهْلَكَ الأُمَّمَ مثلَ عادٍ وثمودَ والعمالقَةِ وطسَمَ
وَجَدْيَسَ وجاسمَ ، بقيتْ إبلُهُم في أَمَاكنِهِم التي لا يَطُورُهَا إِنْسِيٌّ ^(٢) فإنَّ
سَقَطَ إلى تلكَ الجيزةِ بعضُ الخُلَفاءِ ^(٣) ، أو بَعْضُ من أَضَلَّ الطريقَ حَتَّى ^(٤)

(١) ط « وقاسوا ذلك على الحير والسنابير وما سوى ذلك من الحير والسنابير والحمام
وغير ذلك » . وفي ل : « وقاسوا ذلك على الحير ، والسنابير وغير ذلك » وقد
سردت القول كما ترى .

(٢) كذا في ل .. وطار المكان يطوره طوراً وطوراناً : حام حوله .. وفي ط :
« لا يطردها أحد » قال في القاموس : « وطردتهم : أتيتهم وجزتهم » فالبارتان
سليتان .

(٣) ط « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلفاء » . ومافي
ط تصحيف .. والجزيرة الناحية .

(٤) ط « حتا » .

الجن في وجهه ، فإن ألحَّ حَبَلته ؛ فَضَرَبَتْ هذه الحوش^(١) في المماتية ،
فجاءت هذه المهرية ، وهذه المسجدية التي تسمى الذهبية ، وأنشدني سعدان
المكفوف^(٢) عن أبي العميث قول الراجز^(٣) :

مادَّمْ إِيْلِي حَجِّمْ وَلَا عَرَبَ جُلُودَهَا مِثْلُ طَاوِيسِ الذَّهَبِ
وقال الآخر^(٤) ،

إذا اصطكَّتْ بضيق حجراتها تَلَاقَى المسجديَّةُ وَاللَّطِيمُ
والمسجد من أسماء الذهب .

قالوا : وإِنَّمَا سُمِّيتْ صاحبة يزيد بن الطثرية حُوشِيَّةً على هذا المعنى^(٥)
وقال رؤبة :

جرت رحانا من بلاد الحوش^(٦)

(١) ط « الوحوش » .

(٢) ط « وأنشد ابن سعدان للمكفوف » وكتبت ماقى ل و س .. وسعدان
هذا هو ابن المبارك أبو عثمان الضرير النحوى . له ترجمة في البقية للسيوطى ٤ ٢
وتاريخ بغداد ٤٧٨١ ، ونزهة الألباء ٢٠٦ ، ومهذب كرونه في رواة العلم والأدب
ويقولون : إنه روى عن أبي عبيدة . وأما ابن سعدان . فهو أبو جعفر محمد بن
سعدان الضرير النحوى كان من أكابر القراء وله كتاب مصنف في النحو ، وتوفى
سنة ٢٣١ ، وله ترجمة في البقية ٤٥ ، وتاريخ بغداد ٢٨٤٦ ، والنزهة ٢١٢ ..
ورواية الجاحظ عن كل منهما محتملة .

(٣) ل « عن أبي العميث الراجز » ولم ينته واحد ممن ترجموا له بهذا الوصف
انظر فهرس ابن النديم ٤٨ لينك ٧٢ مصر وابن خلكان ١ : ٢٦٢ ومعجم
الزركلى ٢ : ٥٥٥ . وأبو العميث هو عبد الله بن خلد الأعرابى الشاعر ، توفى
سنة ٢٤٠ هـ .

(٤) هو عاهان بن كعب بن عمرو بن سعد كما فى اللسان (لطم) قال : السجدة : إيل
منوبة إلى سوق يكون فيها المسجد ، وقال ابن برى السجدة التي تحمل الذهب
وقال : اللطيم جمع لطيمة ، وهي المير التي تحمل الملك .

(٥) فى الأصل على المعنى هذا .

(٦) كذا فى س و ل وهو الصواب . والرحى : جماعة الإيل . وفى ط والنمدة
٢ : ١٥٥ « رجالا » . ورواية اللسان : إلك سارت من بلاد الحوش

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبايط)

وأما الذي زعم أنهم مُطِرُوا السَّبُوطَ ، فإنه لما ظنَّ أَنَّ الضفادع التي تُصَابُ بِعَقِبِ المطر ، بحيثُ لا ماء ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة ؛ فإنهم رَجَّأُواها وسطَ الدَّوِّ والدَّهْناءِ والصَّيَّانِ^(١) ولم يشكَّ أَنَّها كانت في السحاب وعلم أنها تكون في الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ، فأسَّ على ذلك الظنَّ السمك ، ثم جَسَرَ فجعلَ السمكَ سَبُوطًا . وتلك الضفادعُ إنما هي شيءٌ يُخلَقُ تلك الساعة ، من طبعِ الماء والهواء والزمان وتلك التربة ، على مقاديرٍ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاحق بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تعرف القراءة التي تكون في رأى العين بين الشككين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافدٌ ولا تلاحق ، كالضأن والمعر ، وكالفأر والجُرْذَان ، فليس بالمعجب في البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلَامِيَّ من الدجاج والدَّيْكة ، وهو الذى تخفَّقَ من بين اللولبات والمهنديات ، وهى تحمل اللحم والشحم . وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدي إلى عمرو بن مَسْعُود ، دجاجة ووُزِنَ فيها سبعة عشرَ رطلا بعد طرح الأَسقاط وإخراج الخشوة .

(١) ط « الدور » موضع « الدو » و « السنان » موضع « الصنان » : والصواب ما كتبت من ل والدو : الفلاة . والدنهان : الفلاة أيضا . والصيان : كل أرض صلبه ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخِلاصيّ من الناس ، وهو الذى يتخلّق بين الحبشيّ والبيضاء ،
والعادة من هذا التركيب أنّه يخرج أعظم من أبويه وأقوى من أصليه
ومشربيه . ورأينا البَيْسَرِيَّ^(١) من الناس ، وهو الذى يُخلّق من بين البيض
والهند ، لا يخرج ذلك النتاجُ على مقدار ضخم الأبوين وقوتهما ، ولكنه
يحيى أحسن وأملح . وهم يسمّون^(٢) الماء إذا خالطته اللوحة يسراً^(٣) قياساً ٧٢
على هذا التركيب الذى حكينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخِلاصيّ
من الكلاب ، وهو الذى يُخلّق بين السُّلُوفِ وكلب الراعى ، ولا يكون
ذلك من الزئبى والقلطى^(٤) ، ومن كلاب الثور والخراس . وسنقول فى
السّمع^(٥) والعسبار ، وفى غيرهما من الخلق المركّب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنّهم وجدوا أطول أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أوّلها
سروحير ، ثم فرغانة ، ثم اليمامة ، وإنّ فى الأعراب لأعماراً أطول ، على
أنّ لهم فى ذلك كذباً كثيراً ، والهند تُربى^(٦) عليهم فى هذا المعنى .
هكذا يقول علماء العرب .

(١) البياسرة : جيل بالسند تتأجّرم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد يسرى .

(٢) ط « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « يسرياً » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزئبى : الفؤائم ، وقد تحدّث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ٦٥ ساسى .
والقلطى : انقصر جداً .

(٥) ط « السمع » وهو تحريف ما فى ل .

(٦) ط « تربى » .

(أثر النبيذ في عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماشٍ ويزال وجذعاناً^(١) ، يذكرون أنهم عدُّوا أربعينَ قتيًّا من قتيانِ قريش وثَقِيف أعذارَ عامٍ واحدٍ فأحصوا عشرين من قريش ، وعشرين من ثَقِيف ، وتوخَّوا المتجاوزين في الحِلَّةِ والمتقارِبين في الدُّور من الموفرين على النبيذ ، والمقصورين على التناؤم ، وأنهم أحصوا مثلَ ذلك العدد وأشابه أولئك في السنِّ مَن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا الماءَ ، فذكروا أنهم وجدوا بعدَ مرورِ دهرٍ عاتقٍ من كان يشربُ النبيذَ حياً ، ومن لا يشربه قد مات عامتهم ، وكانوا قد بلغوا في السنِّ ، أما عثمانُ ويزال^(٢) فكانا من المعمَّرين ، وقد رأيتُهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتُ على هذا البابِ في موضعه من ذكر المعمَّرين ، وتبيَّز الصديقُ فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاء الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ في الفراش وغير ذلك ، ولا سيما إذا بات أحدُهم ممتلئاً من النبيذ .
ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط في شهوته وشدةَ النهم .
ويعرض لهم أيضاً إثارةُ الخُفْسِ^(٣) وحبُّ الصِّرفِ ، وذلك أيضاً .

(١) ل « ويزال وجذعان » .

(٢) ل « ويزال » .

(٣) ط « المحبس » وليس يعني ، وفي ل « الخفْس » وما تحريف ما كتبت .
والخفْس : العراب السريغ الإِسْكَار .

تَما يَريضُ للنساءِ ، والإفراطُ في شَهورِهنَّ وشِدَّةُ الهَمَّةِ لَهُنَّ والنَّيرةُ عليهنَّ .
ويَحتَمِلونَ وَيَجْنُبونَ وَيَفْتَسِلونَ ، ويَرونَ المَاءَ غَيرَ الرائقِ ولا الغليظِ ، أَلَدَى
لَهُ رِيحٌ طَلَعُ الفُحَّالِ (١) .

ويَعرضُ للخَصِيَّ شِدَّةُ الاستخفافِ بِنِ لم يَكُنْ ذا سُلطانٍ عَظيمٍ
أو مالٍ كَثيرٍ أو جَاهٍ عَريضٍ ، حتَّى رَجِمَا كانَ عِندَ مَولاهُ بَعْضُ من عَسى
أَن يَتَقَدَّمَ هَؤُلاءِ للذَكَورينَ الَّذينَ يَكُونُ الخَصِيُّ كَلِفا بِهِم وَبِتَعظِيمِهِم ،
وَمُتَرَمِّمًا بِجِلْمَتِهِم ، في الأَدبِ والحَسَبِ ، وفي بُعْدِ الهَمَّةِ وَكَرَمِ الشَّيْمَةِ ،
فَيَعِيدُ عِندَ دُخُولِ ذَلِكَ الرَّجُلِ أَلَدَى لَهُ السُّلطانُ والجَاهُ والمالُ إلى مَتَكِّا ٧٣
هَذا الأَديبُ الكَرِيمُ ، والحَسيبُ الشَّرِيفُ ، فَيَنزِعُهُ من تَحْتِ مِرْقَعِهِ ،
غَيرَ مُحْتَفِلٍ بِذَلِكَ ولا مُكَتَرِثٍ لِمَافِيهِ ، وَيَضُمُّهُ لَهُ من غَيرِ أَن يَكُونَ مَوضِعَ
الرافِقِ بَعِيدًا ، أو (٢) كانَ ذَلِكَ تَمَّا يَفُوتُ بَعْضُ القُوتِ ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ
وَإِن كانَ يَعاشرُ هَذا الأَديبُ الكَرِيمَ مَولاهُ وَهُوَ عَلى يَقينٍ أَنَّهُ لا يَرى
ذَلِكَ المَوسِرَ وصاحبَ الجَاهِ أَبَدًا (٣) .

(أقوال في منع خِصاء الخليل وإباحته)

وقَد حَرَّمَ بَعْضُهُم خِصاءَ الخَليلِ خاصَّةً ، وبَعْضُهُم زادَ عَلى ذَلِكَ حَتَّى
حَرَّمَ خِصاءَ البَهايمِ . وقالَ بَعْضُهُم : إِذا كانَ الخِصاءُ إِنَّمَا اجتَلِبَهُ فاعِلُهُ
أَوْ تَكَلَّفَهُ صاحِبُهُ عَلى جِهَةِ التَّماسِ المُنْفَعَةِ ، أو عَلى طَريقِ التَّجارَةِ ،

(١) ط د النخل .

(٢) ط د إِذا .

(٣) ط د وهو على يقين أنه ليس من حكم الخِصاء أن يرى ... الخ « وهذبت القول .
من له ..

فذلك جائز ، وسيله سبيل الميسم ، فإن الميسم نار ، والله يجوز كل ألم ، وقد رأينا إبل الصدقة موسومة ، ووسمت العرب الخيل وجميع أصناف النعم في الإسلام ، على مثل صنيعها في الجاهلية . وقد كانت القصواء ناقة النبي صلى الله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضباء .

(أقوال في وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخصاء غير شبيه بالميسم ؛ لأن في الخصاء من شدة الألم ، ومن الثلثة ، ومن قطع النسل ، ومن إدخال النقص على الأعضاء ، والنقص لمواد القوى ، مالميس في الميسم وغيره ، وهو يقطع الألية أشبه ، والسمه إنما هي لدعة ، والخصاء مجاوز لكل شديدة (١) .

قال القوم : ولا بأس بقطع الألية إذا منعت بثقلها أو عظمها الشاة من اللحاق بالطيع وخيف عليها من الذئب . وقطع الألية في جواز العقول (٢) أشبه من الميسم ؛ لأن الميسم ليس للبعير فيه حظ ، وإنما الحظ فيه لرب المال ، وقطع الألية من شكل الختان ، ومن شكل البط (٣) والقصد ، ومن جنس الوجور والبيطرة ، ومن جنس اللدود (٤) والحجامة ، ومن جنس الكي عند الحاجة ، وقطع الجارحة إذا خيف عليها الأكله .

(١) ط « شدة » .

(٢) ط « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطة . المضع .

(٤) اللدود كعبور : ما يصب بالمسط من الهواء في أحد شقي النعم .

(وسم الإبل).

قال الأولون : بل ^(١) لعمري إنَّ للآل في السمات لأعظم المنافع ؛
لأنَّها قد تشرب بسماها ولا تُدَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ، وقد تَصِلُ
فَتُوَوِي ، وتُصاب في الهواشات ^(٢) فترد .

قالوا : فإنا لا نسألكم إلَّا عن سمات الخيل والبغال والحمير والغنم .
وبعدُ فكيف نستجيز أن نَعْمَها بالإحراق بالنار ، لأمرٍ عسى ألاَّ يحتاج
إليه من ألفٍ بغيرٍ بغيرٍ واحد ، ثمَّ عسى ألاَّ يحتاج [من جميع] ذلك
في جميع عمره [إلَّا] إلى شربةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّما المياسم في النعم السائمة كالزقوم في ثياب البراز ،

ومنى ارتفعت ازقوم ومُنعت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلَطت ٧٤
أمكنَ فيها الظلم ، والمظالمُ باذلٌ نفسه دون المعيشة ^(٣) والمُضَيِّمة . وقالوا :
ليس قطعُ الأليةِ كاللجئمةِ وكالشيء المصبور ، وقد نُهِننا عن إحراق
« الهوام » ، وقيل لنا : لا تَعذِّبوا بعذاب الله تعالى ، واليسمُ نار ، وقطعُ الأليةِ
من شكل قطعِ العروق ، وصاحبُ اللجئمةِ يقدر أن يرمى - إن كان به
تعلمُ الرماية - شيئاً لا يألم ولم يُنَه عن تعذيبه ، فـ ^(٤) يرُدُّ الشيء المصبور
من العذاب مرَّةً بوجه من الوجوه .

(١) ط « قل » وهو تحريف ماق . ل .

(٢) الهواشات بالنعم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « الكبيشة » بمعنى الحطة الصلبة .

(٤) في الأصل « فيها » .

(القول في نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقصها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدث في جميع الحيوان حدًا من نقصٍ أو قص أو إيلام ، لأنك لا تملك النشأة^(١) ، ولا يمكنك التعويض له ؛ فإذا أذن لك مالك العين ، بل اخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عز وجل ، حل لك من ذلك ما كان لا يخل . وليس لك في حجة العقل أن تصنع بها إلا ما كان به مصلحة كعلاج الدبر^(٢) وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنع كل ما كان يُصنع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ، مما لم يكن مدفوعاً^(٣) عند بعضهم ، إلا أن يكون نهي ذلك البعض من جماعتهم^(٤) ، في طريق الخلاف والرد والمفارقة ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإن ذلك في سبيل العلاج بعد أن كان المتكلف يعرف وجه اللام . والمذهب في ذلك معروف^(٥) ، وإن كان خارجاً من ذلك الحد ، قد علمنا أنه أيسر من طريق التعبد والحنه ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلّ ذبحه من البهائم ، وكما جعل لنا أن نقتل القمل والبراغيث والبعوض ، وإن لم يكن منها إلا مقدار الأذى فقط . والقتل لا يكون قصاصاً من الأذى ، ولكن لما أباح لنا خالق الشيء

(١) ل « الشيء » .

(٢) ط « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه في ل .

(٣) ط « مرفوعاً » وتصحيحه من ل .

(٤) في الأصل . « عن جماعتهم » .

(٥) ل « يعرف وجه العلاج فالذهب ... إلخ » .

والقادر على تعويضه قتله، كان قتله أسوأ في العقل مع الأذى، من ذبح
اليهية مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى ^(١) حكم الله تعالى فيها
بإباحة القتل ، والله عز وجل ، بمقادير الأمور وبحكم المختلف والمتفق ،
والقليل من ذلك والكثير ، أحكم وأعلم .

وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق
أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالد وطلوع الولد .
والجواب الماضي إنما هو ^(٢) قول من قال بالتعويض [و] هو قول
النظام . وأكثر للتكلمين يعترضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال - يرحمك الله تعالى - بعض الجحدين من المأندين ، أو بعض
الموحدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعن في ملك الخصى وبنيه ^{٧٥}
وابتغاه ، ويدكرون الخصى الذى كان للقوقس عظيم القبط أهلباً إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله مع مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام .
قالوا : قد ملك عليه الصلاة والسلام خصياً بعد أن عرفه وأحاط علمه
بأنه خصى ، وأتم يزعمون أن الخصاء حرام ، وأن من اشتري من الخصاصم
خصياً ثم زاد على قيمته ، وهو فحل ، فقد أعتق على الخصاء وحسب عليه ،
ورغب فيه ، وأنه من أفش الظلم وأشد القسوة ، وزعم أن من فعل ذلك

(١) ط « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .

(٢) ط « على » موضع « إنما هو » .

فهو شريك الخالص في الإيمان ، وأنَّ حاله كحال المروفين بالابتیاع من
 الموصوف . وقتم : وكذلك من شهد القمار ^(١) وهراش الكلاب ، ونطاح
 الكباش وقتل الديوك ، وأصحاب المجارحات ^(٢) وحرب القشتين الضالّتين .
 وقتم : لأنَّ هذه الواضع لو لم تحضرها النظارة لما عملوا تلك الأعمال ،
 ولو فعلوها ما بلغوا مقدار الشطر ، لنلبة الرياء والسُّمة على قلوب الناس ،
 فكذلك الخالص ، والمشتري ، والمبتاع من المشتري ، شركاء متعاونون ،
 ومخطأ مترادفون ، وإذا كان المبتاع يزيد في السُّمة لهذه العلة ، والبائع
 يزيد في السُّوم لهذا السبب ، وقد أقرتم بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد
 قيل له من الموقس ، كما قيل مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكه
 وأمره ، فافهم - فهك الله تعالى - ما أنا مجيب به في هذه المسئلة ، والله
 الموفق ، وعلى الله قصد السبيل .

أقول : قبل كل شيء لا يخلو هذا الحديث ألقى رويته من أن
 يكون مرضى الإسناد ، صحيح المخرج ، أو يكون مسخوط الإسناد ، فاسد
 المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسئلة ، وإن كان مرضياً ، فقد علمنا
 أنه ليس في الحديث أنه قيله منه بعد أن علم أنه خصي ، وعلى أن قبول
 الهدية خلاف الابتیاع ؛ لأنَّ بائع الخصى إنما يجرم عليه التماس الزيادة ،
 وكذلك المبتاع إنما يجرم عليه دفع الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك
 الثمن غلاماً أجل منه وأشب وأخدم منه لم يزده ، والبائع أيضاً لا يستام
 بالفعل سومه بالخصى . وقبول الهدية ، وقبول الهبة ، وسبيل البيع والابتیاع

(١) ل « الساعين » .

(٢) ط « المخرجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإِنَّمَا هَدِيَّةُ الْخَصِيِّ كَهَدِيَّةِ الثَّوْبِ وَالْعِطْرِ ، وَالنَّائِبَةِ وَالْفَاكِهَةِ . وَلَأنَّ الْخَصِيَّ لَا يَحْرَمُ مِلْكُهُ وَلَا اسْتِخْدَامُهُ ، بَلْ لَا يَحِلُّ طَرْدُهُ وَقَبْضُهُ ، وَعَقْدُهُ جَائِزٌ ، وَجَوَازُ الْعِتْقِ يَوْجِبُ الْمَلِكَ . وَلَوْ بَاعَهُ لِلْمَلِكِ عَلَى غَيْرِ طَلَبِ الزِّيَادَةِ ، أَوْ لَو تَابَ مِنْ الْخِصَاءِ أَوْ اسْتَحْلَهَ مِمَّا أَتَى ٧٦ إِلَيْهِ ، كَمَا حَرَّمَ عَلَى الْخَاصِيِّ نَفْسَهُ اسْتِخْدَامَهُ ، وَالْخَصِيُّ مَالٌ وَمَلِكٌ ، وَاسْتِخْدَامُهُ حَسَنٌ جَمِيلٌ ؛ وَلَأنَّ خِصَاءَهُ إِتْيَاهُ لَا يَعْتَقُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُزِيلُ عَنْهُ مِلْكُهُ إِلَّا بِمَثَلٍ مَا وَجَبَ بِهِ مِلْكُهُ ^(١) .

وَأُخْرَى : أَنَّ فِي قَبُولِ هَدِيَّةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ ، وَتَلَقِّي كَرَامَتِهِ بِالْإِكْرَامِ تَدِيرًا وَحَكْمَةً . فَقَدْ بَطَلَتِ الْمُسْتَلْةُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ .

وَقَدْ رَوَوْا مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا : أَنَّ زَيْنَبًا الْجُدَامِيَّ ، خَصِيَ عَبْدًا لَهُ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْتَقَهُ عَلَيْهِ فِيمَا بَلَغْنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَرَبَّمَا سَأَلُوا عَنِ الشَّيْءِ وَلَيْسَ الْقَوْلُ فِيهِ يَقَعُ فِي نَسَقِ الْقَوْلِ فِي الْخَصِيِّ ، وَفِي الْخَلْقِ الْمُرَكَّبِ ، وَلَكِنْ إِذْ قَدْ أَجَبْنَا فِي مُسْتَلْةٍ كَلَامِيَّةٍ مِنْ مَسَائِلِ الطَّلَنْ فِي النَّبَوَّةِ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ نُضِيفَ إِلَيْهَا أُخْرَى ، وَلَا سِيَّيَا إِذَا لَمْ تَطُلْ قَتَزِيدُ فِي طُولِ الْكِتَابِ .

وَقَدْ لَا يَزَالُ الطَّاعِنُ يَقُولُ : قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَسِمُوا حُرُوبَ أَيَّامِ الرِّجَارِ بِالْفَجْرِ ^(٢) وَفَرِيضٍ خَاصَّةٍ ، إِلَّا أَنَّ الْقِتَالَ فِي الْبِلَادِ الْحَرَامِ ، فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، كَانَ عَنْدهُمْ فَجُورًا ، وَتِلْكَ حُرُوبٌ قَدْ شَهِدَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) ل « الا مثل ما يوجب له به ملكه » .

(٢) ط : « العجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً ،
وقال : « شَهِدْتُ الفِجَارَ فَكُنْتُ أَنْبِلُ عَلَى عُمُومَتِي » .

بجوابنا في ذلك : أَنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَبِصَةَ ، طَالِبُوا أَهْلَ الْحَرَمِ مِنْ
قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ ، بِحِزْبَةِ الْبَرَّاضِ بْنِ قَيْسٍ ، فِي قَتْلِهِ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ ، وَقَدْ
عَلِمُوا أَنَّهُمْ يُطَالِبُونَ مَنْ لَمْ يَجِئْ وَمَنْ لَمْ يَمُؤِنْ ، وَأَنَّ الْبَرَّاضَ بْنَ قَيْسٍ
كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ خَلِيفَةً مَطْرُوداً ، فَأَتَوْهُمْ إِلَى حَرَمِهِمْ يُلْزِمُونَهُمْ ذَنْبَ غَيْرِهِمْ ،
فَدَافَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَعَنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَعَنْ ذُرَارِيهِمْ ، وَالْفَاجِرُ لَا يَكُونُ
الْمُسْتَعْمَى عَلَيْهِ ، وَلِذَلِكَ أَشْهَدُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ
الْمَوْقِفَ ، وَبِهِ نَصَرُوا كَمَا نَصَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى فَارِسَ يَوْمَ ذِي قَارٍ ، بِهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُخْرِجُهُ . وَهَذَانِ جَوَابَانِ وَاضِحَانِ قَرِيبَانِ ، وَاللَّهُ لِلْوَفْقِ
الصَّوَابُ ، وَإِلَيْهِ الرُّجْعُ وَالْمَلَاب .

(محاسن الخصى ومساوئه)

ثم زَجَعَ بِنَا الْقَوْلُ إِلَى ذِكْرِ مَحَاسِنِ الْخَصِيِّ وَمَسَاوِيهِ .
الْخَصِيُّ يَنْكِحُ وَيَتَخَذُ الْجَوَارِيَ وَيَشْتَدُّ شَفْهُهُ بِالنِّسَاءِ ، وَشَفْهُنَّ بِهِ ،
وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَجْبُوبَ الْعُضْوِ فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ
مَا هُوَ أَجْمَعُ إِلَيْهِ . وَقَدْ يَحْتَمِلُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ عِنْدَ الْوُطْءِ مَاءٌ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ ،
يَتَغَيَّرُ الرِّيحُ ، زَقِيقٌ ضَعِيفٌ . وَهُوَ يَبَاشِرُ بِمَشَقَّةٍ ، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاوِدَةِ الْمَاءُ
أَلَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ إِذَا كَانَ قَلِيلَ الْقُدَارِ ^(١) لَا يَخْرِجُهُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الضَّعْفِ ،

(١) فِي الْأَصُولِ : « إِذَا كَانَ قَلِيلَ الْقُدَارِ » .

مثل الذي يعتري من يخرج منه شيء يكون من إنسان ، وهو أختر ، وأكثر ، وأحد ربحا ، وأصح جوهرا :

والخصى يجتمع فيه أمنيّة المرأة ، وذلك أنّها تفيض كلّ سريع الإراقة ، بطيء الإفاقة ، كما تذكره كلّ قليل الصدر ، وخفيف المعجز ، والخصى هو السريع الإفاقة ، البطيء الإراقة ، المأمون الإلحاق ، فتقيم المرأة معه ، وهي آمنة العار الأكبر ، فهذا أشدّ لتوفير لثنتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الخصيان ، وحترن العبيد ، وذهبت الهيبة من قلوبهنّ ، وتعظيم البعول ، والتصنع لنوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلف الحجل ، ظهر كلّ شيء في قوى طبائعهنّ وشهواتهنّ ، فأمكنهنّ التّخير ^(١) والصّباح ، وأن تكون مرّة من فوق ، ومرّة من أسفل ، وسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت أقصى ما عندها .

وقد تجمد في النساء من تؤثر النساء ، وتجمد فيهنّ من تؤثر الرجال ، وتجمد فيهنّ من تؤثر الخصيان ، وتجمد فيهنّ من تجمّع ولا تفرّق ، وتعم ولا تخصّ ، وكذلك شأن الرجال في الرجال ، وفي النساء والخصيان . فالمرأة تنازع إلى الخصى لأنّ أمره أسترّ وعاقبته أسلم ، وتحرّص عليه لأنّه ممنوع منها ، ولأنّ ذلك حرام عليها ، فلها جاذبان : جاذب حرص كما يُحرّص على الممنوع ، وجاذب أمن كما يُرغب في السلامة . وقال الأصمعيّ : قال يونس ابن عبيد ^(٢) : لو أخذنا بالجرع لصبرنا . قال الشاعر :

(١) ط « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى في عيون الأخبار ٣ : ٤١ : أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعت يقول : قولوا له إني نائم - يريد سأنام - قلت : سي خيس . قال : مكائك حتى أخرج إليك !

وزادها كلفاً بالحَبِّ أَنْ سَتَعَتْ وَحَبَّ شَيْءٌ إِلَى الْإِنْسَانِ مَائِئاً^(١)
والحرصُ على المِنْعِ بَابٌ لَا يَقْدَرُ عَلَى الْإِحْتِجَازِ مِنْهُ ، وَالْإِحْتِرَاسُ مِنْ
خُدْعِهِ ، إِلَّا كَلَّ مَبْرُزٌ فِي الْقَطَنَةِ وَمَتَمَهِّلٌ [فِي] الْعَزِيمَةِ ، طَوِيلُ التَّجَارِبِ ،
فَاضِلُ الْعَقْلِ عَلَى قُوَى الشَّهَوَاتِ : وَبُئْسَ الشَّيْءُ الْقَرِينُ السُّوءُ . وَقَالُوا :
صَاحِبُ السُّوءِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ .

وَبَابٌ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ ، فَبَيْكُمُ أَعْظَمُ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَعْرِفُوهُ وَتَقِفُوا
عِنْدَهُ ، وَهُوَ مَا يَصْنَعُ^(٢) الْخَبِيرُ السَّابِقُ إِلَى السَّمْعِ ، وَلَا سَيِّئاً إِذَا صَادَفَ مِنْ
السَّمَاعِ قَلَّةَ تَجَرِبَةٍ ، فَإِنَّ قَرْنَ بَيْنَ قَلَّةِ التَّجَرِبَةِ وَقَلَّةِ التَّحْفِظِ ، دَخَلَ ذَلِكَ
الْخَبِيرُ السَّابِقُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ دُخُولاً سَهْلاً ، وَصَادَفَ مَوْضِعاً وَطِئاً ، وَطَبِيعَةً
قَابِلَةً ، وَهَسَا مَا كُنْهَ ؛ وَمَتَى صَادَفَ الْقَلْبَ كَذَلِكَ ، رَسَخَ رَسوخاً لَاحِلَةً
فِي إِزَالَتِهِ . وَمَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْقَتِيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الْقَتِيَاتِ ، فِي وَقْتٍ
٧٨ الْفَرَاةِ ، وَعِنْدَ غَلَبَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَشَبَابِ الشَّهْوَةِ ، وَقَلَّةِ التَّشَاغُلِ ؛ وَكَذَلِكَ
مَتَى أُلْقِيَ إِلَى الْقَتِيَانِ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِهِنَّ وَأُمُورِ الْفُلَّانِ ، وَهَنَّاكَ سَكْرُ
الشَّبَابِ ، فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُهُمْ . وَإِنَّ الشُّطَّارَ لَيَخْلُو أَحَدُهُم بِالْغُلَامِ الْفَرِيزِ
فَيَقُولُ لَهُ : لَا يَكُونُ الْغُلَامُ قَتَى أَبَداً حَتَّى يَصَادِفَ قَتَى [وَالْأَفْوَ تَكْشُ ،
وَالْتَكْشُ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَمْ يُؤْذِبْهُ قَتَى وَلَمْ يَخْرُجْهُ] ، فَمَا الْمَاءُ الْعَذْبُ الْبَارِدُ ،
بَأْسَرَعٍ فِي طَبَاعِ الْعَطْشَانِ ، مِنْ كَلْتِهِ ، إِذَا كَانَ الْغُلَامُ أَدْنَى هَوًى فِي

(١) ط « أَحَب » . وَمَشْهُورُ الرِّوَايَةِ وَمَاتِي لَ هُوَ مَا أَثْبَتَ . وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ
٢ : ٣ : « وَزَادَهُ » مَوْضِعٌ « وَزَادَهَا » وَصَوَابُ الرِّوَايَةِ « وَزَادَنِي » فَانِ الْبَيْتِ
لِلْأَحْوَسِ كَمَا فِي الْأَغَانِي ١١ : ٢٢ . وَقَبْلَهُ :

كَمْ مِنْ ذِي لَمَّا قَدْ صَرَتْ أَثْبَمُهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعَا
(٢) ط « يَضَعُ » ،

الفتوة^(١) ، وأدنى داعية إلى النال^(٢) ، وكذلك إذا خلت العجوز

للدرية^(٣) بالجارية الحديثة [كيف تحلبها ، وأنشدنا :

فأتها طَبَّسَةٌ عَالَّةٌ تخط الجَدَّ بأصنافِ اللعب .

ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتناهى عند سَوَراتِ الغُصَبِ]

وقال الشاعر^(٤) فيما يشبه وقوع الخبر السابق إلى القلب :

نَقْلُ فَوَازِكٍ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ .

كم منزلي في الأرض يَأْلَهُ الْقَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ .

وقال مجنون بنى عامر :

أَنَا فِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَصَكَّنَا

(أثر التكرار في خلق الإنسان)

ويابئ آخر مما يدعو إلى الفساد ، وهو طولُ وقوعِ البصرِ على

الإنسان الذي في طبعه أدنى قابل ، وأدنى حركة عند مثله ، وطولُ التذاني ،

وكثرةُ الرؤيةِ لها أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الخُس : لم زَنَيْتِ بَعْدِكَ وَلَمْ

تَزْنِي بِمَجْرٍ^(٥) ، وما أغراك به ؟ قالت : طُولُ السَّوَادِ ، وَقُرْبُ الْوَسَادِ .

ولو أن أقْبَحَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَتْتَهُمْ رِيحًا ، وَأَظْهَرَهُمْ قَرَأً ، وَأَسْقَطَهُمْ

(١) ط « الفتنة » .

(٢) ط « الشطارة » .

(٣) ط « المنرية » .

(٤) هو أبو تمام كما في الأغاني ١٧ : ١٤٦ والبيتان في ديوانه ٤٥٧ .

(٥) في الأصل « ولم تزن بمجر » والوجه ما كتبه .. وابنة الخس من هند . ولها أخبار كثيرة في البيان .

نفساً، وأوضحهم حسباً، قال لامرأةٍ قد تمكَّن من كلامها، ومكنته من سَمْعِها :
 والله يا مولاي وسيِّدتي، لقد أسهرت لي ليلاً، وأرقت عيني، وشغلنيتني عن
 مهمٍّ أرى، فما أَعْلُ أَهْلًا، ولا مَالًا، ولا وَلَدًا؛ لنَقْضِ طِبَاعِها، ولِقْصَحِ
 عَقْدِها، ولو كانت أَرْبَعُ الْخَلْقِ جَمَالًا، وأَكْلَهُمْ كَالًا، وأَمْلَحَهُمْ مِلْحًا .
 فَإِنْ تَهَيَّأَ مع ذلك مِنْ هَذَا التَّمَتُّعِ، أَنْ تَدْمَعَ عَيْنُهُ، احتاجت هذه المرأةُ
 أَنْ يكون معها وَرَعٌ أَمْ أَلْدَرَاءُ، ومعَاذَةُ الْمَلُوتَةِ، وِرَاجَةُ الْقَيْسِيَّةِ،
 والشَّجَاءَةُ^(١) الْخَارِجِيَّةُ .

(زهّد الناس فيا يملكونه ورغبتهم فيا ليس يملكونه)

وإِنَّمَا قال عمر بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه : «لَضَرْبُوهُمْ
 بِالْعُرَى» . لِأَنَّ الثِّيَابَ هِيَ الدُّعَاءُ إِلَى الْخُرُوجِ فِي الْأَعْرَاسِ، وَالْقِيَامِ فِي
 لِلْنَّاحَاتِ، وَالظُّهُورِ فِي الْأَعْيَادِ، وَمَتَى كَثُرَ خُرُوجُهَا لَمْ يَعِدْهَا أَنْ تَرَى مِنْ
 هُوَ مِنْ شَكْلِ طَبِيعِهَا . وَلَوْ كَانَ بَعْلُهَا أَمَمًا حَسَنًا، وَالَّذِي رَأَتْ أَهْقَصَ حَسَنًا،
 لَكَانَ مَا لَا تَمْلِكُهُ، أَطْرَفَ مِمَّا تَمْلِكُهُ، وَلَكَانَ مَا لَمْ تَنْلَهُ، وَلَمْ تَسْتَكَثِرْ
 مِنْهُ، أَشَدَّ لَهَا اشْتِقَالًا وَأَشَدَّ لَهَا اجْتِنَابًا، وَلِذَاكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلِلْمَعِينِ مَلَكِي بِالْتَّلَادِ وَلَمْ يَقْدِرْ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ بِكَافِتِيَادِ الطَّرَافِ^(٢)
 وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ : لِأَنَّ^(٣) يَرَى حَرَمَتِي أَلْفُ رَجُلٍ عَلَى حَالٍ تَكْشِفُ

(١) ن « الثبياء » وصوابه « الشجاء » كافي ط . ولها حديث مع زياد في الأموال

. ١٧٤ : ٣

(٢) ط « ولم يقدر » بدل « لم يقدر » و « كافيتياد » موضع « كافيتياد » .

(٣) ط « لن » .

منها وهي لا ترام ، أحب إلي من أن ترى حُرْمَتِي رجلاً واحداً
غير منكشف .

وقال الأول: لا يضرك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنك إذا أتبعها بصرك ،
وقد قضت طبعك ، فعلت أنك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك
ولا برسولك ، كان ألقى رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للتمنى ، فإذا
اقضى ما هو فيه من اللى ^(١) ، ورجعت نفسه إلى مكانها الأول ، لم يكن
عليه من [قدحها إلا مثلاً] قدح ما رآه في النوم ، أو مثله له الأمانى ^(٢) .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعقيل بن علفة ^(٣) : لو زوجت بناتك ! فإن النساء لحم على
عظم إذا لم يكن غايات !! قال : كلا ، إني أجيبهن فلا يأثرن ،
وأعريهن فلا يظهرن ^(٤) !! فوافقت إحدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه
وسلم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبي صلى الله عليه
وسلم قال] : « الصَّوْمُ وَجَاء » . وقال عمر : استعينوا عليهن بالمرى ،
وقد جاء [في الحديث] : « وفروا أشعارهن فإن [ترك الشعر مجفرة] ^(٥) » .

(١) ط « ... كالحلمة إذ كان ذلك يقضى ما فيه من اللى » وهو تحريف .

(٢) ط « الأمانى مؤنة » .

(٣) ط « علفة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغانى ١١ :

٨١ - ٨٩ .

(٤) ط « يأثرن » موضع « يأثرن » و « يظهرهن » بدل « يظهرن » وما
فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : ينس مقطعة للتكاح وهما الماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذى ذكرنا فيه شأن القيرة ، وأول الفساد ، وكيف ينبت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خصى يتلوط ، ويطلب النملان [في المواضع ، ويخلوهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاقل دون السخول^(١) ، ويمشى مع الشطار .

وقد كان في قطعة الربيع خصى أثيرٌ عند مولاه ، عظيم النزلة عنده ؛ وكان يثق به في ملك يمينه ، وفي حرمة من بنت زوجته وأخته ، لا يخلص شيئاً دون شيء ، فأشرف ذات يوم على مربد له ، وفي المربد غنم صفايا ، وقد شدّ يدي شاة وركبها من مؤخرها يكومها ، فلما أبصره برق وبيل^(٢) وسقط في يديه ، وهجم عليه أمره لو يكون رآه من خصى لدو له^(٣) كما فارق ذلك المولأبداً قلبه ، فكيف وإثما عين الذى عين فيمن كان يخلفه في نسائه من حرمة وملك يمينه . فبينما الرجل وهو واجم [حزين]^(٤) وهو ينظر^(٥) إليه [وقد تحرق عليه غيظاً] إذ رفع الخصى رأسه ، فلما أثبت مولاه مرّ مسرعاً نحو باب الدار ليركب رأسه ، وكان المولى أقرب إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضع الذى رآه منه

(١) ط « السجون » .

(٢) كذا في ل . وفي ط « بعد » ولاوجه له .. وأما (بيل) فهي بمعنى دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

(٣) ط « لدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط « ينتظر » وهو تحريف .

مَوْضِعًا لَا يُصْعَدُ [إِلَيْهِ] فَخَدَّتْ لَشَقَائِهِ أُمُّ لِمِ يَجِدُ مَوْلَاهُ [مَعَهُ] ^(١) بَدَأَ مِنْ صُودِهِ ، فَلَبِثَ الْخَصِيُّ سَاعَةً يَنْفِضُ مِنْ حُمَّى رَكِبَتْهُ ثُمَّ فَاظَ ، وَلَمْ يُمَسِّ إِلَّا وَهُوَ فِي الْقَبْرِ .

ولفرط إرادتهم النساء ، وبالحسرة التي نالتهم ، وبالأسف الذي دخلهم ، أُنْفَضُوا الفحولَ بأشدَّ مِنْ تَبَاغُضِ الأعداءِ فيما بينهم ، حتَّى ليس بين الحاسدِ الباغى وبين أصحابِ النِّعمِ للظاهرة ، ولا بين الماشئِ المعنى ٨٠ وبين راكبِ المِملَاجِ الفارِه ، ولا بين ملوكِ صاروا سُوقَةً ، وبين سُوقَةٍ صاروا ملوكا ، ولا بين بنى الأعمامِ مع وقوع التنافسِ ، أو وقوع الحرب ، ولا بين الحيرانِ والمتشاكِلينِ فى الصناعات ، من الشنفِ والبغضاء ، بقدر ما يلتحف عليه الحِصيانُ للفحول ^(٢) .

و يُفَضُّ الْخَصِيُّ للفحل ، من شِكلِ بُغْضِ الحاسدِ لِنِى النعمة ، وليس مِنْ شِكلِ ما يُولِّدُهُ التنافسُ وتُلَحِّقُهُ الجُنَايَاتِ .

(نِسْكُ طَوَائِفِ مِنَ النَّاسِ)

ولرجالٍ كُلٌّ فَنٍّ وَضَرْبٍ مِنَ النَّاسِ ، ضَرْبٌ مِنَ النَّسِكِ ، إِذْ لَا يَدُّ لِأَحَدِهِمْ مِنَ الزُّوْعِ ، وَمِنْ تَرْكِ طَرِيقَتِهِ الْأُولَى : فَسَكَ الْخَصِيُّ غَزَا الرُّومِ ، لِمَا أَنَّ كَانُوا هُمْ الَّذِينَ حَصَّوْهُم ، وَلُزُّوْمُ أُذُنَةِ الرِّبَاطِ بِطَرَسُوسَ وَأَشْبَاهِهَا ، فَظَنَّ عِنْدَ ذَلِكَ أَهْلُ الْقِرَاسَةِ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّ الرُّومَ لِمَا كَانُوا هُمْ الَّذِينَ حَصَّوْهُم ، كَانُوا مُفْتَاطِلِينَ عَلَيْهِمْ ^(٣) ، وَكَانَتْ

(١) زيادة يقتصر إليها الكلام .

(٢) ط « المتشاكِلين » موضع « والمتشاكِلين » و « التنفير » موضع « الشنف »

و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط « متفطاطين عليهم » .

متطلبته إلى التشقى منهم ، فأخرج لهم حبب التشقى شدة الاعتزام على قتلهم ، وعلى الإغراق في كل شيء يبلغ منهم . ونسك الخراساني أن يحج ، ونسك البنوي^(١) ، أن يدع الديوان ، ونسك المغنى ، أن يكسر التسبيح وهو يشرب النبيذ ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والصلاة في جماعة . ونسك الرافضى ، إظهار ترك النبيذ ، ونسك السوادى ، ترك شرب المطبوخ قط . ونسك اليهودى ، إقامة السبت ، ونسك المتكلم ، التسرع إلى إكفار أهل الماضى ، وأن يرى الناس بالجهر ، أو بالتعطيل ، أو بالزندقة ، يريد أن يوم أمورا :

منها أن ذلك ليس إلا من تعظيمه للدين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نطقا ، أو مرتابا ، أو محتجحا على بليته^(٢) ، لم ارى الناس ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليريمهم إلا العز الذى فى قلبه ، ولو كان هناك من ذل الرتبة شيء لقطعه ذلك [عن]^(٣) التعرض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إن حرّكهم له أن يتحرّكوا . ولم نجد فى المتكلمين أنظف ولا أكثر عيوباً ، ممن يرى خصومه بالكفر .

(أبو عبد الله الجمارى جارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمار ، وهو محمد بن عمرو^(٤) ، يتعشق جارية

(١) فى القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبنواى وبنوى محرّكة » وفى رسائل الجاحظ ١٥ ساسى ما يفيد أنهم من خراسان .. وهى فى ط : « الجندى »

(٢) « النطق » : الرجل المريب .. وفى ط : « محتجحا » بدل « محتجحا » .

(٣) زيادة يقتضيه الكلام

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان دخل بغداد أيام الرشيد

لآلِ جعفر يقال لها طُفَيَّان ، وكان لهما خَصِيٌّ يَحْفَظُهَا إِذَا أَرَادَتْ مَيُوتَ
الْفَنَيْنِ ، وكان الخَصِيُّ أَشَدَّ عَشَقًا لَهَا مِنَ الْجَمَّازِ ، وكان قد حال بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٨١
كَلَامِهَا ، والدُّنُوٌّ مِنْهَا ، فقال الجمَّازُ [وكان اسم الخادم سَنَانًا] .

مَالِ الْمَقِيَّتِ سِنَانٍ وَالطَّبَّاءِ لِلسَّلَاحِ
لَيْسَ زَانٍ خَصِيٌّ غَايِرٌ بِغَيْرِ سَلَاحٍ^(١)
وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الْقَدَاءُ لَطْفِي يُحِبُّنِي وَأُحِبُّهُ
مِنْ أَجْلِ ذَاكَ سِنَانٌ إِذَا رَأَى يَسُوبُهُ
هَبْهُ أَجَابَ سِنَانًا يَنْبِيكَهُ ابْنُ زُبَّةٍ

وقال أيضاً فيهما :

ظِيَّ سِنَانٌ شَرِيكِي فِيهِ فَبَيْسَ الشَّرِيكِ
فَلَا يَنْبِيكَ سِنَانٌ وَلَا يَدْعُنَا نَبِيكَ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال اللخوري^(٢) يذكُرُ محاسِنَ خِصَالِ الْخَصِيَّانِ :
ونساء لمطمئنَّ مُقِيمٍ ورجال إن كانت الأسفارُ

= وفي أيام التتوكل . وأجيب به التتوكل وأمر له بمهرة آلاف درهم فأخذها
وانحدر فبات فرحاً بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط « ليس خصي بزنان » وفي ل : « أليس زان خصي » ورأيت الصواب
فها كتبت .

(٢) ل « البخري » .

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُبْنَانُهُ وَرِهَاءُ تَخْصِي حَمَارِهَا بِنِي مِنْ بَنَى خَيْرًا إِلَيْهَا الْجَلَامِدُ^(١)]

. وقال مزرد بن ضِرَار :

[جَاءَتْ كَخَاصِي الْعَيْرِ لَمْ تَحْمَلْ عَاجَةً وَلَا جَاجَةً مِنْهَا تُلَوِّحُ عَلَى وَشْمِ^(٢)

. وقال عمرو الخاركي^(٣)] :

إِذَا لَامَ عَلَى الرَّدِّ نَصِيحٌ زَادَنِي حَرْصًا

وَلَا وَاللَّهِ مَا أَقْلِعَ مَا عَمَّرْتُ أَوْ أُخْصِيَ

. وقال آخر^(٤) :

رَمَاكَ اللَّهُ مِنْ أَيْزٍ بِأُصَى وَلَا عَافَاكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ رَفِيقِي إِذَا بَلَغْتَ بِي رَكْبَ التَّسَاءِ

أَجْبِنَانِي الْكَرِيمَةَ حِينَ نَلْقَى وَمَا تَنْفَكُ تُنْعِظُ فِي الْخِلَاءِ

فَلَا وَاللَّهِ مَا أَمْسَى رَفِيقِي وَلَوْلَا الْبَوْلُ عَوَّجِلَ بِالْخِلَاءِ

(١) الجلبانة : الصنابة السيئة الخلق . والورهاء : الجفاء .

(٢) في اللسان « أبو زيد : الجاجة الحُرْزَةُ التي لا قيمة لها . غيره : ما رأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنفد لأبي خراش المفضل يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستجبت وجاءت إليه مستحبة » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصي المير : إذا جاء مستحيا وخطبا أيضا . والعاجة : الوقت من العاج تحمله المرأة في يدها » . والبيت في الأصل هكذا :

جَاءَتْ كَخَاصِي الْعَيْرِ لَمْ تَحْمَلْ حَاجَةً وَلَا حَاجَةً مِنْهَا تُلَوِّحُ عَلَى وَشْمِ
وتصحيحه من اللسان في مادتي (جوج) و (عوج) ومن الصلح (جوج) ،
ومن أمثال الليداني (١: ١٥٠) مع نسبته إلى أبي خراش المفضل ، كما في اللسان .
(٣) ياقوت في (خوارك) : « منهم الخاركي الشاعر في أيام المؤمنين أو ما يقاربها » .
(٤) الآيات في المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قَحْذَمُ ابْنُ وَاهِصَةَ الْخَصِي يَرْجُو النَّائِكَحَ فِي بَنِي الْجَارُودِ^(١)
وَمِنْ انْتِكَاكِسِ الْدَّهْرِ أَنْ زُوجَهَا وَلِكُلِّ دَهْرٍ عَشْرَةٌ بِجُدُودِ^(٢)
لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم حيًّا لكان خَصَّكَ بالعمود ٨٢
وقال أبو عبيدة : حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ أَحَبُّ
فَسَقَطَ فِي بُئْرٍ فَذَهَبَتْ حَدَبَتُهُ وَصَارَ^(٣) أَكْذَرُ قَبِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ^(٤) ؟
[قَالَ] : أَلَنِي جَاءَ شَرٌّ مِنْ أَلَنِي ذَهَبَ .
وَأَبُو الْحَسَنِ عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ^(٥) قَالَ : خَرَجَ مَعَاوِيَةُ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِي
وَمَعَهُ خَصِيٌّ لَهُ ، إِذْ دَخَلَ عَلَى مَيْسُونَ ابْنَةِ بَجْدَلِ^(٦) وَهِيَ أُمُّ يَزِيدَ ،
فَاسْتَقَرَّتْ مِنْهُ فَقَالَتْ : أَتَسْتَرِينَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ الْمَرْأَةِ ؟ قَالَتْ :
أُتْرُسِي أَنْ أَلْتَمِثَ بِهِ تُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى .

(ذكر ما جاء في خصاء الدواب)

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبي قال : قرأت كتابَ عمر رضى الله

-
- (١) ط «مخدم» وما تحريف ما أثبت من ل . و «واهصة» تصحيح ما في ل ، وهو «واصة» . وجاءت هذه الكلمة في ط «راضخة» والوهص والرضخ بمعنى ، وهو اللق . وانظر اللسان (وهص) .
(٢) ل « وجدود » ط « بهبود » والصواب ما أثبت . والجد : الحظ .
(٣) ط « صاد » وصوابه من ل .
(٤) ط « تجدك » وهو تحريف ما في ل .
(٥) ط « رجال الأدب » .
(٦) ط « بجدل » ، وإنما هو « بجدل » بالحاء كما في ل والأغار والحزاة (٣) : ٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حذف أذنان الخليل وأعرافها ، وعن
حَصَانِهَا ، ويأمره أَنْ يُجَرِّىَ من رأس المائتين وهو أربعة فراسخ .

وسفیان الثوري عن عاصم بن عبد الله بن عمر^(١) أَنَّ عمر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى
عنه كَانَ ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإِنْمَاءُ إِلَّا فِي الذَّكُورِ .
وشريك ابن عبد الله ، قال : أَخْبَرَنِي إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم
النَّخَعِيِّ أَنَّ عمرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنه نَهَى عن خِصَاء الخليل .

وسفیان الثوري عن إبراهيم بن المهاجر قال : كَتَبَ عمرُ بْنُ الخطابِ
رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنه لبعض عماله : لَا تُجَرِّىَنَّ فَرَسًا إِلَّا مِنَ المائتين ،
وَلَا تُخَصِّصَنَّ فَرَسًا .

قال : وَسمعتُ نافعًا يقول : كَانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍ يكره خِصَاءَ الذَّكُورِ
من الإِبِلِ ، والبقرِ ، والغنمِ .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أَنَّ ابنَ عمرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنهما كَانَ
يكره الخِصَاءَ ويقول : لَا تَقْطَعُوا نَامِيَةَ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى .

وعبيد الله وأبو بكر أبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن أَنْ تُخَصَّى ذَكَورُ الخليلِ ، والإِبِلِ ، والبقرِ ، والغنمِ ، ويقول :
فِيهَا نَشَأَ الخلقُ وَلَا تَصْلُحُ الإناثُ إِلَّا بِالذَّكُورِ .

(١) في ل « عن عاصم بن عبد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله
ابن عمر » . وعاصم الذي يروى عنه الثوري هو عاصم بن سليمان الأحول البصري
المتوفى سنة اثنتين - أو ثلاث - وأربعين ومائة . كما في تاريخ بغداد (٩ :
١٥٣ ، ١٦ : ٢٤٣) . ففي الاستناد نظر .

ومحمد بن أبي ذئب^(١) قال: سألت الزُّهْرِيَّ: هل يَخْصَاءُ الْبَهَائِمُ بِأَسْ؟
قال: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، نَهَى عَنْ صَبْرِ الرُّوحِ. قَالَ
الزُّهْرِيَّ: وَالْخِصَاءُ صَبْرٌ شَدِيدٌ.

وَأَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا مَرْسَهُمْ فَلْيَخْشَوْا خَلْقَ اللَّهِ﴾ قَالَ: هُوَ الْخِصَاءُ ٨٣

وَأَبُو جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ.

أَبُو بَكْرِ الْمَذَلِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ خِصَاءِ الدُّوَابِّ فَقَالَ:
تَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ خَصَّى الرِّجَالَ.

أَبُو بَكْرِ الْمَذَلِيُّ عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا مَرْسَهُمْ فَلْيَخْشَوْا خَلْقَ اللَّهِ﴾ قَالَ: خِصَاءُ الدُّوَابِّ. قَالَ: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: أَخْطَأَ
[عِكْرِمَةَ] هُوَ دِينَ اللَّهِ.

نَصْرُ بْنُ طَرِيفٍ قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿فَلْيَخْشَوْا خَلْقَ اللَّهِ﴾ قَالَ: خِصَاءُ الْبَهَائِمِ. فَبَلَغَ مُجَاهِدًا فَقَالَ: كَذَبَ
هُوَ دِينَ اللَّهِ.

فَمَنْ الْعَجَبُ أَنَّ الَّذِي قَالَ عِكْرِمَةُ هُوَ الصَّوَابُ، وَلَوْ كَانَ هُوَ الْخَطَأَ
لَمَا جَازَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ [لَهُ] كَذَبْتَ. وَالنَّاسُ لَا يَضَعُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ.

(١) ط «ذُؤِب» موضع «ذُؤِب»، وهو تحريف ما أثبت من ل. ومحمد هو
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب. وأبو ذئب هو هشام بن شعبة. وترجمة محمد في
تاريخ بغداد (٢: ٢٩٦ - ٣٠٥) والمعارف لابن قتيبة ٢١٣. وانظر تأويل
مختلف الحديث ص ١١.

في موضع خطأ الرأي مَن يَظُنُّ به الاجتهاد ، وكان مَن له أن يقول .
ولو أن إنساناً سمِع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال :
إنما يعنى الخِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالةٌ على
شئٍ دونَ شئٍ ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصد به إلى
شئٍ بعينه ^(١) إلاَّ أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ
الآية ، أو يكونُ جبريلُ عليه السلام قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ؛
لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضر ^(٢) ولا ينوى ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ،
وإنما الدلالةُ [في] بنية الكلامِ نفسه ، فصوره ^(٣) الكلام هو الإرادة
وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالنهي يكون من
الناس ، تعالى الله عن قول المشبهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير ^(٤) عن عمار بن أبي عمار ^(٥) أنَّ ابنَ عباسٍ قال في قوله تعالى :
﴿ وَلَا مَرْسَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال : هو الخِصاء .

وأبو جرير عن قتادة عن عكرمة عن ابنِ عباسٍ مثله .

أبو داود النخعي ، عن محمد بن سميذ ، عن عبادة بن نسي ، عن
إبراهيم بن محرز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سلفِ المسلمين ، في عهد عمر ،
وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الخِصيان ؛ فإنها أخفى للسمكين
والطلائع ، وأبقى على الجُهد .

(١) ط « بيد » والوجه ما في ل .

(٢) ط « لا يضر » .

(٣) ط « فصار » .

(٤) ل « جزء » في كل موضع يذكر فيه « جرير » .

(٥) ل « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرني ابن جريج عن عطاء أنه لم ير بأساً
بخصاء الدواب .
وأبو جرير عن أيوب عن ابن سيرين، أنه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ،
ويقول : لو تركت الفحولة لأكل بعضها بعضاً
وعمر وونس عن الحسن : أنه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .
سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنه خصى بعيراً .
[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مفلح عن عطاء أنه سئل عن خصاء
البغل فقال : إذا خفت عضاضه] .

٨٤

(أقوال في التناج المركب)

ونُصِّلَ هذا الكلام بالكلام الذي قبل هذا في الخلقة المركب [وفي
تلاقيح الأجناس المختلفة زعموا أن العسبار ولد الضبع من الذئب وجمعه
عسبارو] قال الكهيت .
وتجمّع المتفرقون من القرعاع والعسبار^(١)
يرميهم بأنهم أخلاط ومُهلَجُونَ .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أن السمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أن السمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « قد يكون - يعني العسبار - جمع العسبر
(ككفنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع
من الضبعان » يعني الذكر من الضباع .

كالحَيَّةِ لا تعرف اللَّيْلَ ، ولا تموتُ حَتَّى أَقْبَاهَا ، ولا تموتُ إِلَّا بِمَرَضٍ
يَعْرِضُ لَهَا . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لَا يَدْعُو شَيْءٌ كَدَعْوِ السَّمْعِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَعُ
مِنَ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ .

وقالَ سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ يَصِفُ فَرْسَهُ :

فَأَعْصَى الْعَوَازِلَ وَازْدَمَرَ اللَّيْلَ فِي عَرْضِ

بَذَى شَيْبٌ يُقَاسِي لَيْلَهُ خَبِيئًا

كَالسَّمْعِ لَمْ يَنْقَبِ الْبَيْطَارُ سِرَّهُ وَلَمْ يَدِجْهُ وَلَمْ يَفْزِزْ لَهُ عَصَبًا^(١)

وَقَالَ ابْنُ كُنَاسَةَ^(٢) يَصِفُ فَرْسًا :

كَالْعُقَابِ الطَّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطَّلُلُ وَقَدْ صَوَّبَتْ عَلَى عِسْبَارٍ^(٣)

وَقَالَ سُورَةُ الدُّبِّ^(٤) :

هُوَ يَسْمَعُ إِذَا تَطَرَّرَ شَيْئًا وَعُقَابٌ يَحْتُمُّ عِيسِبَارُ

يَقُولُ : إِذَا اشْتَدَّ هَرَبُ الْمَطْلُوبِ الْهَارِبِ مِنَ الطَّلَابِ الْجَادِّ ، فَهُوَ أَحْتُ ،

لِلطَّلَابِ ؛ وَإِذَا صَارَ كَذَلِكَ صَارَ الْمَطْلُوبُ حِينَئِذٍ فِي مَعْنَى مَنْ يَحْتُ الطَّلَابُ ،

إِذَا صَارَ إِفْرَاطُ سُرْعَتِهِ سَبَبًا لِإِفْرَاطِ طَلَبِ الْعُقَابِ .

وَقَالَ تَابِطُ شَرًّا^(٥) [أَوْ أَبُو مُحَرَّزٍ خَلْفَ بْنِ حَيَّانِ الْأَحْمَرِ] .

(١) ط « ولم يدرجه » موضع « ولم يدججه » والودج : قطع الودج : عرق في النعق .

(٢) ط « أبو كناسة » وصوابه في ل . وله ترجمة في فهرست ابن النديم ٧١ ليك ، ١٠٥ مصر توفي سنة ٢٠٧ .

(٣) ط « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط « ابن أخت تابط شرا » .. والقصيد في حاسة أبي تمام (١: ٣٤١-٣٤٧) .

« مُسْبِلٌ بِالْحَىِّ أَحْوَى رِقْلٌ وَإِذَا يَمْدُو فَمَسْعُهُ أَزْلٌ »
وإنما قال أزلَّ وجسَّه عادياً ووصفه بذلك ، لأنه ابن الذئب .
وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظة عِيسَارَه^(١)
وقال في موضع آخر :

كأن منها طرفه استمارَه^(٢)
وقال آخر :

تلقى^(٣) بها السَّعَّ الأزلَّ الأطلَّسا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أنَّ ولدَ الذئب من الكلبة الدَيْسَمُ ، ورووا لبشار بن بُرْدٍ في
دَيْسَمِ القَنْزِيِّ أنه قال :

أَدَيْسَمُ يَا ابْنَ الذَّئْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ
أُتْرَوِي هِجَائِي سَادِرًا غَيْرَ مُقْصِرٍ
وزارع : اسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارع .

(زعم لأرسطو في التاج المركب)

وزعم صاحب النطق أنَّ أصنافاً أُخَرَّ من السباع التزاوجات

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابها « لظة » بمعنى ملحة ، كما يظهر
أن هناك كلاماً سابقاً بهد « قال الأصمعي » . تقديره « يقال عِيسَارٌ وعِيسَارَةٌ . وأشدُّ »
وأن عبارة « وقال في موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ص : « شبابة » موضع « منها » .

(٣) ط « يلقى » .

٨٥ المتلاقيات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتائج مثل الذئاب التي تسفد الكلاب في أرض رومية قال : وتتولد أيضا كلاب سلقية من ثعالب و كلاب . قال : وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاغريس^(١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلاب الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا]
أن نتائج الأولى يخرج صعباً وحشياً لا يلقن^(٢) ولا يؤلف .

(تلاقي السبع والكلبة)

وزعم [لي بعضهم عن رجل من أهل الكوفة من بني تميم] أن الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلتقح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبلُ التلقين ، وأنهم يأخذون إناث الكلاب ، ويربطونها في تلك البراري ، فتجبه هذه السباع وتسفدها ، وليس في الأرض أنى يجتمع على حب سفادها ، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناس المختلفة ، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة . قال : وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البراري ، فإن كانت هذه السباع هائجة سفدتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان^(٣) :

(١) كذا في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل ، وفي ط : « طاعويس » .

(٢) كذا في ل ونهاية الأرب . وفي ط « يألف » .

(٣) قال الملاحظ في شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدري بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير ، وأبي عدنان الملعين ، وخالفهما من أول ما أذكر » .

أَيَا بَاسِكِي الْأَطْلَالِ فِي رَسْمِ ذِمْنَةٍ
تَرَوْدُ بِهَا عَيْنُ لَهَا وَالْجَانْدُرُ
وَعَانَاتُ جَوَالٍ وَهَيِّقُ سَعَتَجٍ وَسِنْدَاوَةٌ فَضْفَاضَةٌ وَحَضَاجِرُ^(١)
وَسَمْعُ خَفِي الرِّزِّ ثَلْبُ وَدَوْبَلُ
وَرَمَلَةٌ تَعْتَادُهَا وَعَسَابِرُ^(٢)

وقد سمعنا ما قال صاحبُ اللُّنْق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يُخلَّد على
نفسه في الكتبِ شهاداتٍ لا يَحَقِّقُهَا الامْتِحَانُ ، ولا يَعْرِفُ صَدَقَهَا أَشْبَاهُهُ
من العلماء ، وما عِنْدَنَا في معرفة ما ادَّعى إلَّا هذا القول .
وَأَمَّا الَّذِينَ ذَكَرُوا فِي أَشْعَارِهِمُ السَّمْعَ وَالْعِسَابِرَ ، فليس في ظاهِرِ
كَلَامِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى مَا ادَّعى عَلَيْهِمُ النَّاسُ مِنْ هَذَا التَّرْكِيبِ الْمُخْتَلَفِ ،
فَأَدْبَنَّا أَلَدْنَى قَالُوا وَأَمْسَكْنَا عَنْ الشَّهَادَةِ ، إذْ لَمْ نَجِدْ عَلَيْهَا بُرْهَانًا .

(أَوْلَادُ السَّلَاةِ)

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الضَّرْبِ ضَرُوبٌ مِنَ الدَّعْوَى ، وَعُلَمَاءُ السُّوءِ يُظْهِرُونَ
تَجْوِيزَهَا وَتَحْقِيقَهَا ، كَالَّذِي يَدْعُونَ مِنْ أَوْلَادِ السَّعَالِي مِنَ النَّاسِ ، كَمَا
ذَكَرُوا عَنْ عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو ، وَكَأَيُّوْزَيْدِ النَّحْوِيِّ عَنْ السَّلَاةِ

== أيام الصبا » البيان ١ : ١٧٥ ، وقد عده ابن التميمي من صف في غريب
الحديث . الفهرست ٨٧ ليبيك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداءة : الذئبة كما في العمري . والفضاضة : اللحمة الجسيمة . وبها في
ط : « تصي به » . وحضاجر : اسم للضبع أو لولدها ، معرفة لا ينصرف
لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط « ثبت » مكان « ثلب » . في القاموس : الثلب بالكسر وكسف :
المعيب .

التي أقامت في بني تميم حتي ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلعب من شق
بلاد السعالي ، حنت وطارث إليهم فقال شاعرهم^(١) :

رأى برقاً فأوضع فوق بكرٍ
فلا بك ما أسأل وما أعلم^(٢)
٨٦. وأنشدني أن الجنب طرَقوا بعضهم فقال^(٣) :

أتوا ناري فقلت منون أتم فقالوا الجنب قلت عموماً غلاماً
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم تحسد الإنسان الطعاماً
ولم أعيب الرواية ، وإنما عبت الإيمان بها ، والتوكيد لمعانيها . فسا أكثر
من يروى هذا الضرب على التعجب منه ، وعلى أن يجعل الرواية [له]
سبباً لتعريف الناس حق ذلك من باطله ، وأبو زيد وأشباهه مأمونون
على الناس ؛ إلا أن كل من لم يكن متكلماً حاذقاً ، وكان عند العلماء
قدوة وإماماً ، فسا أقرب إفساده لهم من إفساد المتعمد لإفسادهم .

وأنشدوا في تثبيت أولاد السعلاة :

قول جمع من بوان ووئد وحسن أن كلفتني ما أجد^(٤)
ولم تقل جىء بأتان أو أجد^(٥) أو ولد السعلاة أوجرو الأسد
أو ملك الأعجم مأسوراً بقيد^(٦)

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة كما في نوادر أبي زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبتته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشير (أو سمير) بن الحارث الضبي كما في النوادر ١٢٣ وخزاعة الأدب

٣ : ٣ بولاق وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « قول » وفي ل « وحسن كلفتني ... » ، وفي

كاتبهما « ما أجد » وهو تحريف .

(٥) ط « ما لم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل « الأجم » ابن منظور : رجل أجم وقوم أجم قال :

سلم لو أصبحت وسط الأجم في الروم أو في فارس أو في الهند

إذا لزمتك ولو بلم

وقال آخر^(١) :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بَنَى السَّلَاةِ عَمْرًا وَقَابُوسًا شِرَارًا النَّاتِ

(ما زعموا في جرم)

وذكروا أَنَّ جُرْمَهُمَا كَانَ مِنْ نِتَاجِ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَبَنَاتِ آدَمَ ، وَكَانَ الْمَلَكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا عَصَى رَبَّهُ فِي السَّاءِ أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، وَفِي طَبِيعَتِهِ ، كَمَا صَنَعَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ حِينَ كَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا وَشَأْنِ الزُّهْرَةِ ، وَهِيَ أَنَاهِيدُ^(٢) مَا كَانَ ، فَلَمَّا عَصَى اللَّهُ تَعَالَى بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ فِي صُورَةِ رَجُلٍ ، تَزَوَّجَ أُمَّ جُرْمٍ فَوَلَدَتْ لَهُ جُرْمًا ، وَلِئَٰلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ :

لَا هُمْ إِنْ جُرْمُهَا عِبَادُ كَا النَّاسِ طَارِفٌ وَهُمْ تِلَادُ كَا^(٣)

(ما زعموا في بلقيس وذى القرنين)

وَمِنْ هَذَا النِّسْلِ وَمِنْ هَذَا التَّرَكِيبِ وَالنَّجْلِ^(٤) كَانَتْ بَلْقِيسُ مَلِكَةً

(١) هو علباء ابن رقم كافي التوارد ١٠٤ . والبيت الثاني يروي بـله في الأمل
: ٦٨ : ٢

عمرو بن يربوع شرار النسائ

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمي في مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان » هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه ، بمعنى زحل ، المشتري ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) ل « طرف » موضع « طارف » .

(٤) ط « النجل » وصوابه « النجل » كما في ل .

سبًا ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه فيرى آدمية وأبوه عبري ^(١) من الملائكة . ولذلك ^(٢) لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى ياذا القرنين ، فقال : أفرعتم من أسماء الأنبياء . فارتعتم إلى أسماء الملائكة .

وروى المختار ^(٣) بن أبي عبيد أن علياً كان إذا ذكر ذا القرنين قال : ذلك الملك الأموط . ٨٧

(ما زعموا في تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنَّيات إذا تعرض لصرع رجال الإنس على جهة التمشق وطلب السفاد ^(٤) ، وكذلك رجال الجن لفساد بني آدم ، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال ، والنساء للنساء ، ونساءهم للرجال والنساء .

ومن زعم أن الصرع من المرة ، ردَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِئْنُوا أَنْفُسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَّ ﴾ فلو كان الجان لا يفتض

(١) في ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهي في رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قبرى » . و « عبرى » بدلها في الرسائل : « عبرى » .

(٢) ط « وكذلك » .

(٣) هو المختار التقي من زعماء الثأرين على بني أمية ، وكان يقال له كيسان وإليه تنسب الطائفة الكيسانية . توفي سنة ٦٧ .

(٤) ل « الفساد » وليس بفساد .

الْأَدَمِيَّاتِ ، ولم يكن ذلك قطُّ ، وليس ذلك في تركيبه ، كما قال الله تعالى هذا القول .

(ما زعموا في النسناس وغيره)

وزعموا أَنَّ النَّسْنَسَ تركيبُ ما بين الشَّقِّ والإنسان . ويزعمون أَنَّ خلقاً من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَسِ ، والناسُ : والشَّقُّ ، ويأجوج ومأجوج . وذكروا عن الواق والدوابي^(١) أَنَّهُمْ نَتَاجُ ما بين بعض النِّبَاتِ والحيوان . وذكروا : أَنَّ أُمَّةً كَانَتْ في الأرض ، فأمرَ الله تعالى لللائكة فَاجْلِسْهُمْ ؛ وإِيَّاهُمْ عَنَّا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عَنَّ وَجَلَ لَادَمَ وحواءَ : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فهذا يدلُّ على أَنَّ ظلالاً وظلماً قد كان في الأرض .

قال الأصمعيُّ - أو خلفٌ - في أرجوزة مشهورة ، ذكرَ فيها طولَ عمرِ الحَيَّةِ :

أَرْقَشُ إِنْ أَسْبَطَ أَوْ تَشَّى حَسِبْتَ وَرُسًا خَالِطَ الْبَرْنَ^(٢)

خَالِطُهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا إِذَا تَرَاءَاهُ الْحَوَاةُ أَسْتَنَّا^(٣)

قال : وكان يقال لتلك الأُمَّة مهنا^(٤) .

(١) ط م البوال « ل : « الدواب بأى » وما هنا من رسائل الجاحظ ١٠٧ ساسي .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصنع به . وقيل : صنف من السكرم . كذا في المصباح . والبرنأ : الحناء .

(٣) ط « إذا أتى إذ الجدة استننا » واستن : أسرع .

(٤) ط « مهنا » وفي رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

(قول المجوس في بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ النَّاسَ من ولد مهنة ومهينة ، وأنَّهما تولدا فيما بين أرحام الأرضين ، ونطقتين ابتدرتا^(١) من عيني ابن هُرْمَزٍ حين قتله هرمز ، وحقاقت أصحاب الاثنين كثيرة في هذا الباب ، ولولا أنَّي أحببتُ أن تسمع نوعاً من الكلام ، ومبلغ الرأي ، لتحدثَ اللهُ تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرتُ لك كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالكوفة فتى من ولد عبد الله بن هلال الحميري^(٢) ، صديق إبليس وختنه ، وأنَّهم كانوا لا يشكون أنَّ إبليس جدُّه من قبل أُمَّهاته . وسنقولُ في ذلك بالذي يجبُ إن شاء الله تعالى وصلةُ هذا الكلام تحيى بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار في الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسان ، واستوحش من السبع ، وكره الفياض ، وألف الثور ، واستوحش من البراري وجانب القفار ، وألف المجالس والديار ؛ ولو تمَّ له معنى الهيمة

(١) ط « ابتدرتا » .

(٢) كان في زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبة ونيرنجات ، يدعى أنَّ إبليس يترأى له ويصادقه ويكنبه ويظلمه على أسرارِهِ . ثمار القلوب ٥٧ .

في الطبع والخلق والغذاء، لما أكل الحيوان، وكلب على الناس : نعم .
حتى رُبما كلب وَوَتَّبَ على صاحبه وكلب على أهله . وقد ذكر ذلك
طرفة فقال :

كُنْتُ لَنَا وَالدُّهُورَ آوَنَةً تَقْتُلُ حَالَ النَّعِيمِ بِالْبُؤْسِ
كَكَلْبِ طَنَمٍ وَقَدَّرَ بِيهِ ^(١) يَعْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي النَّكْسِ
ظَلَّ عَلَيْهِ يَوْمًا يُفَرِّقُهُ إِلَّا يَلْغُ فِي السَّمَاءِ يَنْتَهِسِ
وقال حاجب بن دينار ^(٢) للمازني في مثل ذلك :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعْنَمَ عَلَيْكُمْ بِمَالٍ وَسُلْطَانٍ إِذَا سَلِمَ الْحَبْلُ
كَذِي الْكَلْبِ لَمَّا أَسْنَمَ الْكَلْبَ رَابَهُ
يَأْخُذُ الدَّوَاهِيَ حِينَ فَارَقَهُ الْجَهْلُ

وقال عوف بن الأحوص ^(٣) :

فَإِنِّي وَقَيْسًا كَالْمَسْنَنِ كَلْبُهُ تُحَدِّثُهُ أَنْيَابُهُ وَأُظَاغِرُهُ
وَأُنْشِدُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ لِبَعْضِهِمْ ^(٤) :

وَهُمْ سَمَّوْا كَلْبًا لِيَا كُلَّ بَعْضِهِمْ وَلَوْ ظَفَرُوا بِالْحَزْمِ مَا سَمَّنَ الْكَلْبُ
وفي اللؤلؤ ^(٥) « سَمَّنَ كَلْبَكَ يَا كُكْلَكَ »

(١) ط « يريه » . والأبيات ليست في ديوان طرفة . والبيت الثاني والثالث في

ثمار القلوب ٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم .

(٢) ط « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما في ل .

(٣) انظر يوم الفروق في جمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور في البيت هو

قيس بن زهير . والرواية في جمع الأمثال ، وفي ثمار القلوب ٣١٥ « غدشه

أنيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء كما في الثمار ٣١٥ .

(٥) ط « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجاج بن يوسف ، وكان يحضر طعامه ، فكتب إلى أهله يخبرهم بما هو فيه من الخصب ، وأنه قد سمن فكتبت إليه امرأته ^(١) :

أَتَهْدِي لِي الْقِرْطَاسَ وَالْخُبْزَ حَاجَتِي وَأَنْتَ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بَاطِنٌ
إِذَا غَبَيْتَ لَمْ تَذْكُرْ صَدِيقًا وَإِنْ قَمِ فَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ ضَنِينٌ
فَأَنْتَ كَكَلْبِ السَّوءِ فِي جُوعِ أَهْلِهِ فَيَهْزُلُ أَهْلُ الْكَلْبِ وَهُوَ سَمِينٌ
وَفِي اللَّثْلِ : « سمن كلب في جوع أهله » ، وذلك أنه عند السُّوَّافِ ^(٢)

يصيب المال ، والإخداج ^(٣) يمرض للثوق [يَأْكُلُ الْحَيْفَ فَيَسْمَنُ ^(٤)] .
وعلى أنه حارسٌ مُحْتَرَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاش من نفسه ، وأليفٌ
كثير الخيانة على إلهه . وإنما اقتنوه على أن ينذرهم بموضع السارق ،
وتركوا طرده لينبهم ^(٥) على مكان الميِّت [وهو أسرقٌ من كل سارق ،
وأدومٌ جنايةً من ذلك الميِّت] ويدلُّ على أنه سروقٌ عندهم ،
قول الشاعر :

أَفِي أَنْ سَرَى كَلْبٌ فَيَيْتَ جُلَّةً وَجَبَّجَبَةً لِلْوُطْبِ لَيْلَى تُطْلُقُ ^(٦)

(١) الخبر والأبيات في أمالي القائل ٢ : ١٣٦ مع اختلاف في الرواية .

(٢) ط « الصواف » وإنما هو « السواف » كما في ل . والصواف كغراب :
الموتان في الإبل .

(٣) أخذجت الناقة : أنت بولد ناقس .

(٤) زدتها ليتم الكلام ، اعتادا على ما في نوادر أبي زيد ٢٤٨ ، وأمثال
الميداني (١٢ : ٢٦) .

(٥) في الأصل « لينبهم » ولم يهد تعدي هذا الفعل نهي . وأثبت ما في نهاية الأرب .

(٦) ط « أخی » بدل « أخی » ، و « حلة » مكان « حلة » . وتصحيح البيت
من ل واللسان (جيب) . وفيه « سلمي » موضع « ليلى » . والجللة ، بالضم :
وعاء يتخذ من الخوس موضع فيه التمر ويكثر . والجبجة ، بفتح الجيمين أو ضمهما :
الكرش يعمل فيه اللحم المقطع يتزود به في الأسفار . وقال ابن الأعرابي : هو
حلد جنب البئر يقر ويحمل فيه اللحم الذي يدعى الوشقة . والوشقة : لحم بظلي
إغلاء ثم يقدد ، فهو أبقى ما يكون .

فهو سَرَّاقٌ، وصاحب بَيَّاتٍ، وهو نَبَّاشٌ، وآكلٌ لحوم النَّاسِ . أَلَّا إِنَّهُ
يَجْمَعُ سِرْقَةَ اللَّيْلِ مع سِرْقَةِ النَّهَارِ ، ثم لا يَجِدُهُ أَبَدًا عِشَى فِي خِزَانَتِهِ ،
أَوْ مَطْبِخٍ ، أَوْ عَرَصَةٍ دَارٍ ، أَوْ فِي طَرِيقٍ ، أَوْ فِي بَرَارَى ، أَوْ فِي ظَهْرِ جَبَلٍ ،
أَوْ فِي بَطْنِ وَادٍ ، إِلَّا وَخَطَمُهُ فِي الْأَرْضِ يَنْشَمُّ وَيَسْتَرْوِحُ ، وَإِنْ كَانَتْ
الْأَرْضُ بِيضَاءً حَصَّاءً ^(١) وَدَوْبَةً مَلْسَاءً ، أَوْ صَخْرَةً خَلَاءً ؛ حَرَصًا وَجَشَعًا ،
وَشَرَهًا وَطِمَاعًا . نَمَ حَتَّى لَا تَجِدُهُ أَيُّضًا يَرَى كَلْبًا إِلَّا اشْتَمَّ اسْتَمَّهُ ، وَلَا يَنْشَمُّ
غَيْرَهَا مِنْهُ ، وَلَا تَرَاهُ يُرْمَى بِجَجَرٍ أَيُّضًا أَبَدًا إِلَّا رَجَعَ إِلَيْهِ فَضَضَّ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ
لَمَّا كَانَ لَا يَكْدَأُ بِأَكْلٍ إِلَّا شَيْثًا رَمَوْا بِهِ [إِلَيْهِ] صَارَ يَنْسَى لِفِرْطِ شَرِّهِ
وَغَلْبَةِ الْجَشَعِ عَلَى طَبْعِهِ ، أَنَّ الرَّامِيَ إِنْمَّا أَرَادَ عَقْرَهُ أَوْ قَتْلَهُ ، فَيُظَنُّ لِنَدِّكَ
أَنَّهُ إِنْمَّا أَرَادَ إِطْعَامَهُ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِ . كَذَلِكَ يَحْتَلِلُ إِلَيْهِ فِرْطُ النَّهْمِ وَتَوَهُجُهُ
غَلْبَةُ الشَّرِّهِ ، وَلَكِنَّهُ رَمَى بِنَفْسِهِ عَلَى النَّاسِ عِجْرًا وَلَوْمًا ، وَفُسُولَةً وَقَصًّا ،
وَخَافَ السَّبَاعَ وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الصَّحَارَى .

وَكَمَا سَمِعُوا بَعْضَ الْمَفْسِّرِينَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلنَّاتِلِ وَاللَّعْرُومِ ﴾ ^(٢) إِنْ الْحَرُومُ هُوَ الْكَلْبُ ؛ وَسَمِعُوا فِي التَّلِّ :
« اصْنَعُوا الْمَعْرُوفَ وَلَوْ إِلَى الْكَلْبِ » عَطَفُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوهُ فِي الشُّورِ .
وَعَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ سِفْلَتِهِمْ وَأَغْيَابِهِمْ ، وَمِنْ قَلِّ تَقَرُّزِهِ ^(٣)
وَكَثْرَةِ جَهْلِهِ ، وَرَدَّ الْآثَارَ إِمَّا جَهْلًا وَإِمَّا مَعَانِدَةً .

وَأَمَّا أَلَدِيكَ فَمِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ وَبَعَائِهَا ، وَمِنْ كُلِّهَا وَالْعِيَالُ عَلَى

(١) ط « وحصاء » والوجه ما أثبت من ل كما في نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ فلا
عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط « تعفره » .

أربابها ، وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها ، ولا ممّا^(١) يطرب بصوته ويشجى بلحنه ، كالقمارى والدبسى والشفانين^(٢) والوراشين والبلابل والقواخت ، ولا ممّا يؤتق بمنظره ويمتاع الأبصار حسنه ، كالطواويس والتدارج ، ولا ممّا يعجب بهدايته ويعقد النمام بإلقه ونزاعه ، وشدة أنسه وحنينه ، وتريده بإرادته لك ، وتعطف عليه حبه إياك ، كالحم . ولا هو أيضاً من ذوات^(٣) الطيران منها ، فهو طائر لا يطير ، وبهمية لا تصيد ، ولا هو أيضاً مما يكون صيداً فيمتنع من هذه الجهة ويراد لهذه اللة .

والتفأش ، أمرط ، وهو جيد الطيران ، والديك كاس وهو لا يطير . وأئى شئ أعجب من ذى ريش أرضى ، ومن ذى جلدة هوائى .

٩٠ وأجمع الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزواج إلا فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثم كان ممن لايزواج ، لقد كان قد منع هذه الفضيلة وعدم هذه المشاكلة الغريبة ، وحرم هذا السبب الكريم والشبه المحمود . فكيف وهو لايزواج ، وهو من الطير الذى ليس الزواج والألف وثبات العهد ، وطلب النور وحب التسل ، والرجوع إلى السكن والحنين إلى الوطن - إلا له وللإنسان . وكل شئ لايزواج فإنما دخله النقص وخسر هذه الفضيلة من جهة واحدة ، وقد دخل الديك

(١) ط « ممن » وكذلك يكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « ممّا » . وقد جاء على الصواب الذى أثبتته ، فى ل .

(٢) ط « الشفانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفتين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٦٢ ، ٧ : ٢١ ، ٥٦ من الحيوان الطبعة الأولى وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للمافلين والوجه ما أثبت .

النقص من جهتين، ووصف أبو الأخرز الحِمَّاني الحِمَّار وغيره المانة خاصة^(١)، فَإِنَّهُ أَشْلُ فِي بَابِ الْعُرْفَةِ مِنَ الْأَهْلِ، فَذَكَرَ كَيْفَ يَضْرِبُ فِي الْأُنْ، وَوَصَفَ اسْتِهَامَهُ عَنْ طَلَبِ الْوَلَدِ، وَجَمَلَهُ بِمَوْضِعِ النَّزْرِ، وَأَنَّ الْوَلَدَ لَمْ يَجِئْ مِنْهُ عَنْ طَلَبِهِ لَهُ، وَلَكِنْ التَّفَقُّعُ الْبَرِيَّةُ مِنَ الْأَسْقَامِ، إِذَا لَاقَتْ الْأَرْحَامَ الْبَرِيَّةُ مِنَ الْأَسْقَامِ حَدَّثَ النَّتَاجَ عَلَى الْخَلْقَةِ، وَعَلَى مَا سَوَّيَتْ عَلَيْهِ الْبَنِيَّةُ^(٢). وَذَكَرَ أَنَّ نَزْوَهُ عَلَى الْأَمَانِ، مِنْ شَكْلِ نَزْوِهِ عَلَى الْعَمِيرِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى قَدَرٍ مَا يَحْضُرُهُ مِنَ الشَّبَقِ، ثُمَّ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى دُبُرٍ مِنْ قَبْلُ وَإِلَى مَا يَلْتَفِتُ [مِنْ مِثْلِهِ مِمَّا لَا يُلْتَفِتُ] قَالَ :

* لَا مُبْتَنِي الصَّنْءَ وَلَا بِالْمَازِلِ^(٣) *

يقول : هو لا يريد الولد ولا يعزل .

والأشياء التي تألفُ الناسَ ولا تريدُ سِوَامَ، وَلَا تَحْنُ إِلَى غَيْرِهِمْ، كَالْمَصْفُورِ وَالْخُطَّافِ وَالْكَلْبِ وَالسَّنَّوْرِ. وَالَّذِي لَا يَأْلَفُ مَنْزِلَهُ وَلَا رَبَّهُ وَلَا يَنَازِعُ^(٤) إِلَى دِجَاجَتِهِ وَلَا طَرُوقَتِهِ، وَلَا يَحْنُ إِلَى وَلَدِهِ، بَلْ لَمْ يَتَدَرَّ قَطُّ أَنَّ لَهُ وَلَدًا؛ وَلَوْ تَدَرَّى لَكَانَ عَلَى دِرَاسَتِهِ دَلِيلٌ فَإِذَا قَدْ وَجَدَنَاهُ لِيَبْضِهِ^(٥) وَفَرَارِيحِهِ السَّكَّانَةِ مِنْهُ، كَمَا نَجِدُهُ لَمَّا لَمْ يَلِدْهُ وَلَمَّا لَيْسَ مِنْ شَكْلِهِ وَلَا يَرْجِعُ إِلَى نَسَبِهِ، فَكَيْفَ تُعْرِفُ الْأُمُورَ إِلَّا بِهَذَا وَشَبْهِهِ. وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ

(١) ط « وغير المائة خاصة » وصوابه في ل و انظر ص ٥٠ .

(٢) ط « عن » بدل « على » .

(٣) ط « لغني » .

(٤) كذا في ل . وفي ط « يحن » فتضيف العبارة بالتكرار .

(٥) ط « فإذا وجدناه ليضيه » والوجه ما في ل .

أَبْلَهُ لَا يَعْرِفُ أَهْلَ دَارِهِ ، وَمَبْهُوتٌ لَا يُثَبِّتُ وَجْهَ صَاحِبِهِ ، وَهُوَ لَمْ يُجَلِّقْ إِلَّا عِنْدَهُ وَفِي ظِلِّهِ ، وَفِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَتَحْتَ جَنَاحِهِ .

وَالْكَلْبُ عَلَى مَا فِيهِ يَعْرِفُ صَاحِبَهُ ، وَهُوَ وَالسَّيَّورُ يَعْرِفَانِ أَسْمَاءَهُمَا ، وَإِنْ أُلْفَاكَانِ مَوْضِعَهُمَا ، وَإِنْ طَرَدَا رَجَعَا ، وَإِنْ أُجِيعَا صَبَرَا ، وَإِنْ أَهِنَا احْتَمَلَا .

وَالدِّيكُ يَكُونُ فِي الدَّارِ مِنَ اللَّيْلِ كَانَ فَرَّوْجًا صَغِيرًا إِلَى أَنْ صَارَ دِيكًا كَبِيرًا ، وَهُوَ إِنْ خَرَجَ مِنْ بَابِ الدَّارِ وَسَقَطَ عَلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْجُبُرَانِ ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، لَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ الرُّجُوعِ ، وَإِنْ كَانَ يُرَى مَنْزِلُهُ قَرِيبًا وَسَهْلًا ^(١) الْمَطْلَبِ يَسِيرًا ، وَلَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَتَذَكَّرُ ، وَلَا يَهْتَدِي وَلَا يَتَصَوَّرُ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ الْإِهْتِدَاءُ ، وَلَوْ حَنَّ لَطَلَبَ ، وَلَوْ اِحْتِاجَ لَا تَلَمَسَ . وَلَوْ كَانَ هَذَا الْخُبْرُ فِي طَبَاعِهِ لَظَهَرَ ، وَلَكِنَّهَا طَبِيعَةٌ بِلَاهِةٍ مُسْتَبْهَمَةٌ طَائِحَةٌ ^(٢) وَذَاهِلَةٌ ، ثُمَّ يَسْقُدُ النَّجَاجَةُ وَلَا يَعْرِفُهَا ، هَذَا مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَحَرَصِهِ عَلَى السَّقَادِ ، وَالْحَاجَةُ تَقْتَضِي الْحِيلَةَ ، وَتَدُلُّ عَلَى الْمَعْرِفَةِ ، إِلَّا مَا عَلَيْهِ الدِّيكُ ؛ فَإِنَّهُ مَعَ حَرَصِهِ عَلَى السَّقَادِ ، لَا يَعْرِفُ الَّتِي يَسْقُدُ ، وَلَا يَقْصِدُ إِلَى وَلَدِهِ ، وَلَا يَحْضُنُ بِيضًا وَلَا يَعْطِفُهُ رَحِمٌ ، فَهُوَ مِنْ هَاهُنَا أَحَقُّ مِنَ الْخُبَارَى وَأَعْقُ مِنَ الضَّبِّ .

وَقَالَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : « كُلُّ شَيْءٍ يَجِبُ وَلَدَهُ حَتَّى الْخُبَارَى » . فَضَرَبَ بِهَا التَّلَّ كَمَا تَرَى فِي الْمَوْقِ وَالْعَفْلَةِ ، وَفِي الْجَهْلِ وَالْبَلَّةِ ، وَيَقُولُ الْعَرَبُ : « أَعْقُ مِنَ الضَّبِّ » لِأَنَّهُ يَأْكُلُ حُسُولَهُ .

(١) ط « وَسَيْل » .

(٢) لَهَا « لَاجَعَةٌ » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرّم عند العرب حظّ الهرة ، لقولهم : «أَبْرُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَعْقُ مِنْ صَبٍّ» فَوَجَّهُوا أَكْلَ الْهَرَّةِ أَوْلَادَهَا عَلَى شِدَّةِ الْحُبِّ لَهَا ، وَوَجَّهُوا أَكْلَ الصَّبِّ لَهَا عَلَى شِدَّةِ الْبَغْضِ لَهَا ، وَلَيْسَ يَنْجُو مِنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِشَغْلِهِ بِأَكْلِ إِخْوَتِهِ عَنْهُ ، وَلَيْسَ يَحْرُمُهَا مِمَّا يَأْكُلُهَا إِلَّا لِأَيِّهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْعَمَلِيُّ بْنُ عَقِيلٍ ، لِأَبِيهِ ^(١) عَقِيلُ ابْنُ عُلْفَةَ .

أَكَلْتُ بَنِيكَ أَكْلَ الصَّبِّ حَتَّى وَجَدْتَ مَرَارَةَ الْكَلَالِ الْوَيْلِ
فَلَوْ أَنَّ الْأَوَّلَى كَانُوا شُهودًا مَنَعَتْ فَنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْعِلٍ
وَقَالَ أَيْضًا ^(٢) :

أَكَلْتُ بَنِيكَ أَكْلَ الصَّبِّ حَتَّى تَرَكْتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيلٌ .
وَشَبَّهَ السَّيِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِيُّ ، عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي نَصَبِهَا
الْحَرْبَ يَوْمَ الْجَمَلِ لِقِتَالِ بَنِيهَا ، بِالْهَرَّةِ حِينَ تَأْكُلُ أَوْلَادَهَا ، فَقَالَ :

جَاءَتْ مَعَ الْأَشَقَيْنِ فِي هَوْدَجٍ تُزْجِي إِلَى الْبَصْرَةِ أَجْنَادَهَا
كَأَنَّهَا فِي فِعْلِهَا هِرَّةٌ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ أَوْلَادَهَا

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : «أَحَقُّ مِنْ جَهَنَّةٍ» وَهِيَ عَرِيسُ الذَّنْبِ ؛ لِأَنَّهَا
تَدْعُ وَلَدَهَا وَتَرْضِعُ وَلَدَ الضَّبْعِ .

قَالَ : وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ جِزَلٍ الطَّعَّانِ ^(٣) .

كَمَرَضَعَهُ أَوْلَادُ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْتَقِعْ بِذَلِكَ مَرَقَمًا ٩٢

(١) ل «لأبيه» والصواب ما في ط ، وفي الأغاني ١١ : ٨٩ أن الشعر لأروطة ابن سبئية .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسافى ل :

(٣) ط «ابن جزل الطعان» وتصحيحه من ل والبيت في الثمار ٣١٣ والرواية فيه : «فلم تحسن بما فعلت صنماً» وانظر حاشية البحترى ١٧٠

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إنَّ الضبعَ إِذَا صِيدَتْ أَوْ قُتِلَتْ ، فَإِنَّ الذئبَ يَأْتِي أَوْلَادَهَا باللحم . وأنشد الكُميت :

كَمَا خَاصَرَتْ فِي حِضْنِهَا أُمُّ عَامِرٍ لِنَدَى الْجَبَلِ حَتَّى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا^(١)
وَأَوْسٌ هُوَ الذئبُ . وقال في ذلك :

فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ ذُو آلِهِ ضِعْتُ يُرِيدُ عَلَى إِبَالِهِ
فَلَا خَشَانُكَ مَشَقَّصَا أَوْسًا أَوْيسُ مِنَ الْهَبَالِهِ^(٢)
الأوس : الإعطاء ، وأويس هو الذئب . وقال في ذلك المهذلي^(٣) :

يَالَيْتَ بَشَرَى عَنْكَ وَالْأَمْرُ أَمَّمْ مَا قَلَّ الْيَوْمَ أَوْيسُ فِي الْغَمِّ
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُجَسِّنُ أَوْسَهُمْ وَيَحُوطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٌ^(٤)

(حق النعامة)

ويقولون : « أَحَقُّ مِنْ نَعَامَةٍ » كما يقولون : « أَشَرُّ مِنْ نَعَامَةٍ » قالوا ذلك لِأَنَّهُمَا تَدْعُ الْحَصْنَ عَلَى بَيْضِهَا سَاعَةَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّعْمِ ، فَإِنْ هِيَ فِي

(١) ل « لدى الجبل » وهي رواية ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . ورواية ابن منظور للبيت في مادة (أوس) « قال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جرائها » بذلك لا يصح الاستفهام لما استشهد له الجاحظ .

(٢) ط « فلا خشونتك » والصواب ما في ل انظر أدب الكاتب ٥٧ والافتضاب . وحشاه : رماه . والمشقمس : سهم طويل أو عريض .

(٣) الشعر في اللسان (رخم) منسوب إلى عمرو ذي الكلب . وهو هذلي كما في الأغاني .

(٤) ط « جاحد » . والعالم الجاحد : عام الجذب والقحط وامتناع النيت .

خروجها ذلك رأيت بيضاً أخرى قد خرجت للطعم ، حصفت بيضها ونسيت
بيضاً نفسها ، ولعل تلك أن تصاد فلا ترجع إلى بيضها بالمرء حتى تهلك .
قالوا : ولذلك قال ابن هرمة ^(١) :

فإني وتركي ندى الأكرمين وقدحني بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالمرء وملسة بيض أخرى جناحا
وقد تحضن الحام على بيض الدجاج ، وتحضن الدجاجة بيض الطاوس ،
فأما أن يدع بيضه ويحضن بيض الدجاجة ، أو تدع الدجاجة بيضها
وتحضن بيض الطاوس فلا . فأما فروج الدجاجة إذا خرج من تحت
الحامة ؛ فإنه يكون أكيس ، وأما الطاوس الذي يخرج من تحت الدجاجة
فيكون أقل حسناً وأضعف صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكل بيضة في الأرض فإن أسم الذي فيها والذي يخرج منها فرخ ،
إلا بيض الدجاجة فإنه يسمى فروجا ، ولا يسمى فرخا ، إلا أن الشعراء
يجعلون الفروج فرخا على التوسع في الكلام ، ويجوزون في الشعر أشياء
لا يجوزونها في غير الشعر ، قال الشاعر :

لعمري لأضوات الكاكي بالصحنى وسود تدعى بالمشى نواعيه ^(٢)
أحب إلينا من فراخ دجاجة ومن ديك أنباط تنوس غباغيه ^(٣)

(١) تكلم في هذا الشعر الثعالبي في الثمار ٣٥٣ والدميري ٢ : ٥٠٢ ولابن طباطبا
كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .

(٢) السود : سفح مستو كثير الحجارة السود . وفي ط « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا في المختص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس غباغيه » .

وقال الشَّامُخ بنِ ضِرَار :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ خَافَانَ عَنِّي تَأْتِلُ حِينَ يَضْرِبُكَ الشَّتَاءُ
فَتَجْعَلُ فِي جَنَابِكَ مِنْ صَغِيرٍ ^(١) وَمِنْ شَيْخٍ أَضَرَّ بِهِ الْقَنَاءُ
فَرَاخَ دَجَاجَةٍ يَتَبَعَنَّ دِيكًا يَلُذُّنَ بِهِ إِذَا حَمِسَ الْوَعَاءُ

[فَإِنْ] قُلْتُ . وَأَيُّ شَيْءٍ بَلَغَ مِنْ قَدْرِ الْكَلْبِ وَفَضِيلَةِ الدِّيكِ ،
حَتَّى يَفْرَغَ لَذْكَرِ مُحَاسِنِهِمَا وَمَسَاوِيهِمَا ، وَلِلْمَوَازَنَةِ بَيْنَهُمَا وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمَا ،
شَيْخَانِ مِنْ عَلِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَمِنْ الْجِلَّةِ ^(٢) الْمُتَقَدِّمِينَ . وَعَلَى أَنَّهُمَا مَتَى
أَبْرَمَا هَذَا ^(٣) الْحُكْمَ وَأَفْصَحَاهُ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ ، صَارَ بِهِمَا التَّدْيِيرُ بِهِمَا حُكْمٌ وَحِكْمَةٌ
وَفَضِيلَةٌ وَدِيَانَةٌ ، وَقَلَدَهُمَا كُلُّ مَنْ هُوَ دُونَهُمَا ؛ وَسِعَمُ ذَلِكَ عِذْرًا لِهَٰمَا إِذَا
رَأَيْتَهُمَا يَوَازِيَانِ بَيْنَ الدُّبَابِ ^(٤) وَبَنَاتِ وَرْدَانَ ، وَبَيْنَ الْخَنَافَسِ وَالْمُجَلَّانِ ،
وَبَيْنَ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْمَمَجِّ وَأَصْنَافِ الْحَشَرَاتِ ، وَالْخَشَاشِ ، حَتَّى الْبَعُوضِ
وَالْقِرَاشِ وَالِدِيدَانِ وَالْقِرْدَانِ ^(٥) فَإِنْ جَازَ هَذَا فِي الرَّأْيِ وَتَمَّ عَلَيْهِ الْعَمَلُ ،
صَارَ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ النِّظَرِ عَوَضًا مِنَ النَّظَرِ فِي التَّوْحِيدِ ، وَصَارَ هَذَا
الشَّكْلُ مِنَ التَّمْيِيزِ خَلْفًا مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيزِ ، وَسَقَطَ الْقَوْلُ فِي الْوَعْدِ
وَالْوَعِيدِ ، وَنُسِيَ الْقِيَاسُ وَالْحُكْمُ فِي الْأَسْمِ ، وَبَطَلَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ اللَّيْلِ ،
وَالْمَوَازَنَةُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّحْلِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَرَاشِدِ النَّاسِ وَمَصَالِحِهِمْ ،
وَفِي مَنَافِعِهِمْ وَمَرَاقِبِهِمْ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَتَّسِعُ لِلْجَمِيعِ ، وَأَلَسَنَتُهُمْ لَا تَنْتَلِيقُ
بِالْكُلِّ . وَإِنَّمَا الرَّأْيُ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْفَتْحِ بِالْأَعْظَمِ ، وَالْأَخُوفِ
فَالْأَخُوفِ .

(١) ل « جبالك » موضع « جنابك » .

(٢) ل « جلة » .

(٣) ط « مدعا » .

(٤) ل « رأيتهم يوازنون ... الخ » . ط « الدياب » موضع « الدباب » .

(٥) الفردان : جمع قراد ، وهو دودية تنتشر في أعطان الابل .

وقلت : [و] هذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرف^(١) وطريق من طرق المزاح ، وسبيلٌ من سُبُل المضحك . ورجال الجِدِّ غير رجال الهزل ، وقد يحسن الشيء بالشَّبَابِ ويقبح مثله من الشيخوخة ، ولولا التحصيلُ والوازنة ، والإبقاء على الأدب ، والديانة بشدة المحاسبة ، لما قالوا : لكلِّ مقام مقال ، ولكلِّ زمان رجالٌ ولكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولكلِّ طعامٍ أكلة^(٢) .

(تنوع الملكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسانٍ فيه آلةٌ لِرَفْعٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعة^(٣) من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنَّ أبطأت ، ولا بدَّ لتلك الكامنة من ظهور ؛ فإنَّ أمكنه ذلك بعته ، وإلَّا سرى إليه كما يسرى السمُّ في البدن ، و[نمى] كما ينمى العرق ؛ كما أنَّ البزور البرية ، والحبَّة الوحشية الكامنة في أرحام الأرضين ، لا بدَّ لها من حركةٍ عند زمانٍ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إبانٍ الانتشار ؛ وإذا صارت الأمطار لتلك الأرحام كالنُطفة ، وكان بعضُ الأرض كالأمِّ الغاذية^(٤) فلا بدَّ لكلِّ ندىٍ قويٍّ أن يظهير قُوَّته ، كما قال الأولُ :

* ولا بدَّ للمصدر يومًا^(٥) من التفتُّ *

(١) ط « التطرف »

(٢) ل « آكل » .

(٣) ط « آلة للمرفق من المرافق وأداة المنفعة » وهو تحريف ما في ل .

(٤) ل « ولا بد للمصدر من التفتُّ » .

[وقال^(١) :

* ولا بدَّ من شكوى إذا لم يكن صبر * . ولذلك صار طلب الحساب أخفَّ على بعضهم ، وطلب الطبَّ أحبَّ إلى بعضهم . وكذلك النزاع إلى الهندسة ، وشغفُ أهل النجوم بالنجوم . وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعد الكُبرة ، وصرف^(٢) رغبته إليه بعد الكهولة ، على قدر قوَّة العرق في بدنه ، وعلى قدر الشَّوغل له وما يترصُّ عليه ، فتجد واحداً يلهج بطلب النِّناء واللاحون ، وآخر يلهج بشهوة القتال ، حتى يكتتب مع^(٣) الجُند ، وآخر يختار [أن يكون] وراقاً ، وآخر يختار طلب الملك ، وتجد حرصهم على قدر الملل الباطنة المحرَّكة لهم ، ثمَّ لا تدري كيف عرض لهذا هذا السبب دون الآخر إلاَّ بجملة من القول ، ولا تجد المختار لبعض هذه الصناعات على بعض يعلم^(٤) اختار ذلك في جملة ولا تفسير ، إذ كان لم يجتر منه على عرق ، ولا اختاره على إرث .

(من - ار على غير طبعه)

وليس العجب من رجل في طباعه سببٌ يصل بينه وبين بعض الأمور ويجرَّكه في بعض الجهات ، ولكنَّ العجب ممَّن يموت مغنياً وهو لا طبع

(١) جل هذا الشطر والكلام الذي قبله بيتا واحداً وذلك لا يستقيم . والزيادة رأيتها

ضرورية لاستقامة الكلام . والآي عجز بيت صدره كما في البيان ٣ : ٢٤٦

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامه *

(٢) ط « وأصرف » .

(٣) ل « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتب : كتب نفسه في

ديوان السلطان .

(٤) ط « لما » .

له في معرفه الوزن ، وليس له جرمٌ حسنٌ ، فيكون إن فاته أن يكون معلماً ومغنىً خاصّةً أن يكون مُطرباً ومغنىً عامّةً . وآخر قد مات على أن يدكر بالجلود ، وأن يسخى على الطعام ، وهو أبجلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلّما بالتحاذ الطيّبات ومستتهراً بالتكثير منها ، ثم هو أبداً مفتضحٌ وأبداً منتقض الطباع ، ظاهرُ الخطأ ، سيئُ الجزع عند مؤاكلته من كان هو الداعي له ، والمُرسل إليه ، والعارف بمقدار لقمته ونهاية أكله .

فإن زعمتم أن كل واحدٍ من هؤلاء إنما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ في أيدي علله ، عذرتهم جميع اللثام وجميع القصصين ، وجميع القاسقين والصالين . وإن كان الأمر [إلى] التمكن دون التسخير ، أفليس من أعجب العجب ومن أسوأ التقدير التمثيل ^(١) بين الدبّكة والكِلاب . ٩٥
قد عرفنا قولك ، وفهمنا مذهبك .

فأما قولك : « وما بلغ من خطر الديك وقدر الكلب » فإن هذا ونحوه كلام عبث لم يفهم عن ربه ، ولم يعقل عن سيده ، إلا بقدر فهم العائنه أو الطبقة التي تلي العائنه . كأنك ، فهمك الله تعالى ، تظن أن خلق الحية والعقرب ، والتدبير في خلق القرش والدباب ، والحكمة في خلق الذئب والأسد وكل مبغض إليك أو محقر عندك ، أو مسخر لك أو وائب عليك ، أن التدبير فيه مختلف أو ناقص ، وأن الحكمة فيه صغيرة أو مزوجة .

(١) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحة في أمرٍ أبتداءً ألدنيا إلى اقضاء مُدَّتْها ، امتزاجُ الخير بالشرِّ والضرِّ بالنافع ، والمكروه بالسارِّ ، والضَّعة بالرَّفعة ، والكثرة بالقلَّة . ولو كان الشرُّ صِرْفًا هلكَ الخلقُ ، أو كان الخيرُ محضًا سقطت المِحنة وتقطَّعت أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَمِ الفِكرة يكون عَدَمُ الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبُّتٌ وتوقُّفٌ وتعلُّمٌ ، ولم يكن علمٌ ، ولا يُعرف بابُ التبيين ، ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعة^(١) ، ولا صَبْرٌ على مكروهٍ ولا شُكْرٌ على محبوبٍ ، ولا تقاضُ في بيانٍ ، ولا تنافُسٌ في درجةٍ ، وبطلت فرحةُ الظفرِّ وعزُّ الغلبة ، ولم يكن على ظهرها تحيُّ يُجد^(٢) عزَّ الحقِّ ، ومُبتلٌ يجد ذِلَّةَ^(٣) الباطل ، وموقنٌ يجد^(٤) برَدَ اليقين ، وشاكٌّ يجد^(٥) نقصَ الحيرةِ وكَرْبَ الوجومِ ؛ ولم تكن للنفوس آمالٌ ولم تشعَّبها الأطماعُ . ومن لم يعرف كيف الطمعُ لم يعرف اليأسَ ، ومن جهل اليأسَ جهل الأمنَ ، وعادت الحالُ من اللانكحة ألدنَّ هم صفوة الخلق ، ومن الإنس ألدنَّ فيهم الأنبياء والأولياء ، إلى حال السبعِ والبهيمة ، وإلى [حال] الغبابة والبلادة ، وإلى حال النجوم في الشُّخرة ؛ فإنَّها أقص من حالِ البهائم في الرِّتعة . ومن هذا ألدنَّ يسرُّه أن يكون

(١) ط « التدبير » موضع « التبين » و « المضرة » موضع « مضرة » و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط « يجد » وهو تصحييف .

(٣) ط « يجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط « وموقنٌ يجد » وهو تحريف .

الشمس والقمر والنار والتلج ، أو برجا من البروج أو قطعة من النجم ؛
أو يكون المجرة بأشهرها ، أو مكيا لأ من الماء أو مقداراً من الهواء ؟! وكلُّ
شيء في العالم فإنما هو للإنسان ولكلِّ مختبرٍ ومختار ، ولأهل العقول
والاستطاعة ، ولأهل التبيين^(١) والروية .

وَأَيْنَ تَعُ لَنَّةُ البهيمة بالعلوفة ، ولَنَّةُ السبع بقطع اللحم وأكل اللحم -
من سرور الظفر بالأعداء ؛ ومن اقتراح باب العلم بعد إيمان القرع ؟ وأين
ذلك من سرور الشؤد ومن عزّ الرياسة ؟ وأين ذلك من حال الثبوة
والخلافة ، ومن عزّها وساطع نورها . وأين تَعُ لَنَّةُ درك الحواس الذي ٩٦
هو ملاقة المَطعم والمشرب ، وملاقة الصوت للطرب واللون الموق ،
والمسبة^(٢) اللينة - من السرور بِنفاذ الأمر والنهي ، وبمجاوز التوقيع ،
وبما يُوجب الخاتم من الطاعة ويُلزِم من الحجة ؟!

ولو استوت الأمور بطل التمييز ، وإذا لم تكن بكفة لم تكن مثوبة ،
ولو كان ذلك لبطلت ثمرة التوكل على الله تعالى ، واليقين بأنه الورد
والحافظ ، والكالى والدافع^(٣) ، وأن الذى يحاسبك أجود الأجودين ،
وأرحم الراحمين ، وأنه [الذى] يقبل اليسير ويهب الكثير ، ولا يهلك
عليه إلا هالك . ولو كان الأمر على ما يشتهي التمرير والجاهل بعواقب
الأمر ، لبطل النظر وما يشخذ عليه^(٤) ، وما يدعو إليه ، ولتعتلت

(١) ط « التبين » .

(٢) ط « واللبسة » .

(٣) ط « والكالى والرافع » .

(٤) الشخذ : السوق الثيف .

الأرواح من معانيها ، والقول من ثمارها ، ولقدِمَت الأشياء
حظوظها وحقوقها .

فستحان من جل منافعها نعمة ، ومضارها ترجع إلى أعظم المنافع ،
وقسمها بين مُلذِّ ومُؤلم ، وبين مؤنس ومُوحش ، وبين صغيرٍ حقيرٍ وجليلٍ
كبير ، وبين عدوٍ يرصدك وبين عقيٍ يحرسك ، وبين مُسلمٍ يمتنعك ،
وبين مُعينٍ يعضدك ، وجعل في الجميع تمام المصلحة ، واجتماعها تم
النعمة ، وفي بطلان واحد منها بطلان الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً .
فإنَّ الجميع ^(١) إنما هو واحدٌ ضُمَّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنَّ
الكلَّ أياضاً ، ولأنَّ كلَّ جُزئيةٍ فن أجزاء ، فإذا جَوَزَتْ رَفَعَ واحدٍ
والآخرُ مثله في الوزن وله مثلُ علته وحظه ونصيبه ، فقد جَوَزَتْ رَفَعَ
الجميع ؛ لأنه ليس الأولُ بأحقَّ من الثاني في الوقت ^(٢) ألذَى رجوت فيه
إبطالَ الأول ، والثاني كذلك والثالث والرابع ، حتَّى تأتى على الكلِّ
وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسبابُ المقيدة ^(٣) ؛ ألا ترى أنَّ
الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى من الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ
بأدلَّ على الله تعالى من الخنزير المستقبح . والنارُ والتلج وإن اختلفا في جهة
البرودة والسخونة ، فإنهما لم يختلفا في جهة البرهان والدلالة .
وأنتك ممن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأنَّ

(١) من كلمة « قياساً » سقط الكلام في ل إلى هنا .

(٢) ط « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط « المطبنة » مكان « المضمَّنة » و « المفيدة » مكان « المقيدة »

وهو تحريف .

التَّوَجُّجُ^(١) أَعَزُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْخِدَاةِ ، وَأَنْ الْغَزَالَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الذَّنْبِ . فَإِنَّمَا هَذِهِ أُمُورٌ فَرَّقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عَيُونِ النَّاسِ ، وَمَيَّزَهَا فِي طِبَائِعِ الْعِبَادِ ، فَجَعَلَ بَعْضَهَا بِهِمْ أَقْرَبَ شَيْئًا ، وَجَعَلَ بَعْضَهَا إِنْسِيًّا ، وَجَعَلَ بَعْضَهَا وَحْشِيًّا ، وَبَعْضَهَا عَادِيًّا ، وَبَعْضَهَا قَاتِلًا . وَكَذَلِكَ الدَّرَّةُ وَالْخَرْزَةُ وَالْثَمَرَةُ^(٢) وَالْجَمْرَةُ ... فَلَا تَذْهَبْ إِلَى مَا تَرِيكَ الْعَيْنُ وَادْهَبْ إِلَى ٩٧ مَا يَرِيكَ الْعَقْلُ .

(الاعتقاد على العقل دون الحواس)

وللأمور حكمان : حكم ظاهر للحواس ، وحكم باطن للعقول . والعقل هو الحجة . وقد علمنا أَنَّ خَزَنَةَ النَّارِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لَيْسُوا بِدُونِ خَزَنَةِ الْجَنَّةِ ، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَيْسَ بِدُونِ مَلَكِ السَّحَابِ ، وَإِنْ أَنَا بِالْغَيْثِ وَجِبِلَّ الْحَيَاءِ^(٣) . وَجَبِرِيلُ أَلَدَى يَنْزِلُ بِالْعَذَابِ ، لَيْسَ بِدُونِ مِيكَائِيلَ أَلَدَى يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ ، وَإِنَّمَا الْإِخْتِلَافُ فِي الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي ، وَفِي طَبَقَاتِ ذَلِكَ وَمَوَاضِعِهِ . وَالْإِخْتِلَافُ بَيْنَ أَصْحَابِنَا أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَوَوْا فِي الْعَاصِي اسْتَوَوْا فِي الْعِقَابِ ، وَإِذَا اسْتَوَوْا فِي الطَّاعَةِ اسْتَوَوْا فِي الثَّوَابِ ، وَإِذَا اسْتَوَوْا فِي عَدَمِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ اسْتَوَوْا فِي التَّنْضِيلِ . هَذَا هُوَ أَصْلُ الْمَقَالَةِ ، وَالْقُطْبُ أَلَدَى تَدَوُّرٍ عَلَيْهِ الرَّحَى .

(١) للفرق أمين باشا الملوف بحث طيب في التعريف بهذا الحيوان ص ١٨٧ من معجمه .

(٢) في الأصل « الثمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط « احياة » وهو تصحيف ما في ل . والحياء : الحصب والطر . وبعد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عز وجل ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ﴿١﴾ فزعم زيد بن أسلم أن التين دمشق، والزيتون فلسطين. وللغالبية في هذا تأويل أرغب بالعترة عنه ^(١) وذكره. وقد أخرج الله تبارك وتعالى الكلام مخرج القسم، وما تُعرف دمشق إلا بدمشق، ولا فلسطين إلا بفلسطين، فإن كنت إنما تحف من ذكر التين على مقدار طعم يابس ورطبه، وعلى إلا كتنان بورقه وأغصانه، والوقود بعيدانه، وأنه نافع لصاحب الشلل، وهو غذاء قوى ويصلح في مواضع من الدواء، وفي الأضمة، وأنه ليس شئ يحو إلا وهو ضار بالأسنان غيره، وأنه عند أهل الكتاب الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام، وبورها ستر السوء عند نزول العقوبة، وأن صاحب البواسير يأكله ليُزلق عنه الثقل، ويسهل عليه مخرج الزبل ^(٢)؛ وقف من الزيتون على زيتته والاصطباح به، وعلى التأثم بهما والوقود بشجرهما، وما أشبه ذلك من أمرها - فقد أسأت خلقاً بالقرآن، وجهلت فضل التأويل. وليس لهذا المقدار عظمهما الله عز وجل، وأقسم بهما ونوه بذكرها.

(التأمل في جناح البعوضة)

ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر، وتأملت تأمل متفكر بعد

(١) ط «أرغب عن التعبير عنه».

(٢) ط «الثقل» موضع «الثقل» و «البول» بلفظ «الزبل» وأثبت ما في ن

أَنْ تَكُونَ ثَاقِبَ النَّظَرِ سَلِمَ الْآلَةُ ، غَوَّاصًا عَلَى الْمَعَانِي ، لَا يَسْتَرِيكَ مِنْ
الْخَوَاطِرِ إِلَّا عَلَى حَسَبِ مَحَقَّةِ عَقْلِكَ ، وَلَا مِنْ الشَّوَاغِلِ إِلَّا مَازَادًا فِي
نَشَاطِكَ ، لَمَلَّتْ مِمَّا تُوجِدُكَ الْعِبَرَةُ مِنْ غَرَائِبِ الطُّوَامِيرِ الطُّوَالِ ، وَالْجُلُودِ
الْوَاسِعَةِ الْكِبَارِ ، وَلَرَأَيْتَ أَنَّ لَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي الْأَعْجَابِ ، وَمِنْ
تَقْلُبِهِ فِي طَبَقَاتِ الْحِكْمَةِ ، وَلَرَأَيْتَ لَهُ مِنَ الْفَرْزِ وَالرَّيْعِ ، وَمِنْ الْخَلْبِ وَاللَّزِّ
وَلِتَبَجَّسَ عَلَيْكَ ^(١) مِنْ كَوَامِينِ الْمَعَانِي وَدَفَائِيهَا ، وَمِنْ خَفِيَّاتِ الْحِكْمِ ٩٨
وَيَنَابِيعِ الْعِلْمِ ، مَا لَا يَشْتَدُّ مَعَهُ تَعْجُجُكَ ثَمَّنَ وَقَفَ عَلَى مَا فِي الدَّيْكَ مِنْ
الْخَصَالِ الْعَجِيبَةِ ، وَفِي السُّكْلِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أَصْنَافِ الْمَنَافِعِ ،
وَفَنُونِ الْمَرَافِقِ ؛ وَمَا فِيهِمَا ^(٢) مِنَ اللَّحْنِ الشَّدَادِ ، وَمَعَ مَا أُودِعَا مِنَ الْعِرْفَةِ ،
الَّتِي مَتَى تَجَلَّتْ لَكَ تَصَاغَرَ عِنْدَكَ كَبِيرُ مَا تَسْتَظِمُّ ، وَقَلَّ فِي عَيْنِكَ كَثِيرُ
مَا تَسْتَكْتَرُ . كَأَنَّكَ تَنْظُرُ أَنَّ شَيْئًا وَإِنْ حُسْنُ عِنْدَكَ فِي ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ ، أَنَّ
الْحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ فِي خَلْقِهِ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَقْدَارِ ثَمَنِهِ وَمَنْظَرِهِ .

(كَلِمَاتُ اللَّهِ)

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَنَافِيَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ
يَمْلَأُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ وَالْكَلِمَاتُ فِي هَذَا
لِلْوَضْعِ ، لَيْسَ يُرِيدُ بِهَا الْقَوْلَ وَالْكَلَامَ لِلتَّوَلَّفِ مِنَ الْحُرُوفِ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ
النَّعَمَ وَالْأَعْجَابِ ، وَالصِّفَاتِ ^(٣) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ كَلَامًا مِنْ هَذِهِ الْقِنُونِ

(١) ط « ولا ينبغي » .

(٢) ط « فيها » .

(٣) ط « الصلاة » وليس بشيء .

لو وقفت عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفكر تأمُّ الأداة ، لما برح أن تحسره ^(١) للماني وتغمره الحكَم .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والحلَّةُ العظماة في التمثيل بين الملائكة والمؤمنين ، وفي فرقِ مابين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباعِ الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباعِ الكلب . وإِنَّمَا ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلى أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان مابين التدرُّج والطاؤس ، لَمَا اشتدَّ تعجُّبك . ونحن رى أن تُمثِّلَ مابين خصالِ الذرَّة والحمامة ، والفيل والبعير ، والتَّعلبِ والذئب أعجَب . ولسنا نعى أن للذرة المايطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه ^(٢) ، ولأنَّ لها غناء القرس في الحرب والدَّفْع عن الحريم ؛ لَكِنَّا إذا أردنا مواضع التدبير العجيب من الخلق الخسيس ، والحسن اللطيف من الشيء السخيف ^(٣) ، والنَّظَر في العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجنِّ والملائكة ، لم ^(٤) نذهب إلى ضِخَم البدن وعِظَم الحجم ، ولا إلى النظر الحسن ولا إلى كثرة الثمن . وفي القرد أعاجيب وفي الذبُّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرَفِيٍّ إِلَّا بقَدْرِ ما تَنَكَّسَ به [أحباب ^(٥)] القردة ، وإِنَّمَا قصدنا إلى شيئين يشيع القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبارُ ممَّا يستخرج العلماء من خفي أمرهما . ولو جعنا بين الديك وبين بعض

(١) ط « تحسره » ويكون صوابها « تحسره له الماني » . وأثبت ما في ل . . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط في التواء . . وفي له : « تعاريجه » .

(٣) ط « والحسن اللطيف في الشيء السخيف » وهي عبارة مشوّهة .

(٤) في الأصل « ولم » .

(٥) زدها ليستم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لاقطع القول قبل أن يبلغ حد الموازنة والمقابلة .

وقد ذكرت أن بعض مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجب من أمرهما ، سقوط قدر الكلب ونذالته ، وبالله الديك وغبائوته ، وأن الكلب لاهيمة ٩٩
ثائمة ولا سبع تامم ، وما كان ليخرجيه من شيء من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدار ما هو عليه من الأنس بهم ، فقد يكون في الشيء بعض الشبه من شيء ولا يكون ذلك مخرجاً لهما من أحكامهما وحدودهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبه الشعراء والعلماء والبلغاء الإنسان بالقمر والشمس ، والفيث والبحر ، والأسد والسيف ، والحيّة والنجم ، ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حد الإنسان . وإذا ذُوموا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التيس ، وهو الذئب ، وهو العقرب ، وهو الجمل وهو القرني ثم لا يدخلون هذه الأشياء في حدود الناس ولا أمماتهم ، ولا يخرجون بذلك ^(١) الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء . وسَمُّوا الجارية غزالاً ، وسَمُّوها أيضاً خشفاً ، ومُهْرَةً ، وفاختةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضياً ، وخيزراناً ، على ذلك المعنى . وصنعوا مثل ذلك بالبروج والكواكب ، فذكروا الأسد والثور ، والجمل والجدى ، والعقرب والحوت ، وسَمُّوها بالقوس والشبلّة والميزان ، وغيرها . وقال في ذلك ابن عسلة الشيباني ^(٢) :

* أظنها (يخرجون)

(١) ط « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح شاعر جاهلي ، روى له صاحب الفضليات ثلاث قصائد ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ والبيت رواه في البيان ١ : ١٦٣ مطابقة لهذه . والرواية في الفضليات : « لمحوت » وقوله :

فَصَحَوْتُ وَالتَّمَرْتُ بِحَسْبِهَا عَمَّ السَّمَاءُ وَخَالَهَ النَّجْمُ
وَيُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « نِعِمَّتِ الْقَمَةُ لَكُمْ
النَّخْلَةُ [خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ] » وهذا الكلام صحيحٌ المعنى ، لا يعيبه
إِلَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ مَجَازَ الْكَلَامِ . وليس هذا ممَّا يَطْرُدُ لَنَا أَنْ نَقِيسَهُ ،
وَأِنَّمَا قُدِّمَ عَلَى مَا أَقْدَمُوا ، وَنُحْجِمَ عَمَّا أَحْجَمُوا ، وَنَتَهَى إِلَى
حَيْثُ أَتَهَوَّا .

وتراهم يسمُّون الرجلَ جملًا ولا يسمُّونه بغيرًا ، ولا يسمُّون المرأةَ ناقةً ؛
ويسمُّون الرجلَ ثورًا ولا يسمُّون المرأةَ بقرَةً ، ويسمُّون الرجلَ حمارًا ولا يسمُّون المرأةَ
أتانًا ؛ ويسمُّون المرأةَ نعجةً ولا يسمُّونها شاةً . وهم لا يضعون نعجةً اسمًا مقطوعا ،
ولا يجمعون [ذلك] ^(١) علامةً مثلَ زيدٍ وعمرٍ ، ويسمُّون المرأةَ عتزا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أَوْ مَاعَلَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي خُلِقَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا
مِنْ أَجْلِهِ ^(٢) كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ إِنَّمَا سَمَّوهُ الْعَالَمَ الصَّغِيرَ سَلِيلَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، لِمَا
وَجَدُوا فِيهِ مِنْ جَمْعِ أَشْكَالٍ مِمَّا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ ، وَوَجَدُوا لَهُ الْخَوَاصَّ الْحَسَنَ ،
وَوَجَدُوا فِيهِ الْحُسُوسَاتِ الْحَسَنَ ، وَوَجَدُوهُ بِأَكْلِ اللَّحْمِ وَالْحَبِّ ، وَيَجْمَعُ

يَا كُتِبَ لَكَ لَوْ قُصِرَتْ عَلَى حَسَنِ التَّوْبَةِ وَقِلَّةِ الْجُرْمِ
وَسَمَاعِ مَدِينَةٍ تَقْلُنَا حَتَّى تَنَامَ تَتَوَدَّعُ الْعَجَمُ

(١) زيادةً يَتَطَلَّبُهَا الْكَلَامُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « وَالْأَرْضُ مِنْ أَجْلِهِ وَمَا بَيْنَهُمَا » وَسَوِيَّتِ الْقَوْلُ كَمَا تَرَى .

بَيْنَ مَاتِقَاتِهِ الْهَيْمَةِ وَالسَّبْعِ ، وَوَجَدُوا فِيهِ صَوْلَةَ الْجَلِّ وَوُتُوبَ الْأَسَدِ ،
وَعَدْرَ الذَّبِّ ، وَرَوَّعَانَ الثَّلَبِ ، وَجُنَّ الصَّغْرِدِ ، وَجَمَعَ الذَّرَّةَ ، وَصَنَعَةَ ١٠٠
السَّرْفَةِ^(١) وَجُودَ اللَّذِيكِ ، وَإِلْفَ الْكَلْبِ ، وَاهْتَدَاءَ الْحَامِ . وَرَبَّمَا وَجَدُوا
فِيهِ مِمَّا فِي الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ خُلُقَيْنِ^(٢) أَوْ ثَلَاثَةَ ، وَلَا يَبْلُغُ أَنْ يَكُونَ جَلًّا
بَأَن يَكُونَ فِيهِ اهْتِدَاؤُهُ وَغَيْرَتُهُ وَصَوْلَتُهُ وَحِقْدُهُ وَصَبْرُهُ عَلَى حَمْلِ الثَّقَلِ ،
وَلَا يَلْزِمُ شِبْهَ الذَّبِّ بِقَدْرِ مَا يَتَّهِنُ فِيهِ مِنْ مِثْلِ غَدْرِهِ وَمَكْرِهِ ، وَاسْتِرْوَاغِهِ
وَتَوْحُّشِهِ ، وَشِدَّةِ نَكْرِهِ . كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ يَصِيبُ الرَّأْيَ الْفَاضِلَ لِمَرَّةٍ وَلِلْمَرَّتَيْنِ
وَالثَّلَاثِ ، وَلَا يَبْلُغُ ذَلِكَ الْقَدَارُ أَنْ يَقَالَ لَهُ دَاهِيَةٌ وَذُو نَكَرَاءٍ أَوْ صَاحِبُ
بَرْزَاءٍ^(٣) ، وَكَأَيُّ مَخْطِئِ الرَّجُلِ فِي فَحْشِ خَطَاؤِهِ^(٤) فِي الْمَرَّةِ وَالْمَرَّتَيْنِ وَالثَّلَاثِ ،
فَلَا يَبْلُغُ الْأَمْرُ بِهِ أَنْ يَقَالَ لَهُ غَيْبٌ وَأَبْلُهُ وَمَقْصُوصٌ .

وَمَثَلُ الْعَالَمِ الصَّغِيرِ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوهُ بِصُورِ كُلِّ شَيْءٍ بِيَدِهِ ، وَيَحْكِي
كُلَّ صَوْتٍ بِفَمِهِ^(٥) . وَقَالُوا : وَلَئِنْ أَعْضَاءَهُ مَقْسُومَةٌ عَلَى الْبُرُوجِ الْإِثْنِي
عَشَرَ وَالنُّجُومِ السَّبْعَةِ ، وَفِيهِ الصُّفْرَاءُ وَهِيَ مِنْ نِتَاجِ النَّارِ ، وَفِيهِ السُّودَاءُ
وَهِيَ مِنْ نِتَاجِ الْأَرْضِ ، وَفِيهِ الدَّمُّ وَهُوَ مِنْ نِتَاجِ الْهَوَاءِ ، وَفِيهِ الْبَلْغَمُ وَهُوَ
مِنْ نِتَاجِ الْمَاءِ . وَعَلَى طِبَاعِهِ الْأَرْبَعُ وَضَعْتَ الْأَوْتَادَ الْأَرْبَعَةَ^(٦) .

-
- (١) ط « وصفة السرفة » وصوابه في ل ويقال في المثل : أصنع من سرفة ...
العميري : دوية سوداء الرأس وسائرهما أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقائق
اليدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناموس ثم تدخل فيه وتموت .
(٢) في ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلتين » وهو الأشبه .
بكلام الجاحظ .
(٣) ط « نكر » بدل « نكراء » وكلاما صحيح .. النكراء ، وانكر بالضم :
الدهاء والفتنة .. واليزلاء : الرأي الجيد والشائد .
(٤) الخطأ : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .
(٥) ط « يمه » والوجه ما في ل .
(٦) ل « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجلاوه العالم الصغير، إذ كان فيه جميع أجزائه وأخلاطه وطبائمه،
 ألا ترى أن فيه طبائع الغضب والرضا، وآلة اليقين والشك، والاعتقاد
 والوقف^(١) وفيه طبائع القنينة والقبادة، والسلامة والمسكر^(٢)، والنصيحة
 والنس، والوفاء والغدر، والرياء والإخلاص، والحب والبغض، والجِدِّ
 والمزَل، والبخل والجود، والاقتصاد والسرف، والتواضع والكبر،
 والأنس والوحشة، والفكرة^(٣) والإهمال، والتميز والخلط، والجبن
 والشجاعة، والحزم والإضاعة، والتبذير والتقدير، والتبذل، والتمرز،
 والآذار^(٤) والتوكل، والقناعة والحِرص، والرغبة والرُثد، والسخط
 والرضا، والصبر والجزع، والدَّكر والتسيان، والخوف والرجاء،
 والطَّمع واليأس، والتزُّد والطَّبع، والشك واليقين، والحياء والقِحة،
 والسكران والإشاعة، والإقرار والإنكار، والعلم والجهل، والظلم والإنصاف،
 والطلب والمهرب. والحقد وسرعة الرضا، والحدة وبُعد الغضب،
 والشُّرور والمهم، واللَذَّة والألم^(٥) والتأمل والتنى، والإصرار والنَّدَم،
 والجُمُاح والبِدَوَات^(٦)، والمعنى والبلاغة، والتَّطُّق والخرس، والتصميم
 والتوقف^(٧) والتفافُل والتفاطُن، والعمو والمكافأة، والاستطاعة
 والطبيعة^(٨) وما لا يحصى عدده^(٩)، ولا يُعرف حدُّه.

(١) ط « والتنى » .

(٢) ط : « والتكر » .

(٣) لها « الطفرة » ليصح قرنها بالإهمال .

(٤) ط « والتبذل والتزُّد » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ط « والآلام » والوجه ما في ل .

(٦) كذا في ل ! وفي ط : « البذات » .

(٧) ل « والتكنى » .

(٨) كذا

(٩) ط : « عدده » .

فالكلبُ سميع وإن كان بالناس أنيساً ، ولا تخرجه الخصلة والخصلتان ١٠١
 ممّا قارب بعض طبائع الناس ، إلى أن يخرجّه من الكلبية . قال : وكذلك
 الجميع . وقد عرفت شبه باطن الكلب ^(١) بباطن الإنسان ، وشبه ظاهر
 القرد بظاهر الإنسان : ترى ذلك في طَرَفِهِ وتغميض عينه ، وفي ضِحْكِهِ
 وفي حكايته ، وفي كَفِّهِ وأصابعه ، وفي رَفْعِها ووضعها ، وكيف يتناولُ بها ،
 وكيف يجهز اللقمة إلى فيه وكيف يكسر الجوزَ ويستخرج لبّه ^(٢) وكيف
 يَلْقُنُ كل ما أخذَ به ^(٣) وأُعيدَ عليه ، وأنه من بين جميع الحيوان إذا سقط
 في الماء غرق مثل الإنسان ، ومع اجتماع أسباب المعرفة فيه يفرق ، ^(٤) إلا
 أن يكتسب معرفة السباحة ، وإن كان طبعه أوفى وأكل فهو من هاهنا
 أقص وأكل . وكل شيء فهو يسبح من جميع الحيوانات ، ممّا يوصف بالمعرفة
 والقطنة ، وممّا يوصفُ بالعباوة والبلادة ؛ وليس يصير القردُ بذلك القدار
 من المقاربة إلى أن يخرج من بعض حدود القرد إلى حدود الإنسان .

(عود إلى الحوار في شأن الكلب والديك)

وزعمتُ أنَّ ممّا يمنع من التمثيل بين الديك والكلب أنه حارسٌ
 محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناس فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبْدُلُهُ . ولقد
 سأل زياذ ليلة من الليالي : مَنْ على شُرطكم ؟ قالوا : بَلَجُ بْنُ نُشْبَةَ
 الجُشَمِيِّ . فقال :

وساع مع السلطان يسعى عليهمُ ومحترسٌ مِن مثله وهو حارسُ

(١) ط « باطن شبه الكلب » .

(٢) ل « سره » ومما بمعنى .

(٣) ط « يلقي كلها أخذه » وهو تحريف وفي شمار القلوب ٣٢٤ « يقن » .

(٤) ط « إلى » .

ويقال : إنَّ الشاعر^(١) قال هذا الشعر في الفلاس التَّهْلِي^(٢) ، حين
وَلِي شُرطَةَ الحارثِ بن عبد الله [فقال] .

أَقْلَى عَلَى اللّوَمِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَذُبِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفُلَافِسُ
وساعٍ مع السلطان يَسْعَى عليهم وَتُحْتَرَسُ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ
وليس يُحْكَمَ لِصَفَارِ الْمَضَارِّ عَلَى كِبَارِهَا^(٣) بَلِ الْحَكْمُ لِلْغَامِرِ عَلَى
لِلْمَمُورِ^(٤) والقاهر على المقهور ؛ ولو قد حَكَيْنَا مَا ذَكَرَ هَذَا الشَّيْخُ مِنْ خِصَالِ
الْكَلْبِ وَذَكَرَ صَاحِبُهُ مِنْ خِصَالِ الدِّيكِ ، أَقْنَتَ أَنَّ الْعَجَلَةَ مِنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ ، وَأَنَّ الْمُجَبَّ بِئْسَ الصَّاحِبُ .

وقلت : وما يبلغُ من قَدْرِ الكلبِ وَمِنْ مَقْدَارِ الدِّيكِ ، أَنْ يَتَفَرَّغَ
لِهُمَا شَيْخَانِ مِنْ جِلَّةِ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَهُمَ أَشْرَافُ^(٥) أَهْلِ الْحِكْمَةِ ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ
بَلَّغَ ، غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ ، مِنْ قَدْرِ جِزْءٍ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَالْجِزْءُ الْأَقْلُّ
مِنْ أَوَّلِ قَطْعِ الثَّرَةِ الْمَكَانِ السَّحِيقِ ، وَالصَّحِيفَةُ الَّتِي لَا عَمَقَ لَهَا ، وَلَأَيُّ
شَيْءٍ يُعْتَوَّنُ بِذَلِكَ ، وَمَا يَبْلُغُ مِنْ ثَمَنِهِ وَقَدْرِ خُجْمِهِ ، حَتَّى يَتَفَرَّغَ الْجَدَالُ
فِيهِ الشُّيُوخُ الْجِلَّةُ ، وَالْكُهُولُ الْعَلِيَّةُ ، وَحَتَّى يَخْتَارُوا النَّظَرَ فِيهِ عَلَى التَّسْبِيحِ
وَالْتَهْلِيلِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَطَوْلِ الْإِتْنَابِ فِي الصَّلَاةِ ؛ وَحَتَّى يَزْعُمَ أَهْلُهُ

(١) هو عبد الله بن حمام السلولي . ترجم له ابن قتيبة في الشعراء ٥٢ وانظر عيون
الأخبار ١ : ٧٠ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلاس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله .
ابن أبي ربيعة الخزوي أثنى عمر بن أبي ربيعة .. وخرج الفلاس مع ابن الأشعث
فقتله الجباج .

(٣) ل « على كبار المنافع » .

(٤) ل « الغامر على الممور » وما أُنْبِئَهُ مِنْ بَلِّ أَشْبَهَ .

(٥) ل « شراف » .

أَنَّهُ فَوْقَ الْحُجِّ وَالْجِهَادِ، وَفَوْقَ كُلِّ بَرٍّ وَاجْتِهَادٍ^(١). فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ
سَوَاءٌ، طَالَتْ الْخُصُومَةُ مَعَكَ، وَشَغَلْتَنَا [بِهَا] عَمَّا هُوَ أَوْلَىٰ بِنَا فِيكَ. عَلَى
أَنَّكَ إِذَا عَمَمْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالذَّمِّ، وَجَلَلْتَهُ بِالْعَيْبِ، صَارَتْ الْمَصِيئَةُ فِيكَ
أَجَلًا، وَالْعِزَاءُ عَنْهَا أَعْسَرَ. وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَازَ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا
إِلَى أَمْنِ الْأَعْيَانِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَإِلَى عَظَمِ الْحِجَمِ، وَإِلَى مَا يَرُوقُ الْعَيْنَ
وَيَلَأُثُمُ النَّفْسِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا ذَهَبُوا إِلَى عَاقِبَةِ الْأَمْرِ فِيهِ، وَإِلَى تَسِيجَتِهِ،
وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ التَّهَاتَاتِ، وَمِنْ بَابِ الْكَلِّ وَالْبَعْضِ، وَكَانَ وَيَكُونُ،
وَمِنْ بَابِ مَا يَحِيطُ بِهِ الْعِلْمُ أَوْ مَا يَفْضُلُ عَنْهُ، وَمِنْ فَرْقٍ [مَا]^(٢) بَيْنَ مَذَاهِبِ
النُّهْرِيَّةِ وَمَذَاهِبِ الْمُوَحِّدِينَ. فَإِنْ كَانَ هَذَا الْمَذْرُوعُ مَقْبُولًا، وَهَذَا الْحُكْمُ
صَحِيحًا، فَكَذَلِكَ نَقُولُ^(٣) فِي الْكَلْبِ، لِأَنَّ الْكَلْبَ لَيْسَ لَهُ خَطَرٌ ثَمِينٌ
وَلَا قَدْرٌ فِي الصَّدْرِ جَلِيلٌ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ كَلْبٌ صَيْدَ فَدَيْتُهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا،
وَإِنْ كَانَ كَلْبٌ ضَرَعَ فَدَيْتُهُ شَاةٌ، وَإِنْ كَانَ كَلْبٌ دَارَ فَدَيْتُهُ زَنْبِيلٌ مِنْ
تَرَابٍ، حُقَّ عَلَى الْقَاتِلِ أَنْ يُؤْذِيَهُ، وَحُقَّ عَلَى صَاحِبِ الدَّارِ أَنْ يَقْبَلَهُ.
فَهَذَا مَقْدَارُ ظَاهِرِ حَالِهِ [وَمُقْتَضَاهُ]. وَكَوَامِلُ خِصَالِهِ، وَدَقَائِقُ الْحِكْمَةِ فِيهِ.
وَالْبَرَهَانَاتُ عَلَى عَجِيبِ تَنْدِيرِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِيهِ، عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ؛
فَلِذَلِكَ اسْتَجَازُوا النَّظَرَ فِي شَأْنِهِ، وَالتَّمَثِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَطْيِيرِهِ.
وَتَعْلَمُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ الْكَلْبَ إِذَا كَانَ فِيهِ، مَعَ خَوْفِهِ وَسُقُوطِهِ،
مِنْ عَجِيبِ التَّنْذِيرِ وَالتَّعَمُّقِ السَّابِقَةِ وَالْحِكْمَةِ الْبَاطِنَةِ، مِثْلُ هَذَا الْإِنْسَانِ

(١) ل «كل أثره وإجهاد» وليس بشيء.

(٢) زيادة يقتضيهما الكلام.

(٣) ط «يقول» وهو تحريف.

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما، أحقُّ بأن يُفكر فيه ،
ويُحمد الله تعالى على ما أودعته من الحكمة العجيبة ، والنعمة السابغة .
وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النَّظَرُ فى التوحيدِ ، وفى تقي
التشبيه ، وفى الوعد والوعيد ، وفى التعديل والتجوير ، وفى تصحيح
الأخبار ، والتفضيل بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوب .

(دفاع عن المتكلمين)

والمجبُّ أنَّكَ عَمَدَتِ إلى رجالٍ لاصناعةَ لهم ولا تجارةَ إلَّا السعاه إلى
ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما^(١) وصفت ، وإلَّا وُضِعَ الكتبُ فيه والولايةُ
والعداوةُ فيه ، ولا لهم لَنَّةٌ ولا هم ولا مذهب ولا مجازٌ إلَّا عليه وإليه ؛
١٠٣ فحين أَرَادُوا أَنْ يُقْسَطُوا بينَ الجميعِ بالحِصصِ ، وَيَعْدِلُوا بينَ الكلِّ بإِعطاء
كلِّ شَيْءٍ نصيبه ، حتَّى يَقَعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعاً ، ويظهرَ
بذلك الخلقُ من الحِكم ، والمستورُ من التدبير ، اعترضتْ بالتعنُّتِ
والتعجُّبِ ، وسطرتْ الكلامَ ، وأطلتْ الخطبَ ، من غير أن يكون
صَوَّبَ رأْيَكَ أديبٌ ، وشايَعَكَ حكيمٌ .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتْ أغلظَ منه ، وتعرَّضتْ لأشدَّ منه
ولكنَّا نستأني بك ونتنظَّرُ أوْبَتَكَ . وَجَدْنَا لجميعِ أهلِ النَّقصِ ، ولأهلِ
كلِّ صِنْفٍ منهم نُسكاً يعتمدون عليه فى الجمالِ ، ويحتسبون به فى الطاعةِ
وطلبِ الثَّوْبَةِ ، ويفرَّعون إليه ، على قدرِ فسادِ الطَّبَاعِ ، وضعفِ الأصلِ ،

(١) فى الأصل « بما » .

واضطرابِ القرع ، مع خُبثِ المنشأ ، وقلةِ التثبُتِ والتوقُّفِ ، ومع كثرةِ التقلُّبِ والإقدامِ معَ أوَّلِ خاطرٍ : فنُسكُ للرَّيبِ المرتابِ مِنَ التَّكْلِيفِ أَنْ يتحلَّى برميِ الناسِ بالرَّيبةِ ، ويتزيَّنَ بإضافةِ مايجُدُ في نفسه إلى خصمه ، خوفاً من أن يكونَ قد فطنَ له ، فهو يستُرُّ ذلكَ الداءَ برميِ الناسِ به .

ونُسكُ الخارجِ الذي يتحلَّى به ويتزيَّنُ بجماله ، إظهارُ استعظامِ المعاصي ، ثم لا يتلصَّصَ إلى مجاوزةِ القُدَّارِ وإلى ظُلْمِ العبادِ ، ولا يقِفُ على أَنَّ اللهَ تعالى لا يحبُّ أن يظلمَ أَظْلَمَ الظَّالِمِينَ ، وأنَّ في الحقِّ ماوسعُ الجميعِ . ونُسكُ الخُرَّاسانيِّ أَنْ يُحجَّجَ وينامَ على قفاه ، ويعقدُ ^(١) الرِّياسةَ ، ويتهيَّأَ للشَّهادةِ ، ويسطُرُ لسانَه بالحِسبةِ . وقد قالوا : إذا نسكُ الشَّريفُ تواضعَ ، وإذا نسكُ الوضعِ تكبَّرَ . وتفسيرُهُ قريبٌ واضحٌ .

ونُسكُ البَنَوِيِّ ^(٢) والجنديِّ طرْحُ الديوانِ ، والزَّرايَةُ على السَّالْطَانِ ^(٣) . ونُسكُ ذَهَاقِينَ السَّوَادِ تركُ شُرْبِ المطبوخِ ^(٤) ونُسكُ الخَصِيِّ لزومُ طَرَسُوسٍ وإظهارُ مجاهدةِ الرومِ . ونُسكُ الرافضِيِّ تركُ التَّبَيُّدِ . ونُسكُ البَسْتَانِيِّ تركُ سَرِقَةِ الثَّمَرِ . ونُسكُ المغنِيِّ الصَّلَاةُ في الجماعةِ وكثرةُ التسبيحِ ، والصَّلَاةُ على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ونُسكُ اليهودِيِّ التَّشَدُّدُ فِي السَّبْتِ وإقامتهِ .
والنَّصُوفِيُّ المَظْهَرُ التَّسَكُّنُ مِنَ السُّلَمِيِّينَ ، إِذَا كَانَ فَسْلاً يَبْغِضُ الْعَمَلَ

(١) ط « يفتد » وليس بشيء .

(٢) ط « الكوفي » .

(٣) ط « والزيارة للسلطان » ل « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) في القاموس : « الطبخ ضرب من النصف » وفي مادة نصف « وكعظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف^(١) وأظهر تحريم الكاسب ، وعاد سائلاً ، وجعل مسأله وسيلة إلى تعظيم الناس له .

وإذا كان النصراني مسلماً نذلاً مبيحاً للعمل ، ترهب وليس الصوف؛ لأنه واثق أنه متى ليس وتزانياً بذلك الزنى وتحلى بذلك اللباس ، وأظهر تلك السبى ، أنه قد وجب على أهل اليسر والثروة منهم أن يعولوه ويكفوه ، ثم لا يرضى بأن ربح الكفاية باطلاً حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى للتكلم للربب أهل البراءة ، ظن أنه قد حوّل ربيته إلى خصمه ، وحوّل براءة خصمه إليه . وإذا صار كل واحد من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمنية ، ووقف على النهاية . فاجدر أن تكون منهم واعلم أنك قد أشبهتهم في هذا الوجه ، وضارعهم في هذا المذهب .

باب

مما قد منّا ذكره ، وبين ما ذكرنا بعض الفرق .

يقال : أجزأ من الليث ، وأجبن من الصفر ، وأسحى من لافطة ، وأصبر على الهون^(٢) من كلب ، وأحذر من عمق ، وأزهى من غراب ، وأصنع من سرفة^(٣) وأظلم من حية ، وأغدر من الذئب ، وأخبث من ذئب خمر^(٤) وأشدّ عداوة من عقرب ، وأروغ من ثعلب ، وأحق من حبارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذب من فاختة ، وألأم من كلب على جيفة ،

(١) ط « بين » بدل « من » . و « بعض » موضع « يفيض » . وفي ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل « الهوان » و « ما يعنى » .

(٣) ط « واضح من سرفة » وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط « ضمر » وهو تحريف . والحرف : ما وراك من شجر وغيره .

وَأَجْمَعُ مِنْ ذَرَّةٍ ، وَأَضِلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِي^(١) ، وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَبْرُ مِنْ هِرَّةٍ ، وَأَنْفَرُ مِنَ الظَّلِيمِ ، وَأَضِلُّ مِنْ وَرَلٍ^(٢) وَأَضِلُّ مِنْ ضَبٍّ ، وَأَضِلُّ مِنَ الْحَيَّةِ .

فَيَعْبُرُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بعبارةٍ كالعبارة عن الناس ، في مواضع الإحسانِ والإساءة ، حَتَّى كَانَتْهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَشْكُورِينَ ، ثُمَّ يَعْبُرُونَ فِي هَذَا الْبَابِ الْآخَرَ بِدُونِ هَذَا التَّعْيِيرِ ، وَيَجْعَلُونَ خَبَرَهُمْ^(٣) مَقْصُورًا عَلَى مَا فِي الْخَلِيقَةِ مِنَ التَّرِيزَةِ وَالْقُوَى فيقولون : أَبْصُرْ مِنْ عُقَابٍ ، وَأَسْمَعْ مِنْ فَرَسٍ ، وَأَطْوِلْ دُمَاءً مِنْ ضَبٍّ ، وَأَصْحُ مِنَ الظَّلِيمِ .

وَالثَّانِي يُشَبِّهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْحَمْدِ وَالنِّمِّ ، وَالْأَوَّلُ يُشَبِّهِ الْعِبَارَةَ عَنِ اللَّائِمَةِ وَالشُّكْرِ^(٤) . وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ ، لِأَنَّ كُلَّ مَشْكُورٍ مَحْمُودٍ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَحْمُودٍ مَشْكُورًا ؛ وَكُلُّ مَلُومٍ مَذْمُومٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَذْمُومٍ مَلُومًا . وَقَدْ يَجْمَدُونَ الْبَلَّةَ وَيَذْمُونَ الْآخَرَ ، وَكَذَلِكَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ اللَّوْمِ وَلَا عَلَى جِهَةِ الشُّكْرِ ؛ لِأَنَّ الْأَجْرَ^(٥) لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى جِهَةِ التَّخْيِيرِ وَالتَّكْلِيفِ ، وَإِلَّا عَلَى مَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْإِسْطَاعَةِ^(٦) وَالْأَوَّلُ إِنَّمَا يُنَالُ بِالْخَلِيقَةِ وَبِمَقْدَارٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَلَا يَبْلُغُ أَنْ يَسْمَعَ عَقْلًا ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ قُوَّةٍ تَسْمَى إِسْطَاعَةً . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) ن « أَهْلِهِ » .

(٢) ن « أَشْرَدُ مِنْ وَرَلٍ » .

(٣) ط « خَيْرِهِم » وَالصُّوَابُ مَا فِيهِ .

(٤) ط « السَّلَامَةُ وَالشُّكْرُ » وَالْوَجْهُ مَا قَدْ .

(٥) ط « الْآخِرُ » وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

(٦) ط « مَا لَا يُقَالُ إِلَّا بِالنَّحْوِ بِالْإِسْطَاعَةِ » وَهِيَ عِبَارَةٌ مَشْوُوعَةٌ .

باب

ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معانيها^(١) ومثالبها ، من لؤمها وجبنها^(٢) وضعفها وشرها ، وغدرها وبذائها ، وجهلها ١٠٥ وتسرعها ، وتنهابها وقدرها ، وما جاء في الآثار من النهي عن اتخاذها وإمسакها ، ومن الأثر بقتلها وطردها ، ومن كثرة جنائياتها وقلة ودها^(٣) ومن ضرب المثل بلؤمها ونذالتها ، وقبحها وقبح معاشلتها^(٤) ومن ساجدة نباحها وكثرة أذاها ، وتقذر المسلمين من دنوها^(٥) [وأنها تأكل لحوم الناس] وأنها كالخلق المركب والحيوان الملقق : كالبق في الدواب وكالراعي في الحمام^(٦) ، وأنها لاسبع ولا بهيمة ، ولا إنسيّة ولا جنيّة ، وأنها من الجنّ دون الجنّ وأنها مطايا الجنّ ونوع من اللسخ ، وأنها تنبش القبور وتأكل اللوى ، وأنها يعتريها الكلب من أكل لحوم الناس .

فإذا حكينا ذلك حكينا قول من عدد محاسنها ، وصنف مناقبها . وأخذنا من ذكر أسيئتها وأنسابها وأعرافها ، وتقديرة الرجال إياها^(٨)

(١) ط « معانيها » بالهمز وهو خطأ صوابه في ل ، إذ العايب جمع معاب أو معايب بمعنى اللبب فيأوه في الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها في ذلك مثل معيشة وممايش .

(٢) ط « وجبنها » والكلب يوصف بالجبن .

(٣) ل « ردها » .

(٤) ط « معاشلتها » وهو تحريف . والمطال : الملازمة في السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط « درتها » .

(٦) ط « والراعي من الحمام » وهو تصحيف نبهت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط « الجن » وصوابه في ل .

(٨) ط « وتقديرة الرجال إياها » وهو تحريف .

واستهترهم بها ، وذكر كشيها وحراستها ، ووفائها وإلقها وجميع منافها ،
والرافق التي فيها ، وما أودعت من المعرفة الصحيحة والبطن العجيبة
والحسن اللطيف^(١) والأدب المحمود . وذلك سوى صدق الاسترواح
وجودة الشم ، وذكر حفظها وقاذاها واهتدائها ، وإثباتها لصور أربابها
وجيرانها ، وصبرها ، ومعرفتها بحقوق الكرام ، وإهاتها للثام ، وذكر
صبرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذمامها وشدة منعه معاقبة النماز
منها^(٢) ، وذكر يقظتها وقلة غفلتها^(٣) وبعد أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة
قبولها وإلقها وتصرف أرحامها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها
والذكور من غير جنسها ، وكثرة أعمامها وأخوالها ، وترددها في أصناف
السباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لغتها وحكايتها ، وجودة ثقافتها
ومهنها^(٤) وخدمتها ، وجدها ولعبها وجميع أمورها ؛ بالأشعار المشهورة
والأحاديث المأثورة ، وبالكثب المنزلة والأمثال السائرة ، وعن تجربة
الناس لها وفراستهم فيها ، وما عاينوا منها ؛ وكيف قال أصحاب القال فيها ،
وبأخبار المتطيرين عنها ، وعن أسنانها^(٥) ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ،
ومدة حملها ، وعن أسمائها وألقابها ، وسمايتها وشياتها ، وعن دوائها

(١) ط « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل « منها » موضع « منها » . ط « الأعمام » مكان « القمار » . والقمار :

ما يلزمك حفظه وحمايته ، وأما الأعمام فهو الحق .

(٣) ل « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط « ثقافتها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ التفاف : هو الجلاذ

والخصام وما تسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف

ككرم وفرح صار حاذقا خفيضا فطنا ... وفي ل « وفيها » بدل « مهنها » .

(٥) ط « أسنانها » وليس بشيء .

وأدوائها وسياستها ، وعن اللاتي لاتلقن منها^(١) وعن أعراقها والخارجي منها^(٢) وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .
 وذكر صاحب الديك ما يحفظ من أكل الكلاب للجُوم الناس
 فقال : قال الجارود بن أبي سبرة^(٣) في ذلك :

ألم تر أن الله ربِّي بمجْولِه وقوَّتِه أخزى ابنَ عمِّرة مالكا
 ١٠٦ فمن كانَ عنه بالغَيْبِ سائلاً قد صارَ في أرض الرُّصافةِ هالكا
 تظلُّ الكلابُ العاديَاتُ يَنْشُنُه إذا اجْتَبَنَ مُسَوِّدًا مِنَ اللَّيْلِ حالكا^(٤)
 وقال نُفَيْع بن صَفَّار الحاربي^(٥) من ولد مُحَارِب بن خَصَّعة^(٦) في
 حرب قيسٍ وتغلب .

أَفَنَتِ بَنِي جُثَم بن بكرٍ حَرْبُنَا حَتَّى تَعَادَلَ مَيْلُ تَغْلِبٍ فَاسْتَوَى
 أَكَلُ الْكَلَابِ أُنُوفَهُمْ وَخُصَامُهُمْ فَلَتَبَكَ تَغْلِبُ لِلْأُنُوفِ وَاللُّخْصَى
 وقال أبو يعقوب الخُرَيْمى ، وهو إِسْحاق بن حَسَّان بن قوْهي^(٧)
 في قَتلى حربِ بَيْدَاد .

- (١) ط « لاتلقى منها » وهو تحريف .
 (٢) الجاحظ يجعل « الحاربي » مقابل « الرقي » كما في البيان ١ : ٧٦ .
 (٣) ط « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ في البيان ١ : ٢١٤ « وكان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا نوفل - من أئین الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفقدا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال : ماظننت أن بالمرأى مثل هذا !! » توفي سنة ١٢٠ كما في تهذيب من ٢٨ .
 (٤) ل « يبنه » مكان « ينشئه » ط إذا اجتن مستورا .
 (٥) ط « نفيع بن الصغار الحاربي » وأثبت ماقي ل .
 (٦) ط « خضعة » والصواب « خصة » كما في نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .
 (٧) ط « ابن يعقوب الخُرَيْمى . وهو إِسْحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بیداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله فنسب إليه . وقبل كان اتصاله بسمان بن خريم .. »

وهَلْ رَأَيْتَ الْفَتَيَانَ فِي بَاحَةِ الْمَرْكَ مَقْفُورَةً مَنَاحِرُهَا^(١)
 كُلٌّ فَتَى مَانِعٍ حَقِيقَتَهُ يَشْقَى بِهِ فِي الْوَعَى مَسَاغِرُهَا
 بَاتَتْ عَلَيْهِ الْكَلَابُ تَهَشُّ غَضُوبَةً مِنْ دَمٍ أَظَاغِرُهَا
 وَقَالَ أَبُو الشَّعْمَقِ (وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، مَوْلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ،
 وَيَكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ)^(٢) :

يُوسُفُ الشَّاعِرُ فَرَّخٌ وَجَدُوهُ بِالْأَبْلَه
 حَلَقَى قَدْ تَلَقَّى كَلَمَاتِي جَوْفُ جِلْه^(٣)
 خَيْطُوهَا خَشِيَّةَ الْكَلْبِ عَلَيْهِ عَمْسَلَه

وَذَكَرَ لِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ الْحَسَنِ إِذْ أَقْبَلَ
 وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُوْدٍ جُلَسَ ، فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ : مَا تَقُولُ فِي دَمِ الْبِرَاغِيثِ يُصِيبُ
 الثَّوْبَ : أَيْصَلَّى فِيهِ ؟ فَقَالَ : يَا عَجِيبًا مِمَّنْ يَلُغُ فِي دَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُ كَلْبٌ ، ثُمَّ
 يَسْأَلُ عَنْ دَمِ الْبِرَاغِيثِ !! فَقَامَ وَكَيْعٌ يَتَخَلَّجُ فِي مِشِيَّتِهِ كَتَخَلَّجِ الْجَنْتُونَ ،
 فَقَالَ الْحَسَنُ : إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ عَصْوٍ مِنْهُ نِعْمَةٌ فَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ ،
 اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَّقَوْنَ بِنِعْمَتِكَ عَلَى مَعْصِيَتِكَ !!

وَأَبُوهُ خَرِمٌ الْمَوْصُوفُ بِالنَّاعِمِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَلَهُ مَدَائِحٌ فِي مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ
 ابْنِ زِيَادٍ وَيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ وَغَيْرِهِمَا ... الْجِسْتَانِي : الْحَرَبِيُّ أَشْعَرُ الْمَوْلِدِينَ » .
 وَانْظُرْ لِحَرَمِ النَّاعِمِ قَامُوسُ الزُّرْكَانِي ١ : ٢٩٠ ، وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِي ٢ : ٢٨١
 (١) ط « سَاعَةٌ » - وَلَهَا « سَاحَةٌ » - مَوْضِعٌ « بَاحَةٌ » .
 (٢) تَرْجَمَتْهُ فِي تَارِيخِ بَنْسَدَادٍ ٧١٢٨ وَابْنِ خُلِكَانٍ ، فِي تَضَاعُيفِ تَرْجَمَةِ زَيْدِ
 ابْنِ مَرْزُوقٍ ، وَلَمْ يَفْرِدْ لَهُ تَرْجَمَةً . وَأَبُو الشَّعْمَقِ اجْتَمَعَ بِيَشَارَ وَأَبِي نَوَاسٍ ، وَدَخَلَ
 بَنْسَدَادَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ بَصْرِي .
 (٣) ط « حَلَقَى بَلَقَى » وَانْظُرْ شِفَاءَ التَّلِيلِ لِلْحَفَافِيِّ فِي تَفْسِيرِ الْحَلَقِيِّ . وَالْبَلَقَى لِمَا
 مَنُوبٌ إِلَى الْبَلَقِ بِالْحَرَكِ بِمَعْنَى الْحَقِّ ، وَ « كَلَمَاتِي » هِيَ فِي الْأَصْلِ « كَلَمَن »
 وَالْوَجْهُ النَّصَبُ .

(ماأنصف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشباه من الحيوان تُضاف إلى تن الجلود
وخبث الرائحة ، كريح أبدان الحيات ، وكنن الثيوس وصنن عرثها ،
وكنن جلد الكلب إذا أصابه مطر . وضروب من النتن في سوى ذلك ،
نحن ذاكروها إن شاء الله تعالى ، وقال روح بن زيناغ الجذامي ، في
امراته ، وضرب بالكلب المثل :

ريح الكرائم معروف له أريجٌ وريحها ريحٌ كلبٍ مسّه مطرٌ
قال : وكانت امرأة روح بن زيناغ أم جعفر بنت النعمان بن بشير ،
١٠٧ وكان عبد الملك زوجة إياها ، وقال : إنها جارية حسناء ، فاصبر على
بذاء لسانها .

وقال الآخر :

وريح تجروبٍ وريح جله وريح كلبٍ في غداة طله^(١)
وأنشد أبو زيد في ذلك :
كان ريحهم من خبث طعمتهم ريح الكلاب إذا مابلها المطر^(٢)
ومما ذكر به الكلب في أكله القذرة ، قول الراجز :
* أحرص من كلبٍ على عقي صبي^(٣) *
وقال مثل ذلك حنظلة بن عرادة [في ذكره] لابنه السرندى .

(١) ط « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط « إذا مامسها مطر » .

(٣) ط « عقي » والصواب بالالف كما في ل . والعقي بالكسر : ما يخرج من

بطن الولد حين يولد .

مَا لَسَرْتَنِي أَطَالَ اللَّهُ أَمَّتَهُ خَلَّى أَبَاهُ بَقَرِ الْبَيْدِ وَأَدْبَلَا^(١)
مَجْعٌ خَبِيثٌ يَطْلِي الْكَلْبَ طُعْمَتَهُ وَإِنْ رَأَى غَفْلَةً مِنْ جَارِهِ وَجَلَا^(٢)
رَبَّتَهُ وَهُوَ مِثْلُ الْقَرْخِ أَضْرِبُهُ
وَالْكَلْبُ يَلْعَسُ مَنْ تَحْتَ اسْتِهِ الرَّجَا^(٣)

يقال للذي يخرج من بطن الصبي حين يخرج من بطن أمه عقى بكسر
العين، ويقال عقى الصبي يعق عقياً، فإذا شُدَّ بطنه للسَّم قيل قد صُرِبَ
ليسَن^(٤). والعقى وهو العقية النبية، وإيَّاه عقى ابنُ عمر حين قيل له:
هَلَّا بَايَعْتَ أَخَاكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ؟ فقال: إِنْ أَخِي وَضَعَ يَدَهُ فِي عَقِيَّةِ^(٥) ودعا
إِلَى الْبَيْعَةِ. إِنِّي لَا أَنْزَعُ يَدِي مِنْ جَمَاعَةٍ وَأَضْمُهَا فِي فِرْقَةٍ^(٦).

وفي الحديث للرفوع: «الراجعُ في هَيْبَتِهِ كَالرَّاجِعِ فِي قَيْتِهِ». وهذا
الثلث في الكلب.

ويقال: «أَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى جِنْفَةٍ». وقال بعضهم في الكلب:
الْحَيْفَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ الْفَرِيضِ، وَيَأْكُلُ الْقَذْرَةَ وَيَرْجِعُ فِي قَيْتِهِ،
وَيَشْغُرُ بَبُولِهِ فَيَصِيرُ فِي جَوْفٍ فِيهِ وَأَفْه، وَيَحْدَفُهُ تِلْقَاءَ^(٧) حَيْشُومِهِ.

(١) ط «بئر اليد».

(٢) ط «رج خبيث» وهو تحريف. والمجع بالكسر: الأحق، إذا جلس لم يكد
يرج من مكانه، والجاهل، وفيها: «جارة» وهو تصفيف.

(٣) ط «أعظمه» موضع «أصربه» وفي ل «أطلمه» وأثبت ما يقتضيه
كلام الجاحظ الآتي.

(٤) في الأصل «اشتد» موضع «شد» وهو تحريف. وفي ط: «ضرب»
مكان «قد صرب» وتصحيحه من ل.

(٥) ط «قَيْتَةٍ» وبذلك يفوت الاستقهاد. والصواب في ل.

(٦) ط «واضعا في فرقة».

(٧) ل «ويسدده».

وقال صاحب الكلب : إن كنتم إنما تستقطن الكلب^(١)
وتستفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفة أنن من العذرة ، والعذرة شر من
القيء ، والجيفة أحب إلى أشرف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط
الغريض الغض .

(ما كل السبع)

والأسد سيد السباع ، وهو يأكل الجيفة ، ولا يعرض لشرائع
الوحش واقتراس البهائم ، ولا للسائلة من الناس ، ما وجد في فريسته فضلة .
ويبدأ بعد شرب الدم فيقرب بطنه ويأكل ما فيه من الثنية والثقل^(٢)
والحشوة والزبل ، وهو يرجع في قيئه ، وعنه^(٣) ورث السنور ذلك .

(ما قيل في السبع من الأمثال)

وهو المضروب به المثل في النجدة والبسالة ، وفي شدة الإقدام^(٤)
١٠٨ والصولة ، فيقال : « ماهو إلا الأسد على برائه » « وهو أشد من الأسد »
« وهو أجراً من اتليت العادى » « وفلان أسد البلاد » « وهو الأسد
الأسود^(٥) » « وقيل لحمة بن عبد المطلب أسد الله . فكفأك من نبل الأسد
أنه اشتق لحمة بن عبد المطلب من اسمه . ويقال للهلك أصيد إذا أرادوا

(١) ط « تستقطن » وهو تصحيف .

(٢) ط « القيئة والثقل » وهو تحريف ما في ل .

(٣) ط « وعند » وتصحيحه من ل .

(٤) ط « وهو في شدة الإقدام » وكلة « هو » مفحمة .

(٥) ط « الأسود » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أَنْ يَصِفُوهُ بِالْكَبِيرِ وَبِقِلَّةِ الْإِنْفَاتِ ، وَبَأَنَّ أَتَهَ فِيهِ أَسْلُوبٌ ^(١) وَلِأَنَّ الْأَسَدَ
يَلْتَفِتُ مَعًا لِأَنَّ عُنُقَهُ مِنْ عَظْمٍ وَاحِدٍ . وَقَالَ حَاتِمٌ ^(٢) :
هَلَّا إِذَا مَطَرَ السَّهَاءُ عَلَيْكُمْ ^(٣) وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الْأَصِيدِ
وَقَالَ الْآخَرُ :

يُذَوِّدُونَ كَلْبًا بِالرِّمَاحِ وَطَيْئًا وَتَغْلِبَ وَالصَّيْدَ النَّوَظَرَ مِنْ بَكَرٍ
وَقَالَ الْآخَرُ :

وَكَمْ لِي بِهَا مِنْ أَبٍ أَصِيدٍ نَمَاهُ أَبٌ مَاجِدٌ أَصِيدٌ ^(٤)
وَبَعْدُ فَإِنَّ الذِّى يَأْكُلُ الْحَيْفَةَ لَمْ يَمُدَّ مِنْ طَبْعٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ
مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْتَهَى اللَّحْمَ الْغَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَهَى النَّمْسُودَ .
وَلَيْسَ بَيْنَ النَّمْسُودِ وَبَيْنَ الْمَلُوبِ الْيَابِسِ كَبِيرُ فَرْقٍ وَإِنَّمَا يَذْهَبُونَ
الذِّبْكَةَ وَالْبَطَّ وَالْذَّجَاجَ وَالشَّرَاجَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، لِيَسْتَخْرِجَ لَحْيَهَا ،
وَذَلِكَ أَوَّلُ التَّجِيفِ ^(٥) .

فَالْأَسَدُ أَجْمَعُ هَذِهِ الْخِصَالِ مِنَ الْكَلْبِ ، فَهَلَّا ذَكَرْتُمْ بِذَلِكَ الْأَسَدَ
وَهُوَ أَنَبَهُ ذِكْرًا وَأَبْعَدُ صَيْتًا .

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ نَنَنِ الْحِلْدِ وَمِنْ اسْتِنْشَاقِ الْبُولِ ، فَإِنَّ اللَّتَيْسَ فِي
ذَلِكَ مَا لَيْسَ لِلْكَلْبِ ، وَقَدْ شَارَكَهُ فِي الْحَذْفِ بِبَوْلِهِ تِلْقَاءَ أَتَهَ ، وَبَابِنَهُ
بَشْدَةِ الشَّنَانِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ بِهِ أَكْثَرُ ذِكْرًا . وَفِي الْعَزَايِضِ عَيُوبٌ .

(١) ل « وَأَنَّ أَتَهَ أَسْلُوبٌ » ط « ... فِي أَسْلُوبٍ » وَسَوِيَتْ الْعِبَارَةُ كَمَا تَرَى .
وَالْأَسْلُوبُ : الشُّوْخُ فِي الْأَنْفِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « أَبُو حَاتِمٍ » وَإِنَّمَا هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي ، وَالْبَيْتُ مِنْ آيَاتِ سِتَّةٍ لَهَا خَبَرٌ
فِي آخِرِ دِيَوَانِهِ بِخَمْسَةِ دَوَائِرٍ مِنَ الرَّبِّ ١٢٨ .

(٣) ط « مَطَرَتْ سَمَاوُكُمْ بِهَا » وَفِي الدِّيَوَانِ :

* هَا إِنَّمَا مَطَرَتْ سَمَاوُكُمْ دَمَا *

(٤) ط « نَمَاهُ لِمَجْدِ أَبٍ أَصِيدٍ » .

(٥) ل « التَّجِيفُ » .

وفى توجيه التيس بيوله إلى حاقٍ حَيْشُومَه قال الشاعرُ لبعض
من يهْجُوهُ :

دُعِيتَ يَرْيِدَكَى تَرْيِدَ فلم تَرِدْ فَعَادَ لَكَ الْمُسْمَى فَأَتَمَّكَ بِالْقَحْرِ^(١)
وما الْقَحْرُ إِلَّا التَّيسُ يَعْتِكَ بَوْلُهُ عَلَيْهِ فِيمَذَى فِي لَبَانٍ وَفَى نَحْرِ^(٢)
وقال آخر فى مثل ذلك :

أَعْمَانَ بْنَ حَيَّانَ ابْنَ لُؤْمٍ عَتُوْدٌ فِى مَفَارِقِهِ يَبُولُ
وَلَوْ أَنَّى أَشَاهُهُ لَشَالَتُ نَعَامَتَهُ وَيَفْهَمُ مَا يَقُولُ

١٠٩ وبعد فما يُعْلَمُ مَنْ صَنِيعِ الْعِزِّ^(٣) فِى لَبْنَاهُ وَفِى الْارْتِضَاعِ مَنْ خَطَفَهَا
إِلَّا أَقْبَحَ .

وقال ابن أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ فى ذلك :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنَى سَهْمٍ وَجَاهِلِهِمْ كَالْعِزِّ نَعِيفٌ رَوْقِيهَا وَتَرْتَضِعُ^(٤)
وقلم : هَجَا ابْنُ غَادِيَةِ السُّلَمَى^(٥) بَعْضَ الْكِرَامِ ، حِينَ غُرِلَ عَنْ
يَنْبَغِ فَقَالَ لِمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا غُرِلَ لِمَكَانِهِ :

رَكِبُوكُ مُرْتَحَلًا فَظَهَرُوكَ مِنْهُمْ دَبْرُ الْحِرَافِ وَالْقَقَارِ مَوْقِعُ
كَالْكَلْبِ يَنْبَغُ خَافِقِيهِ وَيَنْتَحَى نَحْوَ الَّذِينَ بِهِمْ يَعْزُّ وَيَنْعَمُ

(١) ط « بالقهر » وهو تصحيف ما فى ل ، والقهر أصل معناه البعير المنز .

(٢) ط « القجر » موضع « القجر » و « يعتل » مكان « يبتك » . يقال
عتك عليه يضربه أى لم ينهه عنه شيء ... وفى ل : « وعنى فى اللبان
وفى النحر » .

(٣) ل « فما نعلم صنيع » .

(٤) ط « وجاهلهم » ل « وجاهلهم » وتصحيحه مما سيأتى فى هذا الجزء ص ١٧٣
ومن عيون الأخبار ٢ : ٧٥ . والجمال : قطيع الإبل معه رعيته وأربابه .

(٥) ط : « السحبا » وفى ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هريرة النهري :

فما عادت لذي يمن رموسا ولا صرّت بفريقها ززارا
كعثر السوء تنطع من خلاها وترأّم من يحد لها الشفارا
وما نلّم الرجوع في الجرة ، وإعادة القرث إلى القم ليستقصى مضه
إلا أسمع^(١) وأقدّر من الرجوع في القيء . وقد اختار الله عز وجل تلك
الطبيعة للأنعام ، وجعل الناس ليسوا بشيء من اللحمان أشدّ أكلا
ولا أشدّ عجباً به منكم^(٢) ، ولا أصحّ لأبدانهم ولا أغذى لهم من لحوم
هذه الأنعام أفلانها ومسأها .

وقال صاحب الديك : ما يشبه عود المشية في الجرة ، ورجوعها
في القرث تطحنه وتُسيفه ، الرجوع في القيء . وقد زعمت أنّ جرة البعير
أتن من قيء الكلاب لطول غبوبها^(٣) في الجوف ، وانقلابها إلى طباع
الزبل وأنها^(٤) أتن من التلطي . وإِنّما مثل الجرة مثل الرّيق الذي ذكره
ابن أحرّ فقال :

هذا الشناه وأجلد أن صاحبه وقد يدوم ريق الطائيع الأمل^(٥)
فإنّما مثل القيء مثل الصدرة ؛ لأنّ الرّيق الذي زعمت ، مادام في فم

(١) ط : « إلى السع » وهو تحريف ماقى ل .

(٢) وضعت كلمة (به) في ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط « غيوبها » والغيوب صحبة ، والأشبه « غيوبها » بالباء كما مضى قريبا
وكافى ل .

(٤) في ط « وأنه » وفي ل : « وأنها » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع
إلى الجرة .

(٥) ط « يصاحبه » و « يدوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٣٣ .

صاحبه ، ألت من السلوى ، وأمتع من النسيم ، وأحسن موقعا من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريق كذلك مالم يرايل موضعه ، ومبى زایل قم صاحبه إلى بعض جلده اشتد تنه وعاد في سبيل القي .

١١٠ فالريق والجيرة في سبيل واحد ، كما أن القي والعذرة في سبيل واحد . ولو أن الكلب قلّس حتى يمتلئ منه فله ، ثم رجع فيه من غير مباينة له ، لكان في ذلك أحق بالنظافة من الأنعام في جريتها ، وحشيتها وأهلها ، وإن الأرانب لتحيض حيضا تنبتا ، فما عاف لحمها أصحاب التقدر^(١) لشاركتها الأنعام في الجيرة .

فقال صاحب الكلب : أما ما عبتموه من أكل العذرة ، فإن ذلك عام في المشاية المتخير لحمها على اللثمان ؛ لأن الإبل والشيء^(٢) كلها جلالة وهن على يابس ما يخرج من الناس أحرص ؛ وعلى أنها إذا تعودت أكل ما قد جف ظاهره وداخله وطب ، رجع أمرها إلى ما عليه الكلب . ثم الدجاج لا ترضى بالعذرة ، وبما يبتقي من الحبوب التي لم يأت عليها الاستبراء والهضم ، حتى تلتئم السدان التي فيها فتجتمع نوعين من العذرة^(٣) لأنها إذا أكلت ديدان العذرة فقد أتت على النوعين جميعا . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكم^(٤) في هجائه الأنصار بخيث الطعام ،

(١) ط : « الفز » وهو الاشمزاز . والفقر من فقر الشيء : عده فقرا

(٢) في الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنف .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصاري فيقاومه ويتصنف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة في الأغاني ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكوفة وأسأ بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال ففهم أهلها ، وتظلموا منه فزله وطره . الأغاني ١٣ : ٣٢ .

فضرَبَ المثلَ بالدَّجَاجِ من بين جميع الحيوان، وتركَ ذِكرَ الكلابِ وهى له مُعرِّضة فقال :

وَلَا أَنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا نَحْبُثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ^(١)
ولو قال :

وَلَا أَنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا نَحْبُثِ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ
لَكَانَ الشَّرُّ صَحِيحًا مُرْضِيًا .

وعلى أَنَّ الكلابَ متى شَبِعَتْ ، لم تعرض للعدِّة ، والأنعامُ الجَلَالَةُ وكذلك الحافِرُ ، قد جعلت ذلك كالحَمَضِ إذا كانت لها خَلَّةٌ فهى مرَّةً تنغذَى به ومرَّةً تتحمض وقد جاء فى الحُومِ الجَلَالَةُ ماجاء .

(رغبة الملوك والأشراف فى الدجاج)

وملوكنَا وأهلُ العيشِ مِنَّا ، لا يرغبون فى شئٍ من اللِّحْمانِ رَغِبَهُمْ فى الدَّجَاجِ ، وهم يقدِّمونها على البطِّ والنواهضِ ، والقَبَجِ والدَّرَاجِ . نعم وعلى الجداءِ والأعنقِ الحَمِيرِ من بناتِ الصَّافِيَا . وهم يعرفون طبعها وسوءَ قُوَّتِهَا^(٢) ، وهم مع ذلك يَأْكُلُونِ الرَّوَاعِي كما يَأْكُلُونَ السَّمَنَاتِ .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيبُ ما فى الأتْهَارِ من السمك ، وأحْسَنُها قُدودًا وَخَرَطًا ، وأَسْبَطُهَا سَبُوطًا^(٣) ، وأَرْفَعُهَا ثَمَنًا وَأَكْثَرُهَا تَصَرُّفًا فى السَّالِحِ والطَّرَى ، وفى

(١) ل : « نَحْبُثِ » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ن : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبولة وسبوطا ،

الْقَرِيسِ وَالنَّشُوطِ الشَّبُوطِ^(١)، وليس في المساء سمكة رقيقة الذكر ولا ذاتُ خول، إلا وهي أحرصُ على أكلِ القَذِرَةِ منها، وإنَّها لأشدُّ طلباً لها من الخنزير في البرِّ، والجِرِّي في البحر.

(لحم الخنزير)

وقد علم الناسُ كيف استطابةُ أكلِ لحوم الخنازير، وأكلُ ١١١ الخنازير لها، وكيف كانت الأَكاسِرَةُ والقياصرةُ يقدِّمونها ويفضّلونها. ولولا التبعُّدُ الجَرِّي عندنا بحجراه عند غيرنا وقد علم الناسُ كيف استطابةُ أكلِ الجِرِّي لأذنانها^(٢).

(ما قيل في الجري)

وفي الجِرِّي قال أبو كَلْدَةَ: هو أدمُ السُّمَيَّانِ، وجيدٌ في الكَوْشَانِ^(٣) ودواءٌ للسكيتين^(٤)، وصالحٌ لوجع الظهرِ وعَجَبِ الدَّنبِ، وخِلَافٌ على اليهود، وغيظٌ على الروافضِ؛ وفي أكله إحياءٌ لبعض الشَّيْءِ، وإماتةٌ بعضِ البِدْعِ، ولم يُقَلَّحْ عليه مُكَبِّرٌ منه قطُّ، وهو محنةٌ بين المبتدع

(١) في القاموس: سمك قريس: طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جدد... وفي مبادئ اللغة ٧٤: «والقريس: لحم يطبخ بمخلٍّ ثم يبرد». وهي في ط «القريش» وفي ل: «القريس» وما كلتان عرقتان... وأما النشوط فهي كلمة ساقطة من ط. والنشوط: سمك يهر في ماء وملح.

(٢) في ط «لأذنانها عشا» وفي ل «لأذنانها عشا» وعشا وعشوا كلتان مقحمتان فأسقطتهما واللام في «لأذنانها» بمعنى إلى.

(٣) الكوشان: طعام لأهل عمان من الأرز والسمك.

(٤) ط: «في السكيتين» وهو تعريف.

والشئى ، هلك فيه فَنَتَّانِ^(١) مذُ كانت الدنيا ، محلَّلٌ ومحرَّم .

وقال أبو اسحق : هو قبيح المنظر ، عارى الجِلْدِ ، ناقصُ الدَّماعِ ،
يلتهم العذرة ويأكل الجرذان^(٢) [صاحبا والقار] ، وزَهْمٌ لا يُسْتَطَاعُ أَكْلُهُ
إِلَّا بِمَحْسُورٍ^(٣) ولا يتصرفُ تصرفُ السمك ، وقد وقع عليه اسم السخ ،
لا يطيب مملوحاً ولا ممتوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يختارُ مطبوخاً ، ويرعى
كلُّهُ إِلَّا ذَنْبَهُ^(٤) .

والأصناف التى تعرض للعذرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجَلَالَاتِ من
الأنعام والجريِّ والشَّبُوطِ من السمك . ويعرض لها من الطير الدجاجُ
والرَّحْمُ والمُهدَّاهِد .

(الأنوق وما سمي بهذا الاسم)

وقد بلغ من شهوة الرَّحْمَةِ لذلك ، أَنْ سَمَّوها الأنوق ، حتى سَمَّوا كُلَّ
شَيْءٍ من الحيوان يعرض للعذرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :
حَتَّى إِذَا أَنْجَمَى تَدَرَّجَى وَاکْتَحَلَ لَجَارَتِهِ ثُمَّ وَلَى فَنَلَّ
: * ذَرَقَ الْأَنْوَقَيْنِ الْقَرْنَبَى وَالْجُلَّ *

(١) ط : « فتیان » وليس بشئ .

(٢) ط : « يلتهم العذرة ويطلع الجرذان » .

(٣) محسواً ، من حسا يحس حسواً . والمعنى صنع منه الحساء ، وهى فى ط « محسوا »

وفى ل « محسوا » .

(٤) ل : « بكله إلا ذنبه » .

(ما قيل من الشعر في الجمل)

ولشدّة طلب الجمل لذلك قال الشاعر :

بَيْتٌ فِي مَجْلِسِ الْأَقْوَامِ يَرْتَوُّمُ كَأَنَّهُ شُرْطَى بَاتَ فِي حَرَسِ
وكذلك قال الآخر^(١) :

إِذَا أَتَوْهُ بِطَعَامٍ وَأَكَلَهُ^(٢) بَاتَ يَسْتَشِي وَخَدَهُ الْفَتَى جُمْلُ
هذا البيت يدلُّ على عِظَمِ مقدار النَجْوِ ، فهجاء بذلك وعلى أَنَّ
الجمل يقتات البُرَّاز .

وفي مثل ذلك يقول ابن عَبْدَل - إِنْ كَانَ قَالَهُ - وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا
لَأَنَّ الشَّعْرَ يَرْتَفِعُ عَنْهُ .

والشعر قوله :

نِعَمَ جَارُ الْخَنْزِيرَةِ الرُّضْعُ الْفَرُّ نِي إِذَا مَاغِدَا أَبُو كَلْتُومِ^(٣)
ثَاوِيًا قَدْ أَصَابَ عِنْدَ صَدِيقِي مِنْ تَرِيدٍ مَلْبَقٍ مَأْدُومِ^(٤)
ثُمَّ أَنَحَى بِجَعْرِهِ حَاجِبَ الشَّمْسِ سِ قَالَتِي كَالْمَلَفِ الْمَهْدُومِ^(٥)
بِضَرْبٍ تَرَى الْخَنْزِيرَ مِنْهُ عَامِدَاتٍ لَتَلَّهُ الْمَرْكُومِ

وَقَالَ الرَّاجِزُ [فِي مِثْلِ ذَلِكَ] ١١٢

قَدْ دَقَّقَهُ ثَارِدُهُ وَصَوَّمَعَا^(٦) ثُمَّتَ أَلْبَانَ الْبَحَاثِي جَنْجَعَا

(١) ط « وَلَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ سَاقِطٌ مِنْ ل .

(٣) ط : « نَمَ جَارُ الْخَنْزِيرَةِ الرُّضْعُ الْفَرُّ » وَتَصَحِيحُهُ مِنْ ل وَهِيَ
الْبَيَانُ ٣ : ١٧٧ .

(٤) تَرِيدٌ مَلْبَقٌ : مَلِينٌ بِالدَّسَمِ .

(٥) ط « ثُمَّ أَنَحَى بِجَعْرِهِ » وَهُوَ عَلَى الصَّوَابِ فِي ل وَالْيَاثِ .

(٦) مَا « فَرْدَقَةٌ ثَارِدَةٌ » وَهُوَ تَصْغِيرُ مَا فِي ل . فِي الْقَامُوسِ : تَرِيدَةٌ مَعْصُومَةٌ :
مَدَقَّةُ الرَّأْسِ .

جَمْعَةُ الْعَوْدِ ابْتَقَى أَنْ يَنْجَمَا^(١) نُمْتُ خَوْى بَارِكًا وَاسْتَرْجَمَا

* عَنْ جَاهِمٍ يُحْسِبُ كَلْبًا أَهْمًا^(٢) *

وفي طلب الجمل للزُّبُلِ قَالَ الرَّاجِزُ (وهو أبو النضن الأسدي) :

مَاذَا تُلَاقَى طَلَحَاتُ الْحَرْجَةِ مِنْ كُلِّ ذَاتٍ مُخْنَقٍ عَمَلَجَةٍ^(٣)

ظَلَّ لَهَا يَنْ الْحَلَالُ أَرْجَهَ^(٤) مِنَ الصُّرَاطِ وَالْقُسَاءِ السَّمَجَةِ^(٥)

فَجِئَهَا قَاعِدَةً مَنْشَجَةً^(٦) تَعْطِيهِ عَنْهَا جُعَلًا مُدَحَّرَجَةً

وَقَالَ يَحْيَى الْأَعْرَجُ : تقول العرب « سَدِكَ بِهِ جُعَلُهُ »^(٧) . وقال الشاعر :

إِذَا أُتِيتُ سُلَيْمَى شَبَّ لِي جُعْلٌ إِنَّ الشَّقَى الَّذِي يُغْرَى بِهِ الْجُعْلُ

يضرب هذا المثل للرجل إذا لصق به من يكره ، وإذا كان لايزال

يراه [وهو] يهرب منه .

قال يحيى : وكان أصله ملازمة الجمل لمن بات في الصحراء ، فكلكا قام

لحاجة تبعه ؛ لأنه عنده أنه يريد الغائط .

(القرنى)

وفي القرنى يقول ابن مقبل :

(١) ط : « جمعة العواء تبنى تنجما » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .

(٢) في الفاموس : « البقع محرقة في الطير والكلاب كاللحق في الدواب » وفيه :

« اللق : سواد وبياض » وفي ل « كبتا أهما » والوجه ما أثبت من ط .

(٣) ط : « مخنق » ولا معنى له وصوابه في ل . والبختى : خرقه تنقع بها الجارية .

(٤) ل : « ين الحبال »

(٥) ل : « السهجة » .

(٦) ل « مقسمة » .

(٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هي سدك - بمعنى لزم - كما في ل . وفي

الأشغال : « ألصق من جعل » .

ولا أطرق الجارات بالليل قابلاً
والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقرني دويبة فوق الخنفساء ودون
الجمل ، وهو والجمل يتبعان الرجل إلى العائط .

(المهدد وخبث ربحه)

ومن الطير الذي يُصارع الرَّحمة في ذلك المهدد ، متنُّ البدن وإن لم
تجدّه ملطخاً بشيء من القذرة ؛ لأنه يني بيته ويصنع أُفوصه من
الزُّبل ، وليس اقتيانه منه إلا على قدر رغبته وحاجته في ألا يتخذ بيتاً
ولا أُفوصاً إلا منه ، فخامره [ذلك] النتن فلتق بيذه وجري في
أعراق أبيه ، إذ كان هذا الصنيع عامّاً في جنسه (١) .

وتعثرى هذه الشّهوة الدّبان ، حتّى إنها لو رأتُ عسلاً وقذراً ،
لكانت إلى القدر أسرع وقال الشاعر (٢) :

فَقَدْ خَلَفَ وَجْهَهُ قَدْ أَطِيلَ كَانَهُ قُضَامَاكَ يُقْصِي الْمُمُومَ عَلَى ثَبِقِ (١)
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذُبَابٍ عَلَى خِرَا (٢) وَأَجْمَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقِ (٣)
وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الزُّنْبُورَ لِهَجْجٍ بِصِيدِ الدَّبَّانِ ، وَلَا يَكَادُ يَصِيدُهُ (٤) إِلَّا

(١) ط : « عاجره » وأثبت ماقي ل .

(٢) ط : « إذ كان هذا الضبع عاماً في جنبه » وهو تحريف ماقي ل .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتي وكما في البيان ٣ : ٢٠٠ وعبون
الأخبار ١ : ٢٧٣ والشعر في هجاء جعفر بن يحيى البرمكي .

(٤) ل : « يتق » .

(٥) ل : « خر » .

(٦) الرق بالفتح : العظم بنحوه . فإذا أكل لحمه فراق - كفراب - أو
كلامها لكليهما .

(٧) ط : « يصيد » والوجه ماقي ل .

وهو ساقط على عذرة لقرط شَمُونَه لها [ولاستفراغها] فيعرف الزُّنبور ١١٣
ذلك ، فيجعل غَفَلَتَه فُرْصَةً ونُهْرَةً . قالوا : وإِنَّمَا قلنا ذلك لأنَّا لم نَحِدهُ
برومُ صيده وهو ساقطٌ على ثمرَةٍ ، فما دونها في الخلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشمعق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جَاءَكُمُ الْأَحْمَقُ رَأْسُ الْأَتْنَانِ وَالْقَدْرَه
وَابْنُ عَمِّ الْحَارِ فِي صُورَةِ الْفَيْسَلِ وَخَالُ الْجَامُوسِ وَالْبَقْرَه
يَمْشِي رَوِيدًا يَرِيدُ خَلَقْتُمْ كَشَى خِزِيرَةً إِلَى عَدْرِهِ^(١)
وَقَالَ حَمَّادُ عَجْرَدٍ فِي بَشَّارِ بْنِ بَرْزٍ الْعُقَيْلِي .

مَاصُورَ اللَّهِ شِبْهًا لَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ صُورًا
أَشْبَهَ بِالْخِزِيرِ وَجْهًا وَلَا بِالْكَلْبِ أَعْرَاقًا وَلَا مَكْسِرًا^(٢)
وَلَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِثْلَهُ أَنْجَسَ أَوْ أَطْفَسَ أَوْ أَقْدَرًا^(٣)
لَوْ طُلِيتْ جِلْدَتُهُ عَنَبْرًا لَنَفَتْ جِلْدَتُهُ الْعَنَبْرَا
أَوْ طُلِيتْ مِسْكًَا ذَكِيًّا إِذْنُ تَحَوَّلَ الْمِسْكُ عَلَيْهِ خِرًا
وَقَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي هِجَاءِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ :
إِذَا مَا مَدَحْتَ فَقَيَّ مِنْ خِرَا أَلَيْسَ جَزَأِي أَنْ أُعْطَى الْخِرَا^(٤)
وَقَالَ أَعْرَاقِي يَهْجُو رَجُلًا يُقَالُ لَهُ جُلُودُ بْنُ أَوْسٍ ، كَانَ مُتَنِّ الْعَرَقِ :

(١) ط « يريد خلقتكم مشى » والوجه مافى ل .

(٢) المكسر - كنزل - : الأصل والخير .

(٣) الطفس بالتحريك : قدر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطفس كقدر وزنا ومعنى .

(٤) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفى ط : « اعطى الخرا » .

إِنِّي إِذَا مَا عَارَضِي تَأَلَّمَا^(١) وَرَعَدَتْ حَافَتُهُ وَبَرَقَا
أَهْلَكْتُ جُلُودَ بَنِ أَوْسٍ غَرَقَا كَلَبَ لِحْمَاءَ فَصَارَ أَحْمَقَا
* أَخْبَثُ شَيْءٌ عَرَقَا وَخَرَقَا^(٢) *

وَقَالَ حَمَّادٌ عَجْرَدٌ فِي بَشَارٍ :

يَا بَنُ بُرْدٍ اخْسَأْ إِلَيْكَ فَتَلُ الْكَلْبُ فِي الْخَلْقِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ^(٣)
بَلْ لَمَعَرَى لَأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْكَلْبِ وَأَوْلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَكَرِيمٍ الْخِزِيرِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِكَ يَا بَنُ الطَّيَّانِ ذِي التَّبَّانِ
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرٍ :

١١٤ غَزَا ابْنُ عَمِيرٍ غَزْوَةً تَرَكْتُ لَهُ ثَنَاءَ كَرِيحِ الْجَوْرِبِ لِلتَّخَرُّقِ
وَقَالَ حَمَّادٌ عَجْرَدٌ فِي بَشَارٍ^(٤) :

قُلْ لِسَقِي الْجَدِّ فِي رَمْسِهِ وَمَنْ يَفِرُّ النَّاسُ مِنْ رِجْسِهِ^(٥)
لِلْفَرْدِ بَشَارِ بْنِ بُرْدٍ وَلَا تَحْفَلِ بِرِغْمِ الْقَرْدِ أَوْ تَعْسِهِ^(٦)
لِلْقَرْدِ بِاللَّيْثِ اغْتَرَارُ بِهِ قَا الَّذِي أَدْنَاكَ مِنْ مَسِّهِ^(٧)
يَا بَنَ اسْتَهَا فَاصْبِرْ عَلَى ضَغْمَةٍ بَنَابِهِ يَاقِرْدُ أَوْ ضَرْسِهِ
نَهَارُهُ أَخْبَثُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبَثُ مِنْ أَمْسِهِ

(١) ط « إِذَا عَارَضِي تَأَلَّمَا » .

(٢) ط : « أَحْرَقَا وَعَرَقَا » .

(٣) في ط تصان كلمة (إِلَيْكَ) وبذلك يخل البيت . والشعر من الحثيف لحقه التشبیه في البيت الأول والثالث .

(٤) الشعر في أمالي المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التمهيد ١ : ١٠٠ .

(٥) ل : « . . . في رمسه وأمه الشلالة الرجعة » وهو تحريف .

(٦) ط : « نَحْه » ولعلها « نَحْه » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « مَا لَذِي أَدْنَاكَ » .

وليس بالقلع عن عَيْهِ^(١) حتى يُدَلَّى القِرْدُ في رَمْسِهِ
ماخلق الله شيئاً له من جِنَّه طُرّاً ومن إنْسِه
والله ما الخنزيرُ في نَفْنِه من رُبْعِه بالشُّرّ أو حُجْسِه
بل ريحُه أطيبُ من ريحِه ومُسّه أَلْيَنُ من مَسِه
ووجهُه أحسنُ من وجهِه ونفسُه أَتَبَلُ من نفسِه
وعوده أكرمُ من عودِه^(٢) وجنسُه أكرمُ من جنسِه
وأنا حفظك الله تعالى أستظرف وضعه الخنزيرَ بهذا المكان وفي هذا
الموضع ، حين يقول : وعوده أكرمُ من عودِه .

وأئى عودٍ للخنزير^(٣) ؟ ! فَبِحَهِ اللهُ تعالى [وقبح من يشتمى أكله] .
وقال حمّادٌ عمرد في بشار بن بُرد :

إِنَّا بَنُ بُرْدٍ رَأَى رُؤْيَا فَأَوْهَكَ^(٤) بِلَا مَشُورَةٍ إِنْسَانٍ وَلَا أَثَرِ
رَأَى الْعَمَى نِعْمَةً اللَّهُ سَابِقَةً عَلَيْهِ، إِذْ كَانَ مَكْفُوفًا عَنِ النَّظَرِ
وَقَالَ: لَوْلَمْ أَكُنْ أَعْمَى لَكُنْتُ كَمَا قَدْ كَانَ بُرْدٌ أَيْ فِي الضِّيقِ وَالْعُسْرِ
أَكْذُ نَفْسٍ بِالتَّطْيِينِ مَجْتَهِدًا إِمَّا أَجِيرًا وَإِمَّا غَيْرَ مُؤَجَّجِرٍ
أَوْ كُنْتُ إِنْ أَنَا لَمْ أَقْنَعْ بِفَعْلٍ أَيْ قَصَّابَ شَاءَ شَقَّ الْجَدِّ أَوْ بَقَرٍ
كَإِخْوَتِي دَائِبًا أَشَقَى شَقَاءَهُمْ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْإِدْلَاجِ وَالْبُكَرِ
قَدْ كَفَانِي الْعَمَى مِنْ كُلِّ مَكْسَبَةٍ وَالرِّزْقُ يَأْتِي بِأَسْبَابٍ مِنَ الْقَدَرِ^(٥)

(١) كُنَّا فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ . وَفِي ط : « غِيْلَه » وَ ل : « فِلَه » .

(٢) ط : « أَحْسَنَ » وَارْتَضَيْتُ مَا لِي وَمَعَاهِدِ التَّنْصِيسِ .

(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم . ووضع الكلام بهذه الصورة من تلاعب النسخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، معتمداً ما ل .

(٤) ل : « فَقَالَ بِهَا » .

(٥) ط : « بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْقَدَرِ » .

١١٥ فصرْتُ ذَا نَسَبٍ مِنْ غَيْرِ مَا طَلَبَ .
 أَضْمُ شَيْئًا إِلَى شَيْءٍ فَأَذْخِرُهُ (١)
 مَنْ كَانَ يَعْرِفُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ زَمِينًا
 قُلْ لَهُ لَاهِدَاهُ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ
 لَقَدْ فَطِنْتَ إِلَى شَيْءٍ تَعِيشُ بِهِ
 يَا ابْنَ التِّي نَشَرْتَ عَنْ شَيْخٍ صَبِيهَا
 أَمَا يَكْفُكَ عَنْ شَتْمِي وَمَنْعَتِي
 تَقْتَكِ عَنْهَا عُقِيلٌ وَهِيَ صَادِقَةٌ
 يَاعْبَدُ أُمَّ الظُّبَاءِ الْمُسْتَطَبِّ بِهَا
 بِلِأَنْتِ كَالْكَلْبِ ذُلًّا وَأَذْلًا وَفِي
 وَأَنْتِ كَالْقَرْدِ فِي تَسْوِيهِ مَنْظَرِهِ
 وَوَصَفِ ابْنَ أَبِي كَرِيمَةٍ حُسْنًا لَهُ ، كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَأَذُّونَ بِرِيحِهِ فَقَالَ :
 وَلِي كَنِيفٌ بِمَحْمَدٍ اللَّهُ يَطْرُقُنِي أَرْوَاحُ وَارِي خِيَالٍ غَيْرَ فِتَارٍ (٢)

(١) ط : « إِلَّا بَسَّأَلْنِي إِذْ كُنْتُ فِي صَفَرٍ » وهو تحريف .

(٢) « فَأَحْرَزَهُ » .

(٣) المرة بالفتح : الخلة النجاسة . في ط : « لَاهِدَاهُ اللَّهُ » .

(٤) ط : « لَأَقْد » وهو تحريف ، وفيها « قَدُوْقَتْ فِي النَّظَرِ » .

(٥) ط : « عَنْ شَيْخٍ مَبِيْهَا لِأَبِيْمَانِ بْنِ » وهو تحريف .

(٦) كَذَا فِي ل . وَفِي ط « ذَفَر » بِالْقَالِ . وَهِيَ بِمَعْنَى . فِي أَدَبِ السَّكَاةِ ١٥٧ :

« الذَّفَرُ : شِدَّةُ رِيحِ الْفَيْ . الطَّيِّبِ وَالْفَيْ : الْحَيْثُ » .

(٧) ط : « فَسَلْ أَسِيدًا وَفَاسَأَلْ » .

(٨) البعر ، ساكنة العين : الشاة أو الجدي يشد عند ذية الذئب أو الأسد . ومن

أَمْثَالِهِمْ : هُوَ أَذْلُ مِنَ الْبَعْرِ . وَقَدْ جَاءَ مُحَرَّكَ فِي هَذَا الشَّعْرِ . وَفِي ط :

« وَفِي تَذَالَةِ النَّسْ وَالْحَنْزِيرِ وَالتَّر » .

(٩) كَذَا .. وَفِي ل : « وَادِي خِيَالٍ » وَفِي س « وَادِي خِيَالٍ » وَفِي م

« وَادِ خِيَالٍ » .

له بدائعُ تَنْ لیس بِعَرِضِهَا^(١) من التَّريَّةِ إِلَّا حَازِنُ النَّارِ
إِذَا أَنَا دَخِيلٌ^(٢) زَادَنِي بِدَعَا كَأَنَّهُ لَمِجَّ عَمْدًا بِأَضْرَارِي
قَدْ اجْتَوَانِي لَهُ الْخِلَافُ كُلُّهُمْ وَبَاعَ مَسْكَنَهُ مِنْ قُرْبِهِ جَارِي
فَمِنْ أَرَادَ مِنَ الْبِرْسَامِ أَقْلَهُ أَوْ الشُّدَاعِ فَمَرَهُ يَدْخُلُنْ دَارِي
اسْتَكْتَفَ النَّعْنَ فِي أَنِّي لَكُنْتُهُ فَلَيْسَ يَوْجِدُنِيهِ غَيْرُ إِضْهَارِي^(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول^(٤) : وبلك ، ما حفظت بيتَ شعرٍ قط ؟ فقال : بيتاً
واحداً اشتبهت به حفظته . فقيل له : فهاثه . فقال : أما إني^(٥) لأحفظُ إِلَّا بيتاً
واحداً . قيل . فكيف رزق منك هذا البيت ، فَأَنْشُدْهُ . فَأَنْشَدَهُم :
كَأَنَّمَا نَكَلَهُمَا مِدَّةً تَسِيلُ مِنْ خَطِّهِ مَجْدُومٍ
وزعم أصحابنا أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي سَعْدٍ - وَكَانَ أَتَى النَّاسَ إِبْطًا - بَلَّغَهُ أَنَّ
نَاسًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ يَتَحَدَّثُونَ بِرَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَضَى إِلَيْهِمْ شَدًّا فَوَافَاهُمْ ، ١١٦
وَقَدْ أَرَبَدَ^(٦) إِبْطَاهُ وَهُوَ يَقُولُ :
أَقْبَلْتُ مِنْ جَلْهَةٍ نَاعَتِينَا^(٧) بِذِي حُطَاطٍ يُعْطِشُ الْجَنُونَا^(٨)

- (١) كَذَا فِي ط : وَفِي ل : « يَجْزِيهَا » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .
- (٢) ط : « بِجِيلٍ مَوْضِع » « دَخِيل » .
- (٣) يَوْجِدُنِيهِ : يَجْمَلُنِي أَشْعَرُ يَوْجُودِهِ . وَفِي ط « يَوْجِدُنِيهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- (٤) رَوَى الْمُبَاحِظُ خَبْرًا لَهُ فِي الْبَيَانِ ٣ : ٢٢٦ .. وَفِي الْبَيَانِ ٩٩ مَا يُفِيدُ أَنَّ الْمَحْلُولَ مَوْلَى لِمَامِ بْنِ جَعْفَرٍ .
- (٥) فِي الْأَصْلِ « أَمَا أَنَا » .
- (٦) ط : « زَيْد » .
- (٧) فِي مَعْنَى الْبُلْدَانِ وَالْقَامُوسِ أَنَّ « نَاعَتَيْنِ » مَوْضِعٌ وَلَمْ يَبَيِّنْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا .. وَفِي ط « بَاعَتَيْنَا » مُحَرَّفَةٌ .
- (٨) الْحُطَاطُ بِالضَّمِّ : الرَّائِحَةُ الْحَيْثِيَّةُ . وَالْجَنُونُ : الزُّكُومُ وَأَصْلُهُ مِنَ الْخَنَانِ فِي الْإِبِلِ . وَهُوَ لَهَا كَالزُّكُومِ لِلنَّاسِ .. وَفِي ط « بِذِي حُضِيضٍ يُعْطِشُ الْجَنُونَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

بَرَّوِي لَهُ مِنْ تَنْتِه ^(١) الْجَبِينَا حَقِّي تَرَى لَوَجْهِهِ غُصُونَا
* نُبْتُ عَبْدَ الْقَيْسِ يَأْبِطُونَا *

قال : وَمَتَّحَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى يَثْرٍ وَهُوَ يَقُولُ :
يَا رِيَّهَا إِذَا بَدَا صُنَانِي كَأَنِّي جَانِي عُيَيْتُرَانِ ^(٢)
وقال آخر :

كَأَنَّ إِبْطِيَّ وَقَدْ طَالَ لِلدَى نَفْحَةُ خُرْعَمِنْ كَوَامِيخِ الْقَرَى ^(٣)
ويقال إنه ليس في الأرض رائحة أتنُّ ، ولا أشدُّ على النفس ،
من بَحْرِ فَمِهِ أَوْ تَنْنِ حِرٍ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ رَائِحَةُ أَعَصَمُ لِرُوحِهِ مِنْ
رَائِحَةِ التَّفَاحِ .

وقال صاحب الكلب : فَمَا نَرَى النَّاسَ يَمَافُونَ تَسْمِيدَ بَقْوِهِمْ قَبْلَ
نُجُومِهَا وَتَقْتَنِي بَرُورِهَا ^(٤) وَلَا بَعْدَ انْتِشَارِ وَرَقِهَا وَظُهُورِ مَوْضِعِ اللَّبِّ مِنْهَا
حَتَّى رَجَمًا ذَرُّوْا عَلَيْهَا السَّمَادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيْهَا الْمَاءُ حَتَّى يَشْرَبَ
اللَّبُّ ^(٥) قُوَى الْعَذِرَةِ ، بَلْ مِنْ لَهِمْ بِالْعَذِرَةِ ؟ ! وَعَلَى أَنَّهُمْ مَا يَصِيبُونَهَا
إِلَّا مَغْشُوشَةٌ مُفْسَدَةٌ . وَكَذَلِكَ صَنِيعُهُمْ فِي الرِّيحَانِ . فَأَمَّا النَّخْلُ
فَلَوْ اسْتَطَاعُوا ^(٦) أَنْ يَطْلُؤُوا بِهَا الْأَجْدَاعَ طَلِيًّا ^(٧) لَفَعَلُوا . وَإِنَّهُمْ لَيُوقِدُونَ بِهَا

(١) ط : « مِنْ شِمِهِ » .

(٢) العيتران . قال ابن سيده : « هُوَ مِنْ رِيحَانِ الْبَرِّ طِيبِ الرِّيحِ ، قَرِيبُ الشَّيْبِ مِنْ الْقَيْصُومِ وَنُورُهُ مِثْلُ نُورِهِ وَهُوَ أَطْيَبُ مِنْهُ ... وَقِيلَ هُوَ أَغْبَرُ شَيْبَةٍ بِالْقَيْصُومِ إِلَّا أَنْ لَهُ شِمَارًا مِثْلَ ، عَلَيْهِ تَوْرٌ أَصْفَرُ شَيْبَةٍ بَالِدِي يَكُونُ فِي وَسْطِ الْأَصْحَوَانِ . وَبُوضِعَ فِي الْمَجَالِسِ مَعَ الْفَاقِيَةِ فَلَا يَفُوقُهُ رِيحَانٌ » . وَهِيَ فِي ط : « عُيَيْتُرَانِ » مَحْرَفَةٌ .

(٣) النَفْحَةُ : النَفْخَةُ .. وَهِيَ فِي ط « لَفْحَةُ » وَانْظُرْ عَيْنَ الْأَخْبَارِ ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بِنُورِهَا » بِالنَّالِ وَهِيَ بِمَعْنَى .

(٥) ط : « يَشْرَبُ مَوْضِعَ اللَّبِّ » وَ« مَوْضِعٌ » مَقْعَةٌ .

(٦) ط : « اسْتَطَالُوا » وَهُوَ تَحْرِيفُ مَا فِي ل .

(٧) ط : « طَلَبُوا » وَهُوَ تَحْرِيفُ ظَاهِرٍ .

الحَمَامَاتِ وَأَتَاتِينَ اللَّيْلِ^(١) ، وتناير الخبز . ومن أكرم سَدام الأَبَارُ كُلُّهَا والأَخْثَا إِذَا جَفَّتْ . وما يَنْ التَّلَطُّ جَافًا والخَاءُ يَابِسًا ، وبين القِدْرَةِ جَافَةً وَيَابِسَةً فَرَقَ . وعلى أَنَّهُمْ بِالعِدْرَةِ وَبَحْرُءِ الكَلْبِ ، من الذَّبْحَةِ والخَانُوقِ^(٢) في أَقْصَى مَوَاضِعِ التَّفَرُّزِ^(٣) وهو أَقْصَى الحَلْقِ ، ومَوَاضِعِ اللِّهَاءِ^(٤) ، وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِ الشَّوْكَةِ ، وبِالعُجُوفِ بِهَا عُيُونَ الدَّوَابِّ .

(أَقْوَالُ لِمَسِيحِ الْكَنَّاسِ)

وقال مسيح^(٥) الكناس : إِنَّمَا اسْتَقْبَحْتُ الْخَيْرَ مِنَ الْخَرِّ . والخَرُّ فِي النُّوْمِ خَيْرٌ . وَسَلَحَةُ مُدْرِكَةِ الدُّنْيَا مِنْ كَوْمِ الْعُرُوسِ لَيْلَةَ الْعُرْسِ . ولقد دخلتُ على بَعْضِ الملوكِ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ ، وَإِذَا بِهِ قُعَاصُ وَزُكَّامٌ وَثِقَلُ رَأْسٍ ، وَإِذَا ذَلِكَ قَدْ طَاوَلَهُ ، وَقَدْ كَانَ بُلَغَى أَنَّهُ كَانَ هَجَرَ الْجُلُوسِ عَلَى الْقَعْدَةِ وَإِتْيَانِ الْخَلَاءِ ، فَأَمَرْتُهُ بِالْعُودِ إِلَى عَادَتِهِ ، فَمَا مَرَّتْ بِهِ أَيَّامٌ حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ^(٦) عَنْهُ . وزعم أن الدنيا مُنْتَنَةٌ الْحَيْطَانِ وَالتُّرْبَةِ ، وَالْأَنْهَارِ وَالْأَوْدِيَةِ ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَرِمُوا ذَلِكَ لَفَنَ الْحَيْطِ بِهِمْ ، وَقَدْ مَحَقَّ حِسْمُهُمْ لَهُ طَوْلُ مُكْتَبِهِ ١١٧ فِي خِيَاشِمِهِمْ . قال : فَمِنْ أَرْتَابِ بَحْرِي ، فَلْيَقِفْ فِي الرَّدِّ إِلَى أَنْ يَمْتَحِنَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجُ إِلَى الدُّنْيَا ، عَنْ يَدَيْ مَطْيَبٍ ؛ وَلْيَتَشَمَّ^(٧) تَشَمُّمَ

(١) اللَّيْلِ : الحَبْزُ واللَّحْمُ وَضَعَتْهُ فِي الْمَلَّةِ . الرَّمَادُ الْحَارُّ ... وَفِي ل : «الْقَلَالِ»

(٢) الذَّبْحَةُ : وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ أَوْ دُمٌ يَخْتَقِ فَيَقْتَلُ . وَفِي ط : «الْخَانُوقُ» مَوْضِعُ الْخَانُوقِ ،

(٣) ط : «التَّفَرُّزُ» وَهُوَ نَصِيفُ مَا فِي ل .

(٤) ط : «مَوَاضِعُ الْهَاءِ» وَهُوَ تَحْرِيفُ .

(٥) ط : «مَسِيحٌ» .

(٦) ط : «حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ» .

(٧) ط : «لِيَشَمَّ» .

المتشبت. عَلَى أَنَّ الْبَقَاعَ تَفَاوَتْ فِي النَّتْنِ. فَهَذَا قَوْلُ مُسَيِّحٍ ^(١) الْكَتَّاسِ .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سلمويه وابن ماسويه مُتَطَبِّبَا الْخَلْقَاءِ ^(٢) ، أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ جَيْفَةٌ أَتَنُّ نَتْنًا وَلَا أَتَقَبُّ تَقَوَّبًا مِنْ جَيْفَةٍ بَعِيرَةٍ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ النَّسِيَّ وَهُمَا ذَلِكَ عَصَبَتُهُمَا عَلَيْهِ ، وَبَغْضُهُمَا لِأَرْبَابِهِ ، وَلَئِنَّ النَّسِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ ، هُوَ الَّذِي كُورُ فِي الْكُتُبِ بِرَاكِبٍ ^(٣) الْبَعِيرِ .] وَيَقَالُ إِنَّ الْحَاجَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّ الْجَيْفِ أَتَنُّ ؟ قَعِيلٌ : جَيْفُ الْكَلَابِ فَأَمْتَحَنَتْ قَعِيلٌ لَهُ : أَتَنُّ مِنْهَا جَيْفُ السَّنَانِيرِ ، وَأَتَنُّ جَيْفِهَا الَّذِي كُورُ مِنْهَا . فَصَلَبَ ابْنَ الزُّبَيْرِ بْنِ جَنْفِي سَنَوْرِينَ ذَكَرْنِي] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وَأَنَا أَقُولُ فِي النَّتْنِ وَالطَّيِّبِ شَيْئًا ، لِمَا لَكَ إِنْ تَقَدَّدَتْهُ أَنْ تَوَاقَسَنِي عَلَيْهِ وَتَرْضَى قَوْلِي . أَمَّا النَّتْنُ فَإِنِّي لَمْ أَشْمُ شَيْئًا أَتَنُّ مِنْ رِيحٍ حُسْنٍ مُعَيَّرٍ ، يَبُولُ فِيهِ الْخَصِيَانُ وَلَا يُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ؛ فَإِنَّ لِأَبْوَاهِمُ الْمُرَادَقَةَ اِتْرَاكِبَةً ^(٤) . وَلَرِيحُ الْقَارِ وَرِيحُ هَوَاءِ الْحَشِّ ^(٥) وَمَا يَنْفَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رِيحٍ

: (مسيح).

(٢) سلمويه هو ابن بنان خديم المعصم . ترجم له القفطي ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليسك ٤١٢ مصر . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أو يوحنا . خديم الأمون والمعصم والوائق والتوكل كما في الفهرست ٢٩٥ ليسك ، ٤١١ مصر ... وفي ط : « مطيب الخلقاء » وصحته في ن .

(٣) ط : « بركب » .

(٤) ط : « لأبواهم للتراكة » .

(٥) ط « وريح النار وريح هوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة - جهة من الثَّنَّين ومذهباً في المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنما يقصد إلى عين الروح وصميم القلب ، ولا سيما إذا كان الخلاه غير مكشوف ، وكان مغموماً غير مفتوح . فأما الطَّيب فإني لم أسمع رائحة قط أحيا للنفس ولا أعصم للروح ، ولا أفتق ولا أغنج ، ولا أطيّب حمرة من ريح عروس^(١) ، إذا أحكمت تلك الأخلاط ، وكان عَرَف [بدسها] ورأسها وشعرها سليماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنك ستجد ريحاً تعلم أنه ليس فوقها إلا ريح الجنة .

(ما قيل في الطَّربان)

وما قالوا في الثَّنَّين ، وفي ريح جُحْرِ الطَّربان خاصّة ، قول الحكم بن عبدل :

أَلَيْتَ نَفْسَكَ فِي عَرُوضٍ مَشَقَّةٍ وَلَحَصْدًا نَفِكَ بِالنَّاجِلِ أَهْوَنُ^(٢)
أَنْتَ امْرُؤٌ فِي أَرْضِ أُمَّكَ قُلُقُلٍ جَمٌّ وَقُلُقُلْنَا هُنَاكَ الدُّنْدُنُ^(٣)
فَبِحَقِّ أُمَّكَ وَهِيَ مِنْكَ حَقِيقَةٌ بِالْبِرِّ وَاللَّطَفِ الَّذِي لَا يُخَزَنُ
لَا تُدْنِ فَالِكَ مِنَ الْأَمِيرِ وَنَحْوِهِ حَتَّى يُدَاوِيَ مَا بَانَ نَفِكَ أَهْرَنُ^(٤)
إِنْ كَانَ لِلطَّارِبَانِ جُحْرٌ مُنْتَنٌ فَلْيَجُحِرْ أَهْلَكَ يَا مُحَمَّدُ أَتَنْ

(١) ل : « مشطه امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق في عرض الجبل في مضيق .

(٣) الدُّنْدُن : ما اسود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القسرين أعين . التهرست ٢٩٧ ليبيك ، ١٣ مصر ، والفتنطى ٥٧

وفي ط : « أهون » والصواب في ل وفيا سنيان قريباً ، وفي عيون

الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغاني ٢ : ٤٢٤ دار الكتب والشعرية محرف .

وقال الربيع بن أبي الحقيق - وذكر الظربان - حين رمى قومًا بأنهم
يفسئون في مجالسهم ، لأن الظربان أُنْتُن خلق الله تعالى فسوءه ، وقد عَرَفَ
الظربان ذلك فجعله من أشد^(١) سلاحه ، كما عَرَفَتِ الحبارى مافي
١١٨ سُلَاحِهَا مِنَ الْآلَةِ ، إِذَا قَرَّبَ الصَّغْرَ مِنْهَا . وَالظَّرْبَانُ يَدْخُلُ عَلَى الضَّبِّ
جُحْرَهُ وَفِيهِ حُسُولُهُ أَوْ بَيْضُهُ ، فَيَأْتِي أَضْيَقَ مَوْضِعٍ فِي الْجُحْرِ فَيَسُدُّهُ
بِيَدَيْهِ ، وَيَحْوِلُ اسْتِهِ فَلَا يَفْسُو ثَلَاثَ فُسُوتٍ حَتَّى يُدَارَ بِالضَّبِّ فَيَغْرَ^(٢)
سَكْرَانٌ مَشْبِيًّا عَلَيْهِ ، فَيَأْكُلُهُ ، ثُمَّ يَقِمُّ فِي جُحْرِهِ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى آخِرِ حُسُولِهِ .
وَقَوْلُ الْعَرَبِ : إِنَّهُ رَجْمًا دَخَلَ فِي خِلَالِ الْمَهْجَةِ فَيَفْسُو ، فَلَا تَمُتْ
لَهُ ثَلَاثُ فُسُوتٍ حَتَّى تَنْفَرَّقَ الْإِبِلُ عَنِ الْمَرْكَ ، تَرَكَهُ وَفِيهِ قِرْدَانٌ فَلَا يَرُدُّهَا
الرَّاعِي ، إِلَّا بِالْجُهْدِ الشَّدِيدِ .

قال الربيع ، وهجاء [أيضا] بريح الثيوس :

فَلَيْلٌ غَنَّاوُهُمْ فِي الْهَيَاجِ إِذَا مَا تَنَادَوْا لِأَمْرِ شَدِيدٍ
وَأَتَمَّ كِلَابٌ لَدَى دُورِكُمْ تَهْرِهْرِرُ الْعَقُورِ الرُّصُودِ^(٣)
وَأَتَمَّ ظَرَابِي إِذْ تَجْلِسُونَ وَمَا إِنْ لَنَا فَيْكُمُ مِنْ نَدِيدٍ^(٤)
وَأَتَمَّ ثِيُوسٌ وَقَدْ تُعْرِفُونَ بَرِيحَ الثِّيُوسِ وَقُبْحَ الْجُلُودِ^(٥)

قال : ويقال : « أفسى من الظربان » ويسمى مفرق النعم ،
يريدون من تن ربح فسأته . ويقال في التل - إذا وقع بين الرجلين

(١) ط : « أحد » .

(٢) ط : « فيز » وصوابه في ل وتماز القلوب ٣٣٣ .

(٣) ط : « الصرود » .

(٤) نديد : مثل ، وفي ط « نديد » وهو تحريف مافي ل وتماز القلوب .

(٥) ط : « الجلود » وفي التماز : « وتن الجلود » .

شره فتباينا وتقاطعا - : « فسا بينهما ظريبان » . ويقال : « اتن من ظريبان » لأن الضب إنما يندع^(١) في جحره ويؤغل في سربه لشدة طلب الظريبان له ، وقال الفرزدق في ذلك :

ولو كنت في نار المجيم لأصبحت ظراي من حمان عتي شيرها^(٢)
وكان أبو عبيدة يسمى الحيماني صاحب الأحم^(٣) ، يريد هذا المعنى
كما يسمى كل حمان^(٤) ظريانا ،
وقال ابن عبدك :

لاتن فاك من الأمير ونحه
إن كان للظريبان جحر منن
في شعره الذي يقول :

ليت الأمير أطلقني فشفيته من كل من يكتفي القصيد ويطلع
متكور يحنو الكلام كأنما بات مناخره بدهن نعر^(٥)
وبني لهم سجنًا فكنت أميرهم زمتا فأضرب من أشاه وأسجن
قل لابن آكلة العفاص محمد إن كنت من حب التزب تحب^(٦)
أقيت نفسك في عروض مشقة ولخصد أتك بالمناجل أهون^(٧)
أنت مروا في أرض أمك فقل جم وقلنا هناك الدن

(١) خدع الضب في جحره : دخل .. وفي ط « يندع » وما بمعنى .

(٢) البيت في النوادر لأبي زيد ٢١١ . وفي ط : « شير » بدل « شيرها » وليس بشيء .

(٣) كذا ،

(٤) في الأصل « حمان » والوجه ما أثبت .

(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع أو هو من تكور : سقط . ويحنو : يني . وفي ط « فتكورا » بحرف . وفي ط « يحسو » بحرف .

(٦) ل : « قد كدت من حب التزب تحن » وهو تحريف ما في ط وما في م

فبحقِّ أَمَّكَ وهى منك حقيقة^(١) بالبرِّ واللطفِ الذى لا يُخْزَنُ^(٢)
 لا تُذَنِّ فَأك من الأميرِ ونحوه حتى يداوى ما بَأَتْكَ أَهْرُنُ
 إنَّ كَانَ للظَّربَانِ جُحْرٌ مَنَتُنْ فَلَجَحْرُ أَقْكَ يامُحَمَّدُ أَتُنْ^(٣)
 فَسل الأميرَ وَأَنْتَ غَيْرُ مَوْفَقٍ وَبَنُو أَبِيهِ للفَصَاحَةِ مَعْدُنْ
 وَسل ابنُ ذَكَوَانِ تَجِدُهُ عَالِمًا بِسَلِيقَةِ العُربِ التى لا تَحْزُنُ^(٤)
 إِذَا أَنْتَ تَجَمَّلُ كُلَّ يَوْمٍ عَفْصَةً^(٥) فتَجِدُ مَا عَمِلْتَ بِدَاكَ وَتَحْسِنُ
 أَشْبَهْتَ أَمَّكَ غَيْرَ بَابٍ وَاحِدٍ أَنْ قَدْ خُتِنْتَ وَأَنْهَا لَا تُخْتَنُ
 فَلَمَّا أَصَبْتَ دِرَاهِمًا فَدَفَنْتَهَا وَفَتِنْتَ فِيهَا ، وَابْنُ آدَمَ يَفْتَنُ ،
 فِيهَا^(٦) أَرَاكَ وَأَنْتَ غَيْرُ مُدْرِهِمْ إِذْ ذَاكَ تَقْصِفُ فِي الْقِيَانِ وَتَرْفِنُ
 إِذْ رَأْسُ مَالِكٍ لُغْبَةً بَصْرِيَّةً بِيَضَاهُ مُغْرِيَّةً^(٧) عَلَيْهَا السَّوْسُنُ
 وَقَالَ ابنُ عَبْدِ اللَّهِ أَيْضًا
 نَحَوْتُ^(٨) مُحَمَّدًا وَدَخَانُ فِيهِ كَرِيجُ الجَعْرِ فَوْقَ عَطِينِ جَلِيدٍ
 رَكَبْتُ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ أَتَانِي كَرِيمٍ يَطْلُبُ المَعْرُوفَ عِنْدِي
 قَعْلْتُ لَهُ وَلَمْ أَعْجَلْ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَقْرِيطِي وَتَحْدِي
 فَأَعْرَضَ مُكَمَّعًا عَنِّي كَأَنِّي أَكَلْتُ صَخْرَةً فِي رَأْسِ صَمَدٍ^(٩)

(١) ط « لا يحزن » وهو تخريف .

(٢) محمد هذا هو ابن حبان بن سمد كما في الأغاني ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب

وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .

(٣) من المزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل « تخزن » .

(٤) ط : « غمصة » .

(٥) ل : « لبيا » وهما سبان .

(٦) ط : « مربة » بالعين .

(٧) ل : « لا قدت » ولعلها محرف قصدت ،

(٨) السكج : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط « مكفعا » وتصحيحه من ل

والصمد : المكان المرتفع الفليظ . وفى ط : « همد » وفى ل « ضمد » بالضاد

ولا يشبه أحدهما .

أَقْرَبُ كُلِّ آصِرَةٍ^(١) لِيَدْنُو فَا يَرْدَادُ مِنِّي غَيْرَ يُنْدِ
فَأَقْسِمُ غَيْرَ مُسْتَشْنٍ يَمِينًا أَبَا بَجْرٍ^(٢) لَتَسْخِنَنَّ رَدِّي
فَلَوْ كُنْتُ لِلْمَهْدَبِ مِنْ تَمِيمٍ نَخَوْتُ^(٣) مُحَمَّدًا فَوَجَدْتُ رِيحًا
وَقَدْ أَلْعَنَتِي^(٤) ثُعْبَانُ نَنْنٍ وَأَدْنَى حَظْمِهِ فَوَرِدْتُ أَنِّي
كَمَا افْتَدَيْتِ الْمَاعِذَةَ مِنْ جَوَاهِ^(٥) بِخِلْعَتِهَا وَلَمْ تَرْجِعِ بَرْنَدٍ ١٢٠
وَفَارَقَهَا جَوَاهِ فَاسْتَرَاخَتْ وَكَانَتْ مَعْنَهُ كَأَسِيرٍ قَدْ^(٦)
وَقَدْ أَدْنَيْتُ فَاهِ إِلَى حَتَّى قَتَلْتُ بِذَلِكَ قَسِي غَيْرَ عَمْدٍ
وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طُلَيْتُ مَسَافِرُهُ بِقَنْدٍ^(٧)
يَذُقْنَ حِلَاوَةً وَيَخْفَنَ مَوْنًا زَعَاظًا إِنَّ هَمَمَنَ لَهُ بَوْرِدٍ^(٨)
فَلَمَّا فَاحَ فُوهُ عَلَى قَوْحَا بَثَلُ غَثِيثَةِ الدَّرِّ الْمُنْدِ^(٩)
قَتَلْتُ لَهُ تَنْحَ بَفِيكَ عَنِّي فَا هَذَا بَرِيحٍ قُتَارٍ رَنْدٍ^(١٠)

(١) الآصرة : الرحم والقرابة . وفي ل : « ذى صرم » وليس بشيء .

(٢) البخر بالتحريك : نثر القم . وفي ل : « بخر » والوجه ما في ط .

(٣) ل : « نخوت » بالميم وهو تحريف .

(٤) ط : « لنعنتي » .

(٥) كذا في ط . وفي ل : « فديت » .

(٦) ط : « كما افتدت الماعن من جواه » .

(٧) هنا البيت في الأصول متأخر عن البيت الذي بعده وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر

(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جد . معرب .

(٩) الزعاف والزعاف : السم القاتل . وفي ل : « ذعاف » وفيها كذلك « برن حلاوة »

(١٠) الغثية : القبيح . والمند : المصاب بالطاعون . وفي ط : « المند » وهو تحريف

(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفي ل : « وقتل له » وفي ط « بعيد عني »

وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طلاء ولكن
فخذني فإن الصدق أدنى
أبأت يجول في عفتج طحور
[نكمت على نكهة أخدرى
فإن أهديت لي من فيك حتفى
لكم شردا يسرن مغنيات
أما تخزي خزيت لها إذا ما
لأرجو إن نجوت ولم يصبني
وقلت له متى استطرف هذا
فقلت له أما ذاويت هذا
فقال أما علمت له رقاء
فقلت له ولا آلوه عيا
عليك ببيعة ويجعز كلب
وحلتي وكركاث وتوم
وحنجرة ابن آوى وابن عرس

يفوح خزالك منه غير سرد^(١)
لباب الحق من كذب وجحد
فاعلم أم أذاك به معدى^(٢)
شتيم أعصل الأنيا بورد
فإني كالذي أهديت أهلى^(٣)
تكون فترها من كل فند^(٤)
رواها الناس من شيب ومرد^(٥)
جوى إني إذن لسعيد جد
فقال أصابني من جوف مهدي
فتعذر فيه آمالا بجهد^(٦)
فسيدي لنا فيما ستسدى^(٧)
له فيما أسر له وأبدي^(٨)
ومثلي ذاك من نون كعد^(٩)
وعودى حرملي ودماغ فهد^(١٠)
ووزن شميرة من برز فهد^(١١)

(١) الطلاء بالكسر: الحمر. وفي ط «فيه غير سرد».

(٢) الفج: ما ينقل إليه الطعام بعد المدة. والطحور: السريع. وفي ط:

أبأت تجول في عفتج طحور فاعلم إذا أذاك به معدى (كنا)

(٣) ل: «مهد».

(٤) القند بالكسر: النوع. وفي ط «قند» ولا وجه له.

(٥) ط «خزيت له إذا ما» والوجه ما في ل. ل: «رأها الناس» والوجه ما في ط

(٦) كنا.

(٧) في الأصل تدى ولا يستقيم بها القول.

(٨) هذا البيت والأيات الأربعة السابقة له، ساقطة من ل. وفي البيت كلمة «عيا» وهي محرفة.

(٩) كذا في ل. وفي ط «من لون كعدى».

(١١) ط: «وحنث» والصواب باللام كما في ل.

(١٠) في القاموس: «الفقد نبات» ولم يفسره. وفي ل «قند» بتقديم القاف وهو صحيح. وفي ط: «وحنجرة ابن آوى ثم دظلي».

وَلَفَّ ذُرْخُوحٌ^(١) وَلِسَانِ صَرٍّ وَمِثَالَيْنِ مِنْ صَوَانِ رَقْدٍ^(٢)
يَدْقُ وَيُجَنِّ الْمَنَحُولَ مِنْهُ بَيُولِ آجِنٍ وَيَجْعَرُ قِدْرٍ
وَتَدْفِنُهُ زَمَانًا فِي شَعِيرٍ وَتَرْقِبُهُ فَلَا يَبْدُو لَبْرَدٍ^(٣) ١٢١
فَدَخَنُ فَالِكَ مَاعَتَقَتْ مِنْهُ وَلَا يَعْجَنُ بِأَظْفَارِ وَيَدٍ^(٤)
فَإِنْ حَضَرَ الشَّتَاءُ وَأَنْتَ حَيٌّ ، أَرَاكَ اللَّهُ عَيْكَ أَمَرَ رَشْدٍ^(٥)
فَدَخَرِجْهَا بِدَقِّ وَازْدِرْدِهَا مَتَى رُمْتَ التَّكَلُّمَ أَيْ زَرْدٍ
فَتَقْدِفُ بِالْمِصَلِّ عَلَى مِصْلٍ بِلَعُومٍ وَشِدْقٍ مُسْمَعٍ^(٦)
وَوَيْلَكَ مَا لِبَطْنِكَ مَذْقَعْدَنَا كَأَنَّ دَوِيَّةً إِرْزَامَ رَعْدٍ^(٧)
فَإِنَّ لِحَكَّةَ النَّاسُورِ عِنْدِي دَوَاءً إِنْ صَبَرْتَ لَهُ سَيُجِدِي
يُمِيتُ الدُّودَ عَنْكَ وَتَشْتَبِهُ إِنْ أَنْتَ سَنَنْتَهُ سَنَ اللَّقْدَى^(٨)
بِهِ ، وَطَلَيْتَهُ بِأَصُولِ دِفْلِي وَشَيْءٌ مِنْ جَنَى لَصَفٍ وَرَزْدٍ^(٩)
أُظْلِي مِيتًا مِنْ نَتْنٍ فِيهِ أَهَانَ اللَّهُ مِنْ نَاجَاهُ بَعْدِي

(١) الذرخرح دوية حمراء مقطعة بسواد ، تطير ، وهي من السموم . وهي في ط
« زرخح » و ل : « ذرائح » محرفان . وفي ط « ومثالين » محرف
« ومثالين » .

(٢) رقد : جبل تنبت منه الأرنجية ، كما في القاموس . وفي معجم البلدان اختلاف فيه
وفي ط : « رقد » محرفة .

(٣) في الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .

(٤) ل « ولا تمجن بأظفار وسعد » ط « ولا يعجن بأظفاروند » ط ولعل صوابها
مأثبت . « واليد » بالشدديد : لغة في اليد

(٥) كذا في ل . وفي ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .

(٦) معمل : له صليل كثير . والمسمد : للتفتخ ورما ، ومثله المصممد والمسمد . وفي ل
« مصممد » .

(٧) ط : « كأن روه » وهو تحريف .

(٨) السن : الصب في سهولة ، والمقدى : ضرب من الصراب غليظ ، وفي ل :
« الممد » وفي ط « المقد » محرفان .

(٩) الدفلي : نبت مرتان زهره كالورد الأحمر وحله كالخرنوب . والصف : نبت ورتة
كوردق لسان الحمل أو أواق . والزند : نبت طيب الرائحة . وفي ط : « سدي »
موضع « دفلي » وهو تحريف و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف
أيضا . وفي ل « زيد » وليس بشيء .

(أشعار العرب في هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سذكراً أشعار العرب في هجاء الكلب مجزداً
على وجهه ، ثم نذكرك ما ذكروا من خلالهم وأصناف أعماله ، وأموراً من
صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه في الجملة . قال بشر بن بُرد :
عددت سويداً إذ فحرت وتولباً وللكلب خير من سويد وتولب
وقال بشر أو غيره :

أنت كز إذ ترعى على الحى شاء هم وأنت شريك الكلب في كل مطعم
وتلحس ما في القصب من فضل سوره وقد عاث فيه باليدين وبالقم
[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يثب به^(١) ويترك المال لِعالم . جذبه
* يهن على الناس هوان كلبه] *

وقال آخر :

إن شريبي لا يغب بوجهه كلوى كان كلباً يهارش أكلباً^(٢)
ولا أقسم الأعطان^(٣) بيني وبينه ولا أتوقاه وإن كان مجرباً
وهجا [أبو] الأحوص^(٤) ابنه فشبّه مجزوء كلب فقال :
أقبح به من ولد وأشتج مثل جرسى^(٥) كلب لم يفتح

(١) كذا في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ . وفي ل « يثبه » وهو تحريف لإملائي .

وفي البخلاء ١٥٥ : « يثبه » وليس يثي . وانظرا .

(٢) ط : « إن ترائي لانتب بوجهه كلوم » . وهو قول يحرف صوابه في ل .

(٣) كذا في ل وهو الصواب وفي ط : « الأعكائ » .

(٤) جرى : مصفر جرو . وفي ل « جرى » .

إِنْ يَرِ سُوًا مَا يَتَمُّ فَيَنْبَحُ^(١) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتَحِ^(٢)
وَقَالَ أَبُو حُرَابَةَ^(٣) .

١٢٢

يَا بَنَ عَلِيٍّ بَرِحَ الْخَفَاءُ أَنْتَ لَنْبَرٍ طَلَعَتْ الْفَدَاءُ^(٤)
قَدْ عَلِمَ الْأَشْرَافُ وَالْأَكْفَاءُ أَنْكَ أَنْتَ النَّاقِصُ الْفَقَاءُ^(٥)
حَبَاقَ جَدَّعَهُ الرَّعَاءُ^(٦) يَغْمُهُ الْمَرَرُ وَالرَّدَاءُ
بَنُو عَلِيٍّ كُلُّهُمْ سَوَاءُ كَأَنَّهُمْ زَيْنَةُ جِرَاءُ^(٧)
وَقَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَسَّاسِ ، وَذَكَرَ قُبُحَ وَجْهِهِ [قَال] :
أَتَيْتُ نِسَاءَ الْحَارِثِيِّينَ غُدُوَّةً بَوَّحَ بَرَاهُ اللَّهُ غَيْرَ جَمِيلٍ^(٨)
فَشَبَّهَنِي كُلِّبًا وَلَسْتُ فَوْقَهُ وَلَا دُونَهُ إِنْ كَانَ غَيْرَ قَلِيلٍ

(١) ط : « إِنْ يَرِ سُوًا مَا يَتَمُّ فَيَنْبَحُ » .

(٢) ط : « خَلْفَةُ الْمُسْتَفْتَحِ » .

(٣) كَذَا فِي ل . وَهُوَ الصَّوَابُ ، وَفِي ط « أَبُو خَدَانَةَ » . . وَأَبُو حُرَابَةَ هُوَ الْوَلِيدُ ابْنُ حَنْفِيَّةٍ أَحَدِ بَنِي رَيْمَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ شَاعِرٍ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . بَدَوَى حَضَرَ وَسَكَنَ الْبَصْرَةَ ثُمَّ اكْتَنَبَ فِي الدِّيْوَانِ وَضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَيْتُ إِلَى سَجِسْتَانَ فَكَانَ بِهَا مَدَّةً وَعَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَخَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ لَمَّا خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَأَظْنَهُ قَتَلَ مَعَهُ . وَكَانَ شَاعِرًا رَاجِحًا فَصِيحًا خَبِثَ اللِّسَانُ هَجَاءً . انْظُرِ الْأَغَانِي ١٩ : ١٥٢ - ١٥٦ . وَلِلشَّيْخِ لِلدَّهْلِيِّ ١٦٠ لَيْدَنُ وَتَاجُ الْعُرُوسِ (حَزْبُ) .
(٤) الْفَدَاءُ هُنَا بِمَعْنَى الْبَدَلِ . وَفِي ل : « أَنْتَ لَنْبَرٍ طَلَعَتْ الْفَدَاءُ » . وَفِي الْأَغَانِي ١٩ : ١٥٣ : « أَنْتَ لَمِنْ طَلْعَةِ الْفَدَاءِ » . وَابْنُ عَلِيٍّ هَذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَلِي سَجِسْتَانَ بَدَ طَلْعَةً . وَطَلْعَةُ هَذَا هُوَ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ طَلْعَةُ الطَّلَحَاتِ وَكَانَ وَالِيَا عَلَى سَجِسْتَانَ قَبْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ . وَكَانَ طَلْعَةً يَحْبُو ابْنَ حُرَابَةَ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ شَحِيحًا مَحْكَمًا .

(٥) الْفَقَاءُ كَسَجَابِ : الْحَسْبُ الْحَقِيرُ . وَفِي ل : « الْمَقَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٦) الْحَبَاقُ : غَمٌّ صَغِيرٌ لَا تَكْبِيرُ ، أَوْ قَصَارٌ لِلْمَرْءِ وَدَمَامِهَا . وَفِي ط « الْفَقَاءُ » مَوْضِعُ « الرِّعَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) الزَيْنَةُ : كَلَابٌ قَصِيرَةُ الْقَوَائِمِ . وَفِي الْأَغَانِي « بَنُو عَبْدِ اللَّهِ » الخ

(٨) كَذَا فِي ل . وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ ٤ : ٣٥٠ بِمَعْنَى خَلْفَهُ غَيْرَ جَمِيلٍ . وَفِي ط « بَرَاهُ اللَّهُ » .

وقال أبو ذؤيب السعدي^(١) في هوان الكلب :

لِكِسْرَى كَانَ أَعْقَلَ مِنْ تَمِيمٍ لِيَالِي فَوًْ مِنْ أَرْضِ الصَّبَابِ
وَأَسْكَنَ أَهْلَهُ بِيْلَادِ رَيْفٍ وَأَشْجَارِ وَأَنْهَارِ عِدَابِ
فَصَارَ بَنُو بَنِيهِ لَهَا مُلُوكًا وَصَرْنَا نَحْنُ أَمْثَالُ الْكِلَابِ
فَلَا رَحِمَ إِلَاهُ صَدَى تَمِيمٍ قَدْ أَرَى بَنِي فِي كُلِّ بَابٍ
وَأَرَادَ اللَّعِينُ^(٢) هِجَاءَ جَرِيرٍ - وَجَرِيرٌ مِنْ بَنِي كَلِيبٍ - فَاشْتَقَّ
هِجَاءَهُ مِنْ نَسَبِهِ فَقَالَ :

سَاقِصِي بَيْنَ كَلْبٍ بَنِي كَلِيبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ
فَإِنَّ الْكَلْبَ مَطْعَمُهُ خَيْثُ وَإِنَّ الْقَيْنَ يَفْعَلُ فِي سَعَالِ
كِلَا التَّبْدِينَ - قَدْ عَلَتْ مَعْدً - لَتِيمُ الْأَصْلِ مِنْ عَمِّ وَخَالِ
فَمَا بُقِيََا عَلَى تَرْكُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ
وقال رجلٌ من همدان ، يقال له الصَّحَّاحُ بْنُ سَعْدٍ ، يَهْجُو مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ
وَاشْتَقَّ لَهُ اسْمًا مِنَ الْكَلْبِ لَجَعَلَهُ كَلْبًا فَقَالَ :

لَجَّ الْفِرَارُ بِمَرْوَانَ قُلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومُ ظُلْمًا هَهُ الْهَرَبُ^(٣)
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكَ الْمَلِكُ إِنْ قَبِلْتُ مِنْكَ الْمُؤَيَّنِي فَلَادِينَ وَلَا أَدُبُ
فَرَأْسَةُ الْحِلْمِ فَرَعُونَ الْعَذَابِ ، وَإِنْ يُطَلِّبُ نَدَاهُ فَكَلْبٌ دُونَهُ كَلِيبُ

(١) أبو ذؤيب السعدي : صحابي شاعر ومن سعد المشيرة . له في إسلامه خبر طريف وهو
ممن عرف بكنيته فقط ترجم له ابن حجر في الإصابة أول قسم القائل من باب
الكني . . وهو في ط « ابن دب » وفي ل « ابن دواب » ولعل صوابها ما أثبت
والآيات أعادها الجاحظ في الحيوان ج ٦ : ٣١ .

(٢) هو منازل بن زعمة النخري ، من بني مضر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق
فأصابه الضر ، قال ابن قتيبة . وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض ما بي جل مأكله إلا تنفخه عندي إذا قعدا
مزال ينفخ كنفه وجبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

(٣) ط : « عاد الظلم ظلمات » والظلم : الذكر من النعام .

وقال آخر وجعل الكلب مثلاً في اللؤم :
 ١٣٣ مَرَّتْ مَاسَرَتْ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَسَتْ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمَّ مِنْ كَلْبٍ
 وكذلك قول الأسود بن النضر، فإنه قال :
 فَإِنَّ أَمْرًا أُنْتُمْ حَسُولُهُ تَحْفُونَ قُبَّتْهُ بِالْقِيَابِ
 يَهِينُ مَرَاتِكُمْ جَاهِدًا وَيَقْتُلُكُمْ مِثْلَ قَتْلِ الْكَلَابِ
 وقال سحيمة بن نعيم :
 أَلَسْتُ كَلْبِيًّا لِكَلْبٍ وَكَلْبِي لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرُ
 وقال النخعي في ذلك :

مِنْ مَنَزَلِي قَدْ أَخْرَجْتَنِي زَوْجَتِي تَهَوَّرْتُ فِي وَجْهِ هَرِيرِ الْكَلْبَةِ
 زَوْجَتُهَا قَدِيرَةٌ مِنْ حِرْقَتِي قُلْتُ لَهَا لَمَّا أَرَأَقْتُ جَرَّتِي
 أُمَّ هَلَالٍ أَبْشِرِي بِالْحَسْرَةِ وَأَبْشِرِي مِنْكَ بِقُرْبِ الصَّرَةِ

(فلحس)

ويقال للكلب « فلحس » وهو من صفات الحرص والإلاح .
 ويقال : « فلان أسأل من فلحس » . و« فلحس رجل » من بني شيبان ^(١) كان
 حريصاً رغبياً ومُلِحّاً مُلِحّاً . وكلُّ طفليٍّ فهو عندهم فلحس :

(الارشم)

والأرشم ^(٢) : الكلب والذئب ، وقد اشتق منه للإنسان إذا كان
 يتشمم الطعام ويتبع مواضعه . قال جرير في بعضهم :

(١) ط « من ابني شيبان » . وانظر أمثال الليثاني (١ : ٣١٧)

(٢) ل « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقِيَ حَمْلَتُهُ أَنَّهُ وَهِيَ ضَيْفَةٌ خَفَاءَتْ بَيْنَ الصَّيَافَةِ أَرْشَمًا^(١)

وَقَالَ جَرِيرٌ فِي اسْتِرْوَاكِ الطَّعَامِ^(٢) :

وَبَنُو الْمُجَيْمِ سَخِيفَةٌ أَحْلَامُهُمْ نَطُّ اللَّحَى مُتَشَابِهُهُ الْأَلْوَانِ

لَوْ يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بَعْمَانٌ أَضْحَى جَمْعُهُمْ بَعْمَانِ

مَتَابُطَيْنِ بَيْنَهُمْ . وَبَنَاتِهِمْ صُعْرَانُ الْخُدُودِ لَمْ يَحْزَنْ كُلُّ دُخَانٍ^(٣)

وَقَالَ سَهْمٌ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فِي ذَلِكَ :

وَأَمَّا كِلَابٌ فُتِلَ الْكِلا بَ لَا يُحْسِنُ الْكَلْبُ الْإِهْرِيَا

وَأَمَّا مُبِيرٌ فُتِلَ الْبِغَا لَ أَشْبَهَنَ آبَاءَهُنَّ الْحَمِيرَا^(٤)

وَأَمَّا هِلَالٌ فَعَطَّارَةٌ تَبِيعَ كِبَاءَهُ وَعِطَّرَا كَثِيرَا^(٥)

١٢٤

(بَيْنُ جَرِيرٍ وَالرَّاعِي)

وَمَرَّ جَرِيرٌ يَوْمًا بِالرَّبْدِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ الرَّاعِي وَابْنَهُ جَنْدَلٌ ، فَقَالَ لَهُ

ابْنَهُ جَنْدَلُ : إِنَّهُ قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ عَلَى هَذَا الْكَلْبِ الْكُلَيْبِيِّ ، فَإِلَى مَتَى !

وَضَرَبَ بِنَظَرِهِ فَضَى الرَّاعِي وَابْنَهُ جَنْدَلُ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : وَاللَّهِ لَا تُقَانَنَّ

(١) ل : « أَرْسَمًا » مصحفا . وفي ط : « فُتِحَ » محرفا . والبيت على الصواب في

السان (رشم ويت) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد

نسب في كل تلك إلى البيت . ابن منظور (يت) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد

هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات في البيان ٣ : ١٨٢ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدئ هذا البيت والذي قبله في ل ، بكلمة « فَأَمَّا » مع الفصل بين البيت

بكلمة « وَقَالَ : » ، وفي ط : « وَأَمَّا تَعِمُّ فُتْلُ الْبَغَالِ » .

(٥) الكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبطله في ل « مَلَابَا » وهو

كسحاب : عطر أو الزعفران .

رواحلك ! فلما أمسى أخذ في هجائه ، فلم يأت به ما يريد ، فلما كان مع الصبح افتتح له القول فقال :

ففض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ولو جعلت قفاح بني نمير
على خبث الحديد إذا نذابا
ثم وقف في موقفه ، فلما مر به جنل قبض على عنان فرسه ، فأنشده قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أجنل ما تقول بنو نمير
إذا ما الأير في است أيبك غابا
قال : فأدبر وهو يقول : يقولون والله شريراً^(١) .

وقال الشاعر - وضرب بالكلب اللث في قبح الوجه - :
سمرت قلت لها هج فتبرقت
فذكرت حين تبرقت ضباراً^(٢)
وضبار : اسم كلب له^(٣)

(أمثال في الكلاب)

وقال كعب الأحبار لرجل وأراد سفرأ : إن لكل رقة كلباً ، فلا تكن كلباً أحبابك .

وتقول العرب : « أحب أهلك إلى كلهم الظاعن^(٤) » ومن الأمثال « وقع الكلب على الذئب ليأخذ منه [مثل] مأخذ » . ومن أمثالهم :

(١) سقط الكلام في ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) في الصحاح : « هج مخفف زجر للكلب يسكن وينون » وأنشد البيت في (هجج وهجر) برواية « هيار » وكذلك في اللسان (هير) ولكن في (هجج) وضير : « ضبارا » كما في ٢ : ٨ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) في عيون الأخبار ٢ : ٨٢ : « الكلب أحب أهله إليه الظاعن » .

« الكلاب على البقر »^(١) ومن أمثالهم في الشؤم قولهم : « على أهلها دلت براقش » وبراقتش : كلبة قوم نبحت على جيش مرثوا ليلا . وم لايشرون بالحي ، فاستباحوهم واستدُّوا على مواضعهم نباحها . قال الشاعر :

ألم تر أن سيد آل ثور نبأته عنه كلب فباتا^(٢)

(قتيل الكباش و قتيل العنز)

وقال صاحب الكلب : قد يموت الناس بكل شيء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتمجبون من الضحك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوجد ليس به حبص ولا نبص^(٣) وقال عرقبة بن شريك يهجو أسلم بن زُرعة - ووطئت أباه عنز بالبريد فبات - فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذ بان^(٤) متى معشرى مكان قتيل العنز أن أتكلما
فيا ابن قتيل العنز هل أنت تاتر^(٥) بزُرعة تيسا في الزريبة أزما^(٦)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى :

أصبحت محتاجا إلى الضرب في طلب العنز إلى الكلب

-
- (١) في الأصل : « الكلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك للدميري في حياة الحيوان كلام كثير فيه وانظر الزهر ١ : ٦٥ .
- (٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور نبأه عنه كلب فباتا .
- (٣) في القاموس : ما به حبص ولا نبص : حراك .
- (٤) ط : « بات » وهو تحريف ما في ل .
- (٥) الأزمن : ذو الزنمة ، وهي هنة معلقة في حلقة تحت اللحية . وفي ط « أزرما » .
- (٦) أبو الهول الحميري شاعر مقل له شعر يبلغ حين ورقة . ابن السديم في الفهرس ١٦٣ ليسك و ٢٣٢ مصر .. وفي ط « أبو النول » محرقا والبشر في المدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ١٩٨ واسمه عامر بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٦٦٨٢

قد وُتِّحَ السَّبُّ لَهُ وَجَهَهُ فَصَارَ لَا يَنْحَاشُ لِلْسَّبِّ
إِذَا شَكَكَ صَبُّهُ إِلَيْهِ الْهَوَى قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ
أُعْنِي فَقِي يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشْبُ مَعَهُ حَسْبُ الصَّبِّ^(١)
قال : وقلتُ لأبي عبيدة : أليس بُعِيَ الكلابُ أمثلها ؟ قال :
لا . قلت : ولم قال :

وَحَفَّتْ هِجَاءُهُمْ لِمَا تَوَاصَوْا
كَخَوْفِ الذَّنْبِ مِنْ بُعْيِ الْكِلَابِ^(٢) ؟
قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذَّنْبِ مِنْ سُودِ الْكِلَابِ * أَلَا تَرَى أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ

الهِجَاءُ قَالَ :

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ شَهْرِ
وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْجَدِّي^(٣) .

لَعَمْرِي لَجَوْتُ مِنْ جِوَاءِ سُوفِيَّةٍ أَسَافَلُهُ مَيْتٌ وَأَعْلَاهُ أَجْرَعُ
أَحَبُّ إِلَيْنَا أَنْ نَجَاوِرَ أَهْلَهُ وَيَصْبَحَ مَنَّا وَهُوَ مَرَأَى وَمَسْمَعُ
مِنْ الْجَوْسِقِ لِلْعَوْنِ بِالرَّيِّ لَا يَنْبَى عَلَى رَأْسِهِ دَاعِي النِّيَّةِ يَلْعُ
يَقُولُونَ لِي صَبْرًا قَهْلْتُ لَطَأًا صَبْرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الصَّبْرَ يَنْفَعُ

(١) ل : « . . . دبره يشب منه » وهو تحريف .

(٢) ل : « وخفت هيجانهم » .

(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة اخذوه خالد بن عبد الله القسري لهشام بن عبد الملك .

وفي ط : « بالتازل » وهو تحريف . والغمر : جمع غمر وهو الماء الكبير .

وفي ط : « غمورة » وفي ل « غموره » وصوابها ما أثبت وانظر معجم البلدان

رسم (المبارك) والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ في ٢ : ٢٦ .

(٤) نسه ياقوت إلى الغطش الضبي في رسم (الجوسق) .

فليت عطائي كان قُسمَ بينهم^(١) وكان لي الصَّمان والحزن أجمع^(٢)
 وكان لهم أجرى هنياً وأصبحت بي البازل الكوماء بالمل تُصبعُ
 أأجعل نفسي عدلٍ علجٍ كأنما يموت به كلبٌ إذا مات أبقعُ
 قال : فقد بين كما ترى أن الأبقع شرُّها . قال : وقلت : فلم
 قال الشاعر :

أرسلت أسداً على بئع الكلاب قد

أمسى شريدُهم في الأرض فلألاً^(٣)

قال ؟ فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغر شأن من هزموا
 ١٢٦ قد صغر شأن المدوح . بل إنما قال « أرسلت أسداً على سود الكلاب »
 قال : وإنما جاء الحديث في قتل سُود الكلاب ، لأنَّ عُقرها أكثرُ
 ماتكون سوداً ، وذلك من غلبة أنفسها .

وليس في الأرض حيوان من بقرةٍ وثورٍ وحمارٍ وفرسٍ وكنبٍ
 وإنسان . إلا والشود أشدُّها شراً وعصياً^(٤) ، وأظهرها قوَّةً وصبراً .
 وقال أبو سعد الخزومي^(٥) في هجائه دعبلاً :

(١) ط « وكان لي الصَّمان » .

(٢) في اللسان : وم قوم قل : منهزموا ، والجمع فلول وفلال . وللاختف في هذه
 الكلمة بحث جيد في اللسان .

(٣) عصياً : مصدر عصي يصي .

(٤) أبو سعد الخزومي من عرف بكنيته وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية .
 وقد عاصر دعبلاً وله معه مهاجة وإقتناع . وقد نته الجاحظ في البيان ٣ : ١٤٧
 بأنه دعي بنى غزوم . وفي ط : « أبو سعيد » والصواب ماني ل . ويؤيد
 ذلك قول ابن أبي الشيبي (الأغاني ١٨ : ٥٤) .

أنا بمرت أبا سعد فأعطاني البشارة

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

يَا ثَابِتَ بْنَ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهَا دُولٌ وَأَخْرَجَهَا بَأَنُ تَنْقَلَا
هَلَا جَلَّتْ لَهَا كَحُرْمَةِ دُعِيلٍ فِي اسْتِ [أَمْ] كَلْبٍ لَا يَسَاوِي دُعِيلًا
[وقال ابن نوفل] .

وَجِئْتُ عَلَى قَصْوَاءَ تَنْقَلُ سَوْدَةً إِلَيْنَا وَكَمْ مِنْ سَوْدَةٍ لَأَسْهَابُهَا^(١)
وَتَزْعُمُ أَنَّ لَمْ تَخْزِ سَلَمُ بْنُ جَنْدَلٍ وَقَدْ خَزَيْتَ بَعْدَ الرَّجَالِ كَلَابُهَا^(٢)
وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفر بن يحيى :

قَفَا خَلْفَ وَجْهِ قَدْ أَطِيلُ كَأَنَّهُ قَفَا مَالِكٍ يَقْضِي الْمَمُومَ عَلَى بَيْتِ^(٣)
وَأَعْظَمُ زَهْوًا مِنْ ذَابَابٍ عَلَى خِرَا^(٤) وَأَبْجَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقِي
وقال أبو الشعمق :

أَهْلُ جُودٍ وَنَائِلٍ وَقَعَالٍ غَلَبُوا النَّاسَ بِالنَّدَى وَالْعَطِيَّةِ
جِئْتُ زَائِرًا فَادْنِ مَكَانِي وَتَلَقَّ بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّةِ
لَا كَيْثِلَ الْأَصَمِّ حَارِثَةَ اللَّؤْلُؤِ مِ شَبِيهِ الْكَلْبِيَّةِ الْقَلْطِيَّةِ
جِئْتُ زَائِرًا فَأَعْرِضْ عَنِّي مِثْلَ إِعْرَاضِ قَحْبَةِ سُوسِيَّةِ^(٥)
وَتَوَلَّى كَأَنَّهُ أَيْرُ بَغْلٍ غَابَ فِي دُبُرِ بَغْلَةٍ مِصْرِيَّةِ
وقال أيضاً :

أَلَا قَوْلَا لِسِرَّانِ الْحَزَارِي وَوَجْهِ الْكَلْبِ وَالتَّنِيسِ الضَّرُوطِ^(٦)

(١) ط : « جئْتُ عَلَى قَصْوَاءَ » وهو تحريف .

(٢) ل : « سَلَمَى بْنُ جَنْدَلٍ » وهو تحريف .

(٣) ط : « تَتَّقِ » .

(٤) ل : « خَر » .

(٥) ط : « سُرْسِيَّة » .

(٦) ط : « أَلَا قَوْلَا لِسِرَّانِ » .

له بطنٌ يضلُّ القيلُ فيه ودُبرٌ مثلُ راقود النَّشُوطِ^(١)
 وأُزُرٌ عارِمٌ لآخرٍ فيه كدُورٍ سفينةٍ في بَثْقِ رُوطِ^(٢)
 ولحْيَةٌ حائلٌ من بابِ قلبِ^(٣) موصَّلةٍ الجوانبِ بالخيوطِ
 له وجهٌ عليه الفقرُ يادٍ مرقعةٌ جوانبه بَقُوطِ^(٤)
 إِذَا نَهَضَ الْكَرَامُ إِلَى الْعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْتَعْلُ فِي هُبُوطِ
 وقال أيضاً في ذلك : ١٢٧

يارازق الكلبِ والخزيرِ في سعةٍ والطيرِ والوحشِ في يهناءِ دَوْنِهِ^(٥)
 لوسنتَ صيرتَه في حالٍ فافتَه حتى تُقَرَّ بتلك الحالِ عَيْنُهُ^(٦)
 وقال جرير بن عطية يهجو الصلتان العبدي^(٧) :

أقول لها والسمعُ يغسلُ كحلها متى كان حكمُ الله في كَرْبِ النخلِ
 فأجابه الصلتانُ فقال :
 نُعَيِّرُنَا أَنْ كَانَتِ النَّخْلُ مَالَنَا ووَدَّ أَبوكَ الْكَلْبُ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلٍ
 يعيِّره جريرٌ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحابِ النَّخْلِ^(٨) .

-
- (١) الراقود : دُنْ كبير أو طويل الأسفل يسبح داخله بالقار . والنشوط : مملك يجر في ماء وملح .
 (٢) عارِم من يوم عارِم : نهاية في البرد . والروط بالضم : التهر ، معرب . وبثق التهر : كسر شطه لينثقب الماء . وفي ل : « زوط » وليس بشيء .
 (٣) ل : « قلبا » .
 (٤) ط : « بقوط » وقد كتب هذا البيت تالياً للذي بعده في ط ، وردده إلى موضعه سابقاً له كما في ل .
 (٥) ط : « في يهما روية » وهو تصحيف . وفي ل « من سعة » .
 (٦) ل : « حتى يقر » .
 (٧) ل : « قال الصلتان العبدي يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه في ط ، وفي الحزاة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ١٢٠ .
 (٨) ل : « يميز جريرا وأباه بأنها كانا أصحاب نخل » وهو خطأ انظر له الراجع السابقة .

وقال وضاحُ اليمين :

وأَكنتم السرَّ غضبانًا وفي سكرى حتى يكون له وجهٌ ومستمعٌ
وأتركُ القولَ عن علمٍ ومقدرةٍ حتى يكون لذلك النَجْدُ مُطْلَعٌ ^(١)
لأقوتى قُوَّةَ الراعى ركائبه يبيتُ يا وى إليه الكلبُ والرُّبعُ ^(٢)
ولا العسيفَ الذى تشتدُّ عُقبتهُ حتَّى يتُوبَ وباقى نعلِه قطعُ ^(٣)
وقال محمد بن عباد الكاتب مولى بجيلة، وأبوه ^(٤) من سبي دابق وكاتب
زهير، وصديقُ كُمامة، يهجو أبا سعد ^(٥) دعىً بنى مخزوم و بعد أن لقي
منه مالتى :

فعلبتُ نزارُ بك الذى استأهَلتهُ نَفياً وضرباً
فهجوتَ قطانا لأهجوهم مكابدةً وإزباً ^(٦)
وأردتَ كما تشقى بهجائهم منهم فترّاً
ووقتَ أنكَ ما سببتَ، حماكَ لو مُك أن تُسبّاً
كالكلبِ إن ينيحَ فليدس جوابه إلا أخسَ كلباً ^(٧)
خفَضَ عليك وقرَّ مكا نك لا تنطفِ شرقاً وغرباً
واكشِفَ قناعَ أيبك فالأ ماءً ليس تُنالَ غصبا

(٢) ط : « حتى يكون بفاك » .

(٢) الربيع : ولد النافقة في الربيع ، وفي ط « الولع » وصوابه في ل ، وفي المحاسة ٢٦١ : ١ . والشعر في المحاسة غير منسوب .

(٣) السيف : البدأ أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المقاتلة وهى النوبة .

وفي ط « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ومن المحاسة وانظر التبريزى (٩٧٠٢) البيان ١ : ٥١ وفي ط « من سبي وابقى » وتصحيحه من ل ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو مخزوم نهب عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجوكم » . ط « مكابرة وإزباً » .

(٧) ل : « كالكلب » .

وقال آخر يصف كلباً :

وَلَدَيْكَ كَطَعْمُ الصَّرْحِ دِيَّ تَرَكْتُهُ بَارِضِ الْعَدَا مِنْ خَشْيَةِ الْحَدَثَانِ
وَمُبْدِي لِي الشَّحْنَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ دَعَوْتُ وَقَدْ طَالَ الشَّرُّ فِدَعَانِي
فوصفه كما ترى أنه يبدي له البغضاء .

وقال آخر :

مَرَرْتُ مَامَرْتُ مِنْ لَيْلِهَا ثُمَّ عَرَّسْتُ عَلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وقال راشد بن شهاب اليشكري :

فَلَسْتُ إِذَا هَبَّتْ شِمَالُ عَرِيَّةٍ بِكَلْبٍ عَلَى لَحْمِ الْجَزْوَرِ وَلَا بَرَمٍ
وقال كثير بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلًا من نعال الكرام (١) :
إِذَا طَرِحْتَ لَمْ يَطْلُبِ الْكَلْبُ رِيحَهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ تُنَمَّتْ
وقال الاعمين في بعض أضيافه (٢) ، يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال
ابن الأعرابي : إِنَّمَا وَصَفْتُ تَيْسًا .

فَقُلْتُ لَعَبْدِي أَتَقْتُلُ دَاءَ بَطْنِهِ وَأَعْفَاجِهِ اللَّائِي لَهُنَّ زَوَائِدُ (٣)
فجاءه بخر شاوى شعير عليهما كَرَادِيْسُ مِنْ أَوْصَالِ أَعْقَدَسَافِدٍ
وقال خُلَيْدُ عَيْنِينَ (٤) وهو يهجو جرير بن عطية ويرد عليه :
وَعَيَّرْتَنَا بِالنَّخْلِ أَنْ كَانَ مَالَنَا وَوَدَّ أَبُوكَ الْكَلْبَ لَوْ كَانَ ذَا نَخْلٍ

(١) الليثي كلام في البيت الآتي . الحزاة ٤ : ١٤٧ يوافق . وهو مع بيتين
سابقين له في البيان ٣ : ٦٤ ، وليتار مثل هذا المعنى إذ يقول :

إِذَا وَضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا تَضُوعُ مَسْكَ مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرُهَا
(٢) انظر ترجمة الاعمين ص ٢٥٦ .

(٣) في هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت في معجم البلدان برسم (حلمات) سبعة
آيات من قصيدة الاعمين هذه ، اثنان منها مضموما القافية يليهما خمسة مكسورات
القوافي . وهذا البيت هو الرابع في روايته . وقد روى مجزؤه هكذا :

* وَأَعْفَاجِهِ النَّظْمَى ذَوَاتِ الزَّوَائِدِ *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان يتزل أرضًا بالبحرين يقال لها «عينين» فنسب
إليها . وقد أجازته زياد مناسبة طريفة . الشعراء ١٠٨ .

وقال دعبيل بن علي :

ولو يُرْزَقُ النَّاسُ عَنْ حِيَلَةٍ لَمَا نَالَ كَثُفًا مِنَ التُّرْبَةِ
ولو يشربُ الماءَ أهلُ العِفا فَمَا نَالَ مِنْ مَائِهِمْ شَرْبَةً
ولكنَّهُ رَزَقُ مَنْ رَزَقَهُ يَمُؤُ بِهِ الْكَلْبُ وَالْكَلْبَةُ

باب

ذَكَرَ مِنْ هُجَيِّ بَأْسَ كُلِّ لَحُومِ الْكَلَابِ وَلَحُومِ النَّاسِ

قال سالم بن دارة النطفاي^(١) .

يَا قَعْسِي لِمَ أَكَلْتَهُ لَهْ . لو خَافَكَ اللهُ عَابَهُ حَرَمَهُ
* فَا أَكَلْتَ لَحْمَهُ وَلَادَمَهُ *

وقال الفرزدق في ذلك :

إِذَا أَسْدِي جَاعَ يَوْمًا بِبِلْدَةٍ وَكَانَ سَمِينًا كَلْبُهُ فَهُوَ أَكَلُهُ

١٢٩

وقال مساور بن هند :

إِذَا أَسْدِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلَامًا فَبَشَّرَهَا بِلَوْثٍ فِي الْقَلَامِ

يَحْزِمُهَا نِسَاءُ بَنِي دُبَيْرٍ بِأَخْبَثِ مَا يَجِدْنَ مِنَ الطَّعَامِ^(٢)

تَرَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلْكِيَّاتٍ بِرَأَتْهَا عَلَى وَصْمِ الثَّمَامِ^(٣)

فهذا الشعر وما أشبهه يدلُّ على أنَّ العينَ إنما قراهم كلباً ولم يَقْرِهِم

تيساً ، وأنَّ الصَّوَابَ خِلافُ مَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ .

وقال مساور بن هند أيضاً :

بَنِي أَسَدٍ أَنْ تَحْمَلَ الْعَامَ قَعْسُ فِهَذَا إِذَنْ دَهْرُ الْكَلَابِ وَعَامُهَا

(١) هو سالم بن ماسع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أهدرك الجاهلية والإسلام ، وكان رجلاً هجاء ، وله ترجمة مبسطة في المزاينة ٢ : ١٢٥ - ١٣٠ والشعر

في البخله ١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « ما يكون من الطعام » وأثبت ماقي ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وصم الثمام : مثل للقلة والهنون . وفي ط « الصيام » وصوابه في ل والبخلاء ١٩٧

وقال شريح بن أوس يهجو أبا المهوش الأسدي^(١).
وعبرتنا تمر العراق وبرّه وزادك أير الكلب شيطله الجمر

(أكل لحوم الناس وما قيل في ذلك من الشعر)

وقال معروف الديري^(٢) في أكلهم لحوم الناس:
إذا ماضيت يوماً قعسياً فلا تطعم له أبداً طعاماً
فإن اللحم إنسان فدعه وخير الزاد ما منع الحراما
وقد هجيت هذيل وأسد والعنبر وباهلة بأكل لحوم الناس،
قال حسان بن ثابت يذكر هذيلاً:

إن سرّك القدر صير قلاماً رجّ له فأت الرجيع وسل عن دار الحيان
قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم فالكلب والشاة والإنسان سيان
وقال الشاعر في مثل ذلك في هذيل:

وأنتم أكلتم شحمة بن مخدّم زباب فلا يأمنكم أحد بعد^(٣)
تداعوا له من بين خمس وأربع وقد نصل الأظفار وأنسب الجلد^(٤)

(١) أبو المهوش الأسدي: هو حوط بن رثاب، أورية بن وثاب من المخضرمين الذين أدرّكوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يروه. وانظر الخزانة ٤ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . وفي ط «المهوش» وصوابه في الخزانة و ل والبخله ١٩٨ .

(٢) ط : «الأسدي» وأثبتت مافي ل والبخله ١٩٩ .

(٣) ل : «شخفة بن من مخدّم» وفي البخله ١٩٨ «سحفة ابن مخدّم» وفي ط «زمانا» موضع «زباب» والزباب : ضرب من الفأر، وهو ما يهجي به . قال:

وم زباب حائر لاتسمع الأذان رعدا

(٤) ط : «نسل» وليس بشيء وصوابه في ل والبخله .

وَرَفَعْتُمْ جُرْدَانَهُ لِرُئَيْسِكُمْ مُعَاوِيَةَ الْقَلْحَاءِ يَالَاكَ مَا شَكَدَ^(١)

وقال الشاعر في ذلك في باهلة:

إِنَّ غَفَاً أَكَلَتْهُ بَاهِلُهُ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وَكَاهَلَهُ

* وَأَصْبَحَتْ أُمُّ غَفَاً تَأْكُلُهُ^(٢) *

وهذا شاعر آخر بالعنبر، وهو يزيد ثوب بن شحمة^(٣)، وكان شريفاً وكان يقال له ١٣٠

مجير الطير، فأما مجير الجراد فهو مدليج بن سويد بن مرشد بن خبيري^(٤)

فغير الشاعر ثوب بن شحمة^(٥) بأكل الرجل العنبري^(٦) لحم المرأة إلى أن

أتى ثوب^(٧) من الجبل فقال:

عَلِمْتُ مَاصِدَ كَمْ عِلَاجٍ مِنَ الْعُنُوقِ وَمِنَ التَّعَاجِ

* حَتَّى أَكَلْتُمْ طِفْلَةَ كَالْمَاجِ *

فلما عيَّره قال ثوب^(٨):

يَا بَنَتَ عَمِّي مَا أُدْرَاكِ مَا حَسْبِي إِذْ لَانِحِنِ خَيْثَ الزَّادِ اضْلَاعِي^(٩)

إِنِّي لَنُؤْمِرُهُ نُحْشَى بُوَادِرُهُ عِنْدَ الصَّيَاحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَاعٍ

ومن ظريف الشعر قول أبي عدنان^(١٠):

(١) ط: ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية النساء يالأك ما شكد والصواب في ل والبخلاء و « يالأك ما » كذا وردت والوجه « يالأك من » .

(٢) ط: « غفاً » و « أم غفاً » بالعين وأثبت ما في ل والبخلاء

(٣) كذا في القاموس والبخلاء ١٩٨ء وفي ط « ثور بن شحمة » وفي ل « ثوب ابن سحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجاز الطير فكان لا يزار ولا يصاد بأرضه فسمي مجير الطير غمار الغلوب ٣٠٥ .

(٤) ط: « جبير » وانظر خبر مجير الجراد في أمثال اللداني (١ : ٢٠٢) وبلوغ الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل: « القيني » وفي البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط: « ثورا » وصوابه في ل .

(٧) ط: « ثور » .

(٨) ط: « مايلريك » وما سبان ، « لايمر » ل: « لايمز » وتصحيحه من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ ؟

فما كلبه سوداءُ تفرى بنايها عِراقاً من الموقِ مراراً وتكدم^(١)
أُتيح لها كلبٌ فضتْ بمرقها فهاشها وهي على العرق تعدم^(٢)
قف على هذا الشعر فإنه من أعاجيب الدنيا .

وقال سنيح بن رباح شار الزنجي^(٣)

مأبالُ كلبِ بني كليب سبنا أن لم يُوازن حاجباً وعقلاً

(قتل الكلاب)

وتنازع مالك بن مسعم وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما رُفك
قبرٌ بستر^(٤) فقال شقيق : حين وضعك قبرٌ بالمشعر ، يا ابن قتيل النساء
وقتل الكلاب !! . قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتل^(٥) الكلاب ،
وذلك أنه لجأ في الردة إلى قوم من عبد القيس ، فكان كلهم ينبج عليه
خاف أن يدل على مكانه فقتله فقتل به .

(أمثال أخرى في الكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرع من لحسة كلب أهه » ويقال :

(١) ط : « تفرى بنايها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتكدم » وصوابها في ل

(٢) تعدم : تعش أو تأكل بجفاء .

(٣) ط : « وقال الشاذلي » ل « وقال السارزنجي » وهنا تحريف كتبت بدله

ماني رسائل الجاحظ ٦١ ساسي واليان ٣ : ٤٤ . وفي الكامل ٤١٥ ليسك

« رباح بن سنيح الزنجي » وانظر الرسائل ٦٢ .

(٤) ط : « بنشير »

(٥) في غرر القلوب ٣١٨ : « مسع بن سنان » .

« أحرص من لقوة » وهي الكلبة ، وجمعها لعاء^(١) وفي النثل : « الأم من كلبٍ على عرق » و « نعيم كلب في يؤس أهله » وفي النثل . « اصنع المعروف ولو مع الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين . انكلب في النوم رجل فاحش ، فإن كان أسود فهو عربى ، وإن كان أبيض فهو عجمى .

وقال الأصمعى عن حماد بن سلمة عن ابن أخْتِ أبي بلال مرداس ابن أدية^(٢) قال : رأيتُ أبا بلال في النوم كلباً تذرِف عيناه ، وقال : إنا حوّلنا بعدكم كلاباً من كلاب النار .

قال . ولما خرج كئبر بن ذى الجوشن [الضبابي] لقتال الحسين بن على رضى الله عنه تعالى عنهما ، فرأى الحسين فيما يرى النائم أن كلباً أبيض بالغ في ١٣١ دماهم ، فأول ذلك أن يقتلهم^(٣) شمر [بن ذى الجوشن] وكان متسلخاً برصاً^(٤)

قال . والمسلمون كلهم يسمون الخوارج كلاب النار^(٥) .

(١) في ط « لقوة » و « لعاء » وصوابهما في له .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرداس بن أدية » وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما في الأغاني وقاموس الأعلام .

(٣) ط : « فأول ذلك يقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخاً برصاً » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما في ط و شمار القلوب ٣١٥ .

(شعر في تشبيه الدرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب^(١) يصفه بالسرعة في الحضر،
وبالصبر على طول العدو ، وبسعة الإهاب ، وأنه إذا عدا ضَمَعَ وبسط يديه
ورجليه حتى يمسَّ قَفْصَهُ الأرض ، وحتى يشرط أذنيه بشباً^(٢) أظفاره ،
وأنه لا يمتشي ريحاً مع ما^(٣) يصيب الكلاب من اللّهث . فإن كان كما يقولون
فلم وصفت الشعراء القرسَ وشبهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاء
وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب في النساء^(٤) لا يلتفت أحد لفثته^(٥) !
وقال أبو دود الإيادي في ذلك :

عن لسان كجته الورل الأحمر معجّ الندى عليه القرار^(٦)
ولم يذكره في شيء ، وقال خالد بن عجرة الكلابي^(٧) .

كأن لسانه ورل عليه بدار مضية . مع القرار
وقال امرؤ القيس :

وخذ أسيل كالمسنّ وبركة^(٨) كجؤجؤ هيق دفه قد تموراً

- (١) ط : « صاحب الكلب » وصوابه في ل .
(٢) شيا : جمع شياة : وهي الحد . وفي ط « بباء » محرفاً .
(٣) ل : « لا يمتشي ريحاً مع ما » و ط : « لا يمتشي ريحاً ما » وسويت القول
كما ترى .
(٤) للنساء : الزجر . وفي ل : « المنسى » وفي ط « النساء » .
(٥) لفته : جهته . وفي ط : « لا يلتفت إليه أحد » .
(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة : وهي
غبرة مشربة سواداً وإذا سخن اصفر صدره » وروى البيت برواية : « بكنة الورل
الأصفر » ونسب البيت إلى عندي بن الرقاق .
(٧) ط « حاد عيرد الكلابي » والبيت في التوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب ،
وهذه الرواية :
كأن لسانه ورل عليه بدار مضية مع القرار
وفي ل « ندى رمصيه » .

ولم يذكره في شيء وقال عقبة بن سابق :

عريض الخدَّ والجبهة والصَّهوة والجنب

ولم يذكره في شيء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرف العتقَ فيهما كسامتَي مذعورة وسطَّ ررب

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

ولها بركةٌ كجَوْجُو هَيْقٍ وَلَبَّانُ مَضْرَجٌ بِالْخَضَابِ

ولم يذكره في شيء . وقال خُفاف بن نَدْبَة :

عَبْلُ الذَّرَاعِينَ سَلِيمُ الشُّطَّا كَالسَّيْدِ يَوْمَ الْقِرَّةِ الصَّارِدِ^(١)

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سَلِمُ الشُّطَّاعِلِ الشَّوْى شَنِجَ النَّسَا أَقْبَ كَتَيْسِ الْحَلْبِ الْغَدَّوَانِ^(٢)

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

وأرساغ كأعناقٍ ظلياء أربع غَلَبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الجعدى .

كَأَنَّ تَمَائِيلَ أَرْسَاغِهِ رِقَابُ وَغُولٍ لَنَى مَشْرَبِ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لَهَا مَتَمَّتَانِ خَطَّانَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّمْرُ

ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال أبو دوداد :

(١) ط : « يوم قرة الصادر » وهو تحريف ما في ل . وفي ل : « أمين الشطا »

(٢) الحلب : نبت تتأده الظباء يخرج منه شيء شبه بالبن إذا قطع . والغدوان :

النشيط السريع ، وفي ط « الغدوان » من الغدو ، وهو الجرى . وهما روايتان .

الديوان ١٢٣ .

يمشى كشي نعمتين تَتَابَعَانِ أَشَقَّ شَاخِصٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال ابن الصَّعْقِ (١) :
بِمَحْصٍ مِثْلِ الْعَقَا بِ تَحَالُهُ لِلصُّمْرِ قَدْحًا (٢)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال ربيعة بن جُشَم [النمرى] و يروى
لامرئ القيس (٣) :

وَسَاقَانِ كَمَا مَهْمَا أَصَمَّا نِ لِحْمٍ حَمَاتِيهْمَا مِنْبِرٌ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال عبد الرحمن بن حَسَّانٍ
بن ثابت الأنصارى :

كَأَنَّ حَمَاتِيهْمَا أَرْبَابَانِ تَقْبِضَتَا خَيْفَةَ الْأَجْدَلِ (٤)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال خالد بن عبد الرحمن في
مثل ذلك (٥) :

كَأَنَّ حَمَاتَهَا كَرْدُوسُ فُحْلٍ مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأعشى :

إِنَّمَا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ جِدْعٌ سَمَا فَوْقَ التَّخِيلِ مُشْدَبٌ
وَإِذَا تَصَفَّحَتْ الْفَوَارِسُ مُعْرَضًا فَتَقُولُ سِرْحَانُ الْغَضَا الْمُتَصَوِّبِ (٦)
أَمَا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسَوْفُهُ سَاقٌ يَقْمَصُّهَا وَظِيفٌ أَحْدَبُ

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة في الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحجب : للموج السابق . وفي ط « بمحجب » . وليس بـ « .

(٣) جملة « و يروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الجملة : عنقولة الساق . وفي ط : « كَأَنَّ حَمَاتِيهْمَا » وهو تحريف .
والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن في مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « و إِذَا تَصَفَّحَتْ الْفَوَارِسُ مُنْضِبًا » .

منه وجاعة كأن حماتها لما كشفت الجبل عنه أرب^(١)
ولم يذكره في شيء من ذلك . وقال الأسعر الجعفي^(٢) :
أما إذا استقبلته فكأنه بازيكف أن يطير وقد رأى
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل مريحان الفضا
أما إذا استدبرته فسوقه ساق قوص الوقع عارية النسا ١٣٣
ولم يذكره في شيء . وقال أبو دواد :

كالسيد ما استقبلته وإذا ولي قول ملأ صرب^(٣)
لأم إذا استعرضته ومشى متتابعاً ما خانته عقب
يمشي كشي نعمة تبعث أخرى إذا هي راعها خطب

[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :
له أبطالا ظلي وساقا نعمة وإرخاء مريحان وتقريب تنقل
[ولم يذكره في شيء من ذلك] . وقال ابن سنان العبدي :

أما إذا ما أقبلت فطارة كالجنح شذبه نقي النجل
أما إذا ما أعرضت فنبيلة ضخم مكان حزامها والمركل^(٤)
أما إذا تشتت فهي نعمة تنفي منابكها صلاب الجنل^(٥)

(قول أبي عبيدة في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : وما يشبه خلقه من خلق النعمة طول وظفها وقصر

(١) الجبل : غطاء الفرس . وفي ط « الجبل » محرفا . وفي ل « هنة وجاعة » .

(٢) الأبيات في الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق يهديم الثالث على الثاني .

(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفي ل : « صرب » .

(٤) ط : « فطيلة » .

(٥) ل : « أما إذا ما أدبرت نعمة » .

ساقها وعُرِيَ نِسيها^(١) . ومما يشبه من خلقه خُلِقَ الأَرنب صِغَر كَعِيها .
ومما يشبه من خلقه خُلِقَ الحمار الوحشِيُّ غِلَظ لَحْمه ، وظلماً فصوصه
وسرّاته ، وتمحص عَصِيه^(٢) ، وتمكن أرساغه ، وعَرَض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد فال أبو عبيدة : إن مما يشبه من خلقه
خُلِقَ الكلب هَرَّتْ شَدَقِه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار
قَصِه^(٣) ، وسبوغ ضُلُوعِه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .
وقال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ ، يصف الخليل :

تبارى مراخيها الزَّجاج كأنها ضِرَاءُ أَحْتَتْ نَبَأَةٌ مِنْ مَكْلَبٍ^(٤)
وقال طُفَيْلٌ أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أَعْطَافِهِ ثُوبَ مَائِحٍ وَإِنْ يَلْقَى كَلْبٌ بَيْنَ لَحْيَيْهِ يَذْهَبُ^(٥)
وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع
أشعار العرب ؟!

وقال صاحب الكلب : لعلنا إن تَبَعْنَا ذلك وجدناه كثيراً ،
ولكنك تَقَدَّمْتَ في أمر ولم تُشعر بالذي تعنى ، فَتَلْتَقِطُ^(٦) من الجميع
١٣٤ أكثر مما تتقطت . والأشعار شريف الأعضاء وقد تشبه مواضع منه مواضع
من القرمس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلا قوله :

(١) ط : « نِسيها » وليس بشيء .

(٢) تمحص المصب : شدته . وفي ط : « تمحص » .

(٣) النس والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المرائي - وهن للسرعات ، واحدها مرخاء - تبارى الزجاج :
جمع زج . أى تكاد تسبق ما يحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرح الزج يبارى ظله بأسيل كالسنان المتخل

وفي ط ، « تبادى » . وفي ط « مراخيها » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢٧:٢)

(٥) المائح : الذى يتزل البثر فيملأ الدلو ، والمائح : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفي ل

« كأن على أَعْطَافِها ثُوبَ مَائِحٍ » وفي ط « كأن على أَعْطَافِه ثُوبَ مَائِحٍ » وانظر

أدب الكاتب ٨٧ والانتصاب ٢٢٧ .

(٦) في الأصل « تلتقط » .

وترى الكيت أمانه وكأنه رجل مُغاضِب ١٣٤
وقال الشاعر في ذلك :
خُوصٌ تَرَّاحُ إِلَى الصَّرَاخِ إِذَا غَدَتِ فِيلَ الصَّوَاءِ تَرَّاحَ لِلْكَلَابِ^(١)
وقد شبهوا بالكلب كلَّ شيء . وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ،
الكلب ، والمزئوق ، والورد .

(شعر في وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قل أوس بن حجر ، ووصف الناقة ونشاطها
والذى يهبها فقال :
كَانَ هَرًّا حَنِينًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَفَّ دِيكَ بِرَجْلَيْهَا وَخَنَزِيرَ^(٢)
فَهَلَّا قَالَ : وَالتَفَّ كَلْبٌ كَمَا قَالَ : وَالتَفَّ دِيكَ !! وَقَالَ أَبُو حَتِّة .
[وَتَزَاوَرَتْ عَنْهُ كَأَن بَدَّهَا هَرًّا يَنْشَبُ ضَبْعُهَا بِالْأُظْفَرِ^(٣)]
وقال الأعشى :
بِجَلَالَةِ سُرُوحِ كَأَنَّ بَدَّهَا^(٤) هَرًّا إِذَا انْتَمَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا
وقال عنبرة بن شدَّاد العبسي :
وَكَأَنَّمَا يَنْأَى بِجَانِبِ دَفِّهَا السَّوْشِيُّ مِنْ هَزَجِ الْعَشِيِّ مُؤَثَّرِ^(٥)

(١) ل : « إلى الصباح » وكذلك في اللسان مادة (روح) .
(٢) لابن طباطبغا في هذا البيت ذكره الرزباني في الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام
فيه في المدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .
(٣) ينشب : يعلق به . وفي ط : « تنشب » .
(٤) ل : « يبرزها » والنفرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .
(٥) في الأصل : « دفها الوحشي في هزج ... » وانظر التبريزي ١٨٧ .

هَرُّ جَنْبٍ كُلَّمَا عَطَفْتُ لَهُ غَضَبِي اتَّقَاهَا بِالْيَدَيْنِ وَبِالْقَمَرِ^(١)
وقال المثقَّبُ السَّيْدِيُّ :

فَسَلِّ الِهْمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُدَا فِرَّةٍ كَمِطْرِ قَدِ التَّيُونِ
وَصَادِقَةِ الْوَجِيفِ كَأَنَّ هَرًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالْوَضِينِ^(٢)

قال صاحب الكلب : إنما يذكرُون في هذا الباب السَّبَاعَ للنعوة
بالجُحَابِ وطول الأظفار ، كما ذكروا الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس
يوصف بالجُحَابِ ، وليس أَنَّ الهرَّ أقوى منه . ألا ترى أَنَّ أوسَ بن حجرٍ
قال في ذلك :

* كَأَنَّ هَرًّا جَنْبِيًّا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

فذكر الموضع الذي يوصف بالجلبِ والحدشِ والحش والتظفير ، فلما
أراد أن يفرِّعها ويثوِّرها حتى تذهب جافلة في وجهها^(٣) ، أو نادة ،
١٣٥ أو كأنها مجنونة من حاقِّ المرح والنشاط^(٤) قال :

* وَالتَّفَّ دَيْكُ بَرَجْلِيهَا وَخَنَزِيرٍ^(٥) *

وقال أبو النجم :

لَوْ جُرِّشَتْ وَسَطُهَا لَمْ يُجْهِلِ^(٦) مِنْ شَهْوَةِ الْمَاءِ وَرُزْءِ مَعْضِلٍ^(٧)
[ويروى تحفل] . ولو قال أوس :

(١) ط . « اتقاهما » .

(٢) ل : « بصادقة الوجيف » .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفي ط « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدره .

* كَأَنَّ هَرًّا جَنْبِيًّا عِنْدَ مَغْرَضِهَا *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل .

* والتفَّ شَنْ برجلها وخنزير *

لكان جائزاً ، لولا يُنسُ الشَّن وقُحوله ، وأنه ليس مما يلتوى على رجلها . وقال آخر :

كَأَنَّ ابْنَ آوَى مُوتِقٌ تَحْتَ غَرَزِهَا إِذَا هُوَ لَمْ يَكُنْ بِنَائِيهِ ظَفَرَا
وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحلُّ
لرجلٍ [أن] ^(١) يُعْطِيَ عَطِيَّةً وَيَرْجِعَ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدُ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ .
ومثل الأبى يُعْطِي الْعَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَتَلِ الْكَلْبِ يَا كُلُّ ، حَتَّى إِذَا
شَبَعَ فَأَهْ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ » ^(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يرجع في هبته إِلَّا الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ . وَالْمَاءِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْمَاءِدِ
فِي قَيْئِهِ » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أن أبا بكرٍ أمر
بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أمي تحت أبي بكرٍ ،
وكان جرو لي تحت سريره ^(٣) فقلت له : يَا أَبَتِ ، وَكَلْبِي أَيْضًا ؟ فقال :
لَا تَقْتُلُوا كَلْبَ ابْنِي ، ثُمَّ أَشَارَ بِإصْبَعِهِ إِلَى الْكَلْبِ - أَى خَذُوهُ مِنْ تَحْتِ
السَّرِيرِ - وَأَنَا لَا أَدْرِي ، فَتَقَتْلُ .

وإسماعيل بن أمية قال : أُنْتَانِ مِنَ الْجِنَّ مُسَخَّنَا ، وَهِيَ
الْكَلَابُ وَالْحَيَّاتُ .

ابن المبارك قال : إِذَا عَرَفَ الرَّجُلُ قَدَرَ نَفْسِهِ نَصَرَ عِنْدَ نَفْسِهِ
أَذْلًا مِنَ الْكَلْبِ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ل : « فاه ثم عاد في قيه » .

(٣) ط : « تحت السرير » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك - وذَكَرَ الكلب فقال - : من لؤمه أَنَّهُ إِذَا أُسْمِتَهُ أَكَلَك ، وَإِنْ أُجِمَّتْهُ أَتَكَرَّكَ . ومن لؤمه اتَّبَاعُهُ لِمَنْ أَهَانَهُ ، وَإِلَّاهُ لِمَنْ أَجْلَقَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَجْهَلُ مَنْ أَنْ يَأْنِسُ بِمَا يُؤْنِسُ بِهِ ^(١) وَأَشْرُهُ وَأَنْهَمُ وَأَحْرَصُ وَأَلْجُ مَنْ أَنْ يَذْهَبَ بِمَطْمَعَتِهِ ^(٢) مَا يَذْهَبُ بِمَطْمَعِ السَّبَاعِ .

ومن جهله أَيضاً أَنَّهُ لَمْ يَنْجِدْهُ يَحْرُسُ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِ بِنَبَاحِهِ ، وَأَرْبَابُهُ الَّذِينَ رَبَّوْهُ وَتَبَنَوْهُ ^(٣) إِلَّا كَحِرَاسَتِهِ لِمَنْ عَرَفَهُ سَاعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ لِمَنْ أَذَلَّهُ وَأَجْلَقَهُ وَأَعْطَشَهُ . بَلْ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ حِرَاسَةً ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ الْبَنَاءِ أَوْ الْفُحْشِ ، وَشِدَّةِ التَّحَرُّشِ وَالتَّسْرِعِ . وقد قال الشاعر في ذلك :

١٣٦ إِذَا تَحَاوَزْتُ وَمَا بِي مِنْ حَزَرٍ ثُمَّ كَسَرْتَ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَرٍ ^(٤)
أَبْدَأُ إِذَا بُوذِيتَ مِنْ كَلْبٍ ذَكَرَهُ ^(٥) أَسْوَدَ قِرَاحٍ يُعَوِّي فِي السَّحَرِ ^(٦)
وَإِنَّمَا ذَلِكَ شَكْلٌ مِنْ شَكْلِ الْجَيْنِ ، وَكَالَّذِي ^(٧) يَعتَرِي نِسَاءَ السُّفَلَةِ
من الصَّخَبِ .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأةٌ ولؤمٌ . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيب

-
- (١) ل : « منه » .
(٢) مطمعة : طمعه . وفي ط : « بمطمعه » .
(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما في ل .
(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .
(٥) أبداً من البناء . ط « أبزى إذا بوزيت » صوابه في ل . وانظر الأمل (٩٦ : ١) وأمثال اليباني (١٢٧ : ٢) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص عند النعمري (١ : ٤١٠) .
(٦) الفزاح : الذي يدفع ببوله دفعا . وفي ط « فزاع » . وفي ط « تعوى في السحر » وفي ل « ينضى في السحر » .
(٧) ط : « ولا الذي » وهو تحريف .

كان أمثل : ومن فرط الجبن أنه يفزع من كل شيء وينبجه .
والبرذون ربما رمح البرذون مبتدأ ، وفاق وصل صهيلا في اختلاط ،
وليس ذلك من فضل قوة يجدها في نفسه على الرموح ، ولكنه يكون جباناً ،
فإذا رأى البرذون الذي يظن أنه يعجز عنه أراه الجبن أنه واقع به ، فعندها
يقلق وإذا قلى رمح . وهذه العلة تعرض للمجنون : فإن المجنون الذي
تستولى عليه السوداء ، ربما وثب على من لا يعرفه . وليس ذلك إلا لأن
الريّة أو همته أنه يريد بسوء ، وأن الرأي أن يبدأ^(١) بالضرب ؛ وعلى مثل
ذلك يرمي بنفسه في الماء والنار .

(مما حدث للنظام)

فأما الذي شهدت أنا من أبي إسحق بن سيار النظام ، فإننا خرجنا
ليلة في بعض طرقات الأبلّة ، وتقدّمته شيئاً ، وألح عليه كلب من شكل كلاب
الرّعاء ، وكره أن يعدو فيغريه ويضريه^(٢) ، وأنف أيضاً من ذلك - وكان ألقاً
شديد الشكيمة أباؤه للهزيمة - وكره أن يجلس مخافة أن يشغره عليه^(٣)
أو لعله أن بعضه فهيرت ثوبه ، وألح عليه فلم ينله بسوء^(٤) . فلما جُزّأ حدة
وتخلّصنا منه ، قال إبراهيم في كلام له كثير ، يعدّد خصاله اللذومة ،
فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سبّع فذهب مع السبّع ، وعليك
بالبرارى والغياض ، وإن كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم !

(١) ط : « أن يبدأ » .

(٢) بخره : بغريه . وفي الأصل « ويضريه » .

(٣) في ما « يضر عليه بيوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهيرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولانتكر قولى وحكايتى عنه بقول ملحون . من قولى « إن كنت
سَمِعَ » ولم أَقُلْ « إن كنت سَمِعاً » ! .

(إفساد الإعراب لنوادير المولدين)

وأنا أقول : إن الإعرابَ يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحنَ يُفسد
كلام الأعراب^(١) ؛ لأنَّ سامعَ ذلك الكلامَ إِنَّمَا أُعْجِبَتْهُ تلك الصورة^(٢)
وذلك الحَرْجُ ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فَإِذَا دَخَلَتْ على هذا الأمر - الذى
إِنَّمَا أُعْجِبَكَ بِسُخْفِهِ وبعضِ كلامِ العَجَمِيَّةِ التى فيه^(٣) - حروفَ الإعرابِ
والتحقيقِ والتثْقيلِ^(٤) وحوالته إلى صورة أَلْفَاظِ الأعرابِ الفصحاء ،
وأهلِ الروعة والتجابهة^(٥) انقلب المعنى مع انقلابِ نَظْمِهِ ، وتبدَّلت صورته .
١٣٧ ثم قال أبو إسحاق : إِنَّ أَطْعَمَهُ اللصُّ بالتهار كسرةَ حَبْرٍ خلاه ،
ودارَ حوله ليلا . فهو فى هذا الوجه مرتشٍ وآكلٌ سُحْتٌ ؛ وهو مع
ذلك أَسْمِجُ الخلقِ صوتاً ، وأحمقُ الخلقِ يَقْظَةً ونوماً ، ينامُ النهارَ كله على
نفسِ الجأدة ، وعلى مدقِّ الخوافر ، وفى كلِّ سوقٍ وملتقى طريق ، وعلى
سبيلِ الحُمُولَةِ^(٦) وقد سهر الليلَ كله بالصباح والصَّحَبِ ، والنَّسَبِ
والتَّعَبِ ، والغَيْظِ والغضبِ ، والجحى والدَّهَابِ ، فيركبه من حبِّ النومِ

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » .

(٢) ل : « أُعْجِبَتْهُ » بدل « أُعْجِبَتْهُ » .

(٣) ط : « فيها » والوجه ما فى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثْقيل » والوجه ما فى ل .

(٥) ل : « والتجابهة » .

(٦) الجمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بئر وحمار ونحوه . وفى الأصل : « الجمولة »

بالحاء مصصفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطنته دابةٌ فأسوأُ الخلقِ جرّعاً وألّامةً
لئّما ، وأكثره نباحاً وعواءً ، فإن سلم ولم تطأهُ دابةٌ ولا وطنه إنسان ،
فليست تمّ له السلامة ؛ لأنّه في حالٍ متوقّعٍ للبلية . ومتوقّعٍ لليلةٍ في
ليلةٍ . فإن لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأُ حالاً منه ؛ لأنّه أسوأُهم
جرّعاً وأقلّهم صبرا ، ولأنّه الجاني ذلك على نفسه ، وقد كانت الطُّرق
الجالية له معرّضة ، وأصول الحيطان له مباحة .

وبعد فإن كلّ خلقٍ فارقَ أخلاقِ الناسِ فإنّه مضموم . والناس ينامون
بالليل الذي جعله الله تعالى سكنا ، وينتشرونَ بالنهار الذي جعله الله تعالى
لحاجاتِ الناسِ ^(١) مَسْرَحاً .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إن سنهره بالليل ونومه بالنهار
خصّةٌ ملوكيّةٌ لقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك الذي لكنت الملوك بذلك
أولى . وأمّا الذي أشرتم به من النوم في الطرق الخالية ، وعبتوه به من
نومه على شوارعِ الطُّرق والسككِ العامرة ^(٢) وفي الأسواقِ الجامعة ،
فكلُّ امرئٍ أعلم [يشأنه] . ولولا أنّ الكلبَ يعلم ما يلقى من الأحداث
والشفهاء وصبيان الكتّاب ، من رضّ عظامه بألواحهم إذا وجدوه نائماً في
طريق خالٍ ليس بمحضرة رجالٍ يُهاون ^(٣) ، ومشيخةٍ يرجمون ويزجرون
السفهاء ، وأنّ ذلك لا يعتريه في مجامع الأسواق - لقلّ خلافه عليك ، ولما
رقد في الأسواق . وعلى أنّ هذا الخلقُ إنّما يعترى كلابُ الحرّاس ، وهي

(١) ل : « النفوس » .

(٢) شرع للترنل : صار على طريق نافذ . وفي ل : « على مربعات السكك العامرة »

(٣) في الأصل « في طريق ليس خالٍ بمحضرة .. الخ » وكلة « خال » مزحزة

عن موضعها ،

التي في الأسواق مأواها ومنازلها . وبعد فن أخطأ وأظلم ممن يكلف
السباع أخلاق الناس وعادات البهائم !! وقد علمنا أن سباع الأرض عن
آخرها إنما تهيج وتسرح وتلتبس العيشة وتتلاقى على السفاد والعفال ليلاً؛
لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناس بالليل عن حوائجهم ، لأن التمييز والتفصيل والتبيين^(١)
لا يمكنهم إلا نهاراً ، وليس للمتعب المتحرك بد من سكون يكون جمالاً له .
ولولا صرفهم^(٢) التماس الجمال إلى الوقت الذي لولم يناموا فيه والوقت مانع
١٣٨ من التمييز والتبيين^(٣) ، لكانت الطبايع تنتقض . فجعلوا النوم بالليل
لضربين : أحدهما لأن الليل إذ كان من طبعه البرد والركود والخسوة ،
كان ذلك أنزع إلى النوم وما دعا إليه ، لأنه من شكله . و [أمّا]^(٤)
الوجه الآخر فلأن الليل موحش مخوف الجوانب من الهوام والسباع ،
ولأن الأشياء المبتاعة والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدرام ، والحبوب ،
والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبر نهاراً^(٥) وما لا يحصى عدده .
فقداتهم طبائهم وساقطهم غرائزهم إلى وضع النوم في موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما في ل .

(٢) ل : « صرفهم » .

(٣) ط : « التمييز » .

(٤) زيادة يفتر إليها الكلام .

(٥) ل : « والبر بهار » وهو تحريف . وفي العبارة هس

والتصرف^(١) في موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأجبه . وأما السباع فإنها تتصرف وتبصر بالليل ، ولها أيضاً علل أخرى يطول ذكرها .

(نوم الملوك)

وأما ما ذكرتموه من نوم الملوك بالنهار وسهرهم بالليل، فإن^(٢) الملوك لم يجمل فضل النوم بالليل والحركة بالنهار ، ولكن الملوك لكثرة أشغالها فضلت حوائجها عن^(٣) مقدار النهار ولم يتسع لها ، فلما استعانت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرّ المخزون ، وجمعت المقدار الفاضل عن اتساع النهار إلى المقدار الذي لا بدّ للخلوة بالأسرار منه : أخذت من الليل صدرًا صالحًا . فلما طال ذلك عليها أعلنها الميران^(٤) ، وخفّ ذلك عليها بالدُّرّة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سماع الصوت الحسن مما يزيد في المنّة ، ويكون مادّة للقوة . وعلموا أنّ العوامّ إذا كانت لا تتناول الشراب ولا تتكفّ السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيئ^(٥) ، وقولها سيكثر ؛ فأروا أنّ الليل أسرّ وأجدر أن يتمّ به التدبير^(٦) وقال أراجز :

* أَلَيْلُ أَخْنَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ *

وقالوا في المثل : « أَلَيْلُ أَخْنَى لِلْوَيْلِ »^(٧) .

(١) ط « والانتصار بالتصرف » وهو تحريف .

(٢) في الأصل « وإن » والوجه مأثبت .

(٣) ط : « على » موضع « عن »

(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .

(٥) ط : « متيسر » وهو تحريف ماق ل .

(٦) ط : « به باقى التدبير »

(٧) ط : « أتق للويل » . وانظر أمثال الميداني (١٢٧:٢)

(تلهي المجزون بالسماع)

وما زالت ملوك العجم تلهي المجزون بالسماع ، وتملأ المريض ، وتشغله
عن التفكير ، حتى أخذت ذلك ملوك العرب عن ملوك العجم . ولنلك
قال ابن عسلة الشيباني ^(١) .

وسماع مُدَجَّنَةٍ تَلَلْنَا حَتَّى نَنَامَ تَنَاوَمَ الْمُجْمَمِ
فَصَحُوتُ وَالتَّمَرِيُّ يَحْسِبُهَا عَمَّ السَّمَاءِ وَخَالَه النَّجْمُ
النجم : واحد وجمع ، وإِنَّمَا يعنى فى البيت الثرياً . ومدجنة : يعنى
سحابة دائمة .

(قول أم تابط شرافى ولدها)

وفىما يحكى عن امرأة من عقلاء نساء العرب - وإذا كان نساء العرب
١٣٩٠ فى الجملة أعدل من رجال العجم ، فما ظنك بالمرأة منهم إذا كانت مقدمة
فيهم ^(٢) - فرؤوا جميعاً أنَّ أُمَّ تَابِطٍ شَرَّاءُ قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا وَلَدْتُهُ يَتْنًا ، وَلَا سَقِيَّتَهُ
غَيْلًا وَلَا أَبْتَهُ عَلَى مَأْقَةٍ .. فَأَمَّا اليتن فخرج رجل المولود قبل رأسه ،
وذلك علامة سوء ، ودليل على الفساد . وأما سقى التيتل ، فارتضاع لبن
الحبلى ، وذلك فساد شديد .

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١١ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .

(٢) ل : « عندم » .

(ما ينبغي للآم في سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها في المأفة ، فإن الصبي يبكي بكاءً شديداً متعباً موجعاً ، فإذا كانت الأم جاهلةً حرّكته في المهد حركةً تورثه الدوار ، أو نومته بأن تضرب يدها على جنبه . ومتى نام الصبي وتلك الفزعة أو اللوعة أو المكروه قائمٌ في جوفه ، ولم يعلل ببعض ما يليه ويضحكه ويسره ، حتى يكون نومه على سرور ، فيسري فيه ويعمل في طباعه ، ولا يكون نومه على فزع أو غيظ أو غم ؛ فإن ذلك مما يعمل في الفساد . والأم الجاهلة والمرقصة الخرفاء ، إذا لم تعرف فرقَ ما بين هاتين الحالتين ، كثر منها ذلك الفساد ، وترادف ، وأعان الثاني الأول والثالث الثاني حتى يخرج الصبي مأثقا . وفي المثل «صاحبى متقى وأنا تقى» يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرقيق والزميل ، وقد استفزغه الشجر لطول السفر ^(١) قلبه ملان ، فأولُ شئٍ يكون في ذلك المثلث من المكروه لم يحتمله ^(٢) بل يفيض خبزه عليه ، لا متلائمه من طول ما قاسى من مكروه السفر .

(ما يحتاج إليه الملوك)

فاحتاج حذائق الملوك وأصحابُ العنايات التامّة ، أن يداووا أنفسهم بالسماح الحسن ، ويشدّوا من متهمهم بالشراب ، الذى إذا وقع في الجوف حرّك الدّم ، وإذا حرّك الدّم حرّك طباع السرور ، ثم لا يزال زائداً في

(١) ن : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » والواو مقحمة .

مِكْيَالِ الدَّمِ ، زَائِدًا فِي الْحَرَكَةِ الْمَوْلَدَةِ لِلْسُرُورِ . هَذِهِ صِفَةُ الْمُلُوكِ . وَعَلَيْهِ
بَنُوا أَمْرَهُمْ ، جَهْلَ ذَلِكَ مِنْ جَهْلِهِ ، وَعَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْكَلْبِ : أَمَّا تَرَكُهُ الْاِعْتِرَاضَ عَلَى اللَّصِّ الَّذِي أَطْعَمَهُ
أَيَّامًا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ مِرَارًا ، فَأَتَمَّا وَجِبَ عَلَيْهِ حِفْظُ أَهْلِهِ لِإِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِ ،
وَتَعَاهَدِهِمْ ^(١) لَهُ . فَإِذَا كَانَ عَهْدُهُ بِرِّ اللَّصِّ أَحْدَثَ مِنْ عَهْدِهِ بِرِّ أَهْلِهِ ^(٢) ،
لَمْ يَكْتَفِ الْكَلْبُ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ ، وَمَوَازِنَةِ الْأُمُورِ ^(٣) . وَالَّذِي أَضْمَرَ
اللَّصُّ مِنَ الْبَيَاتِ غَيْبٌ قَدْ سُرَّ عَنْهُ ؛ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَجَاءَ لِيَأْخُذَ أَمْ جَاءَ
لِيُعْطَى . أَوْ هُوَ أَمْرُهُ أَوْ هُوَ لِلتَّكَافُفِ لَذَلِكَ ؛ وَلَعَلَّ أَهْلَهُ أَيْضًا [أَنْ] يَكُونُوا
قَدْ اسْتَحَقُّوا ذَلِكَ مِنْهُ بِالضَّرْبِ وَالْإِجَاعَةِ ، وَبِالسَّبِّ وَالْإِهَانَةِ .

وَأَمَّا سَاجِدَةُ الصَّوْتِ فَالْبَغْلُ أَسْمَحُ صَوْتًا مِنْهُ ، كَذَلِكَ الطَّاءُوسُ عَلَى
١٤ أَنَّهُمْ يَتَشَاءَمُونَ بِهِ . وَلَيْسَ الصَّوْتُ الْحَسَنُ إِلَّا لِأَصْنَافِ الْحَمَامِ مِنَ الْقَمَارِيِّ
وَالدَّبَّاسِيِّ ، وَأَصْنَافِ الشَّفَانِينَ ^(٤) وَالْوَرَّاشِينَ . فَأَمَّا الْأَسَدُ وَالذَّبَّابُ ،
وَابْنُ آوَى وَالخَنْزِيرُ ، وَجَمِيعُ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ وَالبَهَائِمِ فَكَذَلِكَ . وَإِنَّمَا لَكَ
أَنْ تَذُمَّ الْكَلْبَ فِي الشَّيْءِ الَّذِي لَا يِعْمُ . وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : لَيْسَ فِي النَّاسِ
شَيْءٌ أَقَلُّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : الْبَيَّانُ الْحَسَنُ ، وَالصَّوْتُ الْحَسَنُ ، وَالصُّورَةُ
الْحَسَنَةُ ؛ ثُمَّ النَّاسُ بَعْدُ مُخْتَطِطُونَ مُمْتَزَجُونَ . وَرَبَّمَا كَانَ مِنَ النَّاسِ بَلْ
كَثِيرًا مَا يَجِدُهُ وَصُوتُهُ أَقْبَحُ مِنْ صَوْتِ الْكَلْبِ ، فَلَمْ تَحْضُرْ الْكَلْبَ
بَشْيْءَ عَائِمَةٍ الْخَلْقِ فِيهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْكَلْبِ ؟

وَأَمَّا غَوَاؤُهُ مِنْ وَطْءِ النَّبَاتَةِ وَسَوْءِ جِرْعِهِ مِنْ ضَرْبِ الصَّبَّيَّانِ ، فَبِزَعُ

(١) ل : « وَتَهْدِمُهُ لَهُ » وَهِيَ بِمَعْنَى .

(٢) ط : « فَإِذَا كَانَ عَهْدُهُ بَيْنَ اللَّصِّ وَبَيْنَهُ أَحْدَثَ مِنْ عَهْدِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ »
وَأَنْتَبِهُ لِمَا مَعَ إِبْدَالِ « بَيْنَهُ وَبَيْنَ » بِكَلِمَةِ « بِرِّ » .

(٣) ط : « وَمَوَازِنَةِ الْأُمُورِ » .

(٤) ط « الشَّفَانِينَ » وَهُوَ تَحْرِيفُ سَبْقِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ مِ ١٩٢ .

الفرس من وقع عَذْبَةُ السَّوْطِ ، أسوأ من جَزَعِه من وقع حافرِ بِرْدُون .
وهو في هذا الموضع للفرس أشدُّ^(١) مناسبةً منه للحمار . على أَنَّ الدَّيْكَ
لَا يَدُكَّرُ بِصِيرٍ وَلَا جَزَع .

(نوادر ديسيموس اليوناني)

قال صاحب الديك : حَدَّثَنِي الْعُتْبِيُّ^(٢) قال : كان في اليونانيين ممرورٌ
له نوادرٌ عجيبية ، وكان يسمى ديسيموس^(٣) ، قال : والحكماء يروون له
أكثرَ من ثمانين نادرة [مأمنا] إلا وهي غُرَّةٌ وعَيْنٌ من عُيُونِ النوادر :
فمنها أَنَّهُ كان كَلِّمًا خرجَ من بيته مع القجر إلى شاطئِ القرات للفاط
والطهور ، أَلْقَى في أصل باب داره وفي دُورِته حجرًا ، كي لا ينصفق الباب ،
فيحتاج إلى معالجة فتحة ، وإلى دفعه^(٤) كَلِّمًا رَجَعَ من حاجته ، فكان
كَلِّمًا رَجَعَ^(٥) لم يجد الحجرَ في موضعه ، ووجد البابَ منصفقًا . فكَنَّ
له في بعض الأيام^(٦) ليرى هذا الذي يصنع^(٧) ما يصنع . فبينما هو في
انتظاره إذ أقبل رجلٌ حتَّى تناولَ الحجرَ ، فلمَّا نَحَّاه عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفي الأصل « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « العتيبي » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتيبي من ٥٤

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هي الصواب كما في ل ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم
يوناني متداول وحرف بالراء في ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ١٦٤ .

(٤) ط : « دفعه » والوجه ما في ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « في بعض الأماكن في بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

البابُ، فقال له : مالك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلم أنه
تلك . قال : فقد علمت أنه ليس لك ؟!

قال : وقال بعضهم : ما بال ديسيموس يعلم الناس الشعر ولا يقول
الشعر ؟ قال : ريسيموس كالمسن الذي يشحذ ولا يقطع
ورآه رجل يأكل في السوق فقال : أنا كل في السوق ؟ فقال : إذا جاع
ديسيموس في السوق أكل من السوق .

قال : وأسمعه رجل كلاماً غليظاً وسطاً عليه ، وغش في القول ، وتحمل عنه
فلم يجبه ، فقيل له : مامنك من مكافأته وهو لك معرض ؟ قال : أرايت لو
رحلك حماراً أكنت ترمعه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبج عليك كلب تنبح^(١)
عليه ؟ قال : لا ، قال : فإن السفية إما أن يكون حماراً ، وإما أن يكون
١٤١ كلباً ؛ لأنه لا يخلو من شرارة تكون فيه أو جهل ، وما أكثر ما يجتمعان
فيه^(٢) .

(أمثال أخرى في الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنما هو كلب ، وإنما أنت
كلب نباح ، وما زال ينبج علينا منذ اليوم ، وكتب من هذا ؟ ويا كلب
ابن الكلب ، وأخساً كلباً^(٣) .

وقالوا في المثل : « احتاج إلى الصوف من جزء كلبه » و « أجمع كلبك
يتبعك » و « أحب شيء إلى الكلب خافقه » و « سمن كلبك بأكلك »

(١) ل : « فن نبج عليك الكلب » الخ . . .

(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما في ل .

(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة وأخساً كلباً » .

و «أَجْعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ» و «كالكلب يربض في الأري فلا هو بأسكل ولا يدعُ الدابة تمتلف» .

(براقش)

وفي أمثالهم في الشؤم : «على أهلها دلت براقش» . و براقش : كلبة نبحت على جيش مرثوا في جوف الليل وهم لا يشعرون بموضع الحى ، فاستدلوا عليهم بنباح الكلبة فاستباحوهم .

(الجن والجن)

وقال صاحب الديك : روى إسماعيل السكى عن أبى عطاء الطاردي قال : سمعت ابن عباس يقول : السؤد من الكلاب الجن ، والبُقع منها الجن . ويقال إنَّ الجنَّ صُفَّة الجن . كما أنَّ الجنَّ إذا كفر وظلم وتعدى وأفسد ، قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإن زاد فهو عفرت ، فإن زاد فهو عبقرى . كما أنَّ الرجل إذا قاتل في الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع ^(١) ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بُهْمَة ، فإن زاد قالوا : أُلَيْس ^(٢) ، فهذا قول أبى عبيدة .

وبعض الناس يزعم أنَّ الجنَّ والجنَّ صِنْفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابي حين أتى بعض أبواب اللوك ليكتتب في الزمنى ، فقال في ذلك : إن تكتبوا الزمنى فإني لزمن من ظاهر الداء وداء مُسْتَكِن

(١) ن : « ولم يحجم .. » وما بمعنى .

(٢) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفي ط : « ليت » وهو تحريف .

أَيُّهُمُ أَوْ فِي شَيَاطِينٍ تُرِنُّ مَخْتَلِفٍ يُجَارُهُمْ حِينَ وَجُنُّ .

(ماورد من الحديث والخبر في قتل الكلاب)

وعن أبي عنبسة^(١) عن أبي الزبير عن جابر^(٢) قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلها من البادية فنقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : عليكم بالأسود البهم ذى النكتتين على عينيه فإنه شيطان . وعن أبي الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : إنها أمة من الأمم ، فاقتلوا البهم الأسود ذا النكتتين على عينيه فإنه شيطان . وعبد الله وأبو بكر ١٤٢ أنبأنا نافع^(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبي رافع قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقتل الكلاب ، فكنت أقتلها ، فاتمتهت إلى ظاهر بني عامر ، وإذا عجوز مسكينة معها كلب وليس قريبا لها إنسان^(٤) فقالت : ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن هذا الكلب يؤنسني ، وليس قريبا أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتل كلبها فقتله . وقال في حديث آخر^(٥) : إنه لما فرغ من قتل كلاب المدينة وقتل كلب المرأة قال : الآن استرحت . قالوا : قد صح الخبر عن قتل جميع الكلاب ، ثم صح الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهم منها ، مع الخبر بأنها من الجن والحزن ، وأن أمتين مسختا ، وهما الحيات والكلاب .

- (١) ل : « ويحيى بن أبي أنيسة » .
 (٢) في ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم » . وعن أبي الزبير عن جابر « كما أن الحديث الآتي في ل روى بعد الذي يليه هنا .. »
 (٣) ل : « ابن نافع » .
 (٤) ط : « يقربها إنسان » .
 (٥) ل : « قال وفي حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ماخطب عثمانُ حُطْبَةً إِلَّا أمرَ بقتل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بنَ عفَّان يقول : اقتلوا الكلاب واذبجوا الحمام :

قال : وقال عطاء : في قتل كلب الصيد إذا كان صائداً أرعون درهما ، وفي كلب الزرع شاة .

(ماورد من الحديث والخبر في دية الكلب)

والحسن بن عماره عن يعلى بن عطاء عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر^(١) قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلب الصَّيْدَ أربعين درهما ، وفي كلب النعم بشاة ، وفي كلب الزرع بفرق من طعام^(٢) ، وفي كلب النار بفرق من تراب ، حُقَّ على القاتل أن يؤدَّيه ، وحُقَّ على صاحب النار أن يقبضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلاً إذا كان في مقدار الفرق .

وفي قوله : وحُقَّ على صاحب النار أن يقبضه ، دليلٌ على أنه عقوبة على اتِّخاذهِ^(٣) وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحميقه ، [و] على وجه الإرغام لمالكه . ولو كان عوضاً أو نوايياً أو كان في طريق الأموال المحروص عليها لما أكرهه على قبضه أحد ، ولكان العفو أفضل .

(١) في الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق بالتحريك : مكيال يقال إنه يبع ستة عشر رطلا . المصباح . وفي ل « من الزرع » .

(٣) ط « على النهي عن اتِّخاذهِ » وتصحيحه من ل .

(ماورد من الحديث والخبر في شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون في الدار وفي الدار من هو له كاره .
ابن أبي عروبة عن قتادة عن أبي الحكم : أن ابن عمر سئل عن ذلك
قال : المأثم على رب الدار الذي يملكها .

وعن ابن عمر قال : من اتخذ كلباً ليس بكلب زرع ولا صرع ولا صيد
نقص من أجره كل يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجل وهو كاره ؟
قال : إنما إثمه على صاحب الدار .

وصدقة بن طيسلة^(١) المازني قال : سألت الحسن قلت : إن دورنا في
الجبان^(٢) وهي مئيرة وليس عليها أبواب ، أفتري أن نتخذ فيها كلاباً ؟
قال : لا لا .

١٤٣ وعن ابن أبي شيبه^(٣) عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو كلب ماشية ، نقص من أجره
كل يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « من اقتنى كلباً^(٤) فإنه
ينقص من عمله كل يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق^(٥) قال حدثنا هنيذة بن خالد^(٦) الخراعي
قال : انطلقت مع قري من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نمود رجلاً من

(١) ط : « طيلة » وأثبت ما في ل .

(٢) الجبان والجبانة : القبرة والصحراء . وفي ط « الجبان » وهو تحريف .

(٣) ل : « وابن أبي أنيسة » .

(٤) ل : « من أمك كلباً » .

(٥) ل : « ويونس عن ابن أبي إسحاق » .

(٦) ط : « هنيذة » وهو تحريف صوابه في ل والإصابة . ١ . ٩ .

الأنصار، فلما انتَهوا إلى باب الدار ثارت أكلبُ في وجهه القوم، قال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاء من عمل فلانٍ شيئاً، كلُّ كلبٍ منها ينقُصُ قيراطاً في كل يومٍ.

هشام بن حسان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبٍ صيدٍ ولا زرعٍ ولا ضرعٍ ، فإنه ينقُصُ من أجره كلَّ يومٍ قيراطٌ ، والقيراطُ ^(١) مثلُ جبلٍ أحدٍ » .

يونس عن أبي إسحاق ^(٢) عن مجاهد ^(٣) قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتى نزل ناحية مكة ، وكانت امرأة عمِّ له تهديه ، فلما كانت ذات يوم قالت له : لو أرسلتَ إليَّ الغنمَ فاستأنستُ برعائها وكلابها قد نزلت قاصية ! فقال : لولا كلابها لعلتُ ! إنَّ الملائكةَ لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثوري عن سيار بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إنَّ الكلاب من الجن ^(٤) وإنَّ الجنَّ من صَفَةِ الجن ، فإذا غشيكم منها شيءٌ قالقوا إليها شيئاً أو اطروده ^(٥) ، فإنَّ لها أفسس سوء .

وهشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهوننا عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غلمان ^(٦) إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : تقامر رجلاً على عهد

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبي إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالميم ، والصواب بالماء كخاقان .

(٥) كذا جاء في الأصل جتار الضمير .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشيء وانظر الجزء الثالث ص ١٠٦ .

عمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أَنْ تُقْتَلَ ^(١) فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
قَالَ : أَمَرْتَ بِقَتْلِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ تَسْبِيحُ اللَّهِ تَعَالَى ؟ ! فَأَمَرَ بِتَرْكِهَا .
وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا مُوسَى قَالَ : لَا تَتَّخِذُوا الدَّبَجَاجَ فِي الدُّوَرِ فَتَكُونُوا
أَهْلَ قَرْيَةٍ ، وَقَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْقَرْيَةِ : ﴿ أَقَامِينَ أَهْلُ
الْقَرْيَةِ أَنَّ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَأَ بَيَّكَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ . وَهَذَا عِنْدِي مِنْ أَبِي مُوسَى
لَيْسَ عَلَى مَا يَظُنُّهُ النَّاسُ ، لِأَنَّهُ تَأْوِيلُهُ هَذَا لَيْسَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَ
لِلْفُرْسَانِ وَرِجَالِ الْحَرْبِ ^(٢) اتَّخَاذَ مَا يَتَّخِذُهُ الْفَلَاحُ وَأَصْحَابُ التَّعْمِشِ ، مَعَ
حَاجَتِهِ يَوْمئِذٍ إِلَى تَقَرُّغِهِمْ لِحُرُوبِ الْعَجَمِ ، وَأَخَذَهُمْ فِي تَأْهَبِ الْفُرْسَانِ وَفِي
دُرْبَةِ رِجَالِ الْحَرْبِ . فَإِنْ كَانَ ذَهَبَ إِلَى الَّذِي يَظْهَرُ فِي اللَّفْظِ هَذَا تَأْوِيلٌ
مَرْغُوبٌ عَنْهُ .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عمر بقتل الديكة
ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتّخاذ الدبجج ولم
يستثن منها شيئاً دون شيء ، والديكة تدخل في هذا الاسم ، واسم الدبجج
يجمعها جميعاً . ورويت في قتل الحمام مثل روايتكم في قتل الكلاب ، ولم
أركم رويتم أَنَّ الحمام مِسْحُ ، وَلَا أَنَّ بَعْضَهُ مِنَ الْجِنِّ وَبَعْضُهُ مِنَ الْخَنَ ، وَلَا
أَنَّ أَمَتَيْنِ مَسْحَتَا وَكَانَ أَحَدُهُمَا الْحَامِ . وَزَعَمْتُ أَنَّ عَمْرِيَّ ^(٣) أَمَرَ بِقَتْلِ
الديكة حين كره الهراش بها والقيار بها . فقلل كلاب المدينة في تلك
الأيام كثر فيها العقور ^(٤) وأكثر أهلها من الهراش بها والقيار فيها . وقد
علمت أَنَّ ولاة المدينة زبموا دَمَرُوا عَلَى صَاحِبِ الْحَامِ ^(٥) إِذَا خِيفَ قَبْلَهُ

(١) ط : « قتل » وهو تحريف .

(٢) ل : « والرجال » .

(٣) في الأصل « لما » والوجه ما كتبت .

(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .

(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجاءه .

القيار ^(١) وظنوا أنه الشرف . ^(٢) وذكروا عنه للرثى بالبندق وخديعة أولادهم بالقرائح . فما بالكم لم تُخرجوا للكلاب من التأويل والعذر ، مثل الذي خرجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم في الجري ^(٣) والضباب أنهما كانتا أمتين مُسختا . وروي بعضهم في الإربابنة أنها كانت خيطة تسرق السلوك ، وأنها مُسخت وترك عليها بعض خيوطها لتكون علامة لها ودليلا على جنس سرقتها ، ورويتم في القارة أنها كانت طحانة ، وفي سهيل أنه كان عشارا باليمن ^(٤) وفي الحية أنها كانت في صورة سمك ، وأن الله تعالى عاقبها حتى لاطها بالأرض ، وقسم عقابها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخول إبليس في جوفها حتى وسوس إلى آدم من فيها . وقلم في الوزغة وفي الحسكة ^(٥) ما قلم . وزعم أن الإبل خلقت من أعنان الشياطين ^(٦) ، وتأوت في ذلك أقبح التأويل . وزعم أن الكلاب أمة من الجن مُسخت . والدُّبُّ أحق بأن يكون شيطانا من الكلب ، لأنه وحشي وصاحب قيار ، وبه يضرب

(١) ط : « من قبل القيار » والصواب ما في ل .

(٢) الصريف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفي ل « به التشرع » وفي ط « أنه السرف » .

(٣) الجري : ضرب من السمك . وفي ط « الجدي » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ السم .

(٥) الحسكة : عطاءة مخططة بخمس خطوط سود تعرف في مصر بالسلية الحضاري

معجم اللغوف ١٥٥ ... وفي ط : « الحداة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : التواصي والجواب . وفي الأصل « أعناق » وهو تصحيف نهت

عليه ص ١٥٢ وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

الثل في التعدي ، والكلب أوف وصاحب ديار ، وبه يضربُ المثل .
والذئب خنور غدار ، والكلب وفي مناصح . وقد أقام الناس في الديار
الكلاب مقام السناير للفار^(١) . والذئب مضره كله ، والكلب منافه
فاصلة على مضاره بل هي غالبه عليها وغامرة لها ، وهذه صفة جميع هذه
الاشياء النافسة .

والناس لم يطبقوا على اتخاذها عبثاً ولا جهلاً ، والقضاة والفقهاء والعباد
والولاة والقضاة ، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والمحسبة
وأصحاب التكلف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك التكثير على^(٢)
١٤٥ ما يلاحظونه منها في دور من لا يصيبهم ولا يمتنع عليهم إلا وقد علموا
أنه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدهر ، معنى . وإلا فالناس
في جميع أقطار الأرض لا يجتمعون على مسألة أصحاب المعاصي ، الذين قد
خلعوا غدرهم وأبرزوا صفحتهم^(٣) . بل ماترى خصماً يظن على شاهد عند
قاض بأن في داره كلباً ، ولا ترى حكماً يرد بذلك شهادة . بل لو كان
اتخاذ الكلاب مأموراً به ، لما كان إلا كذلك .

ولو أنكم حملتم حكم جميع المهادد على حكم هدهد سليمان ، وجميع
الغربان على حكم غراب نوح ، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة^(٤) ،
وجميع الذئاب على حكم ذئب أهبان بن أوس ، وجميع الحوير على حكم حمار
عزير لكان ذلك حكماً مردوداً

(١) ل : « من الفار » .

(٢) في الأصل « وعلى » والواو مقحقة .

(٣) ط : « نجتهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ١١٧
والشمار ٣٦٧ .

(مالا يحدث إلا في دهر الأنبياء ونزول الوحي)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسباب في دهر الأنبياء ونزول الوحي ، لا يعرض مثلها في غير زمانهم: قد كان جبريل عليه السلام يمشي في الأرض على صورة دحية الكلبي ، وكان إبليس يتراءى في السكك ^(١) في صورة سُرَاقَة المذليجي ، وظهر في صورة الشيخ النجدي . ومثل هذا كثير .

(مذيعي شيطاننا وليس به)

فإن زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى رجل يتبع حماماً طياراً فقال : « شيطانٌ يتبع شيطاناً » فخبرونا عن يتخذ الحمام ^(٢) من بين جميع سكان الآفاق ونازلة البلدان من الحرميين والبصريين ^(٣) ومن بني هاشم إلى من دونهم ، أزعمون أنهم شياطين على الحقيقة ، وأنهم من نجل الشياطين ؛ أو تزعمون أنهم كانوا إنساً فُسِّخُوا بعدُ حِتّاً ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿ شياطين الجنِّ والإنس ﴾ وعلى قول عمر : لأتزععن شيطانَه من نُعْرَتِه ^(٤) ، وعلى قول منظور بن رواحة ^(٥) : فلبا أتاني ما تقول تَرْقَصْتُ شياطينُ رأسي واشتَيْن من الحمر

(١) ل : « يتخرق السكك » :

(٢) ط « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرميين والبصريين » .

(٤) الثغرة : ثغرة البحر فوق الصدر ، وفي ط : « نُعْرَتِه » وهو تصحيف . وفي ل « نُعْرَتِه » .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » وانظر ص ٣٠١ من هذه الطبعة .

وقد قال مرةً أبو الوجه المَكْشَى : « كان ذلك حين ركبني شيطاني »
 قيل له : وأيّ الشياطين تعني ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمي كلَّ حَيَّةٍ شيطاناً . وأنشد الأصمعي :

تلاعب مثنى حَصْرَجِي كأنه . تعمُّج شيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفَرٍ ^(١)

وقالت العرب : ماهو إلا شيطان الحماطة . ويقولون : ماهو إلا شيطان

يريدون القبح ؛ وما هو إلا شيطان ، يريدون القطنة وشدة العارضة .

وروى عن بعض الأعراب في وقعة كانت : والله ماقتلنا إلا شيطان

١٤٦ برصاً ^(٢) لأنَّ الرجل الذي قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفي بني سعد بنو شيطان ، قال طفيل الغنوي :

* وشيطان إذ يدعوهم ويؤب ^(٣) *

وقال ابن ميادة :

فلما أتاني ما تقول محارب تفتت شياطيني ^(٤) وجن جنونها

وقال الراعي :

إني وإن كنت حديث السن وكان في العين نبوءة عني

فإن شيطاني كبير الجن

وقال أبو النجم :

إني وكل شاعرٍ من البشر شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

وهذا كله [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَوَاحَة :

أتاني وأهلي بالأمّاح فغمرة مسبّ عوفٍ الأوم حتى بنى بدر ^(٥)

(١) تمج : تلو . وفي ط « تمج » وهو بحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه مافى ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم فارس الحنوء ، وصدر البيت كافى اللسان (شطن وشيط وخذا) :

* وقد مت الحنوء منا عليهم *

(٤) ط « شياطين » وصوابه في ل . وانظر ص ١٥٢ ثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط « بالرماح » ل « بالامّاح » وانظر ياقوت (دماخ - غمرة) . ل

« حتى بنى بدر » .

فَلَا أَتَانِي مَا يَقُولُ تَرَقَّصْتُ شَيَاطِينَ رَأْسِي وَانْتَشَيْتَنِي مِنَ الْخَمْرِ

(خُرَافَةُ الْعَذْرَى)

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوماً] بحديث فقالت امرأة من نسائه : هذا من حديث خرافة قال : « لا وَخُرَافَةُ حَقٌّ » .

(حديث عمر مع الندى استهوته الجن)

ورويتم أَنَّ شريك بن خناسة دَخَلَ الْجَنَّةَ وَخَرَجَ مِنْهَا وَمَعَهُ وَرَقَةٌ مِنْ وَرَقِهَا ، ^(١) وَأَنَّ عُمَرَ سَأَلَ الرَّجُلَ الْمَفْقُودَ الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الْجِنُّ فَقَالَ : مَا كَانَ طَعَامُهُمْ ^(٢) ؟ قَالَ : الْقَوْلُ وَالرَّيَّةُ . ^(٣) وَسَأَلَ عَنْ شَرَابِهِمْ فَقَالَ : الْجِدْفُ ^(٤) وَقَالَ الْأَعَشَى :

وَإِنِّي وَمَا ^(٥) كَلَفْتُمُونِي وَرَبِّكُمْ
لَكَائْتُورٌ وَالْجَنِّي يَضْرِبُ ظَهْرَهُ ^(٦)
لَأَعْلَمُ مِنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَخْوَبَا
وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ الْمَاءُ مَشْرَبَا

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامهم » .

(٣) ط : « البعر والبول والريمة » .

(٤) الجدف بالتحريك : نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير ..

وفي ط « الجدف » وهو تحريف .

(٥) في الأصل « وإن » . وتصحيحه من هنا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

(من خنفته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعم أن الجن خنفت حرب بن أمية ، وخنفت مرداس بن أبي عامر ، وخنفت الفريض المغني ، وأنها قتلت سعد بن عباد ، واستهوت عمرو بن عدى ، واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأتى أملياء بالخرافات (١) أقوياء على ردّ الصحيح وتصحيح السقيم ، وردّ تأويل الحديث (٢) المشهور إلى أهوائكم . وقد عارضناكم وقابلناكم وفارضناكم . ١٤٧

وقالوا : في الحديث أنه « من اقتنى كلباً ليس بكلب زرع ولا صرع ولا قنص فقد أثم » (٣) « فها ترو شيئا من جميع الحيوان يصلح للزرع والضرع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلب الصرع إلا ليحرس الماشية وأولادها من السباع ؟ وهل عند الكلب عند طروق الأسد والنمر والذئب وجميع ما يقتات اللجان من رؤساء السباع ، إلا صياحه ونباحه وإنذاره ودلالته ، وأن يشغلها بعض الشغل ، ويهيج بها بعض الهجعة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ، ويتوفى إليها (٤) من يذود عنها إذ ليس في هذا القياس أنا متى وجدنا دهرًا تكثر فيه اللصوص ويفشو فيه السرّاق ، وتظهر فيه النقب ، ويشيع فيه التسلق ، ممن إذا أفضى إلى منزل القوم لم يرض إلا بالحرية (٥) ليس دونها شيء ، أو يأتي على الأتس ، وهو لا يصل إلى ما يريد حتى يمرّ على النساء مكشّفات ، ومن عسى إذا أخذ المرأة أخذ يدّ الأبرص أن يتوعّد بذبح الأولاد [و] أن يتقى بالمال ، (٦) حتى يذبح ،

(١) ج : « ملأ » بالخرافات » وما معنى .

(٢) ط : « ورد بأن التزيل والحديث » والصواب في ج .

(٣) ط : « فهو أثم » .

(٤) ج : « إليه » .

(٥) الحرية : المال الذي يمينه الإنسان أو المال الذي يلبس منه . وفي ط بالحرية .

(٦) ج : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما في ط .

ومن عسى إن تمكّن شيئاً أو أمين قليلاً ، أن يركب الحرم بالسوءة العظمى
وبالتي لا شوى لها ^(١) فهذا الحال أحق بالحراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلم صار نساء الحرمين يتزاورون ليلاً ، ونساء المصيرين ^(٢)
يتزاورون نهاراً ، ونساء الحرمين لا يرين نهاراً ، ونساء المصيرين ^(٣) لا يرين
ليلاً ؛ إلا للمكابرات ولمكان كثيرة من يستقى ويتحوب ^(٤) للثقب
والتساق . وإذا كان الأمر كذلك فأى الأمور أحق بالتحصين ^(٥) والحياطة ،
وأشيها أشبه بالتفريز والإضاعة ، اتخاذ الكلاب التي لاتنام عند نوم من
قد دب نهاره ، أو ترك اتخاذها ؟ ويقظة الشراق على قدر نوم السروقين .
وعلى أننا لو قلنا ^(٦) بين حرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب
الناس ، وبين اتخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضمان الحراسة ، ولا متنع
كل محروس من إعطائهم ^(٧) تلك الأجرة ، ولوجد اللصوص ذلك من أعظم
الغنم وأجود الفرض ^(٨) . أو ماتعلون أن هذا الحرم ، وهذه الحرمات ^(٩) وهذه
العقائل من الأموال ، أحق بالنع والحراسة والدفع عنها بكل حيلة ، من
حفظ الغنم وحريم الراعى وحرمة الأجير ؟ !

وبعد فإن الذئب لا يجتمع على قطيع واحد ، والذي يخاف من الذئب
السلة والخفطة ، ^(١٠) والاستلاب والاختلاس . والأموال التي في حوانيت

(١) يريد بالإصابة التي لا تخطئ .

(٢) ط : « المصيرين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحرية .

(٧) في الأصل « إعطاه » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) في الأصل « الفرض » .

(٩) ط : « الحرمات » .

(١٠) ل : « والحطف » وها معنى .

١٤٨ التجار وفي منازل أهل اليسار يأتيها من العدد والعدة ، ومن نجيب أصحاب النجدة ، من يحملها بحذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم خجتها ، ثم يجالسون دون ذلك ^(١) بسيف الهند والأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليفة لولا ^(٢) أنهم قد أحسوا من أنفسهم الجراءة وثبات العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ؛ ولولا أن قلوبهم أشد من قلوب الأسد لما خرجوا ، على أن جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أن السلطان لم يؤل ^(٣) إلا لمكانهم و [الكلاب لم تتخذ إلا] لإيذار بهم ، وعلى أنهم إن أنذر بهم قاتلوا قتال من لا ينجيه إلا القتال ، وعلى أنهم إذا أخذوا ماتوا كرما .

ولعل المدينة قد كانت [في] ذلك الدهر مأمونا عليها من أهل الفساد ^(٤) وكان أكثر كلابها عقورا ، وأكثر فتيانها من بين مهادش أو مقاس . والكلب العقور والكلب الكلب أشد مضرّة من الذئب المأمور بقتله .

وقد يعرض للكلاب الكلب والجنون لأمر : منها أن تأكل لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذي يعرض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجبال الناس [اليوم] يقتلون الوزغ ، على أن آباءها وأمهاتها ^(٥) كانت تنفخ على نار إبراهيم ، وتنقل إليها الخطب . فأحسب أن آباءها

(١) ط : « على ذلك » .

(٢) ل : « أول » والصواب في ط

(٣) ط : « يؤلم » .

(٤) ل : « مأمورة من أهل الفساد » وأثبت ما في ط .

(٥) ط : « أبائها وأمهاتها » والوجه ما في ل .

وَأَمَّا هَاتَا قَدْ كُنَّ يَعْرِفْنَ فَضْلَ^(١) مَا يَنْزِلُ النَّبِيَّ ، وَالتَّنْبِيْءَ ، وَأَنَّهُنَّ اعْتَدَنَ عِدَاوَةَ إِبْرَاهِيْمَ ، عَلَى تَقْصِيْرِ فِي أَصْلِ النَّظَرِ ، أَوْ عَنْ مَعَانِدَةٍ بَعْدَ الْاِسْتِنَابَةِ حَتَّى فَعَلْنَ ذَلِكَ . كَيْفَ جَازَ لَنَا أَنْ تَزِيْرَ وَازِرَةٌ وَزُرَّ أُخْرَى ؟ ! إِلَّا أَنْ تَدَّعُوا أَنَّ هَذِهِ الَّتِي تَقْتُلُهَا هِيَ تِلْكَ الْجَالِدَةُ لِلنَّبِوَةِ ، وَالْكَافِرَةُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَنَّهُ لَا تَنْتَاحُ وَلَا تَنْتَوَالِدُ .

وَقَدْ يَسْتَقِيْمُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ^(٢) أَنْ تَقْتُلَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ ، إِمَّا مِنْ طَرِيقِ الْحَنَةِ وَالتَّعَبُّدِ^(٣) وَإِمَّا إِذْ^(٤) كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَضَى عَلَى جَمَاعَتِهَا الْمَوْتَ ، أَنْ يَجْرِيَ ذَلِكَ الْجَرَى عَلَى أَيْدِي النَّاسِ ، كَمَا أَجْرَى مَوْتَ جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى يَدِ مَلِكٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمَوْتِ .

وَبَعْدَ قُلْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ [إِنْ] كَانَ قَالَهُ ، عَلَى الْحِكَايَةِ لِأَقَاوِيلِ قَوْمٍ . وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَى مَعْنَى كَانَ يَوْمَئِذٍ مَعْلُومًا فَتَرَكْنَا النَّاسَ الْعِلَّةَ وَرَوَّوْا الْخَبَرَ^(٥) سَالِمًا مِنَ الْعِلَالِ ، مَجْرَدًا غَيْرَ مَضْمُونٍ^(٦) ، وَلَعَلَّ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ شَهِدَ آخَرَ الْكَلَامِ وَلَمْ يَشْهَدْ أَوَّلَهُ ، وَلَعَلَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَدَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كَانَ دَارَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ فِيهِ شَيْءٌ . وَكُلُّ ذَلِكَ مُمْكِنٌ سَائِعٌ^(٧) غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ وَلَا مَدْفُوعٍ .

(١) فصل : فرق . وفي الأصل « فضل » .

(٢) ل : « في البدء الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه في ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير مميز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف ما في ط .

وقد رويتم [في القواسق ما قد رويتم في ^(١) الحية والحدأة والعقرب
والقارة والغراب، ورويتم] في الكلب العقور، وكيف يُقْتَنَن ^(٢) في الحِلِّ
والحرَم . فإن كنتم قهفاء فقد علمتم أَنَّ تسمية الغراب بالفسق، والقارة
١٤٩ بالقويسقة؛ أَنَّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق ^(٣)، ولا من شكل
تسمية إبليس .

وقد قالوا : ما فخرها إلا فاجر، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لا يفارقه . وقد
يقال للفاسق من الرجال نرخبث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من
أكل من هذه الشجرة الخبيثة ^(٤) فلا يقربن مصلانا » وهو على غير قوله
عز وجل : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعض الرُجَّاز وذكر ذنباً :
أما أذاك عني الحديثُ إذ أنا بالقائطِ أُستغِيثُ
والذنبُ وسطُ غنمي يبعثُ ويحثُ بالقائطِ يا خبيثُ
وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في كتاب
الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ في صورة تقطيع الصوت ، وفي الخطِّ في
القرطاس ، وإن اختلفت أماكُنُه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنما يعرف
فضله بالمتكلمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنُوا بالكلام . وهذه
جملةٌ وتفسيرها يطول .

(١) في الأصل « من » .

(٢) ط : « يقتل » والوجه ما في ك .

(٣) ط : « الفاذق » . ن : « الفاذف » والوجه ما أثبت .

(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والسكرات .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أمرنا بقتل الحيّة والعقرب ، والذئب والأسد ، على منقئ
ينتظم معنيين^(١) : أحدهما الامتحان والتعبّد بفكر القلب وعمل الجراحة ،
لاعلى وجه الانتقام والعقوبة . وأمرنا بضرب الباغي بالسيف إذا كانت
العصا لا تُنقى فيه على جهة الدّفع وعلى جهة العقاب ، ولم تُمرّ بالقصد إلى
قتله ، وإثّما الغاية في دفع بأسه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان
كسارقٍ مات من قطع يده ، وقاذفٍ مات عن جلد ظهره^(٢) . وقد أمرنا
بالقصد إلى قتل الحيات والعقارب وإن لم تعرض لنا في ذلك الوقت ؛
لأنّ جنسها الجنسُ المتلف متى همّ بذلك . وليس لنا أن نضرب الباغي
بالسيف إلاّ وهو مقبلٌ غير مدبر ، ولنا أن نقتل الحيّة مقبلةً ومدبرةً ، كما
يُقتل الكافر مقبلاً ومدبراً ؛ إلاّ أن قتل الكافر يجمع الامتحان^(٣)
والعقوبة ، وليس في قتل الحيّة إلاّ الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتحن
بجسها^(٤) والاحتياط لمنها ، دون قتلها . وإذا ولى الباغي من غير أن يكون
يريد الرجوع إلى فتة ، فحكمه الأسر والجس [أبداً] إلى أن يؤنّس منه
التزوّع . وسبيل الأحناس والسباع وذوات السموم من الهمّج والحشرات ،
القتل مقبلةً ومدبرةً . وقد أبيض لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند ما يبلغ

(١) في الأصل « معنيين » وهو تحريف .

(٢) ط « من جلد ظهره » .

(٣) ط « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجسها » وهو تحريف .

من جنائيتها علينا الخلدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ،
والبراغيث والقمل .
١٥٠ والبعيرُ قتلُهُ فسادٌ ، فإنَّ صال على الناس كان قتلُهُ صلاحاً . والإنسانُ قتلُهُ
حرام ، فإنَّ خيفَ منه كان قتلُهُ حلالاً .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضبِّ والجُرِّيِّ، وعن مسخ الكلاب والحُكَاةِ
وأنَّ الحَمَامَ شيطان ، من جنس الزَّاحِ الذي كُنَّا كُتُبنا به إلى بعض
إخواننا^(١) ممن يدَّعي علمَ كلِّ شيء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه القطنَ
الصغارَ ، من باب المسائل .

قتلنا له : ما الشَّقِيقُ والشَّيْصَانُ^(٢) وتنكوير^(٣) ودركاذب^(٤)
ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق التَّريض ؟^(٥) ومن هاتف سعد ؟^(٦)

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذي صنع فيه الملاحظ رسالة « التريخ والتدوير » .

(٢) الشَّقِيق والشَّيْصَان - زعموا - : رَمِيسان عظيمان من الجن . وسيحدث عنهما

الملاحظ في الجزء السادس وانظر التمار ص ٥٥ . وفي ل : « الشَّيْصَان » محرفاً .

(٣) ل : « تنكوير » وفي رسائل الملاحظ ١٠٦ « بركور » .

(٤) ل : « دركازات » وفي الرسائل « دركاذب » .

(٥) التريض هو عبد الملك كان مولداً من مولدى البربر وولاؤه للترايا صاحبة عمر بن
أبي ربيعة ، وكان من رؤساء الفناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له
في الأغانى ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الخزرجي ، صحابيٌّ كان سيد الخزرج ، وكان
يلقب في الجاهلية بالكمال ، لمصرته الكتابة والرمي والسباحة . توفي سنة ١٥٠
وزعموا أن الجن قتلته ، وسمع هاتهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد

ورميناه . بهيم ن فلم نخط قواده

وَحَبْرَانِ عَنِ ابْنِ أَقِيْشٍ ^(١) وَعَنِ ابْنِ لَيْبَى ، وَمَنْ زَوْجُهَا ؟ وَعَنِ ابْنِ غَزْوَانَ
وَمَنْ امْرَأَتُهُ ؟ وَعَنِ سَمْلَقَةَ وَزَوْجَتِهِ ، وَلِلْبِدْعَانِ ^(٢) ، وَعَنِ النَّقَارِ ذِي الرِّقْبَةِ ^(٣)
وَعَنِ أَصْفَافٍ ، وَمِنْهُمْ أَشَارُ بِأَصْفَرِ سَلِيمٍ ^(٤) ، وَعَنِ أَطِيقَسَ اسْمُ كَلْبٍ
أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، وَكَيْفَ صَارَتِ الْكِلَابُ لَا تَنْبِيعُ مِنْ مَاءٍ ^(٥) ؟ وَأَبْنُ
بَلْعَ كِتَابُ شَرْطِهِمْ ؟ وَكَيْفَ حَدَّثُوا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْفَأْرِ وَالْقَرْدِ وَالْخَزِيرِ
وَالْقِيلِ وَالْأَرْبِ وَالْمَنْكَبُوتِ وَالْجُرَّى ، أَنَّهُمْ كَلَّهْنُ مِسْخَ [وَكَيْفَ خُصَّتْ
هَذِهِ بِالْمِسْخِ ؟] وَهَلْ يَحِلُّ لَنَا أَنْ نُصَدِّقَ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؟
وَكَيفَ صَارَتِ الظُّبَابُ مَاشِيَةً الْجَنِّ ؟ وَكَيْفَ صَارَتِ الْغِيلَانُ تُغَيِّرُ كُلَّ شَيْءٍ
إِلَّا حَوَافِرَهَا ؟ وَلَمْ مَاتَتْ مِنْ ضَرْبَةٍ وَعَاشَتْ مِنْ ضَرْبَتَيْنِ ؟ ^(٦) وَلَمْ صَارَتِ
الْأَرَانِبُ وَالْكِلَابُ وَالنَّعَامُ مَرَكَبَ الْغِيلَانِ ؟ وَلَمْ صَارَتِ الرُّوَاقِدُ مَطَايَا
السَّوَّاحِرِ ؟ وَبَأَى شَيْءٌ زَوْجَ أَهْلِ السَّلَاحَةِ ابْنِ يَرْبُوعٍ ؟ وَمَا فَرْقُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالٍ ؟ وَمَا فَعَلَتِ الْفَتَاةُ الَّتِي كَانَتْ سَمِيَّتْ بِبَصْرِ عَلَى يَدِ حَرَمِي

(١) ط « ابْنِ أَقِيْشٍ » ؛ وَابْنُ أَقِيْشٍ : حَمِيٌّ مِنَ الْجَنِّ .

(٢) ط : « وَلِلْبِدْعَاتِ » .

(٣) ل : « النَّقَارُ ذِي الرِّقْبَةِ » .

(٤) أَصْفَرُ سَلِيمٍ . قَالَ الثَّمَالِيُّ فِي عَمَارِ الْقُلُوبِ ١١٩ : « كَانَ سَلِيمٌ صَيْدَ لَنَا بِالصَّرَةِ ،
وَقَدْ بَعِثَ دَوَاءً أَصْفَرَ لِكُلِّ مَا شَرِبَ لَهُ فَكَانَ يَسْتَنْقِ بِهَ كُلِّ مَبْرُودٍ وَمَحْرُورٍ »
فَصَارَ مِثْلًا فِي الْبَرَكَةِ وَحَسَنَ الْمَوْقِعِ » اهـ . وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي الْمَارْفِ ٢٦٥ : « كَانَ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ثَلَاثَةُ وَكَلَاهُ : يُقَالُ لَهُمْ سَلِيمُ النَّاصِحِ ، وَسَلِيمُ الْفَاشِ ،
وَسَلِيمُ السَّاحِرِ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَمِلَ أَصْفَرُ سَلِيمٌ » . ط « أَشْعَارُ بِأَصْفَرِ
سَلِيمٍ » وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ فِي ل ، س ، وَ م .

(٥) ط : « أَطِيقَسُ » . وَفِي ل « مِنْ سَمَاهَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَانْظُرْ قَوْلَ الْبَيْهَقِيِّ
فِي كَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ٢ : ٤٢٨

(٦) سَيَتَحَدَّثُ الْجَالِحُ عَنْ هَذَا فِي الْجُزْءِ 'الدَّاسِ' ص ٧٢ .

وأبى منصور ؟ ^(١) ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شمسف ؟ ^(٢) وما الفرق بين التيلان والسعال ، وبين شيطان الخضراء ^(٣) وشيطان الحماطة ؟ ولم علّق السمك السالح بأذناه [والطرى بأذانه] ^(٤) وما بال القراخ تُحمل بأجنحتها والقراريج بأرجلها ؟ وما بال كل شيء أصل لسانه ممّا يلي الحلق ^(٥) وطرفه ممّا يلي الهواء ، إلّا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهندولولا أنّ لسانه مقلوب لتكلم ؟ ولم صار كل ماضغ وآكل يُحرك فكّه الأسفل ، إلّا التساح [فإنه] ^(٦) يحرك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأفجان الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلّا فى الأفجان العالية ؟ وما بال عين الجرادة وعين الأنفى لاندوران ؟ وما بيضة العقر ؟ ^(٧) وما بيضة الديك ؟ ولم امتع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأبلق العقوق ^(٨) وما بال لسان سمك البحر [عديما] ؟ وما بال الغريق من الرجال يطفو على قفاه ، ومن النساء على وجهه ؟ ^(٩) ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقبله ذكّره ؛

(١) ل : « صمية نصير على يد جرى . . الخ » .

(٢) ل : « شمسف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « اللبح بأذناه » وتعليق السمك الطرى بأذانه عبارة تهكمية فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلي الفم » ل « مما يلي داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « الصفور » وهو تحريف . وبيضة العقر قيل هى التى تمتحن بها المرأة عند الاختصاص أو أول بيضة للدجاجة أو آخرها أو بيضة الديك . يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكّر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهى أنثى . ولا يكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : « ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب ^(١) شَيْشَقَةُ البعير وعُرمول الحمار [والبُغْل] وكَيْدُ الكوسج
بالتَّهَار ، وَدَمَ المَيْت ؟ [ولم انتصب خَلَقَ الإنسان من بين سائر الحيوان]
وَجَبَّرَنِي عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل ^(٢) وإذا أُوقِدَت النَّارُ
أَمَسَّت ^(٣) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والخُرَافَة . لردِّكم إلى
الاحتجاج بالخبر الصحيح المخرج للظاهر ^(٤) .
فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطَرَفَتَ هذا المذهب ، فاقْرَأ رسالتي ^(٥)
إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب [فهي مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصناف لا يحيط بها ^(٦) إلَّا من أطلَّ الكلام . وجملةُ
ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهي الصَّراء ، وواحدها ضِرْوَة ^(٧) ، وهي
الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلَّا السُّلُوقِيَّة ؛ وهي من أحرار الكلاب
وعتاقها ^(٨) ، والجلالسيَّة ^(٩) هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاء من زينيتها

(١) ط : « وما بال » .

(٢) التقيق : صوت الضفدع . وفي ط « تنق » والبعق : لبوم والغريان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمست » وهو تحريف ، صوابه في ط وفي

الحيوان ٤ : ١٥٤ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هنا موضعها .

(٥) في الأصل « فاقدر رسالتي » والوجه « فاقْرَأ » .

(٦) ل : « لا يحصيه » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) في الأصل « وهي في أحرار الكلاب وعتاقها » وصححه كما ترى .

(٩) ط : « الجلالية » وهو تصحيف .

وكرديها ففى كرادتها^(١) .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقيّةِ ، ولكنّها تقصّر عن السَّلوقيّةِ
بعيداً . وسلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيّد الطبع ، كريم العنصر
حرُّ الجوهر ، وقد قال النابغة^(٢) .

تَقْدُ السَّلوْقُ المضاعَفَ نسجه وتُوقِدُ بالصفّاحِ نارَ الحُبّاحِ
وقال الأصمعيّ : سمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلبٍ وقد دنا
خَطمه من عَجَبٍ ذنب الظلي^(٣) وهو يقول إيه فذتك^(٤) نفسى !!
وأشدد لبعض الرجاز^(٥) .

* مفديّات وملعنات^(٦) *

قال صاحب الديك : فلما صار الكلبُ عندهم يجمع خصال اللؤم
والندّالة ، والحرصِ والشَّرِّه^(٧) ، والبذاء والتسرّع وأشباه ذلك ، صاروا
يشقّقون من اسمه لمن هجّوه بهذه الخصال . وقال بشار :

واستغنّ بالوجبات عن ذهبٍ لم يبقَ قبلك لأمريّ ذهبه^(٨)
يردُّ الحريص على متافقه والليثُ يبعثُ حينه كلبه

(١) كذا وفي ل : « حوادبها ومغارها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبياني التي مطلعها :

كلّني لهم يأمية ناصب وليل أفاقيه بطن الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « ليها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط « مفديّات ومحيات » :

(٧) في الأصل « الشده » وإنما هو الشره قرين الحرس .

(٨) المرضى في أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن الكيت : يقال

فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل في اليوم والليّة وجبة » . وفي ل :

« الوجبات » وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب: لما^(١) اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر.

قال عامر بن الطفيل :

ومدجج يسعى بشكته محمزة عيناه كالكلب^(٢)

ومن ولد ربيعة بن زرار كلب^(٣) بن ربيعة ، و كلاب بن ربيعة ،
ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن زرار] . وفيهم من السباع
أسد ، وضبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلاً ثمانية من
جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقة من اسم الكلب . ومن هذا
الباب كليب^(٤) بن يربوع ، و كلاب بن ربيعة . و كلب بن وبرة . ومنه
بنو الكلبة ، قال الشاعر :

سَيَكْفِيكَ مِنْ ابْنِي زَرَارٍ لَوَاغِبُ بنو الكلبة الشم الطوال الأشاجع^(٥) ١٥٢
والكلبة لقب مئة بنت علاج بن شحمة المنبري . وبنوها بنو
الكلبة الذين سميت بهم - تزوجها خزيمة بن [النعمان] من بني ضبيعة
ابن ربيعة بن زرار ، فهي أمهم . وفيها يقول شبيل بن عزة^(٦) الضبي

(١) في الأصل « كلبا » والوجه ما أثبت .

(٢) المدجج عني به القنفذ ، للشوك الذي عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .

(٣) ل : « أكلب »

(٤) ل : « كلب » .

(٥) ل « لراغب » مكان « لواغب » .

(٦) هذا العلم كثيرا ما يقع فيه التحريف والتصحيف فقد ورد في خزنة الأدب (انظر

١ : ٩٢) برسم (شبل بن عمرو) ، وفي الأمالي (١ : ٤٨) (شبل بن عروة)

وفي فهرست ابن التديم ٦٨ مصر (شبل بن عرعة) وفي القاموس (شبل

ابن عروة) وفي ط من الحيوان (شبل بن غزوة) و صواب هذا

كله ما أثبتته من ل ، وما نبه عليه الزبيدي في تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد

في الاشتقاق ١٩٣ جوتنجن . وقد نهبت على ذلك في تصحيحي للخزنة . =

صاحب القريب - وكان شيعيًا من ^(١) الغالية ، فصار خارجيًا من الصغرية - :

بنو كلبية هرة وأبوهم خزيمه عبد خامل الأصل أو كسوف
وفي مية [الكلبة] يقول أبوها وهو علاج بن شحمة ^(٢) .
إن تلك قد بانت بيمية غربة قد كان يميًا لا يمل مزارها ^(٣)
دعها رجال من ضبيعة كلبية وما كان يشكى في المحول جوارها ^(٤)
ومما اشتق له من اسم الكلب من القرى والبلدان والناس وغير
ذلك ، قولهم في الوقعة التي كانت يارم الكلبية ^(٥) ومن ذلك قولهم :
حين نزلنا من السراة صرنا إلى نجد الكلبية . وكان سبب خروج مالك بن
هم بن عثم بن دوس إلى أزدشنوة من السراة ^(٦) أن بني أخته قتلوا
كلبة لجاره ، وكانوا أعد منه ^(٧) فغضب ومضى فسمى ذلك النجد الذي
هبط منه نجد الكلبية .

[وبطسوج بأذوريا نهر يقال له نهر الكلبية] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم

== وشيل هذا من خطباء الحوارج وعلمائهم ، وله قصيدة في القريب ، وكان أولاً
رافضياً ثم انتقل إلى السراة ويرى من الروافض ، ومات بالبصرة ، هذه ترجمة
ابن النديم له وهي تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله في س .

(٢) ل : « شحمة » .

(٣) ط : « ميلا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « في المحل » .

(٥) يارم الكلبية : موضع قريب من النجاف بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم نزل
فيه يجير بن عبد الله بن سلمة قتلته قنب الرياحي . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفي ل « أنجد » .. وفي ط : « لجاره »

عباد بن أثف الكلب . ومن ذلك أبو عمر الكلبُ الجرمي النحوي،^(١)
وكان رجلاً من العلية عالماً ، عروضيّاً [نحويّاً] فرضيّاً . وتلّوه^(٢) كلب الطيخ ،
وكان أشرب الناس للنبذ ، وقد راهنوا بينه وبين محمد بن عليّ .

والكلب كلب الماء ، وكنب الرعي^(٣) والضبة التي يقال لها
الكلب . وكذلك الكلبة والكلبتان ، والكلّاب والكلّوب .

وقال راشد بن شهاب في ذلك المعنى .

أمكن كلاب القنا من ثورها . وأخض ما يبد من استاهها يدم^(٤)
[وقال] :

فسوف يرى الأقوام ديني ودينكم إذا كلبتا قين ومقرضه أزم^(٥)
وقال الراجز :

ما زال مذ كان علماً يستتر^(٦) له على القير إكاف وشتر

* والكلبتان والعلاة والوتر *

وقال أشهب بن ربيعة ، وكان أول من رمى بني مجاشع بأنهم قبيون : ١٥٣

يا عجباً هل يركب القين القرس وعرق القين على الخيل نجس^(٧)

وإنما أداته إذا جلس الكلبتان والعلاة والقبنس

وكان اسم المزنوق فرسي عامر بن الطفيل ، الكلب .

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمي مولى جرم بن زياد ، أخذ عن الأخفش وونس
وإبي عبيدة ، وحدث عنه للبرد ومات سنة ٢٢٥ ، وفي الأصل « أبو عمرو » وهو
تحريف انظر نزعة الألباء ١٩٨ وبنية الرواة ٢٦٨ .

(٢) ط : « علويه » . محرف . وانظر الحيوان (٢ : ٨٣)

(٣) ط : « الرعاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نحوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفي ل « بيم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « لفس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر

خبر الشعر في خزانة الأدب ٢ : ١٠٠ بولاق .

وقد زعمت النساء أنَّ حرب أيام هراميت ^(١) إنما كان سببه كلب .
قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج كلاب النار ، ولتنوائح
كلاب النار .

وقد قال جندل بن الرامى [لأبيه] في وقوفه على جرير : مالك تطيل
الوقوف على كلب بنى كليب ؟
وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلَبَ الزَّمانُ عليكمْ وأصابكمْ مِنَّا عذابُ مُرسَلْ
إنَّ السَّماوةَ لاسماوةَ فالخفى بمنَّاتِ الزَّيتونِ واثني بِجندلِ ^(٢)
وبأرضِ عكٍّ في السَّواحلِ إنَّها أرضُ تذوبُ بها اللِّقاحُ وتَهزَلُ
وقال حصين بن القعقاع ^(٣) يرثى عُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ :

بَكَرَ النَّمى بِخَيْرِ خِنْدِفَ كُلِّها بعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شهابِ
قتلوا دُؤاباً بعدَ مقتلِ سَبْعَةٍ فشقى القليلُ وريبةُ المرتابِ
يومَ الخليلِ بذى الفقارِ كأنَّه كَلْبٌ يضربُ جاجيمَ ورقابِ
وقال آخر ^(٤) :

للهِ درُّ بنى الحَدَّاءِ مِن نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلْبُ
إذا غَدُوا وعَصَى الطَّلحُ أربُلهمْ كما تُنصَبُ وسَطَ البيعةِ الصُّلبِ
وإذا كانَ العودُ سريعَ المُلوقِ في كلِّ زمانٍ أو كلِّ أرضٍ ^(٥) ، أو في

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب في الإسلام .
وكان في زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والصدفة لابن رشيقي

١٦٧ : ٢ . والحرب مؤتة ، وقد تذكر . القاموس

(٢) ط : « جندل » وكذلك في ل . وأثبت ما في س .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبي خازم كما في البيان ٣ : ٤٣ . وانظر كلام الجاحظ في هذا الشعر .

(٥) في الإصحاح « وكل أرض » والوجه ما أثبت .

عامة ذلك قالوا : ماهو إلا كلب .

وقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم [في وزر بن] جابر^(١) حين خرج من عنده واستأذنه إلى أهله « نعم إن لم تدركه أم كلبه »
يعني الجلي .

وثمًا ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منها أو الصفة الواحدة من صفاتها ، أو الفعل الواحد من أفعالها ، قال رؤبة :

* لاقيت مطلقاً كدناس الكلب^(٢) *

يقول : مطلقاً مفعلاً^(٣) دائماً وقال الشاعر في ذلك :

يكون بها دليل القوم نجم كعين الكلب في هبي قباع^(٤)

قال : هذه أرض ذات غيرة من الجلب^(٥) لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤
الذي يهتدى به إلا وهو كأنه عين الكلب ، لأن الكلب أبداً مُضِيضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والمُهي الظلمة واحدها هاب ، والجمع هبي مثل غاز وغزى ؛ والقباع التي قُبعت في القمام ، واحدها قابع ، كما يقبع القنفذ وما أشبهه في جحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرق الجارات بالليل قابها قبوع القرنبي أخففته مجاحره^(٦)

والقبوع : الاجتماع والتقبض . والقرنبي دويبة أعظم من الخنفساء .

(١) كان ممن وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ١١٢ .

(٢) للتالي قول في هذا البيت بئر القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميداني (أثوم

من كلب) ٢ : ٢٨٠ .

(٣) في ط « مرقطفا » وليس له معنى : يصح . وأصل القرمطة : مقارنة الخطو .

(٤) ط : « هبا » والصواب في ل . وانظر الميداني (عين الكلب الناعس)

(٥) ط : « الحر » .

(٦) في الأصل « أسلته مجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء

(شعر في الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر في صفة بعض ما يعرض له من العيوب :
ماضرَّ تغلبَ وائلُ أهجوتها أم بُلَّتْ حيثُ ناطَحَ البحرانِ
إنَّ الأراقمَ لا ينالُ قديمها كلبٌ عَوَى متهماً الأثنانِ (١)
وقال الشاعر في منظور بن زكَّان :

لبئس ماخلفَ الآباءَ بعدهمُ في الأمَّاتِ عِمانُ الكلبِ منظورُ
ومن هذا الضرب قول الأعرابي (٢) :

لقد شأنٌ صفري والياها وزيناً لصفري فتى من أهلها لا يزيئها
كلابٌ لعب الكلب (٣) إن ساق هجئة

يعذبُ فيها نفسَهُ ويُهينُها
وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لما الله جرمًا كلًّا ذرَّ شارِقَ وجوهَ كلابٍ هارشتَ فاز بارتِ
وقال أبو سفيان بن حرب :

ولو شئتُ نجيتُ كُميتَ طيرةً ولم أجعل النعائمَ لابنِ شعوب
وما زال هُزَيٌّ مزَّجرَ الكلبِ منهمُ لئن غدوةً حتى دنتُ لغروبِ
وقال عبد الرحمن بن زياد :

(١) ل : « لن ينال قديمها » والشعر للفرزدق كما في البيان ٣ : ١٤٦ ، وقد سبق البيت الأول ص ١٣

(٢) من هنا يتندي سقط كبير في ل وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة في الحزاة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها وانظر تنبيه البكري

٤٢ وحاسة أبي تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكري ٢٨ - ٢٩ .

دَعَتْهُ بِمَسْرُوقِ الْحَدِيثِ وَظَالِمٍ
من الطرف حتى خاف بَصْبَةَ الْكَلْبِ

وقال شريح بن أوس ^(١) :

وَعَيْرَتَنَا تَمَرُ الْعِرَاقِ وَنَحْلُهُ
وزادك أير الكلب شيطله الجمرُ

وقال آخر ^(٢) وهو يهجو قوما :

١٥٥

فجاءا بنجر شأوى شعير عليهما
كراديس من أوصالٍ أعقد سافدٍ

وقال الحارث بن الوليد :

ذهب الدين إذا رأوني مُقْبِلًا
هشوا وقالوا مَرَجَبًا بِالْمُقْبِلِ

وبقيتُ في خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُم
وَلَعُ الْكَلَابِ تَهَارَسَتْ فِي مَهْلٍ

وقال سبرة بن عمرو القعسي ، حين ارتشى ضمرة الهشلي ، وهر عليه

عباد بن أنف الكلب الصيداوي ^(٣) فقال سبرة :

يَا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَتِ أُمُّكَ هَابِلُ
وَالْحَكْمُ مَسْتَوِلٌ بِهِ التَّمَعْدُ

أَخْضَتَ عَهْدًا أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً
أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِثَلْمِهَا لَا يُنْشَدُ

شَنْعَاءُ فَاقِرَةٌ تَجَلُّلُ نَهْشَلًا
دَنَسًا تَقْوَرُ بِهِ الرِّقَاقُ وَتُنْجَدُ

إِنَّ الرِّقَاقَ أَمَالَ حَكَمَكَ حُبًّا
فَلَكَ الْقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ

فَضَحَ الشَّيْرَةَ وَاسْتَمَرَّ كَأَنَّهُ
كَلْبٌ يَبْصِيصُ لِلْعُظَالِ وَيُطْرَدُ

لَا شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا
خَرَطُ الْقِتَادِ تَهَابُ شَوْكَتِهَا الْيَدُ

جَوْعَانٌ يَلْحَسُ أَسْكَتَازِيَةً
عَلِمَ يَشُورُ عَلَى الْبِرَائِنِ أَعْقَدُ

وقال مزرد بن ضرار :

وَإِنَّ كَنْزَ اللَّحْمِ مِنْ بَكْرَاتِكُمْ
تَهَرُّ عَلَيْهَا أَثْمُكُمْ وَتُكَالِبُ

(١) الشعر في هجاء أبي المهوش الأسدي وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨

(٢) هو اللعين المتعري كما في ص ٦٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفي أمالي المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلب » (بحرمة)

وفي الأصل « الصيداني » وإنما هو منسوب إلى بني الصياد . المعمرين ٤٣

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحله لتقرية بالث الثعالب
وهذان اليتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذكر الأعضاء .
وقال :

ياسبرُ ياعبدَ بنى كلابِ ياأبرَ كلبِ مؤثِقِ ببابِ
أكان هذا أوّل الثوابِ ياورلاً رَفَرَقَ فى سرابِ
* لا يعلّقنكم ظفرى ونابى *

وقال الآخر ^(١) :

كانَ بنى طُهَيَّةَ رهطَ سَلَمَى حجارةُ خاريَ يرمي الكلاباً
١٥٦ وقال صاحب الكلب : ومما اشتقَّ من اسم الكلب فى موضع
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائل . ويقال إنه قيل فى رجلين
من بنى ربيعة ما لم يُقَلْ فى أحدٍ من العرب ، حتّى ضرب بهما المثل ، وهو
قولهم : «عزُّ من كليبٍ وائلٍ» ، والآخر «لاحرَ بوادى عَوْفٍ» ، قالوا :
وكانت ربيعة إذا انتبجت معه لم توفد ناراً ولم تحوض حوضاً ، وكان يرمى
الكلأ ولا يتكلمُ عنده إلاّ خفصاً ، ويجير الصيد ويقول : صيدُ أرضِ
كذا وكذا فى جوارى لايباح ، وكان له جرو كلب قد كتّمه ^(٢) فزبما
قدف به فى الروضة تمجبه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلقيه بحجر
الحوض فلا يردّه بغير حتّى تصدُرَ إبله .

(١) هوجريركا فى البيان ٢ : ١٧٩ ولبيت حديث فيه . وانظر ثمار الغلو ٣٩٩ .

(٢) كتّمه بمعنى شد قوائمه . وانظر أمثال الميدانى (١ : ٤٤٦) والشار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر في كليب)

وفي ذلك يقول معبد بن شعبة التيمي ^(١) :

أظنَّ ضرارَ أُنْتَى ساطِيعه وأُنْتَى سَاعِطِيه الذي كُنْتُ أَمْنَعُ
إِذْ اغرورقت عيناه واحمرَّ وجهه وقد كاد غيظاً وجهه يَبْضَعُ ^(٢)
تَقَدَّمَ فِي الظِّلِّ المُبِينِ عَامِداً ذراعاً إِذَا ما قُدِّمْتُ لَكَ إِصْبَعُ ^(٣)
كَفَعَلَ كَلِيبُ كَفْتُ أَنْبَتَ أَنَّهُ يَخْطُ أَكْلَاءَ المِياهِ وَيَمْنَعُ ^(٤)
يُجِيرُ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ أَرَانِبَ ضاحٍ والطَّبَاءُ فَتَرْتَعُ
وقال دريد بن الصمة :

لِعَمْرُكَ مَا كَلِيبٌ حِينَ دَلَّى بِحِيلٍ كَلْبَهُ فِيمَنْ يَمِيجُ ^(٥)
بِأَعْظَمَ مِنْ بَنِي سَفِيانَ بَغِيًّا وَكُلُّ عَدُوِّهِمْ مِنْهُمْ مَرِيجُ ^(٦)
وقال العباس بن مرداس :

كَمَا كَانَ يَبْغِيهَا كَلِيبٌ بِظُلْمِهِ مِنَ العَرِّ حَتَّى طَاحَ وَهُوَ قَتِيلُهَا
عَلَى وَائِلٍ إِذْ يُنْزِلُ الكَلْبَ مَأْمَحاً وَإِذْ يُمْنَعُ الأَكْلَاءَ مِنْهَا حُلُولُهَا ^(٧)
وقال عباس أيضاً لَكَلِيبِ بْنِ عَهْمَةَ الظَفَرِيِّ ^(٨) :

(١) هنا ينتهي السقط في ل .

(٢) ط : « يَبْزَعُ » .

(٣) ل : « إِذَا مَا أَرَحَيْتَ لَكَ إِصْبَعُ » .

(٤) (يَخْطُ) لَهَا (يَحِيلُ) .

(٥) ط : « كَلْبِيَّةٌ فِيمَنْ يَمِيجُ » .

(٦) ط : « مِنْهُ » .

(٧) ط : « يَبْرُكُ الكَلْبُ » وتصحيحه من ل .. وفي ل « فِيهَا حُلُولُهَا » .

(٨) كَذَا فِي ل . وفي ط « عَيْمَةَ » وفي الإصَابَةِ ٧٤٤٨ « عَيْمَةَ » .

أَكْلَيْبُ إِنَّكَ كُلَّ يَوْمٍ ظَالِمٌ وَالظُّلْمُ أَنْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونُ
تَبْعِي بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بَوَائِلُ يَوْمَ الْغَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطُونُ
وَبُخَالُكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتَيْكَ سَنَانُهُ الْمَسْنُونُ^(١)
وقال النابغة الجعدي :

١٥٧

كَلَيْبُ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرُ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّحَ بِاللَّيْمِ
رَمَى ضُرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَعْنَةٍ كَمَنْشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمَسْمَمِ
وقال قَطِرَانُ الْعَبْسِيُّ [وَيَقَالُ الْعَبْسِيُّ^(٢)] :

أَلَمْ تَرْجَسْ بِنَ مَرَّةٍ لَمْ يَرِدْ يَحَى وَأَثَلِي حَتَّى اخْتَدَاهُ جَهْوَهَا^(٣)
أَجْرٌ كَلَيْبًا إِذْ رَمَى النَّابَ طَعْنَةً جَدْتُ وَأَثَلًا حَتَّى اسْتَخَفَّتْ عَقُولَهَا^(٤)
بَاهُونَ مِمَّا قَلْتُ إِذَا نَتِ سَادِرٌ وَلِلدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ وَالِ يُدِيلُهَا^(٥)
وقال رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة :

نَحْنُ أَبْسَنَاءُ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلٍ بِقَتْلِ كَلَيْبٍ إِذْ طَفَى وَخَيْلًا^(٦)
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحَيِّ مَتَذَلَّلًا^(٧)
وقال رجل من بني سُدُوس :

وَأَنْتَ كَلَيْبِي لِكَلْبٍ وَكَلْبَةٍ لَهَا حَوْلُ أَطْنَابِ الْبَيْوتِ هَرِيرُ

(١) ل : « سَنَانُهَا مَسْنُونٌ » .

(٢) كَذَا . وَلَمَّا « الْعَبْسِيُّ » .

(٣) ط : « اعْتَدَاهُ » .

(٤) ط : « حَدَثَ وَأَثَلًا » .

(٥) ط : « دَالٌ » .

(٦) أَبْسَنَاءُ : قَهْرُنَا وَأَذَلُّنَا . وَفِي ط « نَحْوُ الزَّوْءِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٧) أَبَانَاهُ : جَطَاهُ عَدْلًا قَتَلْنَاهُ بِهَا . وَفِي ط : « أَبَانَاهُ بِالنَّابِ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

وقال ابن مقبل العجلاني :

بكت أم بكير إذ تبدد رهطها وأن أصبحوا منهم شر يدوهاك
وإن كلا حبيبك فيهم بقية لو أن المنايا حالمها متماسك (١)
كلاب وكعب لا يبيت أخوم ذليلاً ولا تُعبي عليه المسالك (٢)
وقال رجل من بني كلاب من الخوارج (٣) ، لمعاوية بن أبي سفيان :
قدمت سيرة كليب في عشرينه لو كان فيهم غلام مثل حساس
الطاعن الطعنة النجلاء عاندها كطرة البرد ، أعيا فتقها الآسى (٤)

(أهون من تباله على الحجاج)

وقال أبو اليقظان في مثل هذا الاشتقاق : كان أول عمل وليه
الحجاج بن يوسف تباله ، فلما سار إليها وقرب منها قال للدليل : أين هي ،
وعلى أي سمت هي ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لأراني أميراً
إلا على موضع تسترني منه أكمة ، أهون بها علي ؟ وكرراً راجعاً ، فقيل في
المثل : « أهون من تباله على الحجاج » والعامية تقول : لهو أهون على من
الاعراب على عركوك (٥).

١٥٨

(١) ل : « وإن كلي حبيك منهم » وهو تحريف .

(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .

(٣) في نوادر أبي زيد ١٥١ أن قاتل الشعر هو بشير بن أبي العيسى .

(٤) المائد : البرق يبل فلا يرقأ . وفي ط « عاتقها » وهو تحريف ، وفي ل : « عن عرض » . وفي النوادر « ييا فتقا » بنصب « فتقا » ، قال : أراد ييا بنتقها .
بهنا ينتهي الجزء الأول من النسخة التي ريزت إليها بحرف ل وتستمر القابلة على
النسخة س .

(٥) كذا .

(الحجاج والمنجم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولما حضرت الحجاجُ الوفاةَ وقد ولى قبل ذلك ماوئى ،
وافتح ماافتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجم : هل ترى ملكاً يموت ؟
قال : نعم ولست به ، أرى ملكاً يموتُ اسمه كليب ، وأنت اسمُك الحجاجُ
قال : فأنا والله كليبٌ ، أمي سمّيتني به وأنا صبي . فمات ، و [كان]
استخلفَ على الخراج ^(١) يزيد بن أبي مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن
أبي كبشة .

(ما كان العرب يسمّون به أولادهم)

قال : والعرب إنّما كانت تسمّى بـ كلب ، وحمار ، وحجر ، وجمل ،
وحنظلة ، وقرود ، على التفاضل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج
يتعرّض ليجر الطير والقال ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى ^(٢) حجراً
سمّى ابنه به وتقاءل فيه الشدة ^(٣) والصلابة والبقاء والصبر ، وأنّه يحطم
مالتي . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئبا أو رأى ذئبا ، تأوّل فيه الفطنة
والحبّ والمكرّ والكسب . وإن كان حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة
والقوة والجلّد . وإن كان كلباً تأوّل فيه الحراسة واليقظة وبُعْد الصوت ،
والكسب وغير ذلك .

(١) في الأصل « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ وقد زدت

كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدّة » فإن الفعل يتدّى بالباء .

ولذلك صورَّ عبيد الله بن زياد في دهليزه كلبًا وكبشًا وأسدًا ، وقال :
 كلب ناجح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح ، فتطير إلى ذلك فطارت عليه .
 وقال آخر : لو كان الرجل منهم إثمًا كان يسمى ابنه بحجر وجبل ،
 وكنب ، وجمار ، وثور ، وخنزير ، وجعل ، على هذا المعنى ، فعلاً سمي
 ببرذون^(١) ، وبغل ، وعقاب ، وأشباب ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .
 قال الأول : إثمًا لم يكن ذلك ، لأنه لا يكاد يرى بغلا وبرذونا ،
 ولله لا يكون رأها قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيقة لأموالهم
 يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد
 كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقا محمودا . بل كيف صار ذلك
 كذلك ونحن نحمده يسمى بنجم ولا يسمى بكوكب ! إلا أن بعضهم قد
 سمي بذلك عبداً له ، وفيه يقول :

كوكبٌ إن مُتْ فهي ميتتي لامتُ إلا هَرَمًا يا كوكبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسند ، وطود^(٢) ، ولا يسمون بأحد ولا بتبير

وأجاء وسلمى ورَضوى ، وصنْدٍ وحيم^(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلعوا

رءوسهم من خيامهم . ويسمون بَبْرُج ولا يسمون بَقْلَك ، ويسمون بَقَر

وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسموا بأرضٍ وساء ، وهواء ١٥٩

وماء ، إلا على ما وصفنا . وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أن جبلاً أبلغ

(١) في الأصل « سمي برذون » والوجه ما أثبت .

(٢) في ط « طور » وما بمعنى .

(٣) لعله « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سَقَوْنِ وَقَلْبَا لَا تَقْنِ وَلَوْ سَقَا (جبال حنين) ماسقيت لغت

من حجر ، وطودا^(١) أجمع من حجر . وتركوا أسماء جبالهم المعروفة .
وقد سمّوا بأسد وليث وأسماء وضرغام^(٢) . وتركوا أن يسّموا بسبع
وسبعة ، [وسبع]^(٣) هو الاسم الجامع لكلّ ذى ناب ومخلب .
قال الأول : قد سمّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فسمّوا بأبان وسلمى .
قال آخرون : إنّما هذه أسماء ناسٍ سمّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت
لها أسماء تركت لتقلها ، أو لمة من العلال ؛ وإلّا فكيف سمّوا^(٤) بسلى
وتركوا أجا ورّضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربّما فعلوا ذلك على أن يتفق لواحد ولود
ولمعظم جليل ، أن يسمّع أو يرى حمّارا ، فيسمّى ابنه بذلك ؛ وكذلك
الكلب والذئب ، ولم يتفق في ذلك الوقت أن يسمّع بذكر فرس ولا
حجر أو هواء أو ماء ، فإذا صار حمّار ، أو ثور ، أو كلب اسم رجل
معظم ، تناجست عليه العرب تطيّرُ إليه ، ثم يكثر ذلك في ولده خاصّة بعده .
وعلى ذلك سمّت^(٥) الرعية بنيتها وبنايتها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى
ذلك صار كلُّ عليّ يكنى بأبي الحسن ، وكلُّ عمرَ يكنى بأبي حفص ،
وأشباه ذلك . فالأسماء ضروب ، منها شيء أصليّ كالسّماء والأرض والهواء
والماء والنار ، وأسماء أخرى مشتقّة منها على جهة القال ، وعلى شكل اسم

(١) في ط « طور » وحا بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٤) ط « يسّموا » وصوابه في س .

(٥) في الأصل « سميت » وهو تحريف ما أنبته .

الأب، كالرجل يكون اسمه عمر فيسمى ابنه عميرا، ويسمى عمير ابنه عمران،
ويسمى عمران ابنه معمرًا. وربما كانت الأسماء بإشياء الله عز وجل
مثل ما سمي الله عز وجل أبا إبراهيم آزر، وسمي إبليس بهاسق. وربما
كانت الأسماء مأخوذة من أمور تحدث في الأسماء، مثل يوم العروبة
سميت في الإسلام يوم الجمعة، واشتق له ذلك من صلاة يوم الجمعة.

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول في المتروك من هذا الجنس ومن غيره، ثم نعود إلى موضعنا
الأول إن شاء الله تعالى.

ترك الناس مما كان مستعملاً في الجاهلية أموراً كثيرة، فمن ذلك
تسميتهم للخراج إتاوة، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان: الخُلان
والكس. وقال جابر بن حنّ (١).

أفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ماباع امرؤ مكس درهم
وكما قال العبدى في الجارود (٢):

أيا ابن الملقى خلتنا أم حسبتنا صراري نعطى الماكسين مكوساً (٣)

(١) في الأصل « خاربى » وهو تحريف عجيب. والبيت في اللسان (مكس) ،
وقصيدته في المفضليات ٩٧ - ٩٩

(٢) البدى هو يزيد بن خنق، كما في المفضليات ١٤٣. والجارود هو ابن الملقى،
صاحب كان - يد عبد القيس، قدم على الرسول في وفد عبد القيس الأخير سنة عشر
وأسلم وحسن إسلامه، وابنه النضر بن الجارود، وحفيده الحكم بن النضر
ابن الجارود الذى يقول فيه الأعشى:

ياحكم بن النضر بن الجارود سراقك المجد عليك ممدود
قتل الجارود سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر، الإصابة ١٠٣٨.
(٣) ط: «أكابر»، س: «أكابن» وانظر المفضليات.

١٦٠ وكما تركوا أنعم صباحاً ، وأنعم ظلاماً ، وصاروا يقولون : كيف أصبحتم ؟ وكيف أمسيتم ؟

وقال قيس بن زهير بن جذيمة ، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة : أنعم ظلاماً أبا ضمرة ! قال : نعمت فمن أنت ؟ قال : قيس بن زهير .

وعلى ذلك قال امرؤ القيس :

ألا عِمَّ صباحاً أيها الطللُ البالي وهل يَتَمَنَّي مَنْ كان في العُصْرِ الخالي
وعلى ذلك قال الأول (١) :

أتوا نأري قُلتُ مَنْوَنَ قالوا سَرَّاةَ الجَنِّ قُلتُ عِمُّوا ظَلاماً
وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع : أيت اللعن ، كما قيل (٢) :

* مهلاً أيت اللعن لانا كلَّ معة *

وقد زعموا أن حذيفة بن بدر كان يُحَيِّياً بفتح الملوكة ويقال له : أيت اللعن . وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفراً .

وقد ترك العبد أن يقول لسيدهِ ربِّي ، كما يقال ربُّ الدار ، وربُّ البيت . وكذلك حاشية السيد والملِك تركوا أن يقولوا ربَّنَا . كما قال الحارث بن حلزة :

ربَّنَا وابننا وأفضلُ مَنْ يَء شئى وَمَنْ دُونَ مَالِديهِ التَّنَاه

(١) البيت لمبير (أوسمير) بن الحارث الضبي كما في التوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق .

(٢) البيت للبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤ : ٩١ - ٩٢) .

وكما قال ليبد حين ذ كر حذيفة بن بدر :
وأهلكن يومارب كندة وابنه ورب معة بين خبت وعرعر
وكما عير زيد الخليل حاتم الطائي في خروجه من طيء ومن حرب
الفساد ، إلى بني بدر ، حيث يقول ^(١) :

وفروا من الحرب العوان ولم يكن بها حاتم طباً ولا مقطباً
وريب حصنا بعد أن كان آيياً أبوة حصن فاستقل وأعتباً
أقيم في بني بدر ولا ما بهما إذا ما قصت حربنا أن تطربا
وقال عوف بن محم ^(٢) ، حين رأى الملك : إنه ربي ورب السكبة .
وزوجه أم أناس بنت عوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقوام الملوك السدة وقالوا الحجة ^(٣) .
وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أبي عبد الرحمن يونس ^(٤) بن
حبيب النحوي حين أنشده شعر الأسدي :

ومركضة صريحي أبوها تهان لها العلامة والعلام ^(٥)

(١) حرب الفساد كانت في الجاهلية بين جديلة والفتوح . وانظر خسة دواوين العرب
١٠٧ والأغاني (١١ : ١٢٧) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) ..

(٢) هو الذي يقال فيه : « لآخر وادي عوف » أمثال الميداني ٢ : ١٦٧ وهو
من بني ذهل بن شيان ، ومن أشراف العرب في الجاهلية توفي نحو ٤٥ ق. هـ .
قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محم الخزاعي فإن هذا إسلامي كان
ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التي فيها .

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمى إلى ترجان

(٣) في الأصل « بالسدة وقالوا لجية » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « عن أبي عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن
أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما في بقية الرواة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد
أخذ عنه أبو عبيدة كافي البنية ٣٩٥ توفي يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثلاثين سنة .

(٥) الجوهرى : صرع .: اسم غل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال قتلت له : فتقول : للجارية غلامه ؟ قال : لا ، هذا من الكلام التروك ، وأسماءه زالت مع زوال معانيها : كالرباع والنشيطه وبقى الصفايا ، فالرباع : رُبِّع جميع الغنيمه الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام المحس ، على ماسئته الله تعالى . وأما النشيطه فإنه كان الرئيس أن ينشط عند قسمة المتاع العلق النفيس يراه إذا استخلاه . وبقى الصقي وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مغنم ، وهو كالسيف اللهم (٢) والفرس العتيق ، والدرع الحصينة ، والشيء النادر .

وقال ابن عَنَمَة الضبي (٣) حليف بنى شيبان ، فى مريثته بسطام ابن قيس :

لك الرباعُ منها والصفايا وحُكْمُك والنشيطُ والفضولُ
والفضول : فضول المقاسم ، كالشيء إذا قسم وفضلت فضلة استهلك ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدرع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماء حدثت ولم تكن ، وإِنَّمَا اشتقت لهم من أسماء متقدمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرك الجاهلية والإسلام مُحَضَّرَم كأبى رجاء المطاردى (٤) ، بن سالمة (١) ، وشقيق بن سالمة ؛ ومن الشعراء النابغة الجعدي

(١) كذا

(٢) س : « الهنام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن عنة هذا هو عبد الله ، وهو ممن شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) لأبى رجاء ترجمة فى الاصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث في الإسلام ، أنَّهم في الجاهلية لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهلية ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرض التي لم تُخفَقط ولم تحرث إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغة حيث يقول :

إِلَّا الْأَوَارِيَّ لَايًّا مَا أُبْيِيهَا والنَّوْئِيَّ كَالْحَوْضِ بِالْمُظْلَمَةِ الْجَلْدِ
ومنه قيل سقلا مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :
ظَلَمَ الْبِطَاحُ لَهُ انْهَالُ حَرِيصَةٍ فصَنَّا النَّظَافُ لَهُ بُعِيدَ الْقَلْعِ
وقال الآخر :

قَالَتْ لَهُ مِثِّي بِأَعْلَى ذِي سَلَمٍ لَوْ مَا تَزَوَّرْنَا إِذَا الشَّعْبُ أَلَمَ
* أَلَا بَلَى يَأْمِي وَالْيَوْمُ ظَلَمَ ^(١) *

يقول ظلم حين وضع الشيء في غير موضعه . وقال الآخر :

* أَنَا أَبُو زَيْبٍ وَالْيَوْمُ ظَلَمَ ^(٢) *

وقال ابن مقبل :

عَادَ الْأَذَلَّةُ فِي دَارٍ وَكَانَ بِهَا هُرْتُ الشَّقَاقِيقَ ظَلَّامُونَ لِلْجُرِّ
وقال آخر :

وَصَاحِبِ صَدَقٍ لَمْ تَنْلِي أَذَاتَهُ ظَلَمْتُ وَفِي ظُلْمِي لَهُ عِلْمَدًا أَخْبِرْ
وقال آخر :

لَا يَظْلَمُونَ إِذَا ضَيَّفُوا وَطَاهَرَهُمْ وَهُمْ لِحُودِهِمْ فِي جُزْرِهِمْ ظَلَمُ

(١) اليوم ظلم : أي حقا كما تقول لاجرم أي حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه

(٢) في الأصل « والنوم ظلم » وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور أن يعْرِبوها ، وكان في الحق أن تُنحر نحرًا . وظلمهم الجزور^(١) أيضاً أن ينحروها صحاحاً سماناً لآلة بها .
قال : ومن ذلك قولهم الحرب غشوم ؛ وإنما سميت بهذا لأنها تنال غير الجاني .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَا ظَلَمَ » يقول : قد وضع الشبه في موضعه .

ومن الحديث المَشْتَقُّ ، اسم منافق لمن رآه بالاسلام واستتر بالكفر أخذ ذلك من النافق ، والقاصم ، والدائم^(٢) ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تمروا ذلك وتوخوه . وقال : ﴿ فَاْمَسَحُوا بِرُءُوسِهِمْ ﴾ وأيديكم منه ﴿ فَكُتِرَ هَذَا فِي الْكَلَامِ حَتَّى صَارَ التَّيَمُّمُ هُوَ الْمَسْحُ نَفْسُهُ . وكذلك عادتهم وصنيعهم في الشيء إذا طالت محبتهم وملايتهم له^(٣) .

وكما سموا رَجِيعَ الْإِنْسَانِ الْفَائِطِ ، وإِنَّمَا الْفَيْطَانُ الْبَطُونُ الَّتِي كَانُوا يَنْحَدِرُونَ فِيهَا إِذَا أَرَادُوا قَضَاءَ الْحَاجَةِ لِلْسِتْرِ .

ومنه الْعَذْرَةُ ، وإِنَّمَا الْعَذْرَةُ الْفَنَاءُ ، وَالْأَفْنِيَّةُ هِيَ الْعَذْرَاتُ ، وَلَكِنْ لَمَّا طَالَ إِقَاؤُهُمُ التَّجْوِ وَالزَّيْلَ فِي أَفْنِيَّتِهِمْ ، سَمِيَتْ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي رَمَوْا بِهَا ، بِاسْمِ الْمَكَانِ الَّذِي رَمِيَتْ بِهِ . وفي الحديث : « أَتَقَوُّا عَذْرَاتَكُمْ » وقال ابن الرقيات :

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَى دَفَنُهَا بِسِحْرَتَانِ طَاحَتِ الطَّاحَاتِ^(٤)

(١) في الأصل « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هي من أسماء حجرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دم) .

(٣) في الأصل : « محبته وملايته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعي ، أحد أجواد العرب توفي سنة ٦٥

كان لا يحبُّ الصديقَ ولا يه تَلُّ بالبخلِ طيِّبُ القَدِرَاتِ
ولكنَّهم لكثرة ما كانوا يُلقونَ نجوهم في أفئدتهم سموها باسمها .

ومنه النجوة : وذلك أنَّ الرجلَ كان إذا أراد قضاء الحاجة تستر بنجوة . ١٦٣

والنجوة : الارتقاء من الأرض قالوا من ذلك ذهب يتنجو ، كما قالوا ذهب
يتغوط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثم اشتقوا منه فقالوا إذا غسل
موضع النجوة قد استنجى .

وقالوا ذهب إلى الخرج ، وإلى المتوضأ ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ،
وإلى الحش ، وإثما الحش القطعة من النخل وهي الحشان ، وكانوا بالمدينة
إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ
الحش ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كل ذلك هرباً من أن يقولوا ذهب
للخز ، لأنَّ الاسم الخزي ، وكل شيء سواه من ^(١) ورجيع وبراز وزبل وغائط
فكله كناية .

ومن هذا الباب اللَّة ، وللة موضع الخُبزة ، فسموا الخُبزة باسم موضعها .
وهذا عند الأصمعي خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزايدة
فسميت المزايدة باسم حامل المزايدة . ولهذا المعنى سمو حامل الشعر
والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صداقها . قالوا : وإثما كان يقال ذلك

(١) في الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاقِ إبلا ، وتلك الإبل يقال لها الناجية .
وقال شاعرهم :

وليس تِلَادِي من وِرَاثَةِ والِدِي ولا شَادَ مَالِي مُسْتَفَادِ النَوَافِجِ
وكانوا يقولون : تَهْنِئِكَ الذَلِجَةُ . قال : فإذا كانوا يدفعون الصَّدَاقَ
عينا وورقا فلا يقال ساق إليها الصَّدَاقُ .

ومن ذلك أَنَّهُم كانوا يضربون على العروس البناء ، كَالْقَبَّةِ والخِمَّةِ
والخيام ^(١) ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقا من البناء ، ولا
يقال ذلك اليوم . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً في مكانها أو تتحوَّل
إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم في التَّبَعِي المَكْنَسِيَةِ بالفُجُورِ قَحْبَةٌ ، وإِنَّمَا
القُحَابُ السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زَنَتْ وتكسَّبت
بالزنا ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إِنَّ السَّعَالَ هُوَ الْقُحَابُ *

[وقال ^(٢) :

وإذا ماقَحَبَتْ واحدٌ جَاوِبَ المَبْعُدِ منها ^(٣) خَضَفَ
وكذلك كان كُنَايَتُهُمْ في انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا
متاعه وعورته وشواره . والشَّوَارُ: المتاع ^(٤) . وكذلك الفرج وإِنَّمَا [يعنون ^(٥)]
الإير والحِرَّ والاشت .

(١) كُنَا في ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيه الكلام .

(٣) ط : « قحبت » وأثبت ما في س و م ومعنى خضف في القاموس .

(٤) في القاموس : « والشَّوَارُ مثله : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيه الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد : من ذلك ١٦٤
قوله : « إِذَا لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَرْزَانٌ » ومن ذلك قوله : « مَاتَ حَتَفٌ أَهْهُ »
ومن ذلك قوله : « يَأْخِيْلُ اللَّهُ أَرْكَبِي » ومن ذلك قوله : « كُلُّ الصَّيْدِ فِي
جَوْفِ الْقَرَا » وقوله : « لَا يُلْسَعُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » .

(شَنْشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ)

وقال عمر رضى الله تعالى عنه : « شَنْشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ » يعنى شبه
ابن العباس بالعباس . وأخْزَمَ فُجِلَ معروف بالكرم .

(ما يكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كراهية من طريق الروايات ، فروى عن
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ حَبْتٌ
نَفْسِي وَلَكِنْ لِيَقُلَّ لَقَسْتُ نَفْسِي » كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف
المؤمنُ الطاهرُ إلى نفسه الخُبثَ والفساد بوجه من الوجوه .
وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما التهمى عن قول القائل : اسْتَأْثَرَ اللَّهُ
فُلَانٌ ، بل يقال مات فلان . ويقال ^(١) اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بَعْلَ الْغَيْبِ واسْتَأْثَرَ
اللَّهُ بِكَذَا وَكَذَا .

(١) ط : « وَلَا يَقَالُ » وصوابه في ل .

قال النَّحَّيْ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله ، وقراءة سالم وقراءة أبي ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنّة الله وسنّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسَيِّجِدٌ ومُصَيِّفٌ ، للمسجد القليل الذَّرْعُ ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنّه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربّما صغّروا الشيء من طريق الشفقة والرفقة ، كقول عمر : أخافُ على هذا المريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنّما فلانُ أخيّ وصديقٌ ، وليس التصغير له يريد . وذكر عمر ابن مسعود فقال : كُنَيْفٌ ملىّ علماً . وقال الحباب بن المنذر ^(١) يوم السقيفة : أنا جُدَيْلُهَا المحسك ، وعُدَيْقُهَا المرجّب . وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : الجُبراء ، وكقولهم لأبي قابوس الملك : أبو قُبَيْس . وكقولهم : دبّت إليه دويهيّةُ الدهر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقّة المسالك .

(١) في الأصل « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتي هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الملاحظ في البيان ٣ : ١٧١ في حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ مُعِيل في أسماء العرب فائِماً هو على هذا المعنى ، كقولهم
 الْمُعِيدِي ، وكنحو سُلَيْم ، وَصَيْر ، وَكَلَيْب ، وَغَيْر ، وَجُعِيل ، وَحُمَيْد ،
 وَسُعِيد ، وَجُبَيْر ؛ وكنحو عُبَيْد ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ ، وَعُبَيْدُ الرَّمَاح ^(١) . وطريق التصغير
 والتصغير إتما هو كقولهم : نُجَيْل ونُذِيل . قالوا : وَرُبَّ اسمٍ إذا صغَّرْتَه كان
 أملاً للصَّدر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر في السماع من أبي عبد الله
 وكعب بن جُعِيل ، هو أخم من كعب بن جمل . وربما كان التصغير خِطَّة ١٦٥
 وبنيّة ، لا يتغيَّر ، كنحو الحُمَيْيَا والسُّكَيْيْتِ ، وَجُنَيْدَة ، والقَطِيْعَا ،
 والريطاء ، والسُّمَيْرَاء ، والمليساء - وليس هو كقولهم القصَّيرى ، وفي
 كييدات السماء والثرثاء .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : دَقَقْتُ البابَ على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ قلت : أنا . فقال : أنا إِنْ
 كَانَتْ كَرِهَ قَوْلِي أَنَا .

وحَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ ، وَعَبْدُ الْكَرِيمِ الْفَيْزِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا
 عَيْسَى بْنُ حَاضِرٍ قَالَ : كَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ^(٢) يَجْلِسُ فِي دَارِهِ ، وَكَانَ
 لَا يَدْعُ بَابَهُ مَفْتُوحًا ، فَإِذَا قَرَعَهُ إِنْسَانٌ قَامَ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَفْتَحَهُ لَهُ . فَأَتَيْتُ
 الْبَابَ يَوْمًا فَرَعَرْتُهُ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قلت : أَنَا . فقال : مَا أَعْرِفُ أَحَدًا
 يَسْمَى أَنَا . فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا وَقَدْ خَلَفَ الْبَابَ ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه في س وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد
 المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفي بمران سنة ١٤٥ هـ ورثاه المنصور . قالوا
 ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢

خُرَاسَانِ قَرَعَ الْبَابَ ، فَقَالَ عَمْرُو : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ عَلَيْكَ ، يَلْتَمِسُ الْعِلْمَ . فَقَامَ لَهُ فَفَتَحَ لَهُ الْبَابَ ، فَلَمَّا وَجَدَتْ فُرْجَةً أَرَدَتْ أَنْ أَلْجَ الْبَابَ ، فَدَفَعَ الْبَابَ فِي وَجْهِ بَعْثُفٍ ، فَأَقْبَتُ عَنْدهُ أَثِمًا (١) ثُمَّ قَلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ إِنِّي يَوْمَ أَنْتَضَبْتُ عَلَى عَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ ، لَكَيْفُ رَشِيدِ الرَّأْيِ . فَأَتَيْتُ الْبَابَ فَقَرَعْتُهُ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : عَيْسَى بْنُ حَاضِرٍ . فَقَامَ فَفَتَحَ لِي الْبَابَ .

وَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَ الشَّعْبِيِّ : أَلَيْسَ اللَّهُ قَالَ كَذًا وَكَذَا ؟ قَالَ : وَمَا عَلَيْكَ ؟
وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ : اتَّقُوا تَكْذِيبَ اللَّهِ ، لِيَتَّقَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقُولَ قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ كَذًا وَكَذَا ، فَيَقُولَ اللَّهُ كَذَبْتَ لَمْ أَقُلْهُ .
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : لَا يَقْبَلُ أَحَدُكُمْ أَهْرِيْقَ الْمَاءِ وَلَكِنْ يَقُولُ أَبُولُ ؟

وَسَأَلَ عَمْرُو رَجُلًا عَنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، فَقَالَ عَمْرُو : قَدْ خَرَيْنَا إِنْ كُنَّا لَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ . إِذَا سُئِلَ أَحَدُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ كَانَ يَعْلَمُهُ قَالَهُ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُهُ قَالَ لَا أَعْلَمُ لِي بِذَلِكَ .

وَسَمِعَ عَمْرُو رَجُلًا يَدْعُو وَيَقُولُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْأَقْلَيْنِ ! قَالَ : مَا هَذَا الدُّعَاءُ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ . قَالَ : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ . قَالَ عَمْرُو : عَلَيْكَ مِنَ الدُّعَاءِ بِمَا يُعْرِفُ .

وَكَرِهَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَوْلَ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ : ضَعْفُهُ تَحْتَ إِبْطِئِكَ ، وَقَالَ :

هَلَّا قُلْتَ تَحْتَ يَدِكَ وَتَحْتَ مَنَكِبِكَ ! وَقَالَ مَرَّةً - وَرَأَتْ فَرْسٌ بِمَحْضَرَةِ
سُلَيْمَانَ - ^(١) قَالَ : ارْقِعُوا ذَلِكَ النَّثِيلَ . وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الرَّوْثُ
وَقَالَ الْحِجَّاجُ لَأُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ ^(٢) عَمَدَتِ إِلَى مَالِ اللَّهِ
فَوَضَعْتَهُ تَحْتَ . كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ عَلَى عَادَةِ النَّاسِ : تَحْتَ اسْتِكَ ، ١٦٦
فَلَجَلَخَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ قَدَعًا أَوْ رَفَنًا ، ثُمَّ قَالَ : تَحْتَ ذَلِكَ .
وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِمَلُوكِهِ عَبْدِي
وَأُمِّي ، وَلَكِنْ يَقُولُ : فَتَاىَ وَفَتَاىَ ، وَلَا يَقُولُ الْمَلُوكُ رَبِّى وَرَبَّتْى ، وَلَكِنْ
يَقُولُ سَيِّدِى وَسَيِّدَتِى » .

وَكَرِهَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَوْلَ الْقَاتِلِ لِلْكَلْبِ : اللَّهُمَّ أَخْزِهِ .
وَكَرِهَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ : أُنَعِّمُ اللَّهُ بِكَ
عَيْنًا ؛ وَلَا أُنَعِّمُ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا .

وَقَدْ كَرِهُوا أَشْيَاءَ مِمَّا جَاءَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لِاتَّعَرُّفِ وَجُوهِهَا ، فَرَأَى
أَهْبَابُنَا لَا يَكْرَهُونَهَا ^(٣) . وَلَا نَسْتَطِيعُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ نَسْمَعْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ
أَكْثَرَ مِنَ الْكَرَاهَةِ . وَلَوْ كَانُوا يَرَوُونَ الْأُمُورَ مَعَ عِلْمِهَا وَبَرَهَانَاتِهَا خَفَّتِ
الْمُؤَنَةُ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ مُجَرَّدَةٌ ، وَقَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ
دُونَ حِكَايَةِ الْعِلَّةِ ، وَدُونَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْبَرَهَانِ . وَإِنْ كَانُوا قَدْ شَاهَدُوا
النَّوْعَيْنِ مُشَاهِدَةً وَاحِدَةً .

(١) هُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَوَزَرَ عُمَرَ ، وَوَلَّى عُمَرَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ
بَعْدَ مِنْهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « الْأَشْعَبُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَكَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ حُرُوبٌ قَادِمٌ فِيهَا الْحِجَابُ
' وَانْتَهَتْ بِقَتْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَنَةَ ٨٥ هـ كَانَ أَهْمُهَا وَقْعَةُ دَيْرِ الْجَلَامِ الَّتِي دَامَتْ مِائَةً
وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

(٣) كُنَّا .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لَاتَسْمُوا الْعَنَبَ الْكَرْمَ ؛ فَإِنَّ الْكَرْمَ هُوَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ » وقد زعموا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله : « لَاتَسْمُوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ اللَّهُ » فما أحسن ما فسّر ذلك عبد الرحمن بن مهدى ^(١) قال : وجهه هذا عندنا ، أن القوم قالوا : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ فمسا قال القوم ذلك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ذلك الله . يعني أن الذي أهلك القرون هو الله عز وجل ، فتوهم منه التوهم أنه إنما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان « قُلْ وَمَعَكَ رُوحُ الْقُدُسِ » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قُلْ وَمَعَكَ جِبْرِيلُ ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أن موسى قال : لَيْتَ أَنَّ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ : وهو يريد العصمة والتوفيق : والنصارى تقول للمتنبئ : معه روح دكالا ^(٢) ، ومعه روح سيفرت ^(٣) . وتقول اليهود : معه روح بلعربوث ^(٤) ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ يعني القرآن .

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العبدي البصري من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في الدنيا توفي بالبصرة ١٩٨ هـ .
(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالا » .
(٣) في الرسائل « شيقرة » .
(٤) في الرسائل « بلعربوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سهيل وبرد الليل . فكره ذلك وقال :
إن سهيلاً لم يأت بحجر ولا بيرد قط . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد
كره الحسن كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقول الرجل للقيم والسحابة : ما أخفها للمطر !
وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنهم من خوفهم عليهم العود
في شيء من أمرا الجاهلية ، احتاطوا في أمورهم ، فنعموا من الكلام الذي فيه
أدنى متعلق .

ورروا أن ابن عباس قال : لا تقولوا والذي حاتم على في ، فإنما
يحيي الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قزح . وقال : قزح
شيطان ، وإِنَّمَا ذهبوا إلى التعويج والتلويح ، كأنه كره ما كانوا عليه من
عادات الجاهلية . وكان أحب أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما
يقال بيت الله ، وزوار الله ، وأرض الله ، وسما الله ، وأسد الله ^(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين ، ولا تقولوا : لآبئٍ بعده ، فإنما تكن ذهبت إلى نزول المسيح
فما أعرف له وجهاً إلا أن تكون قالت لا تتغيروا مسمعتهم ، وقولوا كما قيل
لهم ، والفقوا بمثله سواء

وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول القائل : أسلست في كذا وكذا ،
وقال : ليس الإسلام إلا الله ^(٢) عز وجل . وهذا الكلام مجازه عند الناس
سهل ، وقد كرهه ابن عمر ، وهو أعلم بذلك .

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ٦٦ وكذا ثمار القلوب ٨ - ٢٨

حيث فسر الثعالبي ما أضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابن عباس رضي الله عنهما قول القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لاتسئوا الطريق السكة .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت في جنازة ، وقال : قل تبعت جنازة كأنه ذهب إلى أنه عني أنه كان في جوفها ، وقال قل تبعت جنازة . والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ، وهي عندي شبيهة بقول من كره أن يقول : أعطاني فلان نصف درهم .

وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القفيز بدنيير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة .

وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عباس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال بل قولوا : قد قَضَوْا الصلاة ، وقد فرَغُوا من الصلاة ، وقد صَلَّوْا ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس كان ذلك حين انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف الخليفة الناس من الدار اليوم بخير ، وكنت في أوّل المنصرفين ، وقد كرهه ابن عباس . ولو أخبرونا بعلته انتفعنا بذلك .

وكره حبيب بن أبي ثابت ، أن يقال للحائض طائث ، وكره مجاهد قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان . وقال : قولوا شهر رمضان ، فعمل رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴿١﴾ فَقَدْ قَالَ النَّاسُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَلَمْ يَمُوتُوا
يَقُولُوا عَرَفَةَ .

(رَأَى النِّظَامَ فِي طَائِفَةِ مِنَ الْمَفْسَرِينَ)

(وَصُورٌ مِنْ تَكْلُفِهِمْ فِي التَّأْوِيلِ)

كان أبو إسحاق يقول : لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين ، وإن نصبوا
أنفسهم للعامة ، وأجابوا في كل مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على
غير أساس ، وكلما كان المفسر أغربَ عندهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن
عندكم عِزْمَتُهُ ، والسكبيُّ ، والسديُّ ، والضَّحَّاكُ ، ومقاتل بن سليمان ،
وأبو بكر الأصبمَ ، في سبيل واحدة . فكيف أثق بفسيرهم ^(١) وأسكن إلى
صوابهم ، وقد قالوا في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنَّ لِلسَّاجِدِ لِلَّهِ ﴾ : إن الله عزَّ وجلَّ
لم يبع بهذا الكلام مساجدنا التي نصلِّي فيها ، بل إنما عني الجباه وكلَّ
ماسجد للناس عليه : من يدُ ورجلٍ وجبهةٍ وأنفٍ وثقنة .

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنه
ليس يعني الجمال والثَّوْقَ ، وإنما يعني السحاب .

وإذا سئِلوا عن قوله : ﴿ وَطَلَحَ مِنْضُودٌ ﴾ قالوا : الطلح هو اللوز .

وجعلوا الدليل على أنَّ شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأنَّ
الناس غيروه ، قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ !

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾
قالوا : يعنى أنه حَشَرَهُ بِلاَ حِجَّةٍ .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلطُّفَلَيْنِ ﴾ : الويل وادٍ فى جهنم . ثم
قَعَدُوا يَصِفُونَ ذلك الوادى . ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف
كان فى الجاهلية قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم ! .

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلق
وادٍ فى جهنم ، ثمَّ قَعَدُوا يَصِفُونَهُ . وقال آخرون : الفلق المِقْطَرَةُ (١)
بلغة اليمن .

وقال آخرون فى قوله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ قالوا : أخطأ
من واصل بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإِنَّمَا هِيَ سَلٌّ سَبِيلًا إِلَيْهَا
يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمى ، وعلى أى شئ وقع قوله تسمى
قسمى ماذا ، وما ذلك الشئ ؟

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِحُلِيِّهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود
كناية عن الفروج . كأنه كان لا يرى أَنَّ كلام الجلد من أعجب العجائب ! .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّا يَا كُلَّانِ الطَّعَامَ ﴾ : إِنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ
كناية عن العائظ . كأنه لا يرى أَنَّ فى الجوع وما ينال أهله من الذلَّة
والعجز والقاقة ، وأنه ليس فى الحاجة إلى الغذاء - ما يُكْتَفَى بِهِ فى الدلالة
على أَنَّهُما مخلوقان ، حتَّى يدَّعى على الكلام ويدَّعى له شيئاً قد أغناه
الله تعالى عنه .

(١) فى القاموس : المِقْطَرَةُ : المجبرة ، وخشية فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين

وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إنه إنما عنى قلبه . ١٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللحياني : (الجبار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جباراً في الضخم والقوة ، فتأول قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِيهَا قُورَماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جباراً على معنى قتالا ، وتأول في ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطُلْتُمْ بِطُلُوتِ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقوله لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ أى قتالاً بغير حق . والجبار : التكبر عن عبادة الله تعالى ، وتأول قوله عز وجل : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾ ^(١) ، وتأول في ذلك قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَحْتَلِنِ جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾ أى لم يبغي متكبِّراً عن عبادته ، قال : الجبار : المسلط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلط فتقهرهم على الإسلام . والجبار : الله . وتأول أيضاً (الخوف) على وجوه ، ولو وجده في ألف مكان قال : والخوفُ على ألف وجه ، وكذلك الجبار . وهذا كله يرجع إلى معنى واحد ؛ إلا أنه لا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل .

(تكلف بعض القضاة في أحكامهم)

وقال رجل لثبيد الله بن الحسن القاضي ^(٢) : إن أبا أوصى بثلاث ماله في الحصون قال : اذهب فاشتر به خيلاً فقال الرجل : إنه إنما ذكر الحصون ! قال : أما سمعت قول الأسقر الجُثقي :

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين النخعي ، فُتس من الفقهاء العلماء بالحديث من أهل

البصرة وتوفي بها سنة ١٦٨ هـ .

(٢) في الأصل : « ولم أك » وليس في الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤

ولقد علمت على تجنبى الردى ^(١) أن الحصون الخليل لأمدر القرى
فينبغي في مثل هذا القياس على هذا التأويل ، أنه ما قيل للمدن
والحصون حصون إلا على التشبيه بالخیل .

وخبّرني النوشزاني قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدّى بثلث
ماله لأولاده ، وأنا من أولاده ، قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال :
أو ما سمعت قول الشاعر ^(٢) :

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبايد
قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرّاً .

وقالوا في قوله : مأساءك وناءك : [ناءك] : أبعدك ، قالوا . وساءك ^(٣)
أبرصك قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بِيضاً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ وبئس التكلف .
وقال ابن قتيبة ^(٤) :

وحال أقال إذا هي أعرضت على الأصل لا يستطيعها التكلف
وقال الله وهو يخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا
مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يؤتني القوم إلا من الطمع ، ومن شدّة إعجابهم بالغريب
من التأويل .

- (١) في ط : « الورى » وهو تحريف ما في س .
(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم
يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطي في شرح شواهدلغنى ٢٨٧ .
لكن وجدت البغدادي في الحزاة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرماني أن قائله
هو الفرزدق .
(٣) ط « مأساءك وناءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين مكثين
ليستقيم الكلام . وفي ط « برصك » وصوابه في س .
(٤) ط : « ابن قتيبة » وصوابه « قتيبة » والبيت في البيان ٢ : ٣٠ .

(رأى في أبي حنيفة)

وسئل حفص بن غياث ، عن قه أبي حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكن ، وأجمل الناس بما كان ! .
وقالوا في قوله تعالى : ﴿ تَجْمُؤُكُمْ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعم ١٧٠
الماء الحار في الشتاء ، والبارد في الصيف .

(الضرورة)

ومن الأسماء المحدثّة التي قامت مقامَ الأسماء الجاهليّة ، قولهم في الإسلام لمن لم يحجّ : ضرورة . وأنت إذا قرأت أشعارَ الجاهليّة وجدتهم قد وضعوا هذا الاسم على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مقروم الضيّ^(١) :
لَو أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْطَطِ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةٌ مُتَنَتِّلٌ
لَدُنَا^(٢) لَيَهْجَبَهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَهُمْ مِنْ تَأْمُورِهِ بِنَزَلٍ
والضرورة عندهم إذا كان أرفعَ الناس في مراتب العبادة ، وهو اليومَ
اسمٌ للذي لم يحجّ إمّا لعجزٍ ، وإمّا لتضييعٍ وإمّا لإنكار^(٣) . فهما مختلفان
كما تَرَى .

(١) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي من مخضري الجاهلية والإسلام ، وهو من

شعراء الحنابلة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفي نحو سنة ٢٠ .

(٢) هي في شعر شبيه بهذا للنايفة « لَرْنَا » .

(٣) في الأصل « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقون كلاماً من كلامهم وأسماء من أسمائهم ،
واللغة عارية في أيديهم ممن خفهم ومكنهم وألمهم وعلمهم ، وكان ذلك
منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذي أعارهم هذه النعمة أحقُّ بالاشتقاق
وأوجبُّ طاعةً . وكما أنَّ له أن يتدنى الأسماء ، فكذلك له أن يتدنَّها
مما أحبَّ . قد سمي كتابه للنزل قرآنًا ، وهذا الاسم لم يكن حتى كان ،
وجعل السجود للشمس كفرًا ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفرًا
إلا وترك ذلك السجود بعينه يكون إيمانًا ، والترك للشيء لا يكون إلا
بالجراحة التي ^(١) كان بها الشيء ، وفي مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه
وعقبا . فواحدة أن يسمى السجود كفرًا ، وإذا كان كفرًا كان جحودًا
وإذا كان جحودًا كان شركًا ، والسجود ليس بجحد ، والجحد ليس بإشراك
إلا أن تصرفه إلى الوجه الذي يصير [به] ^(٢) إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طفيل الغنوي ^(٣) :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ بُنُوحَ مَقَامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا نِمْ حَوْلَ مَجْرَمٍ
وإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ لِلْجَمِيعِ مِنْ نَبَاحِ الْكِلَابِ .

(١) في الأصل « حق » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت في الشعراء لابن قتيبة ٦٧ منسوب إلى ابن مقبل . وفي ثمار القلوب ٤٦٢

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الظبي إذا أسَنَّ ونبتت لقرونيه شُعبُ نَبَج، وهو قول أبي ذؤاد^(١) :

وقصرى شَنَج الأنسا ٠ نَبَج من الشعب
يعنى من جهة الشعب ، وأنشد بعضهم :

وينبج بين الشعب نبجاً كأنه نَبَاحُ سُلُوقٍ أَبْصَرَتْ مَائِرِيهَا
وبَيَضَهَا الهُزْلُ السَّوْدُ غَيْرَهَا ١٧١ كما أبيض عن تخمض المراحم نبيها
لأن الظبي إذا هزل أبيض، والبيعر يسبب وجهه من أكل الخمض .
وكذلك قال ابن الجكأ^(٢) :

* شابت ولم تذن من ركبها *

كما قال الآخر :

أكلن حمضاً فالوجوه شيبُ شربن حتى نزح القلبُ
وقد تصير الناقة الحمراء إذا أتمت حبشية . ولذلك قال الشاعر :

* حمراء لأحبشية الإعام *

وما أشبه ذلك بقول العبدى^(٣) :

ودوائها حتى شنت حبشية ٠ كأنَّ عليها سُنْدُوساً وسُدُوساً

(١) فى الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو ذؤاد كما فى الصحاح . والقصرى : أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفاً على الوجه الآتى فصححه منه :

وقصرى سح الأنسا نباح من الشعب .

(٢) هو عمر بن الجأمن بن تيم بن عبد مائة بن أد بن طابخة ، وكان قد لُج الهجاء بينه ، وبين جرير لتنافس حدث بينهما فى الشعر ، فكانت خصومتها أدبية فى أول الأمر ثم استعالت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ١٠١ - ١٠٢ ليدن وابن قتيبة ١٦١ .

(٣) هو يزيد بن خنق . الاقتصاب ٤٠٠ والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواءُ : اللبَن ، فذلك تصير الفرس إذا أَلقت شعرها وطرَّت ،
تستبدل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْب التَّهْدِي^(١) :

هَبَطْنَا بَعْدَ عَهْدِكَ بِطَانٍ خَبِيْثٍ تَقَلُّ حَمَامُهُ مِثْلَ الْخُصُوفِ
كَأَنَّ عَرِيْنَ أَيْكَتِهِ تَلَاقَى بِهِ جَمْعَانِ مِنْ نَبِطٍ وَرُومٍ^(٢)
نُبَاحُ الْمُهْدَدِ الْحَوَلِيِّ فِيهِ كَنَجِ الْكَلْبِ فِي الْأَنْسِ الْقُفِيِّ^(٣)

ويقال إِنَّ الْمُهْدَدَ يَنْبِجُ . وَرَبَّمَا جَلَاوا الْمُهْدَدُ ، (الذي يَنْبِجُ) ،
الْحَمَامُ الذِّكْرُ . قال الشاعر - وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها؟ - :

وَإِذَا اسْتَرْتَنَّ أَرَنْتَ فِيهَا هُدُودُ مِثْلُ الْمَدَاكِ حَضَبَتُهُ بِيْسَادٍ^(٤)
وَقَالَ طُفَيْلٌ فِي النُّبُوحِ وَالْجَمَاعَاتِ^(٥) :

وَأَشْمَتُ تَرْهَاهُ النَّبُوحُ مُدْفَعٌ عَنْ الزَّادِ مِمَّا خَلَفَ الدَّهْرُ مُحْتَلٌ^(٦)
وَقَالَ الْجَدِيُّ^(٧) :

فَلَا دَنَوْنَا لَصَوْتِ النَّبَاحِ وَلَا نُبْصَرِ الْحَيِّ إِلَّا التَّمَاثَا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ

أَلَيْتُ إِذْ أَلَيْتُ مُجْتَهِدًا وَرَفَعْتُ صَوْتَا مَابِهِ بِجَحْجَحٍ
لَا يُدْرِكُ الشَّعْرَاءَ مِنْزَلَتِي فِي الشَّعْرِ إِنْ سَكْتُوا وَإِنْ نَبَحُوا
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ :

١٧٢

-
- (١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجرى فى حاشيته وفسرها (٢٨٩ - ٢٩١) .
(٢) فى الأصل : « عريك » و « تلام » و « قبط » وتصحيحه من الجماسة .
(٣) هنه فى ط . وليست فى س .
(٤) ط : « وإذا استترن » المداك : حجر يسقى عليه الطيب . والجساد : الزعفران .
(٥) فى الأصل « الجماعات » .
(٦) المحتل : السوء الجال ، ورواية اللسان : « بمن حرف الدهر » .
(٧) هو الثابتة الجدى وانظر الأغاني (٤ : ١٠٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كَلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَدَّ بَنَّا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
وقال بعض العلماء: كلاب الحي شعراؤهم، وهم الذين ينبجون دونهم،
ويحمون أعراضهم. وقال آخرون: إن^(١) كلاب الحي كل عقور، وكل
ذي عيون أربع^(٢) :
وأما قوله^(٣) :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى ابْنِي رِمَاحَ بَنِي مَقْبِدَةِ الْحَارِ
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى ابْنِي رِمَاحَ الْجَنِّ أَوْ إِيَّاكَ حَارِ^(٤)
فالطواعين^(٥) هي عند العرب رِمَاح الجن، وفي الحديث: «إن
الطاعونَ وَخَزَمَ مِنَ الشَّيْطَانِ»
وقال أبو سلمى^(٦) :

لَا بَدَّ لِلسُّودِّ مِنْ أَرْمَاحٍ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ
وَمِنْ عَدِيدِ يُتَقَى بِالرَّاحِ

وقال الأعشى :
مِثْلَ أَيَّامٍ لَنَا نَعْرِفُهَا هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَّحَ
رُزْنُ الْأَخْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ كَلَّمَ كَلْبُ مِنَ النَّاسِ نَبَّحَ

(١) في الأصل « وإن » .

(٢) كنا .

(٣) الثمر في الحيوان (٦ : ٦٧) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغساني

وفي آكام المرجان ١٦ : إلى « الأزدي » وفي ثمار القلوب ٥٣ : إلى امرأة .

(٤) ط : « رِمَاح الحي » . وتصحيحه من س والراجع للتحفة في التنبية السابق .

(٥) في الأصل « والطواعين » ،

(٦) الرجز في البيان ٣ : ١٩٠ :

وقال :

سَيَنْبِجُ كُلِّي جَاهِدًا مِنْ وَرَائِكُمْ وَأَغْنِي عَنْكُمُ أَنْ أُؤَنِّبَا

وقال أبو ذؤيب :

وَلَا هَرَّهَا كُلِّي لِيَبْعِدَ تَعْرَهَا ^(١) وَلَوْ نَبَحْتَنِي بِالشَّكَاةِ كَلَابِهَا

كَلَابِهَا : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وَبِئْسَ وَالشَّكَاةُ لَأَلٍ لِأُمِّ كَذَاتِ الضَّغْنِ تَمْشِي فِي الرَّفَاقِ

وقال أبو زيد ^(٢) :

أَلَمْ تَرَنِي سَكَنْتُ لَأَيَّا كَلَابِهِمْ وَكَفَكَفْتَ عَنْكُمُ كُلِّي وَهِيَ عُمُرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنكم تبتغون على الكلب كلَّ

شيء هُجِّي به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد

رأينا الشعراء قد هَجَّوْا الأصناف كلها ، فلم يُفَلتْ منهم إنسان ولا سميع ،

ولا بهيمةٌ ولا طائر ولا هَمَّج ولا حشرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضيع ،

(١) تتركع : صاح . وفي ط : « تعرها » محرفة .

(٢) هو أبو زيد الطائي ، واسمه حرمة بن المنذر شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام

وكان لنا قصيدتا بليغ الوصف ، وصف الأسد بمحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الناية

الأغاني ١١ : ٢٣ - ٢٥ ، وقد ترجم له البغدادي في الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستانى

في المعرین ٩٨ ليدن ، وابن حجر في الإصابة ٤٨٠ قسم الكنى .

إِلَّا أَنْ يَسْلَمْ بَعْضُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالْحَوْلِ ، فَكَفَاكَ بِالْحَوْلِ رِقَّةً ^(١) وَلَوْ مَا وَقَفَ
وَنَدَالَةً . وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ لِإِيَّاسَ بْنِ سَهْمٍ :
فَأَبْلَغُ إِيَّاسًا أَنْ عَرَضَ ابْنُ أُخْتِكَ

رِدَاؤُكَ فَاصْطَنَ حَسَنَهُ أَوْ تَبَذَّلَ ^(٢)
فَإِنْ تَكُ ذَا طَوَّلٍ فَإِنِّي ابْنُ أُخْتِكَ

وَكُلُّ ابْنِ أُخْتٍ مِنْ نَدَى الْخَلَالِ مُغْتَلِي ^(٣)
فَكَنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَيْمَةً فَمَهْمَا تَكُنْ أَنْسَبُ إِلَيْكَ وَأَشْكَلُ
فَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أُخْتٍ ثُعَالَةٍ ^(٤)

وَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ اللَّيْثِ رِبَالُ أَشْبُلٍ
وَلَنْ تَجِدَ الْأَسَادَ أَحْوَالَ ثَعْلَبٍ إِذَا كَانَتْ الْمُهَيْجَا تَلَوُّهُ بِمَدْلَجٍ
فَهَذَا مِنَ الثَّعْلَبِ . وَقَالَ مَرْزُوقُ بْنُ ضَرَّارٍ ^(٥) :

وَإِنْ كَنَازَ اللَّحْمِ مِنْ بَكَرَاتِكُمْ تَهْرُثُ عَلَيْهَا ^(٦) أَثْمُكُمْ وَتَكَالِبُ
وَلَيْتَ الذَّنَى أَلْقَى فَنَاؤُكَ رَحْلَهُ لَتَقْرِئَهُ بِأَلْتِ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ
قَدْ وَضَعَ الثَّعْلَبُ كَمَا تَرَى بِهَذَا الْمَوْضِعِ الذَّنَى كَفَاكَ بِهِ نَدَالَةً . قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ :
فَمَا عَادَتْ بَذَى يَمِينَ رُءُوسًا وَلَا صَرَّتْ لِفَرْقَتِهَا نِزَارًا

(١) فِي الْأَصْلِ : « دَقَّة » .

(٢) فِي الْأَصْلِ « فَاصِبِرْ خَشْيَةً أَوْ تَبَدَّلْ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٣ : ٨٩ .

(٣) فِي الْأَصْلِ « مَغْتَلٍ » وَالصُّوَابُ « مَغْتَلِي » كَمَا فِي أَشْعَارِ الْمُغْتَلِينَ أَوْ « مَغْتَلِي » كَمَا

فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ . وَاعْتَلَى وَاعْتَلَى : ارْتَفَعَ .

(٤) فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ « ثُعَالِبٍ » :

(٥) فِي ط : « مَرْزُوقُ بْنُ ضَرَّارٍ » وَإِنَّمَا هُوَ « مَرْزُوقُ بْنُ ضَرَّارٍ » أَخُو الْغُلَاحِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ « عَلَيْنَا » .

كَمَنْزِ السَّوءِ نَطَعُ مِنْ خِلَاها^(١) وَتَرَأَمُ مِنْ يُحِدُ لَهَا الشَّفَارَا
وهذا قول الشاعر في المنز . وقال ابن أحر :
إنا وجدنا بنى سهم وجاملهم كالمنزِ تَغْطِفُ رَوْقِهَا فَتَرْتَضِعُ
وقال الفرزدق :

عَلَى حِينٍ لَمْ أتركْ عَلَى الْأَرْضِ حَيَّةً وَلَا نَابِحًا إِلَّا اسْتَقَرَّ عَقُورُهَا
وَكَلَّفَ تَمِيعَ إِذْ هَجَانِي لِأَهْلِهِ كَبَاخَتِهِ عَنْ مُدِيَّةٍ تَسْتَتِيرُهَا
فهذا قولهم في المنز . ولا نعلم في الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثرَ
خيرًا من شاة .

وقال الخريبي^(٢) :

يَا لِرَجَالٍ لَقَوْمٍ قَدْ مَلَّتْهُمْ أَرَى جِوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ
ذَنْبٌ رَضِيعٌ وَخِنْزِيرٌ تُعَارِضُهَا عَقَارِبٌ وَجِنَّةٌ بِحَيَّاتِ^(٣)
مَا ظَنَنْكُم بِأَنَاسٍ خَيْرُ كَسْبِهِمْ مُصْرَحَ السُّخْتِ سَمَوَهُ الْأَمَانَاتِ
فهذا قولهم في العقارب والحيات والضباع والخنازير .

وقال حماد بن عمار في بشار :

قَدْ كَانَ فِي حِينِ غَزَالَةٍ شَاغِلٍ لِلْقَرْدِ عَنْ شَتَمِي وَفِي ثَوْبَانٍ
أَوْ فِي سَمِيعَةٍ أَخْتَهَا وَشِرَادِهَا لِمَجُونِهَا مَعَ سِفْلَةِ الْمَجَانِ
أَوْ بَيْتِ ضَيْقِ عَرَسِهِ وَرُكُوبِهَا شَرَّ الْبَغَاءِ بِأَوْكْسِ الْأَمَانِ^(٤)

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س والشعر سبق في ص ٢٣١

(٢) في الأصل « الخريبي » وهو « الخريبي » كما سبق التنبيه في ص ٢٢٤

(٣) أصل الوجن : البق ، ومنه مبيحة الضمار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .

(٤) في الشعر بنجريف .

هذا قول حماد في القرد . وقال حماد في بشار بن برد أيضا :

ولكن مَعَاذَ اللَّهِ لَسْتُ بِقَاضٍ بِرَيْثَا لِسَوَاقٍ لِقَوْمٍ نَوَاحٍ
وما قلتُ في الأعمى لَجَلٍ وَأَمَهُ وَلَكِنْ بِأَمْرِ بَيْنٍ لِي وَاضِحٍ
سَاعِرٍ ضُفْضُفٍ عَنْ حُصَيْنٍ لَأَمَهُ وَلَسْتُ عَنِ الْقِرْدِ ابْنِ بَرْدٍ بِصَافِحٍ
وقال الآخر :

لَمَّا أَتَيْتُ ابْنَ يَزِيدَ بْنَ حَنْثَمٍ أَرَى الْقِرْدَ وَالْخَنَزِيرَ مُحْتَبَيْنِ
أَمَامَ بُيُوتِ الْقَوْمِ مِنْ آلِ حَنْثَمٍ وَرَاءَ قَبِيحَاتِ الْوُجُوهِ بَطَانِ
وقال العتّابي :

أُسْجِدُ الْقِرْدَ السَّوْءَ فِي زَمَانِهِ وَإِن تَلَقَّاكَ بِخَنَزْرَانِهِ^(١)
* لاسيما مادام في سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إِن رِيَّاحَ اللَّؤْمِ مِنْ شَحَّةٍ^(٢) لَا يَطْمَعُ الْخَنَزِيرُ فِي سَلْحِهِ
كَفَاهُ قَتْلَ ضَلٍّ مِفْتَاحُهُ قَدْ يَأْسُ الْحَدَّادُ مِنْ فَتْحِهِ
وقال خلف بن خليفة^(٣) :

فَسَبْحَانَ مَنْ رَزَقَهُ وَاسِعَ يَعْمَ بِهِ الْقِرْدَ وَالْقِرْدَةَ

(١) الخنزوان يفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير : ويضمها : الكبش .

(٢) في ط : « شبه » وهو تحريف ضوابة في س .

(٣) شاعر إسلامي مجيد محسن مقل كان في زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطم .

لأنه قطعت يده في سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولمرى لو جمع كله لكان مثل هجاء الناس للكلب وكذلك لو جمع جميع ما مدح به الأسد فما دونه ، والأمثال السائرة التي وقعت في حمد هذه الأشياء ، لما كانت كلها في مقدار مدح الكلب .
فهذه حُجَّتُنَا في رتبة الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبد في قتل الكلب ، وتلا قول الله عز وجل ﴿ وَأَنزَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتَيْنَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنت إنما جعلت الكلب شر الخلق بهذه العلة ، فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذي قال في الإبل والبقر والغنم أعظم ، فأستقط من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشْرِكَ بين الجميع في الذم فإنك متى أنصفت في هذا الوجه ، دناك ذلك إلى أن تُنصفها في تتبع ما لها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تنبعت ما عليها .

(الشرف والحول في قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سمنضرب مثلاً بيننا يكون عدلاً : إذا استوى
القبيلان في تقدم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير النرء ^(١) والقرسان
والحكاء والأجواد والشعراء ، وكثير السادات في العشائر ، وكثير الرؤساء
[في] الأرحاء ^(٢) وكان الآخر قليل النرء ^(٣) والعدد ، ولم يكن فيهم خير
كثير ولا شر كثير ، خلوا أو دخلوا في غمار العرب ، وغرفوا في معظم
الناس ^(٤) ، وكانوا من المغمورين ومن للنسيين ، فسلموا من ضروب الهجاء
ومن أكثر ذلك ، وسلموا من أن يضرب بهم للثل في قلة ونذالة إذا لم
يكن شرّاً ، وكان محلهم من القلوب محلّ من لا يغيظ الشعراء ، ولا يحسد
الأكفاه ؛ وكانوا كما قال حميد بن ثور :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عاصر وجاوزتما الحيين نهذاً وخنعماً
تريعان من جرم بن زبّان إتهم أبوا أن يريقوا في الهزاهز محجاً ^(١)
وإذا تقدم الميلاد ولم يكن النرء ^(٢) وكان فيهم خير كثير وشر
كثير ، ومثالب ومناقب ، لم يسلموا من أن يهيجوا ويضرب بهم للثل ،
ولعل أيضاً أن تتفق لهم أشعار تتصل بحجة الرواة ، وأمثال تسير على السنة

(١) النرء : النسل . وفي الأصل « النرء » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحي ، وهي القيلة المستقة . وفي الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء »

وقد صححت المصحف ، واجتلبت الكلمة التي بين مكفين ليستقيم الكلام .

(٣) في ط : « غرفوا » وفي م « عرقوا » وصوابها ما أثبت من س

(٤) ط : « تريعان من جرم بن ريان » س « تريعان من جرم بن ريان » .

العلماء، فيصيرُ حينئذٍ من لآخر فيه ولا شرَّ، أمثلَ حالاً في العامة،
مَن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص، ولا سيما إذا جاؤوا من يأكلهم
١٧٦ وحالفوا من لا ينصفهم كالقيت عتي أو باهلة .

ولو أنَّ عبساً أقامت في بني عامر ضيف ما أقامت، لذهب شطرُ
شرفها؛ ولكنَّ قيس بن زهير، لما رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه :
النلُّ في بني عطفان خير من العزِّ في بني عامر ! .

وقد يكون القوم حلولا مع بني أعمامهم فإذا رأوا فضلهم عليهم حسدوهم
وإن تركوا شيئا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم، وتعاظمَهم بأكثر من
قدره، فدعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين
نهكهم وحملوا عليهم، فوقَّ الذي كانوا فيه من بني أعمامهم، حتى يدعوهم
ذلك إلى النَّدَم على مفارقتهم، فلا يستطيعون الرجوع، حميةً وإتقاء^(١)،
ومخافةً أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه، وإلى المقام^(٢) في حلفائهم
الذين يرون من احتقارهم، ومن شدَّة الصولة عليهم .

(بكل واحد بنو سعد)

وقد خرج الأضبط بن قُرَيْع السَّعْدِيُّ من بني سعد، فجاوَزَ ناساً،
فما رأى مذهبتهم وظلمهم ونهكهم^(٣)، قال : « بكلِّ واحد بنو سعد ! »
فأرسلها مثلاً .

(١) لعلها : « حمية وإتقاء » .

(٢) في الأصل : « ولا المقام » .

(٣) في الأصل « ونهكهم » وهو تحريف .

وقد كان عبّاس بن ربيعة الرّعى سيّد بنى سليم ، وقد ناله ضيم في بعض الأوسر ، فأبى الضّيم ، فلما حاول مفارقتهم [إلى] بنى غنم عزّ عليه^(١) فقال في كلمة له :

وأؤمكم تَرْجِي التّؤام لبعلها وأؤم أنخيم كزّة الرّخم عاقِر
وزعموا أن أبا عمرو أنشد هذا الشعر^(٢) وخبر عن هذه القصّة في يوم
من أيامه ، فدمعت عينه ، فحلف شبّيل بن عزرة^(٣) بالطلاق : إِنَّهُ لَعَرِيٌّ
في الحقيقة لِنَيّْةٍ أولِ شُدّة ! .

(قبائل في شطرها خير كثير)

وفي الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقدمة للميلاد التي في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر
شرف وضعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرة وشعلبة
ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غنّى^(٤) وباهلة ، واليمسوب والظقاوة
فالشرف والخطر في عبس وذبيان ، واللبتل والملقى والمحروم والظلوم ،
مثل^(٥) وباهلة وغنّى ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتى كأنّهم
آلة^(٦) للدارج الأقدام ، ينكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثر بها كلُّ ماش .

(١) في الأصل « فلما حاول مفارقتهم بنى غنم أعزّ منه .

(٢) في الأصل . « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشئ .

(٣) في ط : « عروة » وتصحيحه من س وانظر التنبية رقم ٦ ص ٣١٣

(٤) في الأصل « يمحي » ولأنما هو « غنى » وسيكرر الحديث عن غنى وباهلة .

(٥) في الأصل « ومثل » والوجه حذف الواو .

(٦) كذا .

وربما ذكروا اليتسوب والطفافة ، وهاربة البقاء ^(١) وأشجع الخنثى
 ببعض الذكور . وذلك مشهور في خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورهم
 وجلّ معظم البلاء لم يقع [إلا] ^(٢) بقنّ وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر
 فضولاً ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرّ عنده أحسن حالا ممن
 فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر ^(٣) :

١٧٧ اضرب ندى طلحة الطلحات مبتدئاً

بيخل أشعث واستنيت وكن حكماً ^(٤)

تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم

ولا تعدّ لها لؤماً ولا كرمًا ^(٥)

وقد ظرف في شعره فظلم خزاعة ظلماً عبقرياً .

وقال في مثل ذلك الأشعر الرقيان ^(٦) الأسدي :

(١) هاربة البقاء هي هاربة بن ذبيان ، انظر الفاموس (هـ) ومعجم البلدان (المارية)

مع الماروف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعلج بن علي الخزاعي كما في الأغاني ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦

(٤) في ط : « بنى طلحة » وتصحيحه من س ومن الأغاني . والرواية فيها : -

* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكماً *

والمطلب الذي يمينه هو ابن عبد الله بن مالك كان والياً على مصر . وقد كان

ولى دعبلاً على أسوان فلما سمعه يهجو بهنا الشعر التقدم عزله عنها .

(٥) في الأصل « ولا تفرّكها » وليس بشيء . وصوابه في الأغاني .

(٦) في ط : « وقال في ذلك الشعر الرقيان » وفي س « وقال في ذلك الشعر الرقيان »

والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقيان ، وهو شاعر جاهلي . والشعر في نوادر

أبي زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمل القالي ٢ : ٢١١ وانظر

اللسان وتاج العروس (منه) .

يَحْسِبُكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَلْعَلُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنَى مُضَرٌّ
وَأَنْتَ مَلِيحٌ كُلِّحُمُ الْحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ
وَمَا قَالَ الشَّاعِرُ فِي عِلْبَاءِ بْنِ حَبِيبٍ حَيْثُ يَقُولُ :
أَرَى الْعَلْبَاءَ كَالْعَلْبَاءِ لَاحِلُونَ وَلَا مُرٌّ
شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارِ دِ لَاحِيزٌ وَلَا شَرٌّ
فَهَذَا وَنَحْوُهُ مِنْ أَشَدِّ الْمَجَاءِ .

وَالْحَوْلُ اسْمٌ لِجَمِيعِ أَصْنَافِ النَّقْصِ كُلِّهَا أَوْ عَائِهَا ، وَلَكِنَّهُ كَالشَّرِّ
عِنْدَ الْعُلَمَاءِ . وَلَيْسَ يَنْفَعُكَ الْعَامَّةُ إِذَا ضَرَّتْكَ الْخَاصَّةُ .

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ تَمِيمُ بْنُ مَرْثَدٍ ، وَثُورٌ وَعُكْلٌ ، وَتَمِيمٌ وَمَزِينَةٌ . فِي
عُكْلٍ وَتَمِيمٍ وَمَزِينَةٍ مِنَ الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ ، مَا لَيْسَ فِي ثُورٍ ، وَقَدْ سَلِمَ ثُورٌ إِلَّا
مِنْ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ ، مِمَّا لَا يَرُويهِ إِلَّا الْعُلَمَاءُ ، ثُمَّ حَلَّتِ الْبَلِيَّةُ وَرَكَدَ الشَّرُّ ،
وَالْتَحَفَ الْمَجَاءُ عَلَى عُكْلٍ وَتَمِيمٍ ، وَقَدْ شَعْنُوا بَيْنَ مَزِينَةٍ شَيْئًا ، وَلَكِنَّهُمْ
حَبِيبُهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً مَاتَهُمَا لَمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، حِينَ قَلَّ حَظُّ تَمِيمٍ فِيهِ .
وَقَدْ نَالُوا مِنْ ضَبَّةٍ ، مَعَ مَا فِي ضَبَّةٍ مِنَ الْخِصَالِ الشَّرِيفَةِ ؛ لِأَنَّ الْأَبَّ مَتَى
نَقَصَ وَلَدُهُ فِي الْعَدَدِ عَنْ وَلَدِ أَخِيهِ ^(١) فَقَدْ رَكِبَهُمُ الْآخَرُونَ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ،
حَتَّى يَرَوْا تَسْلِيمَ الرَّبَاعِ إِلَيْهِمْ حَظًّا ، وَالسَّيْرَ تَحْتَ الْوَاءِ ، وَالْحُلَّ عَلَى أُمُومِهِمْ
فِي النُّوَابِ ؛ وَحَتَّى رَجَمُوا كَالْعَضَارِيطِ وَالْعُمُتَاءِ ، وَالْأَتْبَاعِ ، وَفِي الْأَتْبَاعِ
وَالدُّخْلَاءِ ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ مِنْ ذَلِكَ بَدًّا ؛ كَأَنَّهُمْ مَتَى امْتَنَعُوا خَذَلُوهُمْ ،
فَاسْتَبَاحُوهُمْ ، فَأَرَادُوا أَنْ النَّعْمَةَ أَرْجَحُ لَهُمْ .

(١) فِي الْأَصْلِ « مَتَى نَصَرَ وَلَدُهُ فِي الْعَدَدِ عَلَى وَلَدِ أَخِيهِ » وَأَصْلُهُ كَمَا تَرَى .

وقد أعان غيلان ^(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدُ
في الجاهلية ، أتباعٌ في الإسلام .
فإن هربوا تفرقوا فصاروا أشلاء في البلاد ، فصار حكمهم حكم من
درج ، وحكمُ أبيهم حكم من لم يُعقِب ؛ وإن هم حالفوا القرباء فذلك
حيث لا يرضون رهوسهم من النلّ والفرم .

(الحلف عند العرب)

والحلفُ ^(٢) ضربان : فأحدهما كأنضمام عيس وضبة ، وأسد وعطفان
فإن هؤلاء أقوياء لم يُنْهَكُوا كما نُهِكَتِ باهلة وغنى ، لحاجة القوم إليهم ،
١٧٨ ونخشونة مسهم إن تذكرُوا ^(٣) على حال : فقد لقيت ضبة من سعد ، وعيس
من عامر ، وأسد من عينة بن حصن ما ^(٤) لقوا .
وقد رأيت مشقة ذلك على النابغة ، وكيف كره خروج أسد من
بني ذبيان .

وعينة بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغة
كان أحزم وأعقل .

(١) لعلها « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو ابن سلمة التقي
كان من حكماء العرب في الجاهلية وحكاهم . قالوا : وانفرد في الجاهلية بأن قسم
أعماله على الأيام ، فكان له يوم يحكم فيه بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم
ينظر فيه إلى جماله . ولما وفد على كسرى قال له ذات يوم : أي ولدك أحب إليك ؟
قال : الصغير حتى يكبر ، والمرضى حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم ، انظر الأصابة
٦٩١٨ ، والأغانى ١٢ : ٤٣ - ٤٧ .

(٢) ط : « الحلف » وصوابه في س .

(٣) كندا .

(٤) في الأصل « مما » .

وقد سلت نور وابتليت عُكل وتيم، ولولا الربيع بن خثيم وسُفيان
الثوري، لما علمت العامة أنَّ في العرب قبيلةً يقال لها ثور. ولشريف
واحد ثمن قبلت^(١) تيم أكثر من ثور وما ولد.

وكذلك بَلَعَنير، قد ابتليت وظلمت وبُحِست، مع ما فيها من الفُرسان
والشُعراء، ومن الزُهَّاد، ومن الفقهاء، ومن القضاة والوُلاة، ومن نوادر
الرجال إسلاميين وجاهليين.

وقد سلت كعب بن عمرو؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلاَّ
الحسن والتنف^(٢).

وربَّ قومٍ قد رضوا بمُحْمولهم مع السلامة على العامة، فلا يشعرون
حتى يصب الله تعالى على قِسم رءوسهم حجارة القذف، بأبياتٍ يسيرها،
شاعر، وسوط عذاب، يسير به الراكبُ والثلل، كما قال الشاعر:
إِن مَنَّا قَصَّةً لِدَارِمٍ^(٣) كَمَا الظِّمُّ قَصَّةُ الْبَرَاكِيمِ
وقال الشاعر^(٤):

وَجَدْنَا الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ اللَّطَايَا كَمَا الْحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَيْمٍ
فَمَا لَيْسَ فِي جِلْدِ الْبَعِيرِ، بِأَعْلَقَ مِنْ بَعْضِ الشَّعْرِ.

(١) في الأصل « قتل »، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد: أخرجه .

(٢) لعلها الحش والتش « والأول بمعنى الحش، والثانية بمعنى اليب سراً .

(٣) في الأصل « إن منا قصة لدارم » .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة لزيد الأعجم أوردها البني، وعلها عنه البندادى في خزاة

الأدب ٤ : ٢٨٠، وهي - ويلاحظ أن في البيت الأخير إقواء :

وأعلم أنى وأبا حيد كما النشوان والرجل الحليم

أريد جباهه ويريد قلى وأعلم أنه الرجل الأقيم

فإن الجر من شر الطايا كما الحبطات شر بني تيم

(أثر الشعر في نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر في قوم لهم النباهة والتدد
والفعال، مثل مُيمِر، يصير أهله إلى ماصارث إليه مُيمِر وغير مُيمِر، فإِظْنُكَ
بالظُّلْمِ وبمَنافٍ وبالْحَبِطَاتِ، وقد بلغ مضرَّةُ جريرٍ عليهم حيثُ قال :
فَفَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُيمِرٍ فلا كِبَاءً بَلَفَتْ ولا كَلَابًا
إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرِينَ :
وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعْفًا هِجَاؤِي كما وضعَ الهِجَاءُ بَنِي مُيمِرٍ
وحتى قال أبو الرُّدَيْنِيِّ :
أَتُوْعِدُنِي لَتَقْتُلَنِي مُيمِرٌ متى قَتَلْتَ مُيمِرًا مِنْ هِجَاها

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر ما بكى العربُ بالدموع الفزار من وقع الهجاء، وهذا من
أَوَّلِ كرمها، كما بكى مخارقُ بن شِهَاب^(١)، وكما بكى علقمة بن غُلَاقَة،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخدَّاش^(٢) بن زهير. وما زال يهجوهم
من غير أن يكون [رأه ولو]^(٣) كان رأه ورأى جماله وبهائه ونبله [و]^(٤) الذي
يقع في النفوس من تفضيله ومحَبَّته [و]^(٥) من إجلاله والرفقة عليه - أَمْسَكَ . ألا

(١) الذي أبكاه هو محمد بن الكبير العبدي، وانظر الحديث في البيان ٢٣٥ : ٣ .

(٢) في الأصل « لخرش » .

(٣) زيادة يتطلَّها الكلام وليست بالأصل . .

(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النبيت وغسان بن مالك بن عمرو بن نير، ليس يعرفهم بالمعجز والقلّة
إلا دَغفل بن حنظلة^(١) وإلّا النخار المذرى وإلا الكيس النرى^(٢)
وإلّا نخار العبدى وإلّا ابن شرية وابن النطاح^(٣) وأشباههم ومن شابه
طريقهم والاقتباس من موارثهم، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب
فالرجل منهم عربى تسمى، فهو يعطى حقّ القوم فى الجلة ولا يقتضى ما عليه
وعلى رهنه فى الخاصة. والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل
الخاملة وهم أعدّ وأجلد.

(ما تنبئ به القبائل فيصليها بالتحول)

وبليّة أخرى : أن يكون القبيل متقدّم الميلاد، قليل الفلة قليل
السيادة، وتها أن يصير فى ولد إخوتهم الشرف الكامل والعدد التام،
فيستبين لمكانهم منهم من قتلهم وضعفهم لكل من رآهم أو سمع بهم،
أضعاف الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتلوا بشرف إخوتهم .
ومن شؤم الإخوة أن شرفهم ضعه إخوتهم ، ومن عيب الأولاد أن
شرفهم شرف من قبلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كمبد الله بن
دارم . وجري بن دارم : فلو أن القيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان
جاراً ، كان خيراً له .

-
- (١) فى الأصل « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النساين فى فهرسه ١٣١
مصر ، ٨٩ ليبيك .
(٢) فى الأصل « النيرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرس ١٣٢
مصر ، ٩٠ ليبيك .
(٣) فى الأصل « ابن أبي السطاح » وانظر الفهرس ١٥٦ مصر ، ١٠٧ ليبيك .

ولقد ضعفت قُرَيْش - لما جاءت به من الخصال الشريفة التامة ،
من أركان كنانة - سنام الأرض وجبلها ^(١) وعينها التي تبصر بها ، وأقفاها
التي بها تعطس ، فما ظنك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى
نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثم رأى بنى فقيم بن جرير
ابن دارم ؟ !

وكذلك كل أخوين إذا برع أحدهما وسبق وعلا الرجال ؛ في الجود
والإفضال ، أو في القُرُوسَة ^(٢) أو في البيان ، فإن كان الآخر وسطاً من
الرجال ، قصدوا بحسن مآثره في الطبقة السفلى لتبيين البراعة في أخيه ،
فصارت قرابته التي كانت مفخرة هي التي بلغت به أسفل السافلين .
وكذلك عَنزة بن أسد في ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرة في عَنزة
ومرة في ضُبَيْعة أضجَم ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولو د كثير من هؤلاء
القبائل التي سلمت على الشعراء أو على العوام أن يكون فيهم شطر
ما للعزيريين من الشرف ، ولو أن الناس وازنوا بين خصال [هذه] ^(٣) القبائل
خيرها وشرها لكانوا سَوَاءً ^(٤) .

١٨٠ وقال صاحب الكلب : ذكرت عيوب الكلب فقلت : الكلب
إذا كان في الدار يحق أجور أهل الدار حتى يأتي على أقصاها ، لأن الأجور
إذا أخذ منها كل يوم وزن قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك
أن يأتي على آخرها . وقلت : في الكلب أشد الأذى على الجار والضيف .

(١) كذا .

(٢) الفروسة والفروسية : الخفق بركوب الخيل .

(٣) في الأصل « سمعاء » وليس بشيء .

(٤) الزيادة شخصية .

والسُخيل ، بمنعه النَّوْمَ لَيْلاً والقائلةَ نهاراً ، وأن يَسْمَعَ الحديث . ثمَّ الذي على سامع النَّباح من المؤنة من الصوت الشديد . ولولم يكن في الكلب ما يؤذِي بِشِدَّةِ صَوْتِهِ إِلَّا بِإِداْمَةِ مجاوبة الكلاب لكانَ في ذلك ممَّا يَنْغُصُ العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر في النباح والاستنباح)

وقال أَرْطاة بن سُهَيْبَةَ في بعض افتخاره :

وَإِنِّي لَمَوْأَمٍ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِنَا إِذَا أَغْدَفَ السَّيْرُ الْبَخِيلُ لِلْوَاكِلِ^(١)
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ عَلَى ثِقَةٍ مَنَّى بِمَا أَنَا فَاعِلُ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي ، مِنْ تَلَادٍ تَحْزُرُهُ يَدُ الضَّيْفِ ، إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَالِيلُ
وقال ابن هرمة :

وَمُسْتَنْبِحٌ نَهَتْ كَلْبِي لَصَوْتِهِ وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي التِّفَاعِ فِجَاوِبِ
فَجَاءَ خَفِيَّ الصَّوْتِ قَدْ مَسَّهُ الصَّوْىُ بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الْفَرَارِينَ فَاصْبِ
فَرَجَّحْتُ وَاسْتَبْشَرْتُ حَتَّى بَسَطْتُهُ^(٢) وَتَكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كُلَّ آتَمٍ

وقال آخر :

هَمِنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُمُ كَلْبَهُ
دَعِ الْكَلْبَ يَنْبُحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِجٌ^(٣)

(١) ط : « إلى الضيف » ، « إذا أغدق » وتصحيح البيت من س . وعبون الأخبار (٣ : ٢٢٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه في س .

(٣) قال المرتضى في أماليه . ٣ : ١١٤ « يكتم كلبه : يشد فاه خوفاً من أن ينبح » فيدل عليه « . والبيت للرأسي كما في العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الحبيطة ، وانظر ما سيأتي في نهاية هذا الجزء من الحيوانات .

وقال مزرد بن ضرار :

نشأتُ غلاماً أتقَى الدَّمَ بالقرى إذا ضاف ضيف من فزارة واغب

فإنَّ أب سارِ أسمعَ الكلبَ صوته

أنى دون نبحِ الكلبِ ، والكلب دائبُ

وقال بشار بن برد :

سقى الله القباب بتلَّ عبدى وبالشرقين أثار القبابِ

وأياماً لنا قصرتُ وطالتُ على فرعان نائمة الكلابِ

وقال رجل من بنى عبد الله بن عطفان :

١٨١

إذا أنتَ لم تسبقِ ودَّ صحابةٍ على دخنٍ أكرت بثَّ المعائبِ ^(١)

وإني لأستبقى أمراً سوءَ عدَّةٍ لعدوةٍ عريضٍ من الناس جانبِ ^(٢)

أخاف كلابَ الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبها كلابُ الأقاربِ

وقال أحيحة بن الجلاح ^(٣) :

ما أحسنَ الجيد من مُليكةٍ واللَّباتِ إذ زانها ترائبها

ياليتنى ليلة إذا جمع النَّاسُ من ونامَ الكلابُ صاحبها

وقلت : وفى الكلب قذارةٌ ^(٤) فى نفسه ، وإقذاره أهله لكثرة

سُلاحه وبوله ، على أنه لا يرضى بالسُّلاح على السطوح ، حتى يحضر يبرائنه

وينقب بأظافره ، وفى ذلك التخریب .

(١) البخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من السخل .

(٢) العريض كسكيت : الذى يمرض للناس بالمر .

(٣) انظر الشعر فى الحزاة ٣ : ٣٢١ .

(٤) فى الأصل « قنرة » .

ولولم يكن إلا أنه يكون سبب الوكف ، وفي الوكف من منع النوم ومن
إفساد حرّ اللتاع ، مالا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضّ الصبيان وتزعيع
الولدان ، وشقّ الثياب . والتعرض للزّوار ؛ ومع ما في خلقه أيضاً من الطبع
المستدعى للصبيان إلى ضربه . وزجه وتهيج به بالبعث ، ويكون سبباً لعقرهم
والوثوب عليهم ^(١) .

وقلت : وبئس الشيء هو في الدار ، وفيها الحرّم والأزواج ،
والسراري والحظيّات المشوقات ؛ وذلك أن ذكره أيرّ ظاهر الحجم ،
وهو إما مُتَبَع وإما قَائِم ، وليس معه ما يواريه ، وربما انتشط وأنظ
بمحترتهنّ ، وللهنّ يكنّ مغيّباتٍ ^(٢) أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساء
عند غيبة غلهنّ ، وإذا عجزَ عن أن يعْمَهَن .

(وفد قرحان)

وقد روى ضابط بن الحرث البرُجُميّ أم أناسٍ من العرب ، أن الكلب
الذي كان يسمّى قرّحان ^(٣) ، كان يأتي أمّهم ، حتّى استعدّوا عليه ،
وحبسه في ذلك عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه . ولولا أن المعنى الذي

(١) جواب لو مخذوف ؛ وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) مغيّبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٣) انظر قصة « قرحان » في الخزانة ٤ : ٨٠ بولاق والثقات ٢١٩ ليدن ومعاهد

التنصيص ١ : ٦٦ والشراء ٧٥ .

رمام به كان مما يكون ويمجوز ويخاف مثله ، كما بلغ منه عثمان ما بلغ ،
حتى مات في حبسه ^(١) . وفي ذلك يقول ضابي بن الحارث :

تَجَسَّمْ نَحْوِي وَفَدُّ قُرْحَانَ شُقَّةً تَقَلُّ بِهَا الْوَجْنَاءُ وَهِيَ حَسِيرُ
فَزَوْدَتُهُمْ كَلْبًا فَرَا حُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بِنَاجِ الْمَرْزَانِ أَمِيرُ ^(٢)
فَأَتَكُمُ لَا تَتْرَكُوهَا وَكَلْبِكُمْ فَإِنَّ عَقَوَ الْوَالِدَاتِ كَبِيرُ
إِذَا عَثْنَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةً يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ السَّرِيرِ هَرِيرُ ^(٣)

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليعقبي أنه أبصر رجلاً يكوم كلبةً من كلاب الرعاء ، وسمَّ
بذلك الرُّبَّ العظيم في قهرها - والثَّغْرُ منها ومن السبع ، كالخير من المرأة
والطَّيْبَةُ من الأتان والحجر ، والحياء من الناقة والشاة - فزعم أنها لم تعقد
عليه ، ولا ندري أمكنته أم اغتصبها نفسها .

وأما النَّاسُ ففي ملح أحاديثهم : أَنَّ رجلاً أَشْرَفَ على رجل وقد ناك
كلبةً فَعَقَدَتْ عليه ، فبقي أسيراً مستَغْزِياً ^(٤) يدور معها حيث
دارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنَيْبَهَا . فأطلقته ، فرفعَ رأسه
إليه ، فقال : أَخْزَاهُ اللَّهُ أَيُّ نَيْالِكِ كَلْبَاتٍ هُوَ ! .

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر
ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولي العراق » .

(٢) في الخزانة والتفائش « بناج الهرمزان » ، وفي الأصل « بناج المرزبان » والناج
لا يكون إلا للكل وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء .

(٣) عثنت : دخت ، وفي الأصل « عابت » وصوابه في الخزانة والتفائش .

(٤) ط : « مستغنيا » وصوابه في س .

وخبّرني من لا أَرُدُّ خيره ، أَنَّهُ أَشْرَفَ مِنْ سَطْحٍ لَهُ قَصِيرُ الْحَائِطِ ،
فَإِذَا هُوَ بِسَوَادٍ فِي ظِلِّ الْقَمَرِ فِي أَصْلِ حَائِطٍ ، وَإِذَا أَنِينُ كَلْبَةٍ ، فَرَأَى
رَأْسَ إِنْسَانٍ يَدْخُلُ فِي الْقَمَرِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ ظِلِّ ^(١) الْقَمَرِ ،
فَتَأْمَلُ فِي ذَلِكَ ^(٢) فَإِذَا هُوَ بِحَارِسِ بَيْتِكَ كَلْبَةٍ . قَالَ : فَرَحْتَهُ وَأَعْلَمْتَهُ أَنِّي
قَدْ رَأَيْتُهُ ، فَصَبَّحَنِي مِنَ الْقَدِ يَرْعُ الْبَابَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟ وَمَا
جَاءَ بِكَ ؟ فَلَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ سَتَرَكَبَ الْبَحْرِ أَوْ تَمْضَى عَلَى وَجْهِكَ إِلَى
الْبَرَارَى . قَالَ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتُرَ عَلَيَّ ، سَتَرَ اللَّهِ عَلَيْكَ ،
وَأَنَا أَتُوبُ عَلَى بَيْدِكَ ! قَالَ : قُلْتُ وَبِلَاكَ ، فَمَا اشْتَهَيْتَ مِنْ كَلْبَةٍ ؟ ! قَالَ :
جُعِلْتُ فِدَاكَ ، كُلُّ رَجُلٍ حَارِسٍ لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا نَجِلٌ ^(٣) ، فَهُوَ بَيْنَكَ إِنَاثُ
الْكَلَابِ ^(٤) إِذْ كُنَّ عِظَامَ الْأَجْسَامِ . قَالَ : فَقُلْتُ : فَمَا يَخَافُ أَنْ تَعْصَهُ ؟
قَالَ : لَوْرَامَ ذَلِكَ مِنْهَا غَيْرُ الْحَارِسِ الَّتِي هِيَ لَهُ وَقَدْ بَاتَتْ مَعَهُ فَأَدْخَلَهَا
فِي كِسَانِهِ فِي لَيَالِي الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ ، لِمَا تَرَكْتَهُ ، وَعَلَى أَنَّهُ إِنْ أَرَادَ [أَنْ] ^(٥)
يُوعِبَهُ كُلَّهُ لَمْ تَسْتَقِرَّ لَهُ . قَالَ : وَنَسِيتُ أَنْ أَسْأَلَهُ : فَهَلْ تَعْقِدُ عَلَى أَيُّورِ
النَّاسِ كَمَا تَعْقِدُ عَلَى أَيُّورِ الْكَلَابِ ؟ فَلَقِيتَهُ بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَقَالَ :
لَا أَدْرِي أَعْلَمَهَا لَا تَعْقِدُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِيهَا إِلَى أَصْلِهِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ أَيْضًا
إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَحْدُثُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالْكَلْبَةِ ، فَإِذَا اخْتَلَفَا لَمْ يَقِعِ
الْإِتِّحَامُ . قَالَ : فَقُلْتُ : فَطَيِّبٌ هُوَ ؟ قَالَ : قَدْ نِكَتُ عَائَةً إِنَاثِ
الْحَيَوَانَاتِ فَوَجَدْتُهِنَّ كُلَّهِنَّ أَطْيَبَ مِنَ النِّسَاءِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ :

(١) فِي الْأَصْلِ . « ظِلَّة » وَالْوَجْهَ مَا ثَبَتَ .

(٢) فِي الْأَصْلِ « تَأْمَلُ إِنْسَانٌ فِي ذَلِكَ » .

(٣) وَكَذَا .

(٤) ذُ : « إِنَاثَا الْكَلَابِ » .

(٥) الزِّيَادَةُ مِنْ س .

ماذا لك إلا لشدة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أنس فقلت له : فإذا
 ١٨٣ دار الماء في صلبك وقرب الفراغ ؟ قال : فربما التزمت الكلية
 وأهويت إلى قبيلها . ثم قال : أما إن الكلاب أطيبت شيء أفواهاً ،
 وأعدبت شيء ريقاً ؛ ولكن لا يمكن أن أنيكها من قدام ، ولو ذهبت
 أن أنيكها من خلف وثبتت رأسها إلى أن أقبلها ، لم آمن أن تظن بي أني
 أريد غير ذلك فكذلك في وجهي . قال : قلت : فإني أسألك بالنبي
 يستر عليك ، هل ترعت عن هذا العمل منذ أعطيتني صفقة يدك بالتوبة ؟
 قال : ربما حننت إلى ذلك فأحتبس^(١) . قال : قلت : وإنك
 لتحنن إليها ؟ قال : والله إنني لأحنن إليها ، ولقد تزوجت بعدك امرأتين ،
 وولى منهما رجالاً ونساء ، ومن تعود شيئاً لم يكذب بصير عنه ! قال :
 فقلت له : هل تعرف اليوم في الحراس من ينيك الكليات ؟ قال : نعم
 خذ محمويه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قها الشاة ، وخذ فارسا
 الحماي فإن فارساً كان حارساً وكان قيم حمام ، وكان حلقياً ، فزعم أنه
 ناك الكلاب خمسين سنة ، وشاخ وهزل وقبح وتسنج ، حتى كان
 لا ينيكه أحد . قال : فلم يزل يحتال لكلب عنده حتى ناكه . قال :
 وكان معه بخير حتى قتله اللصوص ، ثم أشرف على فارس^(٢) ، هذا المحتسب
 الأحلب ، وهو ينيك كلبه فرماه بحجر فدمغه^(٣) .

قال : فالكلاب كما ترى تنهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك
 الرجال ، وليس شيء أحق بالنفي والإغراب والإطراد والقتل منها . ونحن

(١) لعلها : « فأخيس » .

(٢) في الأصل « فاس » وصوابه ما أثبت .

(٣) دمه : أصاب دماغه .

من السباع العاديّة الوحشيّة ، في راحة ، إلّا في الفرط ^(١) فإنّ لها عرماً على بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامّة ^(٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطءٍ بعير ونطح كبش ، أو خمش سنورٍ أو رمش حمار ، ولعلّ ذلك يكون في الدهر المرّة والمرتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلّا عبداً أو خادماً أو سائساً ، وذلك محتمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاء الناس في دورهم وأهاليهم !!

قال صاحب الكلب : إن كنتم إلى الأذى بالشلح تذهبون ، وإلى قشرِطين السطوح بالبرائن تميلون ، وإلى تنن الشلاح وقدر الأكل والمشروب تقصدون ، فالتستور أكثر في ذلك . وقد رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أنّه قال : «هُنَّ مِنَ الطَّوَافَاتِ عَلَيْكُمْ» فإذا كان ذلك في السنانير مغتفرّاً ، لانتفاعهم بها في أكل الفأر ، فتنافع الكلاب أكثر ، وهي بالاعتقاد أحقّ . وفي إطلاق ذلك في السنور دليل على أنّه في الكلاب أجوز .

وأما ما ذكرتم من إنعاضه ، فلعمرى إنّ ما ينبغي للغيور أن يُقيم القرس ولا البرذون والبغل والحمار والتيس في الموضع التي تراها النساء . والكلب ١٨٤ في ذلك أحسنُ حالا . وقد كره ناس إدخال منازلهم الحمام والديكة والدجاج والبطّ خاصة لأنّ له عند السفاد قضييا يظهر ، وكذلك التيس من الطباء ، فضلا عن ثيوس الصفايا . فهذا المعنى الذي ذكرتم يجري في وجوه كثيرة

(١) الفرط : الندرة . وفي ط « الفرق » .

(٢) كنا .

وعلى أن اللحم ^(١) خاصة من الاستشارة ^(٢) ، والكسم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس ^(٣) مثله ، ثم التقبيل والتغزل والنفس ^(٤) ، والابتهاج بما يكون منه بعد الفراغ ، وركوب الأثني للذكر و [عدم] ^(٥) إمكانها لغير ذكرها ، ما يكون أهيج للنساء مما ذكرتم ^(٦) . فلم أفردتم الكلب بالذكر دون هذه الأمور ، التى إذا عاينت المرأة غرْمُولَ واحدٍ منها ، حرّرت بعلمها أو سيدها ، ولم يزل ظل ذلك الغرْمُول يعارضها في النوم ، ويُبْهَمُ ساعة الغفلة ، ويحدث لها التمتي لما لا تقدر عليه ، والاحتقار لما تقدر عليه ، وتركت ذكر ما هو أجل وأعظم إلى ما هو أخس وأصغر .

فإن كنتم تذهبون في التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان ^(٧) عند العبث والتعرض ، والتحكك والتهيج ^(٨) والتحرّش ، فلو أن الذى يأتي صبيانكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العبث والصبيان أفسى الخلق وأقلهم رحمة - أنزلوه بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حذيفة ، لخرَجُوا ^(٩) إلى أقبيح مما يخرج إليه الكلب . ومن ترك منهم الأخذ فوق يد ابنه ، فهو أحق باللامعة .

(١) ط : « اللحم » وصوابه في س .

(٢) الاستشارة : إظهار الحس . من استشارت الإبل : سمعت وحسنت .

(٣) في الأصل « الناس » .

(٤) في الأصل « والنفس » وإنما هي « النفس » ، وانظر معنى النفس في القاموس .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست في الأصل .

(٦) ط : « ما ذكرتم » وصوابه في س .

(٧) س : « يقره الصبيان » ط : « يقرن الصبيان » والوجه مأثبت .

(٨) في الأصل « والتهيج » والوجه : « التهيج » .

(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه في س .

وبعدُ فإِ وجدنا كلباً وثبَّ على صبيٍّ فقَرَّه مِنْ تلقاءِ نفسه ، وإِنَّه لَيتردَّد عليه وهو في اللَّهْد ، وهو لَحْمٌ على وَصَمٍ ، فلا يَشْمُه ولا يذنو منه . وهو أَكْثَرُ خلقِ الله تعالى تَشْمُماً واسترواحاً ؛ وما في الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إِلاَّ شَمَّ كُلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبه ، ولا في الأرضِ بحويٌّ يَمُوتُ فيُخزَن على موته ويحمل إلى النَّاوُوس إِلاَّ بعد أن يُدْفن منه كلبٌ يَشْمُه ، فَإِنَّه لا يَخْفَى عليه في شَمِّه عندهم ، أَحَىُّ هَوَامِ مَيِّتٍ ؛ للطَّافَةِ حِسِّه ، وَأَنَّهُ لا يَأْكُل الأَحْيَاءَ ^(١) . فَأَمَّا اليهودُ فَإِنَّهم يَتعرَّفون ذلك من اللَّيْت ، بأن يدهنوا استه ولذلك قال الشاعر ^(٢) وهو يرى ناساً بدين اليهودية :

إِذا مات منهم مَيِّتٌ مَسَحُوا أَسْتَهْ بذهنٍ وَحَفُّوا حَوْلَهْ بقرام

(جنائيات . الديك)

وقالوا : فَإِذا ذَكَرْتُم جنائياتِ الكلاب ، فوَاحِدٌ من جنائياتِ الدِّيَكَةِ أَعْظَمُ من جنائياتِ الكلاب ؛ لِأَنَّ عبدَ الله بنَ عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ ، ابنَ بنتِ ١٨٥ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إِتَمَّا مات من قَرْدٍ دِيَكٍ في دارِ عُثْمَانَ ، تَرى عينه فكان سَبَبَ موته . فَقتُلَ الديكُ لِعِثْرَةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، أَعْظَمُ من كثيرٍ ممَّا تَسْتَعْظِمُونَه من جنائياتِ الكلاب . وقد تَرى دِيَكٌ عَيْنَ ابنِ حَسَكَةَ بنِ عُبَّادٍ ، أَوْ عَيْنَ ابنِ أُخْتِه .

(١) ط : « الأحياء » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو كان في اللسان (جم) . وقبل البيت :

إني وإن خوفت بالسجن ذاكراً لستم بين الطماح أهل حمام

وقد قر ديك عين ابن الريان بن أبي السبيح وهو في الهند فاعور، ثم ضربته الحفرة فمات .

ووثب ديك فطن بصيصته عين^(١) بنت لثمame بن أشرس ، قال لثمame : فأتاني الصريح ، فوالله ما وصلت إليها حتى كد وجهها كله واسود الأضف والوجنتان وغارت العينان . وكان شأن هذا الديك - فيما زعم لثمame - عجيباً من العجب : ذكر أن رجلاً ذكر أن ديكاً عند بقال لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقال الذي عنده فسالته عن الديك ، فزعم أنه قد وجه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهوا في ذلك . فلم أبرح حتى اشتريته ؛ وكنت أصونه وجعلته في مكنة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحة وأقبلت بنتي هذه لتنظر إليه ، فكان هذا جرائي منه !

قال : وديك آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر : حتى وطئ في ذؤابته ثم أقبل ينقر دماغه وعينه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طلما كان لا تطأه الدجاج^(٢)

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإن له يدًا تشج^(٣) وأخرى تأسو ، بل ما يدفع الله بحراسته ويحلب من المنافع بصيده^(٤) أكثر وأغر ، وهو

(١) في الأصل : « في عين » .

(٢) جاء هذا البيت في الأصل كلاماً مشهوراً . وانظره في الكامل ٧١٠ ليسك . وفي الأصل أيضاً « لا تطأها » وتصحيحه من الكامل ،

(٣) في ط : « تسبح » وهو تحريف ماقى س .

(٤) ط : « بيده » وتصحيحه من س وم .

الناصر لا المصور ، والفاضل لا المفضل . والديك يفقأ العيونَ و ينقرُ الأدمغة
ويقتل الأنفس ، ويشجُّ ولا يأسو ؛ فشرُّه صرف وخيره مزوج . إلا أن
يزعموا أنه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى
البرهان . و [من] ^(١) عارض منافع الكلاب وحراستها أموال الناس من
الصوص ، ومنع السباع من الماشية ، وموضع تقع الكلب في المزارع -
وذلك عيان وتفه عامٌ وخطبه عظيم - بما يدعى من حراسة الديكة
للسيطان ؛ لم يكأيل ولم يُوازن ولم يعرف المقايسة ، ولا وقف قطُّ على معنى
المقابلة ^(٢) ودلَّ بذلك على أن مبلغ رأيه لا يجوز رأى النساء .

(المواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون المواء للكلب والذئب والفصيل . وقال النابغة ^(٣) :

ألم أكُ جارَكم فتركتموني لِكَلبي في دياركم عَواله ١٨٦
وقال الشاعر :

وإني امرؤٌ لا تشعُرُ ذؤابتي من الذئب يعمى والغراب المحجل
وقال الشاعر ^(٤) :

ومستدبجٌ تستكشط الریحُ ثوبه لیسقط عنه وهو بالثوب مُعصمٌ

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيفة مثبت في ديوانه بصرح السكري من قصيدة مطلعها :

ألا أبليغ بني عوف بن كعب وهل نوم على خلق سواء

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ : ٢٦٠ .

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَجَّ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نُؤْمٌ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِيْتَانِ الْمُهَيَّنِ مَطْعُمٌ
يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يَكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ
وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

بِهِ الذُّبُّ مَحْزُونًا كَانَ عَوَاهُ عَوَاهُ فَصِيلِ آخِرِ اللَّيْلِ مُخْتَلٍ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمِنْهُمْ طَامِسَةٌ أَعْلَامُهَا يَعْوَى بِهِ الذُّبُّ وَتَرَقُّو هَامُهَا
وَقَالَ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ يَهْجُو زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ :

لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَسُودُهُمْ ذُبُّ عَوَى وَهُوَ مُشْدُودٌ عَلَى كُورٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مَازِنٍ إِلَّا شَرَارُهُمْ فَوْقَ الْحَصَا حَوْلَ زَبَانَ بْنِ مَنْظُورٍ
وَقَالَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ ^(١) :

وَمِمَّنْ حِينَ الْعِشَاءِ بِهِ الْحَبْسُ فَالْأَنْوَاءُ فَالْعَقْلُ ^(٢)
قَدْ بَثَّ وَهْنًا وَأَرْقَنِي ذُبُّ الْقَلَاةِ كَأَنَّهُ جَنْدَلٌ
فَتَرَكْتَهُ يَعْوَى بِقَفَرَتِهِ وَلِكُلِّ صَاحِبِ قَفَرَةٍ شَكْلٌ
بَتَّقُوهُ جَرْدَاءَ يَجْزِعُهَا لِحَبِّ يُلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ ^(٣)
وَقَالَ مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ ^(٤) :

عَوَى مِنْهُمْ ذُبُّ فَطْرَبٍ عَادِيًا عَلَى فَعْلِيَّاتٍ مُسْتَنَارٍ سَخِيمَهَا ^(٥)

(١) سبقت ترجمته ص ٣٦٢

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ .

(٣) يَجْزِعُهَا : يَقْطَعُهَا ، وَفِي ط : « لِحَبِّ » وَصَوَابُهُ بِالْهَاءِ كَمَا فِي س وَ م .

(٤) مَغْلَسُ بْنُ لَقِيطٍ شَاعِرٌ مِنْ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَهُ تَرْجُومَةٌ فِي الْحَرَاةِ ٢ : ٤١٩ بُولَاق

(٥) ط : « مُسْتَنَارٌ » .

إِذَا هُنَّ لَمْ يَلْحَسْنَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ دَمَا هَلَسَتْ أَجْسَادُهَا وَلِحُومُهَا
وقال الأحيمر السعدي^(١) :

١٨٧

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوتَ إنسان فكِدْتُ أطيرو
وقال آخر^(٢) :

وعاوى عوى واللَّيْلُ مستحس الندى
وقد زَحَحَتْ للغور تالية النجم^(٣)
وذلك أنَّ الرجلَ إذا كَانَ بَاعِيًا أَوْ زَائِرًا ، أَوْ مَن يَلْتَمِسُ الْقَرَى ،
وَلَمْ يَرِ بِاللَّيْلِ نَارًا ، عَوَى وَنَبَحَ ، لِتَجْبِيَهُ الْكَلَابُ ، فَيَهْتَدِي بِذَلِكَ إِلَى
مَوْضِعِ النَّاسِ . وقال الشاعر :
وَمُسْتَنْبِحِ أَهْلِ الثَّرَى يَلَسَ الْقَرَى
إِلَيْنَا وَمِمَّا مِنَ الْأَرْضِ نَازِحِ

وقال عمرو بن الاعمى :
وَمُسْتَنْبِحِ بَعْدَ الْمُدُودِ دَعْوَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشَّتَاءِ طُرُوبُ
فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

(١) ط : « الأحمر » وصوابه في س ، وهو شاعر من لمبوس العرب .
(٢) البيت لحيد الأرقط كما في البتلاء ٢٠٠ .
(٣) ط : « للغور » وصوابه في س . وفي الأصل « مستجلس الندى » وصوابه في
البتلاء ٢٠٠ . استحس الندى : تراكم .

(ماقالوا في أنس الكلب وإلقه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا في أنس الكلب وإلقه ، وجبه لأهله ولمن أحسن إليه قول ابن الطثرية ^(١) :

يأأم عمرو أنجزى الموعدا وارعى بذلك أمانه وعهودا
ولقد طرقت كلاب أهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رفودا
يضربن بالأذنان من فرح بنا متوسدات أذرعا وخدودا
وقال الآخر ^(٢) :

لو كنت أحمل خرا يوم زرتكم لم تنكر الكلب أنى صاحب النار
لكن أتيت وريح المسك يفعنى والعنبر الورد أذكيه على النار ^(٣)
فأنكر الكلب يرحى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الزق والقار
وقال أبو الطمّحان القينى فى الإلف ، وهو يمدح مالك بن
حمار الشمعى ^(٤) :

سامدح مالكاً فى كل ركب لقيتهم وأترك كل ردل

(١) فى الأصل « وقال ابن الطثرية » والوجه ما أثبت . والشعر فى البخلاء ٢٠٣ .

(٢) الشعر فى البيان ٣ : ١٧٧ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ وهو فى الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال فى العرب ترجم له أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .

(٣) فعمه الطيب وفنمه ملا خياشيمه . وفى الأصل « ينعنى » وصوابه فى البخلاء ٢٠٢ .

وفى الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « ينفنى » بالنين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قاتل خفاف بن نذبة ، وله أخبار فى الأغاني .

فأنا والبَكَارَةُ من مَخَاضِ عِظَامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وَبُزْلِ
وقد عَرَفَتْ كَلَابُهُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْهُمْ . وَنَسِيتُ أَهْلِي
نَمَتْ بِكَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ زِيَادٌ لَهَا مَا شِئْتَ مِنْ فِرْعٍ وَأَصْلِي

وقال الشاعر في أنس الكلاب وإفها ، يذكرك رجلا : ١٨٨

عَنيفٌ بَسْوَاقِ الْعِشَارِ وَرَعِيهَا وَلَكِنْ بَتَلْقَامِ الثَّرِيدِ رَفِيقُ
سَيِّدٍ يَطْلُ الْكَلْبُ بِمَضْعَ ثَوْبِهِ لَهُ فِي دِيَارِ الْغَانِيَاتِ طَرِيقُ
وقال الآخر :

بَاتَ الْحَوِيرُ وَالْكَلابُ تَسْمُهُ وَسَرَتْ بِأَبْيَضٍ كَالْهَلَالِ عَلَى الطَّوَى
وقال ذو الرمة :

رَأَتْنِي كَلَابُ الْحَيِّ حَتَّى أَلْفَنِي وَمَدَّتْ نُسُوجَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى رَحْلِي ^(١)
وقال حسان بن ثابت :

أَوْلَادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضِلِ
بَيْضُ الْوَجْهِ تَقِيَّةُ حُجْرَتِهِمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ^(٢)
يُشْشَوْنَ حَتَّى مَا نَهَرُ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ
وفي هذا المعنى قال الشاعر :

وَبَوَاتُ ^(٣) بَيْتِكَ فِي مَعْلَمٍ رَجِيبِ الْمَبَاةِ وَالْمَشْرِحِ
كَفَيْتَ الْعُقَاةَ كَلَابَ الضَّرَامِ وَقُنِجَ الْكَلَابِ لِسُنَنِجِ

(١) في الأصل « رأيت » والوجه « رأيت » كما في البجلاء ٢٠٢ . وفي ط « على
رحل » وصوابه في س .

(٢) الحبيزة : مفد الإزار . وفي الأصل : حجراتهم « وليس بشيء » .

(٣) كذا . وصوابها « وبوات » وأصله من بواته في المنزل أنزل به .

تَرَى دَعَسَ آثَارِ تِلْكَ الطَّمِيٍّ أَخَادِيدَ كَاللَّقَمِ الْأَفْيَحِ
وَلَوْ كُنْتُ فِي نَفَقِ زَائِعٍ لَكُنْتُ عَلَى الشَّرْكِ الْأَوْضَحِ^(١)
وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ فِي ذِكْرِ الْكَلَابِ ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يَنْبَغِي
أَنْ يَكُونَ مَجْمُوعًا إِلَى هَذِهِ الْأَشْعَارِ ، وَبُنِيَ إِلَى ذَلِكَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، قَالَ
أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

لَا الْغِيَايَاتُ مُنْتَوَاكَ وَلَكِنْ فِي ذُرَى مُشْرِفِ الْقُصُورِ ذُرَاكََا
وَقَالَ الْبَرَّارُ الْحَلِّيُّ ، فِي الْمَعْنَى الْأُولَى :

أَلِفَ النَّاسِ فَمَا يَنْبَغُهُمْ مِنْ أَسِيفٍ يَنْتَفِي الْخَيْرَ وَحُرًّا^(٢)
وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ عَصَامٍ :

لَعَبْدُ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ غَامِرَةٍ^(٣) ١٨٩
فَبَابِكَ أَلَيْفُ أَبَوَاهِمِ وَدَارُكَ أَمَلَةٌ عَامِرَةٌ
وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمَتَنِيفِ مِنَ الْأُمِّ بَابَتِهَا الزَّائِرَةُ
وَكَفْلُكَ حِينَ تَرَى السَّائِدَ بَيْنَ أُنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
فَنِكَ الْعَطَاءِ وَمِنَّا الثَّنَاءُ بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٍ
وَقَالَ هَلَالُ بْنُ خُثَمٍ^(٤) :

إِنِّي لَعَفْتُ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوهُ إِلَى اغْتِيَابِهَا

(١) ط : « وَلَوْ كُنْتُ فِي نَفَقِ » وَالْوَجْهُ مَا قِيَاسُ وَمِ

(٢) فِي الْأَصْلِ « فَيَا » وَلَا يَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ مَعْنَى الْوِزْنِ وَوِزْنُهُ .

(٣) الشَّعْرُ فِي الْأَفْهَامِ ١ : ١٢٩ مَنُوبٌ إِلَى نَصِيبٍ . وَعَبْدُ الْعَزِيزِ هَذَا هُوَ ابْنُ مَرْوَانَ

(٤) كَذَا نَسَبُ الشَّعْرِ فِي الْبَحْثِ ٢٠٢ . وَبِرْوَيْ لَقِيْسُ بْنُ الْحَطِّيمِ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ

فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٣ : ١٨٣) لِبِشَارِ بْنِ بَقَرٍ وَهُوَ فِي حَاسَةِ الْبَحْرِ طَبِيعُ أَوْرِيَا

لَزِيَادِ بْنِ مَقْدُودِ التَّمِيسِيِّ .

إذا غابَ عنها بعلمها لم أكن لها زُهوراً ولم تأنسَ إلى كلابها
وما أنا بالتَّارى أَحاديثَ سرِّها ولا عالمٌ مِنْ أَى حوكٍ شياها^(١)
وإن قِرَابَ البطنِ يكفيك ملوهُ ويكفيك سوءاتِ الأمور اجتنابها
وقال حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَعَّانة ، وكان
أسره ثوب بن شَحمة العنبري مجير الطير^(٢) :

إذا ما بَخِلُ النَّاسِ هَرَّتْ كَلابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ حَقُورُهَا
فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْتِي مَوْطَأٌ جَوَادُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
ولكن كلابي قد أَقَرَّتْ وَعَوَّدَتْ قَلِيلَ عَلَى مَنْ يَعتَرِيهَا هَرِيرُهَا

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إنَّ كثيراً من هجاء الكلب ، ليس يراد به
الكلب ، وإِنَّمَا يراد به هِجَاءُ رَجُلٍ ، فيجعل الكلب وَصْلَةً فِي الْكَلَامِ
ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً مما يرتق الناسُ به من أسباب
الكلاب . ولذلك قال الشاعر^(٣) :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لَوْ لَيْلُ مَظْلَمٍ وَحَيْفُ نَاجِيَةٍ وَكَلْبٌ مُوسِدٌ^(٤)
وَأَخْوَكُ مُحْتَمَلٌ عَلَيْكَ ضَعِيفَةٌ وَمُسَيِّفُ قَوْمِكَ لَا تُمَّ لِأَحْمَدُ

(١) في الأصل « حول » وأثبت ما في عيون الأخبار وحاسة البصر .

(٢) في الأصل « ثور » وانظر التنبية رقم (٣١) ص ٢٦٩

(٣) هو حسيل بن عرفة ، شاعر جاهلي . النوادر لأبي زيد ٧٥ وانظر الحيوان
(٤ : ٨٢) وديوان الماني (١٠٦ . ٢) .

(٤) الناجية : الرعية تجيء بقوة . وفي الأصل « ناخقة » وإنما الحفيف للريح . وتصححها
من النوادر لأبي زيد ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضَّيفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَابِلُ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ
فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وَمَا يَكُ فِي مَنِ عَيْبٍ فَإِنَّ جَبَانَ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
فهو لم يرد مدح الكلب بالجبن ، وإنما أراد نفسه حين قال :
* وخفيف نائفة و كلب موسد ^(١) *

فإن كان الكلبُ أنما أسره أهله ، فإِذَا اللُّومُ عَلَى مَنْ أَسْرَهُ . وإِذَا
هذا الضَّرْبُ كَقَوْلِهِ ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافَ كُلَّهُمْ قَالُوا لِأُمَمِهِمْ بُولَى عَلَى النَّارِ
ومعلوم أن هذا لا يكون ، ولكن حقر أمرهم وصغرهم . وقال
ابن هرمة :

وَإِذَا تَنَوَّرَ طَارِقٌ مُسْتَنْبِحٌ نَبَحَتْ قَدَلَتُهُ عَلَى كَلَابِي ^(٣)
وقال ابن مهيبة :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ شُعْبَى تَشْكِي حَوَافِرَها الدَّوَابِرَ وَالنُّسُورَا
فَلَمَّا أَنْ طَلَعْنَ بَيْنَ جَمْدَى وَأَهْلَ الْجُوفِ أَنْ قَتَلُوا غُرُورَا
وَلَمْ يَكُ كُلُّهُمْ لِيَفِيقَ حَتَّى يُهَارِشَ كُلُّهُمْ كَلْبَا عَقُورَا
ومعلوم أن هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابي :

(١) في الأصل « نائفة » وانظر التنبية السابق .
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ما هجينا بشعر هو أشد
علينا من هذا البيت ! » . ديوان المعاني (١ : ١٧٥) .
(٣) في الأصل « كلاب » .

أخو ثقةٍ قد يحسبُ المجدَ فُرصةً إلى أهله أو ذِمَّةً لا تُخفَرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباخه كَرِهَ إلى الكوماءِ والكلبُ أبصرُ
وقال ابن هرمة :

وفرحة من كلابِ الحىَّ يتبمها شحمُ يرفُ به الداعى ورعيبُ
فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :
هَمَمْنَا عليه وهو يكتمُ كلبه

دَعِ الكلبَ يَنْبِخْ إِنَّمَا الكلبُ نَابِجٌ^(١)
وقال الآخر :

وَنُطْعِمُ كَلْبَ الحىَّ مِنْ خَشِيعَةِ القِرَى
وناركُ كالتدراءِ مِنْ دُونِهَا سِنْرُ
وقال أعشى بنى تغلب :

إِذَا احْتَلَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو عَلَى الْأَطْوَاءِ خَنَقَتِ الْكِلَابُ
فَالْكَلْبُ مَرَّةً مَطْعَمٌ^(٢) ، ومرةً مَخْنُوقٌ ، ومرةً مُوسَدٌ وَمَحْرَشٌ ، ومرةً
يَجْمَلُهُ جَبَانًا ، ومرةً وَثَابًا ، كما قال الراعى فى الخطيئة :

أَلَا قَبِجَ اللَّهِ الْخَطِيئَةُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ ضَافَةٍ فَهُوَ سَالِحٌ
وَقَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِخْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِجٌ
وقال أعشى بنى تغلب :

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه فى م . وانظر التنية رقم ٣ ص ٣٦٧
(٢) فى الأصل « مطعوم » وإعماهى من أطعمه .

بَكَيْتَ عَلَى زَادٍ خَيْثُ قُرَيْتِهِ أَلَا كُلُّ عَيْسَى عَلَى الزَّادِ نَاجٍ^(١)

وقال الفرزدق :

وَلَا تَنْزِعِ الْأَضْيَافَ إِلَّا إِلَى فَتَى إِذَا مَا بَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدْ

(وقال الآخر :

* دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحُ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَاجٍ *

وقال الآخر :

* أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ نَاجٍ *

وقال الفرزدق :

* إِذَا مَا بَى أَنْ يَنْبَحَ الْكَلْبُ أَوْ قَدْ^(٢) *

ومتى صار الكلب بأبى النباح؟! فهذا يدلُّ على أنهم يتشفَّون بذكر الكلب ، ويرتفعون به ، لاعلى أن هذا الأمر الذى ذكروه قد كان على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جزير^(٣) :

وَلَوْ كُنْتُ فِي بَحْرٍ أَوْ بَعْمَايَةٍ إِذْنِ لَأَتَانِي مِنْ رَيْعَةٍ رَاكِبٌ^(٤)

(١) البيت ، فى السبعة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* أَلَا كُلُّ عَيْسَى عَلَى الزَّادِ نَاجٍ *

وانظر البلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جزير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو

الفارسيين . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجرن : مخلاف بالين . وعماية : جبل بالبحرين . ورواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

يُثِيرُ الْكَلَابَ آخَرَ اللَّيْلِ وَطَوُّهُ كَضَبُ الْمَرَادِ خَطْوُهُ مُتَقَارِبٌ^(١)
فَبَاتَ يُمَنِّئُنَا الرِّبِيعَ وَصَوْبَهُ وَيَنْظُرُ مِنْ لُقَاعَةٍ وَهُوَ كَاذِبٌ^(٢)
فَذَكَرَ تَقَارُبَ خَطْوِهِ ، وَإِخْفَاءَ حَرَكَتِهِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ قَدْ أَثَارَ^(٣)
الْكَلَابَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ ، وَذَلِكَ وَقْتُ نَوْمِهَا وَرَاحَتِهَا . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
تَيْقُظِهَا وَدَقَّةِ حِسِّهَا .

وفيا ذكروا من حالة الكلب لسبب القرى من البرد ، والذي يلقي ،
وكيف الشأن في ذلك ، قال أعشى باهلة :

وَأَجْجَرَ الْكَلْبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ بِهِ
وَأَلْبَأَ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِ الْحَجَرِ^(٤)

(١) المراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل الضب وردا
وردا ، قال :

أصبح قبي صردا لا يشتهي أن يردا
إلا عرادا عردا وصلينا بردا
وعنكنا ملتبدا

وفي الأصل : « كضب المراد » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذي أثبت
في الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » وفي تاج الروس :
« وتنتظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه في س .

(٤) يقول إنه لا ينقطع عن إطعام الطعام في شدة البرد ، حينما يضطر الكلب ما يطلبه على
شعره من الجليد الأبيض إلى السخول في الحجر ، وحينما تكون الحجر ملجأ للحى
يقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعمى هذه مشروحة في الحزاة
٢ : ١٧٨ - ١٨٦ ، وشعرها كذلك الشيخ حمزة فتح الله في المواهب .

وقال الخطيئة :

إذا أبحر الكلب الصَّيِّعُ اتَّقِيَنَّهُ

بأنَّباعٍ لاخوَرٍ ولا قَفَرَاتٍ^(١)

وقال ابن هرمة :

وسل الجار والمصَّب والأضـ ياف وهنأ إذا تحيَّوْا لَدَيَا^(٢)
كَيْفَ يَلْقَوْنِي إِذَا نَبَّحَ الكاـ مَبُوراءِ الكُؤُورِ نَبْحًا خَفِيًّا
وَمَشَى الحَالِبُ اللَّيْسُ إِلَى النَّـ بَ فلم يَقر أَصفر الحَيِّ رِيَا
لم تَكُنْ خَارِجِيَّةً من تراثِـ حادثٍ، بل وَرِثْتُ ذاكَ عَلِيًّا
وقال الأعشى :

وتَبْرَدَ بَرَدَ رِداءِ القرو

مِ في الصَّيْفِ رَقَرَتْ فِيهِ العِيرا^(٣)

وتسخنُ لَيْلَةً لا يَسْتَطِيعُ مُنْبَاحُهَا الكلبَ إِلَّا هَرِيرًا
وقال المهذلي :

ولَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْقَرْتِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّفَرِ الْمُتَرِّينَ دَاعِيهَا
لا يَنْبَحُ الكلبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ من الشَّتَاءِ ولا تَسْرِي أَفَاعِيهَا

(١) أبحره وجهره : أدخله في الجحر . وفي ط « أبحر » وصوابه في س ،
والبيت من قصيدة في ديوان الخطيئة ٥٦ .

(٢) في ط : « أصل الجار » وصوابه في س و م ، والحيوان ٢ : ٢٤ .
المصَّب : الذي يصب بالخرق جوعاً والرجل الفقير . وفي الأصل « الجار المصَّب »
وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٢٤) . وفي الأصل « تحبوا » بياء موحدة وهي
على الصواب في الجزء الثاني

(٣) ط : « فيها العيرا » وصوابه في س و م .

وقال الفرزدق ^(١) :

إذا احمرَّ آفاقُ السماءِ وهتكتْ

كسُورِ بُيُوتِ الحَيِّ نَكْبَاهِ حَرْجَفُ

وجاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبْلَ إِفَالِهَا يَرْفُ وجاءَتْ خَلْفَهُ وَهِيَ زُحْفُ ^(٢)

وهتكتِ الْأَطْنَابَ كُلُّ ذِفْرَةٍ لَهَا تَامِكٌ مِنْ عَاتِقِ النَّبِّ أَعْرَفُ ^(٣)

وَبَاشَرَ رَاعِيهَا الصَّلَى بِلَبَانِهِ وَكَفَى لِحَرِّ النَّارِ مَا يَتَحَرَّفُ

وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ لِيرِ بَضِّ فِيهَا ، وَالصَّلَا مَتَكَنَّفُ ^(٤)

وَأَصْبَحَ مَبِضُّ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ عَلَى سُرُورَاتِ النَّيْبِ قُطْنٌ مُنْدَقُ ^(٥)

تمَّ الجزء الأول

وبليه الجزء الثاني ^(٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

(١) من قصيدته الفائية الممهورة ، التي مطلعها :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

(٢) في الأصول « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ وفي ديوان جرير (والقصيدة

فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السام العظيم والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع في موضع يدقته ،

وقد أحاط القوم بالنار وتكثفوها ليظفروا باللف . في الأصل :

« ليربض منها والصلا متكشف » وليس بشيء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع الثلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضفى كأنه القطن قد ندف .

ويروى « موضوع الصقيع » كما في الديوان .

(٦) في نهاية س : « تم المصحف الأول ويظهر المصحف الثاني من كتاب الحيوان » .

معارضات على نسخة الامبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	٢ - ١	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهي توافق رواية ل ، وهي الصواب . والطابن : الخداع الخب .
٨		: « شوك العضاء » .
١٣		: « قد ابتلى أيضا بأن أخته » .
٢٢	٨	: « وعباس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرى به من فوق القصر »
١٤		: « ووطن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « يغير جرم » . (١٠) : « وأقل رمادك » .
١٧		: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساء الجلسة » .
٢٦	١١-١٢	: « ويجعلونها متخيرة غير مسخرة » .
٢٧	٤	: « لانتصاف إلى الفم والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما في ل . وجاء في لسان العرب [حرر (٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصفر ما يكون : جميل حر » .
٢٩	١	: « كالكلب والفهد [والذئب والأسد » .
٧		: « ما يكون سلاحه سُلَاحَه » : كما في ل .

ص	ص	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
١١		: « مشهوران بالحبل » .
١٦		: « والبند » بدل « الينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه في الحاشية .
١٠		: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
١٠		: « ويزثر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
١١		: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما في ل .
١١		: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت في الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سميت بأنبه النوعين ذكرها » .
٨		: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ - ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما
		كما يخبر الهزال وكود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق
		السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم في الأمور » .
١٠		: « ثم لم يوجد لهم » ، كما في ط ، ل .
١٢		: « وصاحب الحسد والمشافقة ، والمتفقد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والارتجار » .
٦		: « وجعل الفكر تنشئ » .
١٢		: « مارأيت في أثنائه من مزح » .
١٦		: « لأن يكون عملةً للجدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

- ص ٣٨ ١ : « إلا بما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يصلح » .
- ٥ - ٦ : « إلا من قد تجرد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث .
- الطول من الكد » ، مع إسقاط ما في أثناء الكلام .
- ١٤ : « ونعم المجلس والقعدة » .
- ٣٩ ٢-٣ : « من غرائب فوائده ، وإن شئت أهلك بوادره » .
- ١٣ : « أو روضة تنقلب » .
- ٤٠ ١ : « ويرجم كلام الأحياء » .
- ٦ : « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقسم » .
- ٧ : « فهي أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
- ٨ - ٩ : « حين هذه الخصال لم يُلبس جديدها ، ولم يقل غريبها » .
- وليس ، في معنى أخلق . وفي اللسان : « وثوب ليس ، إذا كثر لبسه ، وقيل قد لبس فأخلق » .
- ٤١ ١ : « بعد الذي أبصرت من يسه » .
- ٥ : « أدبت عيسى » .
- ٨ : « في طلبها ليلة » .
- ١٢ : « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
- ٤٢ ٢ : « أحسن مواتاة » .
- ٨ : « والمذاهب القديمة » .
- ١٩ : « لازمة لطبائعهم » .
- ٤٣ ١ : « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

- ص س
- ٣ : « معرفة ما يحضرهم ، والتوازر على ما يحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
- ٤ - ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان منضمّة ، وأسباب متصلة ، وجبال متقيدة » .
- والتكلمة التي في س٧ لم ترد في النسخة :
- ٤٤ ٤ : « مذالاً ميسراً » ، وهذا يوجّه ما في ط . والمذال : المهان الممتن .
- ١١-١٠ : « وبالتقليب والتقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .
- ١٥ : « ومعرفة لمواقع مد الخلّة ودفع الشبهة » .
- ١٦ : « الأشباح المثل » .
- ٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبط به » ، بالضاد المعجمة .
- ١٤ : « تكمل بمنه الذي » .
- ١٧ : « والساكنة الثابتة التي لا تنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
- ٤٦ ٤ : « والذائق [في ذلك] نصيبا » .
- ١٠ : « هذه الآلة لكان » .
- ٤٧ ٢ : « مجرى البيان ، [وألحق البيان] بالقرآن » .
- ١١-١٠ : « لعوامل حاجاتهم وأواجلها ، وهو الوجه » .
- ٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .
- ٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	من
٤٩	١ : « فالشأن الآن في منافع اليد » ، فقط .
٩	: « لبطل الطرب كله » .
١٢	: « لكان [ذلك] من أعظم الخطوط » .
٥٠	٣ : « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت في الحاشية .
٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١ : « والمستحيح الذى لا يستزيدك » .
١٢-١١	: « إن افتقرت لم يحقرك » ، ويسقط « إليه » .
٥٢	٧ : « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
٨ - ٩	: « ليلهم هو الشيء الذى لا يرى له فيهم مع الليل أثر في ازدياد ولا في تجربة ولا في عقل ولا في مروءة » .
١٥	: « ذهب المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١ : « ولا انكأ » ساقطة من النسخة .
٩	: « وانقطاع المادة من قبله » ، وهو الوجه .
١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
١١	: « القينى » بدل « العنبي » في كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن في نسخة ل .
٥٤	١ : « إلا [الشيء] الذى زهدك فيه » .
١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
١١	: « كذا [وكذا] » ، في الموضعين .

- ص س
- ١٢ : « أنفق قليلا وأكسب كثيرا »
- ٥٥ ٢ : « ولا بد من أن تصير كنهه » .
- ٣ : « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .
- ١٣-١٤ : « وإنى غرمت مالا عظيما مع حبي للمال ، وبغضى للمغرم ، لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .
- ٥٦ ٥ : « أو كتب أرفاق ورياضات » .
- ٨ : « فى التبيين » .
- ١٤ : « داعية إلى العبادات ، وباعثا على الخشوع » .
- ١٧ : « وقد رأيت » . وبذلك يتغير المعنى التاريخى .
- ١٨ : « ملوكنا » .
- ٥٧ ٨ : « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .
- ١١-١٢ : « بعمود السبح ، والإخبار عن شلقون الهمامة ، وكله هذروعى ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .
- ٥٨ ١ : « على الناس الإطاعة » .
- ٢ : « الاستبصار والمحنة » .
- ٦ - ٥ : « والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط « لا » .
- ٧ - ٨ : « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليب » .
- ٩ - ١٠ : « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون ترتيبهم فى توكيدها ، واحتفالهم فى إظهار تعظيمها » .

ص	س
٥٩	٥ : « هو العالم المتنع » .
٨	: « وأحصر بالعى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١ : « لشيء اعتراه » .
٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا ينزع » .
١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقعت في الحاشية .
٦١	٢-١ : « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحي ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذي كان سعى بهم » .
٣	: « عثرتم بها ، [قال] : فقلت » .
٧	: « ما أشد صبايته » .
١١-١٢	: « لقد ضيع درهمه من تجود » .
١٣-١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظرى » .
١٧	: « الأسفاط والرفوف » . وكلاهما صحيح : فإن الرقوق جمع الرق بالفتح ، وهو الصحيفة البيضاء : والجلد الترقيق يكتب فيه .
١٨	: « قط أنحن ولا أنبل » . والنخانة : الحلم والرزاة والنفيل في المجلس .
٦٢	٦ : « ولا أمتع من كتاب » بالناء ، كما ترقعت في الحاشية :
٧	: « [قال] فقيل له : فقد جاء » ، مع سقوط التكملة التي في نهاية السطر .
٦٣	٣ : « إذا غزوا » .

ص	س	
٤		: « كما يعتري النادم من قرع السن » .
٦		: « إذا تذكرت منى » .
٧		: « الحزين في الأرض » .
٦٤	١	: « يخططن » .
٥		: « هذا البيت الثاني ساقط من النسخة » .
٦		: « وقال الحزين الكندي » .
١١		: « ماتنقضى عبراتي » .
١٤		: « في نواح » ، و « لم تَعْلَلْ لهم » ، أى لم تتعلل بعلّة .
١٥		: « تنلقط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
١٠		: « إذا تشابه آيها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه » ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
٢		: « عجزه في النسخة : « فهو الصواب به على استيهامه » .
٨		: « لم يرد هذا البيت في النسخة في هذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
١١		: « حذه لحسامه » .
١٣		: « في الخط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
٢		: « مخلولف السن » .
١١		: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهي رواية الديوان ٢٥٧

- ص ص
- ١٥ : « إذا استغزرت ذهن الجلي » ، وهو تحريف سمعي مخالف لما في ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢
- ٦٨ ٦٤-٦ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحرى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحرى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .
- ٨ : « نقرأ » بدل « حفرأ » .
- ٩ : « هو الحفر » مكان « هو الثانى » .
- ١٠ : « هو الثانى » مكان « هو الحفر » .
- ١٢ : هذه التسمية ليست فى النسخة .
- ٦٩ ٣-٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .
- ٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملك لرجل الأرض يجعلها له من غير خراج .
- ٩ : « ذكر [جق] الحلف والمُدة ، تعظيماً للأمر ، وتبعيداً [له] من التسيان » .
- ٧٠ ٦-٧ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .
- ١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .
- ١٨ : « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .
- ٧١ ٢ : « وردع المخنون الوعيد والتهديد » .

- ص ص
- ٨ : « أوبها مُسكة » .
- ١١ : « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الخيم » .
- ١٤ : « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ،
وحصر مناقبها » .
- ٤ - ٥ : « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ،
وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت
العجم » .
- ٦ : « مثل كردينداذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
- ١٠ : « والأبلى الفرد ، وفي الأبلق الفرد ومارد » .
- ٧٣ ٢ : « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
- ١٢ : « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
- ٧٤ ١٢-١٣ : « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام
خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار »
مع سقوط « فائتي عام » بعدها .
- ٧٥ ٢-٣ : « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنشور » مع
سقوط « والكلام المنشور » بعده .
- ٤ : « المنشور الذي حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
- ١٢ : « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
- ١٣ : « لمعاشهم » بدل « لمعاشهم » .
- ٧٦ ٦-٧ : « وابن بهريز ووهيلي » مع سقوط ما بين ذلك من كلمات :

- ص ص
- ٧٧ ١ : « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم
بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
- ٧٨ ٤ - ٥ : « أضر من الخطأ في [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ،
وفي بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
- ١٦-١٧ : « لم يجد المعين والرافد [بدءاً من] التفسير » .
- ٧٩ ١ - ٢ : « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
- ٨٢ ١٢ : ساقط من النسخة .
- ٨٣ ١ - ٢ : ساقطان كذلك من النسخة .
- ٤ : « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
- ١٤ : « في سير البُخْتِية » ، كما في ل .
- ١٥ : « وضربوا من المرفوع » ، كما في ل .
- ٨٤ ٢٢ : « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
- ٤ : « حتى شدوا من معرفة ذلك شدوا » .
- ٥ : « وكذلك جميع أمرهم لا يخلو » .
- ٩ : « على من أزرى على واضح الكتب » .
- ١١ : « مؤنتهم في تعريفهم » .
- ٨٥ ٦ : « ويرتجح قلمه » .
- ١١ : « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
- ١٢ : « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
- ١٦ : « ولو الجئنا »

ص	س	
٨٦	١-٢	: « لقد قات المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنّة » .
٦		: « الله الذى فيها الهدى والرحمة ، والإنخيار عن كل عبرة » .
١٢		: « فينبغى أن يكون سيلتنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان فى كل حال إنسانا يدرسه » . صواب
		ضبطه « يدرسه » ، يقال درسه الكتاب وأدرسه إياه ،
		كما فى اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧
		بتحقيقنا فقيه : « ويدرّسهم مناقبهم » .
٧		: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل » .
١٥		: « فظن أنه باب بعض العمال » ، كما فى ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغب ويختمر ، ولا يشق بالرأى بالفطير » .
٦		: « وتوقّف عند فصوله » .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله فى النسخة عبارة
		لا يدرى صاتها ، وهى : « الفترة المانعة من البلوغ فى الفهم
		وتعرف ما يحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودرية العلماء »
١٢		: « إلى التواويس فلما خور »
٩٥	٩	: « علما بأولها » . وس ١٢ : « فى العلم هبة » .
١٣		: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة »

- ص ص
- ٣ : « التكلفة التي تبدأ هنا منل تشاركها فيها نسخة الأميروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تفرد نسخة ل بالتكلفة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان في مقدار التكلفة إلى كلمة « يسرى » في ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأميروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
- ٩٩ ٨ : « وصاحب المال بعرض فساد » .
- ١٦ : « تسكن النفس ويثلج الصدر »
- ١٧ : « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة .
- ١٠٠ ١٠ : « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
- ١٠١ ١ : « مابعد كلمة « خطأ » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
- ٤ : « طريق تدسهج له » .
- ١٢١ ٧ : « لن يعلم البانون » ، وهي رواية جيدة وإن كان فيها الخرم
- ١١ : كلمة « المرى » ليست في النسخة .
- ١٢٢ ١ : كلمة « المختنين » ساقطة من النسخة .
- ٢ - ٣ : « كأنها عمرة فقال البيهقي » ، مع إسقاط ما بين هذا الكلام .
- ٤ - ٥ : « إلا بالخصاء دون الإحصاء » .
- ١٣ : « وسمى بالسقوط بدل « ولقب » .
- ١٢٣ ١ : « وقال يوما »
- ٢ - ٣ : « لا يحمل إلا الحر ، وبعضه لا يحمل إلا المنصف ، وبعضه لا يحمل إلا الخلال »

ص	س
٦	: « والخصى » بدل « والخصيتين » .
١١	: « وقد زعم لنا ناس »
١٢	: « إنما ولدوا له بعد أن زعت يرضته اليسرى » ، وهو الوجه .
١٨	: « محالسة الأعراب » بالخاء المهملة
١ ١٢٤	: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفي اللسان :
	ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفي السطر نفسه :
	« محزز » بالخاء المهملة ، و « ابن كرز » كذا في ل .
٧	: « فقد يزعمون أنهم »
٨	: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصي » .
٩	: « بفرط قوته » .
١٢	: « و [من] رقة الكبد والقلب »
٢ ١٢٥	: « وإن كان الخصى أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
٣	: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
٦ ١٢٦	: « قد أرميت على المائة » ، وأرنبى وأرمى بمعنى .
٧	: « وهي الكبرة »
٩ - ١٠	: « تركهن زهدا ، وتحلّى منهن سنين ودهرا »
١٢	: « هجراني للملابسة النساء »
١٥	: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١ ١٢٧	: « موت الخاطر »
٢	: « وفيما تحويه من النساء »

ص	س
٨	: « من الخطار »
٩	: « والدواعى لا تطوره »
١٢٨	: « ولم تمتلئ عروقى »
٥	: « ولربما زأ فؤادى عند ضحك إحداهن » .
١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون »
١٢٩	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
٥	: « لا يمكن ردها [إلى مكانها] إلا بعلاج طويل » .
٦	: « وظلم يرى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .
٧	: « فإذا برا وهو محبوب القضيبي ذو بيضة واحدة » .
٩	: « موضع الخاص من بيوتهم » .
١٠	: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتع] ونصب العيش منها » .
١١	: « ومن لذة الإنسال والتمتع بشم » .
١٢-١٣	: « فلا يزال عند الفحول محمرا ، وعند الحصيان محرجا مطردا »
١٣٠	: « قتلة سرجية » ، كما فى ل .
٤	: « مجامع [جلد] الخصى » .
٦	: « وتخشف » بدل « تنخشف » ، وهو الوجه .
٩ - ١٠	: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد القتل » .
١٥ - ١٦	: « [و] قال أبو زيد : خصيت الدابة أخصيه خصاء ، ووجأته أجوه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

- ص ١٣١ ص ١ : « أما الحصاء فهو سل الحصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والحصيان » . يقال خُصِيَ كما يقال خُصِيَة .
- ٢ - ٣ : « حتى تسقط الحصيتان والحصيان . الواحد خصية . ويقال ملست الحصيتين أملكهما » .
- ٨ : « وَقَدِيًّا غَدِيًّا » . القَدِيُّ : الطيب الطعم والرائحة .
- ١١ - ١٢ : « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .
- ١٣٢ ٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .
- ١٤ : « وإذا كثروا الكائن »
- ١٣٥ ٣ : « عادات » بدل « عادة »
- ٥ : « الحرَمَى » موضع « الحرمين » .
- ١٣٦ ١ : « على طول الركوب » .
- ١٨ - ١٩ : « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبروا أعمار ضروب الناس »
- ١٣٧ ٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم »
- ٦ - ٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس في دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .
- ١٣٨ ٥ : « لإرديا قصير العنق » .
- ٧ - ٨ : « تكلف المأكَل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضراب »
- ١١ : « وهزلا » بدل « وهزلا » .

- ص م
- ١٥ : « [وهي الصرصرانية] ، زيادة كلمة « هي » على مافي ل : »
- ٧ ١٣٩ : « [أنها] أطول الحمير أعماراً » .
- ٩-١٠ : « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
- ١٣ : « ولا يعرفون حماراً أهلياً » . فلعلها « أهلياً أو وحشياً » .
- ١٤٠ ٤-٦ : « وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ طلب حماراً أندريا فطاوله ، فليجّ به الاعترام » مع سقوط ما بين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعترام » هي الوجه في « الاعترام » .
- ١٤١ ١ : سقطت كلمة « لدرست » .
- ٤ : « و [من] تركهم المشاغل » .
- ٥ : « حبيب إلى هذا »
- ٦-٧ : « صياد أفاعي يبيعها للترباقات ، وسخر هذا لأن يكون من سواس الأسمد » ، مع سقوط ما بين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيراً ما يستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
- ١٣ : « وإنما نأبى التيسير للمعاصي » كما في ل
- ٧ ١٤٢ : « وسبيل نتائج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيسر مع شدة غلمته »
- ١٠ : « فضلاً على أن يكون بينهما نتائج »
- ٢ ١٤٣ : « يلند » موضع « بلك » في كل موضع ، وهو تحريف .

- ص س
- ٩ : « اشتر مرك »
- ١٠ : « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
- ١٣ : « للناقة من الحوش فيسفدها »
- ١٦ : « ففهم من جحد البتة أن تكون الزرافة » . ومما لحظته
أن « الزرافة » حيثما وردت في النسخة ضبطت بضم
الزاي ، وهي إحدى لغات فيها ، وفي اللسان :
« وهي الزرافة والزرافة » ، والفتح والتخفيف
أنفصهما » . ثم قال : « وقيل هي بفتح الزاي
وضمها مخففة الفاء »
- ١٤٤ ٣ : « من شأن الورداني والراعي »
- : « بسباع الغرائب » .
- ٥ - ٦ : « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا
والتوحي خطا سلمت الكتب »
- ١٤٥ ٩ : « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
- ١٤٦ ١ : « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له
حواشي ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤
- ٨ : « أراد هو التبعية به » بدل « بعينه »
- ١٤ : « [هو] آدم السناير وتلك السنورة [أن تكون] حواء
السناير » ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] :
« أو لم تعلم » .

- ص ص
١٤٧ ٧ : « ولا يتبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
- ٩ : « عظاما كان أم غيره » ، [و] مصمتا كان أم أجوف » .
- ١١ : « في شدة شفرته وناره » .
- ١٤ : « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ،
تحريف .
- ١٤٨ ١ : « الحمار » بدل « الخارين » .
- ٢ : « لبعض من [نكره] ذكره » .
- ٤ : « بعده في النسخة » يعني عبد الرحمن بن يزيد !
- ٩ : « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت
لوالله لأعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .
- ١٥ : « زناها وسحقها » .
- ١٤٩ ٢ : « بضروب » موضع « ضروبا » .
- ٤ : « في تركيبه و [في] إنسالة » .
- ٧ : « خاعظيم » .
- ١٣ : « اغتاش » موضع « المجانيق » ، كما في ل .
- ١٥٠ ١ : « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطبخوا واشتروا
و [ملؤا ، و] ملأوا وادخروا » .
- ١٤-١٥ : « قليل الإناث ، ولا يكذب أيضا يجمعن البيض » .
- ١٥١ ١٢-١٣ : « وإذ قالوا في الزرافة ما قالوا فلا تأمهم » .
- ١٦ : « الذي دعا إلى القول في الزرافة تركيب اسمه : [فجعلوا
تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: « كما وماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكباش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أن » .
١١		: « من أعناق الشياطين ، فجعلوا المثل والمجاز ، [وحلوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطاننا » .
	٨	: « من أسطح جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجزيرة » .
١٥٥	١	: « فإن ليح خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون في الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هي الصواب في « منايع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذي يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن في الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٨ ، ٢	: « وبذل » بدل « وبزال » .
	٥	: « الموقوفين على التنبؤ »

- ٧ - ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعاءة من كان لا يشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
- ٩ : « فقد كانا من المعمرين »
- ١٠ : « ونمى الصديق فيه من الكذب »
- ١٦ : « لئلا الخفيس » : مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
- ١٥٩ ١ : « ما بعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
- ٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .
- ٩ : « والحبي الشريف » .
- ١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .
- ١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »
- ٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتل .
- ١٣ : « ومن جنس البط »
- ١٦١ ٤ : « فتؤدئ ، وتصاب فى الموشاة فرد » .
- ٦ : « أن نعمها بالحرق بالنار » .
- ٧ - ٨ : « من ألف يعير يعير ، ثم عبي أن يحتاج إلى ذلك فى جميع عمره إلى شربة واحدة » .
- ١٥ - ١٦ : « فيما يرد على الشئ المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

- ص ١٦٢ ص ٣ : « لا آملك الشيء » ، كما في ل .
- ١١-١٢ : « فإن [كان] ذلك في سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فاللذهب في ذلك معروف » .
- وهو الصواب
- ١٦٣ ص ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
- ١٧ : « ثم زاده على قيمته »
- ١٦٤ ١-٢ : « المعروفين بابتياح متاع اللصوص » .
- ٢ : « من شهد السعائين » ، وهو تصحيح ماورد في ل : « السعائين » . والسعائين : عيد من أعياد النصارى .
- ٣ : « وأصحاب المخارجات » كما في ط .
- ٧ : « وخططاء مترافدون » ، وهو الوجه .
- ٩ : « قد قبل من المقوقس [الحصى] كما قيل مارية ، و [أنه] استخدمه » .
- ١٨ : « أجمل منه وأشرف وأخدم لم يزد » .
- ١٦٥ ٣ : « لا يحل اطراده ونفيه » .
- ٦-٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .
- ٩ : « تدبيراً أو حكمة »
- ١٦٦ ٦ : « مطرداً » مكان « مطروداً » .
- ٧-٨ : « فالفاجر لا يكون المبغى عليه » ، وهو الوجه .
- ٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك الماء لا يخرج منه إلا بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

- ص ص
- ١ ١٦٧ : « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
- ٧ : « وتعظيم البعولة »
- ٩ : « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ماعتنها »
- ٥ ١٦٨ : « الصاحب السوء »
- ١١ : « ومتى ألتى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .
- ١٢-١٣ : « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألتى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .
- ١٥-١٦ : « التكملة المقتبسة من ل ليست في النسخة » .
- ١ ١٦٩ : « داعية إلى الميراثية !! »
- ٢-٤ : سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :
- لأتحقرن من الأشرار ذاصغر فالذئب ليس بمأمون على النعم
ولا عجزوا على أهل ففسدها ولا خصياً على مال ولا حرم .
- ٩ : « فصادف قلبي فارغا فتمكنا » .
- ١٧٠ ١-٢ : « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولائي وسيدتي ، أشهرت ليلى » .
- ١٤ : « أشد لها إشغالا » .
- ١٥ : « ملهى في النساء » .
- ١٦ : « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما في ٥ : ١٦١ .

- ص ١٧١ ص ١ : « غير متكشّف »
- ٦- ٧ : « لم يكن عليه من فقد مارآه في النوم أو مثله له الأمانى مؤونة » .
- ١٧٢ ٤ : « ولتند رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
- ١٠- ١١ : « فلما أبصر ذلك يزق ونفل وسقط في يده ، وهجم عليه أمر لو كان رآه » .
- ١٣ : « بمن كان يخلفه »
- ١٤ : « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية في هذا السطر .
- ١٧٣ ١ : سقطت التكملتان من النسخة .
- ٦ : « الماشى المعبى »
- ٩ : « من الشنو والبغضة »
- ١٢ : « وتلقحه الجنائيات » . وهو الأوفق .
- ١٤- ١٥ : « إذا بدا لأحدهم في النزوع وى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه
- ١٧٤ ١ : « فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .
- ٢ : « أن يحج [البيت] » .
- ٩ : « من تعظّمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
- ١١ : « ولرضى منهم بالمسألة » .
- ١٧٥ ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	ص
٣	التكلمة ساقطة من النسخة .
٥	: « أليس زان خصي » .
١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعى أنيك »
١٧٦	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
٧	: « ولا والله لا والا لا ألق أو أخصي »
١٠	: « بلغني ركب النساء » ، وهو الوجه .
١١	: « حين تلقى » .
١٢	: « عجل بالخصاء » .
١٧٧	: « عثرة وجدود » .
١١	: « أرى أن المثلة تحمل له ما حرم الله » .
١٧٨	: « الذي في النسخة يوافق ما أثبت في الحاشية عن نسخة ل .
١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [ولي ابن عمر] » .
١٨٠	: « ولا ينخص ويعم بالقصود » .
١١، ١٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	: « إلا بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شيء له عدو كعدو السَّمْع » .
٦، ٥	: « عن عَرَضٍ بذى سيب » ، وهو الوجه .
	والسبب : شعر الذنب والعرف والناصية . ويقال خرجوا
	يضربون الناس عن عَرَضٍ ، أى عن شق وناصية لايبالون
	من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ - ٣٩) .

ص	س	
٨		: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .
١٥		: « الاكلمة كذلك في النسخة ، مع إسقاط » خلف بن حيان الأحمر » .
١٨٣	٦	: « كان شبا طرفه » .
١١		: « في ديسم الغيرى » ، تحريف . وانظر الأغاني ٣ : ٢٧
١٨٤	٦	حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » . سقط الكلام من أول السطر لإكلمة « وزعوا » فإن بدلها « وزعم » .
٧		: « لا يَلْقَن ولا يَأْلَف » ، وهو الوجه .
١٨٥	٣	: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا صأى يَصْئ . وهذا يوجه رواية ط « تصبى به » ، إذ صوابها « تَصْئ به » .
١٥		: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكنا روى أبو زيد » .
١٨٦	٤	: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .
٥		: « منون قالوا سراة الجن » .
١٤		: « ولم نقل جى » .
١٥		: « أو ملك الأعجم » .
١٨٧	٢	: « عمرا وقابوس » .
٤		: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] :

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرة » .
	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول] : ياذا القرنين ، فقال : فرغم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركب من الناس والناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهْنَأُ » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهْنَةٍ ومُهْنَنَةٍ » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن ميثم » .
١٩١	٢	: « حتى » [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أسلمَ الحبلُ » .
	١٠	: « حين فارقه الهزل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهزال
١٩٢	٦	: « فيهزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » بإسقاط « أنه » .
	٨	: « التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .
	١٠	: « كثير الجنابة على إلفه » ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .

- ص ص
- ١١ : 'وتركوا طرادهم' .
- ١٩٣ ٤ : 'إلا وخطمه في الأرض [أبداً] يتشم' .
- ١٣ : 'وفي أموالهم' . وهذا تحريف قرآني . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص ٤٥ . وهي الآية ٢٤ من المعارج . وفي الآية ١٩ من الذاريات : 'وفي أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم' . فن هنا وقع اللبس .
- ١٩٤ ١ : 'وليس من أحرارها [وكواسها] ، ولا من عتاقها وجوارحها' .
- ١٢ : 'ثم كان مما لا يزاج' .
- ١٣ : 'وحرم هذا النسب' .
- ١٩٥ ١٣ : 'ولا يَنازِع إلى دجاجِه وطروقه' .
- ١٩٦ ١ : 'ولولم يُخلَق' .
- ٨٧ : 'أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع' .
- ٩ : 'يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى' .
- ١٢ : 'وذاهلة طامحة' ، موضع 'طامحة وذاهلة' .
- ١٥١٤ : 'لا يعرف التي سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه' .
- ١٩٧ ١٠-٩ : ساقط من النسخة .
- ١٩٨ ٢ : 'إذا اصطيدت أو قتلت' .

ص	س	
٣		: « وأنشدوا قول السكيت » .
٤		: « لدى الحبل » .
١١		: « عام جاحد » .
٤	١٩٩	: « وقدحى بكفى » .
١٨		: « صغار ومن ديك تنوس غبا غبه » كما في ل .
١	٢٠٠	: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما في ٧ : ٨٥ .
٣		: « فتجعل في حبالك » كما في ل .
٥		: « سقطت كلمة فإن » .
١١		: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
١٧		: « وألستهم لا تنطق » .
١٨		: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه
١	٢٠١	: « وقلت وهذا باب » .
٢		: « من طرق المراء » .
٦		: « ولكل طعام آكل » .
٨		: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان فقيه » .
١١		: « في البدن ، وكما ينمى العرق » .
١١		: « من الحركة » .
١٥ و ١٤		: « ولا بد لكل ذي قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه
١٦		: « لا بد للمصدور من النفث » ، ويسقط الواو من أوله .
٤	٢٠٢	: « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

ص	س	
٢٠٦	٦-٧	: « فتجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازاً أو مرقاً ، وآخر يطلب الملك » .
٢٠٣	٣	: « وأن يسخو على الطعام » . يقال سَخِيَ يَسْخَى ، وَسَخُو يسَخُو ، وَسَخًا يسَخُو ، لغات ثلاث .
٢٠٤	٤	: « والمكروه بالمحبوب » .
	٦	: « ومتى بطل التخير ذهب التميز » .
	١٣	: « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
	١٥	: « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
٢٠٥	١	: « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
	٤	: « ولأهل التميز والروية » .
	٥	: « والسبع من لطم الدم » .
	١٠	: « والملمس اللين » .
٢٠٦	٣	: « منافعها هنيئة » .
	١١	: « بأحق من الثاني في الحق الذي جوزت فيه » .
	١٣	: « والأنساب المتقيدة » .
	١٥	: « بأدل عليه من الخنزير » . « وإن اختلفا من جهة » .
	١٦	: « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
٢٠٧	١	: « أعز عليه من الحداة ، وأن الغزال أحب إليه » .
٣-٤		: « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشياً » .
١١ و ١٠		: « وإن أتى بالغيث » .

ص	س	
١٣		: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرف »
٧		: « وأنه صالح لصاحب السِّل »
٩		: « شئء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
١١		: « وليسهل مخرج » .
١٢		: « ومن الزيتون على زيتة والاصطباغ به » ، أى الانتدام به ، والصَّبْغ والصَّبَاغ : ما يصطبغ به من الإدام ، وفى قوله تعالى « وصَبْغٌ للآكلين »
١٣		: « والوقود بشجرتهما و [على] ما أشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
٧		: « وتقرز المسامين من دنوها » ، مع سقوط التكلفة التي بعدها
١٤		: « وأخذنا فى ذكر أمهاتها وأنسابها وأعرافها ، وتفسدية الرجال لها »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها » .
٥		: « وإهانة اللثام »
٦		: « وذكر [طول] ذِمَّاتها » ، وهو الوجه .
٦		: « وشدة مُنْهَبها ومعاهد الذمار » !
٨ - ٩		: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »
١١		: « وفهمها وخدمتها » :

- ص س
- ١٤ : « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجزائها » بالراء المهملة
- ١ ٢٢٤ : « وسياستها ، والتي لا تلقن منها »
- ٦ : « فن يك عنه »
- ٧ : « تظل الكلاب العاويات »
- ٨ : « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .
- ١٢-١٣ : « وقال الحريري ، وهو إسحاق بن قوهي في قتلى حرب بغداد »
- ٥ ٢٢٥ : « ويكنى أبا محمد [في يوسف الشاعر] »
- ٧ : « خلقى بلى كامن »
- ١١ : « فقال الحسن : أيا عجيبي ممن يبلغ »
- ١٢-١٣ : « فقام وكيع فجعل يتخلج في مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله في كل عضو منه نعمة ، اللهم .
- ٣ ٢٢٦ : « وكصتان عرقها »
- ٦ : « وضرب بالكلب في ذلك مثلاً فقال »
- ٩ : « إنها امرأة حسباء »
- ١٠ : « بذى لسانها »
- ١٧ : « وقال [في] مثل ذلك »
- ١ ٢٢٧ : « يغير اليد »
- ٣ : « مثل الفرخ أعظمه »

- ص س
- ٦ : « فإذا اشتد بطنه ليسمن قبل : قد ضرب بطنه » .
- ٧ : « والعقَى هو القَقَّةُ ، مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ، وقد أورد الخليل في اللسان (فقق) وقال : « القَقَّةُ : العقَى الذى يخرج من بطن الصبى حين يولد »
- ٨ - ٩ : « إن أخى وضع يده فى قَقَّةٍ ، إلى لا أنزع يدي من جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط ما بين ذلك من كلام
- ١٤ : « ويشعر بيوله فى جوف أنفه ، ويسدده تلقاء خيشومه » .
- ٢ ٢٢٨ : « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
- ٣ - ٤ : « من اللحم الغض الغريض »
- ١١ - ١٢ : « لهُ أشد من الأسد ، ولهُ أجري من الليث الغادى » .
- ١ ٢٢٩ : « ويأن أنفه فى أسلوب »
- ٧ : « نماه لجد أب أصيد »
- ٨ : « لم يبعد من طبائع كثير من الناس »
- ١٠ : « وليس بين [منسلوخ] المنكسود وبين المصلوب اليابس كبير فرق » ، وكلمة « منسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى معجم استينجاس ١٤٢٧ أن المنكسود هو المملح
- ٣ ٢٣٠ : « فسمالك بالقحر » .
- ٤ : « ويمدَى فى لسان »
- ٧ : « ولو أنى أشاء قد أرقأنت . نعماته ويفهم ما أقول » ، وهو الوجه ، أرقأنت : سكنت

ص	ص	
٨		: « فما نعلم صنيع العنز »
٩		: « وقال ابن أحر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشياً وإنسيها » .
٧		: « حيفاً بيئاً » ، وهو الوجه .
١٠		: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
١٢		: « ما قد قبَّ ظاهره » . وقبَّ بمعنى ييس .
١٤		: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .
١٥		: « القنر » بدل « العذرة » .
١٦		: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقاً لما أثبتته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنُقُ الحمر » ، والأعُنُقُ والعُنُقُ كلاهما جمع للعناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلها « العُنوق » .
١٣-١٤		: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة اللجاج تلخبت الأطعمة .
١٧		: « سباطة » بدل « سبوطاً » .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
٨		: « لأذنبها [محسباً] » كما فى ل .
١٠		: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

ص	ص	
١٣		: « لبعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتیان منذ كانت الدنيا » .
٣		: « يلتئم العذرة ، وزها لا استطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
٥		: « لا يطيب » ١١١ .
١١		: « وقد بلغ من شهرة الرخة بذلك - واسمها الأنوق - حتى سموا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها في رهوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسم بالأنوق لشبهتها للعذرة .
١٤		: « رزق الأنوقين قرنا وجعل » .
		وهذه نهاية المقابلة على ما وجد في مخطوطة الأميروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

فهارس

الجزء الأول من كتاب الحيوان

- ١ — أبواب الكتاب .
- ٢ — ما يتعلق من الأبحاث بالحيوان
- ٣ — ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام .
- ٤ — ما يتعلق من الأبحاث بالمعارف .
- ٥ — ما ترجم من الأعلام في الشرح .
- ٦ — مراجع التقديم والشرح والتحقيق .

١ - أبواب الكتاب

صفحة

٣ مقدمة الكتاب

١٠٦ باب ذكر ما يعترى الإنسان بعد الخشاء وكيف كان قبل الخشاء

١٧٧ ذكر ما جاء في خشاء الدواب

٢٢٠ باب مما قدمنا ذكره ، وبينه وبين ما ذكرنا بعض الفرق

٢٢٢ باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معانيها

٢٦٧ باب ذكر من هجى بأكل لحوم الكلاب ولحوم الناس

٢ - ما يتعلق من الأبحاث بالحيوان

١

الإبل : خشاء العرب لفحولتها ١٣١ زعم فيها ١٥٢ الوحشية منها ١٥٤

وسمها ١٦١ .

الأُنُق : ما سمى بهذا الاسم ٢٣٥

ب

براقش : (اسم كلبة) ٢٩١

البعوضة : جناحها والتأمل فيه ٢٠٨

البهايم : خصاؤها ١٣١

ت

الثعلب : ولده من المرة الوحشية ١٤٥

ج

- الجُرِّيَّ : ما قيل فيه ٢٣٤
الجُعَل : طعامه ٢٣٦ ما قيل من الشرف فيه ٢٣٦
الجنَّ : تلاحق الجنَّ والانس ١٨٨ هم والجنَّ ٢٩١ حديث عمر مع
الذي استهوته الجنَّ ٣٠١ من خفته الجنَّ ٣٠٢

ح

- الحِرياء : زعم بعض الأعراب فيها ١٤٥
الحمر الوحشية: الحديث عنها ١٣٩
الحن : هم والجنَّ ٢٩١
الحيوان : تقسيمه إلى فصيح وأعجم ٣١ رأى الفرس في تقسيمه ١٥٢
الشيآت فيه ضعف ونقص ١٠٤ و ١٦٠ قص بعض أجزاءه
أو نقصها أو إيلامها ١٦٢ الحديث الرائحة منه ٢٢٦ السخ
منه ٢٩٧ هجاء ضروب منه ٣٥٢

خ

- الخنزير : لحمه ٢٣٤
الخيل : خصاء العرب لها ١٣٢ أقوال في منع خصائها وإباحته ١٥٩

د

- الدَّجاج : رغبة الملوك والأشراف فيها ٢٣٣
الدَّيْسَم : ولد الذئب من الكلبة ١٨٣
الدَّيْك : حوار في الكلب والديك ١٩٠، ٢١٥، ٣٠٢ جنائياته ٣٧٥
الدَّيْكَة : خصاؤها ١٣١

ذ

- الذئب : ولده من الضبع ١٨١ ولده من الكلبة ١٨٣ رعايته
لولد الضبع ١٩٨ .
الذئبة : رعايتها لولد الضبع ١٩٧

ز

- الزرافة : زعم فيها ١٤٢ ردّ على مازعوا فيها ١٥١

س

- السبع : تلاقحه والكلبة ١٨٤ مأكله ٢٢٨
السعلاة : أولادها ١٨٥

ش

- الشبايط : مطر الضفادع والشبايط ١٤٩ ردّ على الزعم السابق ١٥٦
الشبوط : بيضه وتناسله ١٥٠ موطنه ١٥١ هو أجود السمك ٢٣٣

ض

- الضبع : ولد الذئب منها ١٨١ رعاية الذئبة لولدها ١٩٧ رعاية الذئب
لولدها ١٩٨

ط

- الطير : تقسيمه ٢٨ النتاج المركب في الطيور ١٤٤

ظ

- الظريان : سلاحه ٢٤٨ ما قيل من الشرف فيه ٢٤٧

ف

- الفرخ : الفرخ والفرج ١٩٩

ق

قرحان : (اسم كلب) في قصة ٣٦٩

ك

القرنبي : ما قيل فيها ٢٣٧

الكلاب : أصنافها ٣١١ ما ورد من الحديث والخبر في قتلها ٢٩٢ من

هَجَى بِأَكْلٍ لِحَوْمِهَا ٢٦٧ ذُمَّهَا وَحْدَهَا ٢٢٢ أَمْثَالَ فِيهَا ٢٥٩

ما اشتقَّ من بُباحِها وما قيل من الشَّعر فيه ٣٤٨ قصص تتعلَّق

بها ٣٧٠

الكلب : لَوْمُهُ ٢٨ جُبْنُهُ ٢٨ قِصَّةُ ٣٧٦ مقالة في شأنه ١٠٢ حوار

في الكلب والديك ١٩٠ ، ٢١٠ ، ٣٠٢ رُؤْيَا الكلب وتأويلها

٢٧١ ما ورد من الحديث والخبر في ذبِّته ٢٩٣ ما ورد من

الحديث في شأنه ٢٩٤ أشعار العرب في هجائه ٢٥٤ ما اشتقَّ

من اسمه ٣١٣ ما قالوا في أنسه وإلقه ٣٨٠

الكلبة : ولد الذئب منها ١٨٣ تلاقحها والسبع ١٨٤

ن

الناقة : نشاطها ٢٧٧

النَّستاس : ما زعوا فيه ١٨٩

النعام : حُجَّتْهَا ١٩٨

هـ

المهدد : خبث ريحه (٢٣٨)

الهرَّة : أَكَلَهَا أَوْلَادُهَا ١٩٧

الهرَّة الوحشية : ولد الثعلب منها ١٤٥

و

الوَزَغ : قتل العائمة له ٣٠٤

٣ - ما يتعلق من الابحاث بالاعلام

١

إبليس : (علم حَيِّ) صديقه ١٩٠

أخزم : قولهم « شَنِشَنَة أعرضا من أخزم » ٣٣٥

الأخفش : أبو الحسن

أرسطو : زعم له في التناج للركب ١٨٣

ب

بقيس : ما زعموا فيها ١٨٧

ت

أم تَابَّطْ شَرًّا : قولها في ولدها ٢٨٦

ج

جُرْهُم : نتاج ما بين اللائكة وبنات آدم ١٨٧

جرير : هو والزاعي ٢٥٨

الجمّاز : هو وجارية آل جعفر ١٧٤

ح

الحجّاج : ما ابتدعه من السفن والحامل ٨٢ أهون من تَبَالَة

على الحجّاج ٣٢٣ هو والنجم حينما حضرته الوفاة

- ٤٣٣ -

- أبو الحسن الأنخس : استغلاق كتبه ٩١
أبو حنيفة : كتبه ٨٧ رأى في قهه ٣٤٧

خ

- خُرافة المذري : حقيقته ٣٠١
الخليل بن أحمد : غروره ١٥٠

د

- ديسينوس اليوناني : نوادره ٢٨٩
ديمقراط : قوله في تأليف كتب العلم ١٠١

ذ

- ذو القرنين : مازعوا فيه ١٨٧

ر

- الراعي : هو وجير ٢٥٨

س

- سلمويه : عصيته ٢٤٦
سينار : قصته ٢٣
أبو سيارة : غيره ١٣٩

ص

- صَحَّار المبدئ : قوله في الإيجاز وقده ٩٠

ع

- عبد الأعلى القاص : من طرائقه ١٠٧
عبد الله بن الحارث : هو وعبد الملك بن مروان ١٣٤

- عبد الله بن هلال : صديق إبليس وختنه ١٩٠
عبد الملك بن مروان : هو وعبد الله بن الحارث ١٣٤
أبو عبيدة : قوله في تشبيه القرس بضروب من الحيوان ٢٧٥
عقيل بن علقمة : هو وبناته ١٧١
علقمة الخصى : ١٢٠
علقمة الفحل : ١٢٠
عمر بن الخطاب : حديثه مع الذي استهوته الجن ٣٠١

ف

- فلحس : حديث عنه ٢٥٧

ق

- قتيل العنز : ٢٦٠
قتيل الكبش : ٢٦٠
قتيل الكلاب : ٢٧٠

ك

- كليب : ما قيل من الشعر فيه ٣٢١

ل

- لقمان بن عاد : قتله لنسائه وابنته ٢١

م

- ابن ماسويه : عصبته ٢٤٦
أبو المبارك الصابي : حديث غزلي له ١٢٦
محمد رسول الله : كلمات له لم يتقدمه فيها أحد ٣٣٥
المحول : ثروته من الشعر ٢٤٣

مسيح الكتاس : أقوال له ٢٤٥

ن

النظام : ما حدث له ٢٨١ ، رأيه في طائفة من المفسرين ٣٤٣

نوح رسول الله : حيوان سفينته ١٤٦

هـ

هشام بن عبد الملك : أثر تحريف كتابه ١٢١

أبو همام السُّنُوط : ما حدث له في البحر ١٢٢

و

أبو وائلة : غُرُوره ١٥٠

٤ - ما يتعلق من الأبحاث المعارف

ا

ابن : ابن الذكرة من المؤنث ١٤٠

الآثار : طمسها ٧٣

الاجتماع : كونه ضروريا ٤٢ البيان ضرورى له ٤٤

الأخبار : نشرها بالعراق ٩٦

الأخباريون : زعمهم في حيوان سفينة نوح ١٤٦

الأرشم : بحث لقوى ٢٥٧

بنو إسرائيل : مخاطبتهم في القرآن ٩٤

الإسهاب : مواضعه ٩٢

الأشراف : رغبتهم في الدجاج ٢٧٣

الإعراب : إفساده لنوادير المولدين ٢٨٢

- الأم : ما ينبغي لها في سياسة الرضيع ٢٨٧
 الأمم : تخليدها لمآثرها ٧١
 الإناث : فوق رغبتهن في الطعام على الذكور ١١٢ ذوات الله والشوارب ١١٥
 الأنبياء : ما لا يحدث إلا في دهرم ٢٩٩
 الإنس : تلاقح الجن والإنس ١٨٨
 الإنسان : تسميته بالعالم الأصغر ٢١٢ عجزه عن بعض ما يقدر عليه الحيوان
 ٣٥ أثر التبذير في عمره ١٥٨
 الإيجاز : حقيقته ٩١ قول حمار العبدى فيه وقده ٩٠

ب

- البيان : كونه ضرورياً للاجتماع ٤٤ وسائله ٣٣

ت

- التأليف : تداعى للمعانى فيه ٨٨
 تباله : قول الحجاج فيها ٣٢٣
 التبرجان : شرائطه ٧٦
 الترجمة : قيمتها ٧٥ ترجمة كتب الدين ٧٧ صعوبة ترجمة الشعر العربي ٧٥
 تسمية : تسمية العرب أولادهم ٣٢٤
 تشبيه : تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما ٢١١ تشبيه القوس بضروب
 من الحيوان ليس بينها الكلاب ٢٧٢ قول أبي عبيدة في تشبيه
 القوس بضروب من الحيوان ٢٧٥
 تصغير : وجوه تصغير الكلام ٣٣٦
 التعلم : فضله ٥٨
 التين : هو والزيتون ٢٠٨
 التوريت : نظامه عند فلسفة اليونانية ٩٨ توريت الكتب ١٠٠

ث

ثروة : ثروة المحلول من الشعر ٢٤٣

ج

الجاهلية : ما ترك من ألقاها ٣٢٧

الجلب : خضاء الجلب وقسوته ١٢٩

الجمازات : أول شأنها ٨٢

جناية : جنایات الديك ٣٧٥

ح

الحساب : قعنه ٤٦

الحضارة : هي والخط ٧١

حكمة : الحكمة في تخالف الميول والتزعات ١٤١

الحلف : الحلف عند العرب ٣٦٢

خ

الخضاء : خضاء الناس ١٣٠ ما يعترى الخصى بدمه وحالته قبله ١٠٦

أثره في الذكاء ١١٦ منع خضاء الإنسان وإباحته ١٦٣ استئذان

عثمان بن مظعون للرسول فيه ١٢٨ خضاء الجلب وقسوته ١٢٩

خضاء الروم ١٢٤ خضاء الصائبة ١٢٥ خضاء العرب للخيول ١٣٢

ولقحولة الإبل ١٣١ خضاء البهائم والديكة ١٣٠ ، ١٣١ ماجاء

في خضاء الدواب ١٧٧ أقوال في منع خضاء الخيل وإباحته ١٥٩

ما قيل من الشعر في الخضاء ١٧٥

- الخصي : صوته ١١٣ مشيه ١١٦ سبب شرهه ١١١ شعره ١١٣
 أخلاقه ١٣٥ محاسنه ومساويه ١٦٦
 الحصيان : بعض ما يعرض لهم ١٥٨ بعض ميولهم ١٧٢ خصيان السند ١١٨
 خصيان الحبشة والتوبة والشودان ١١٩
 الخط : هو والحضارة ٧١ الخطوط والرقوم ٧٠ ضروب من الخط ٦٢
 الخلق : قول الجوس في بدء الخلق ١٩٠
 الخلق : أثر التكرار في خلق الإنسان ١٦٩ سير الإنسان على غير طبعه ٢٠٢
 خنذيد : بحث نفوى ١٣٣
 الخير : مصلحة الكون في امتزاجه بالشر ٢٠٤

د

- دمشق : مسجدها ٥٦
 الدبة : دية الكلب ٢٩٣

ذ

- الذكور : فوق رغبة الإناث عليهم في الطعام ١١٢

ر

- الرائحة : أطيب الأشياء رائحة وأخبئها ٢٤٦
 الرضيع : ما ينبغي للأم في سياسته ٢٨٧
 الرقوم : هي والخطوط ٧٠
 الرؤم : أول من ابتدع الخصاص ١٢٤ خصاؤم ١٢٤

ز

- الزنادقة : صفة كتبهم ٥٧ حرصهم على تحسين كتبهم ٥٥

زواج : زواج الأجناس للتباينة من الناس ١٤٨
الزيتون : هو والتين ٢٠٨

س

بنو سعد : المثل : « بكلِّ وادٍ بنو سعدٍ » ٣٥٨
سفينة نوح : زعم بعض المفسرين والأخباريين في حيوانها ١٤٦
السماع : السماع والكتابة ٥٥
السماع : (سماع الطرب) تلغى المحزون به ٢٨٦

ش

الشرف : الشرف والتمول في قبائل العرب ٣٥٧
الشعر : بين أنصار الشعر وأنصار الكتب ٧٩ أثره في نباهة القبيلة ٣٦٤
ما قيل من الشعر في : أنس الكلب وإلقه ٣٨٠ الجمل ٣٣٦
الخصاء ١٧٥ الخط ٦٥ الظربان ٢٤٧ القواء ٣٦٧
القرنبي ٢٣٧ الكتب ٩٤ كليب ٣٢١ من هُجى بأكل
لحوم الكلاب ولحوم الناس ٢٦٧ نباح الكلاب ٣٤٨ النباح
والاستنباح ٣٦٧ الهجاء ٢٣٩
الناقة ونشاطها ٢٧٧

الشعر العربي : تاريخه ٧٤ صعوبة ترجمته ٧٥
الشعراء : أقوالهم في الخط ٦٥ وفي الكتب ٩٤
شنشنة : قولهم : « شنشنة أعرفها من أخزم » ٣٣٥ .
شيطان : ما يسمى شيطاناً وليس به ٢٩٩

ص

- الصَّابِئَةُ : خصاؤم ١٢٥
الصَّرُورَةُ : بحث لنوى ٣٤٧
الصَّيِّد : لَهَجُ ملوكِ فارس به ١٤٠

ع

- العالم الأصغر: تسمية الإنسان به ٢١٢
العامة : قتلهم للورغ ٣٠٤
العراق : انتشار الأخبار فيها ٩٦
العرب : تخليدها لمآثرها ٧٢ مخاطبتها في القرآن ٩٤ الشرف والجنول في
قبائلهم ٣٥٧ الحلف عندهم ٣٦٢ ما كانوا يسمون به
أولادهم ٣٢٤ خصاؤم لقحولة الإبل ١٣١ خصاؤم للخيل ١٣٢
العقل : الاعتماد عليه دون الحواس ٢٠٧
العلم : التخصص بضروب منه ٥٩ مواصلة السير في خدمته ٨٦ قول
ديمقراط في تأليف كتب العلم ١٠١
المعلماء : أقوال بعضهم في فضل الكتاب ٥٢ عنايتهم بالملح والفكاهات ٢٥
الشمر : أطول الناس أعماراً ١٥٧ أثر التبذير في عمر الإنسان ١٥٨
الثواء : ما قيل من الشعر فيه ٣٧٧

غ

- الغرائز : قول فيها ١١١

ف

- الفرخ والفرّوج : بحث لنوى ١٩٩

- القرص : رأى لهم في تقسيم الحيوان ١٥٢ لهج ملوكهم بالصيّد ١٤٠
فلاسفة : نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية ٩٨

ق

- قبائل : قبائل في شطرها خير كثير ، وفي الشطر الآخر شرف
وضمة ٣٥٩ ما بُتِلَى به فيصيبها بالحوّل ٣٦٥
قبيلة : أثر الشعر في نباهة القبيلة ٣٦٤
القتل : هو والقصاص ٣٠٧
القرآن : ألقاه ٣٤٨ مخاطبته للعرب وبنى إسرائيل ٩٤
القصاص : هو والقتل ٣٠٧
قصص : قصص تتعلق بالكلاب ٣٧٠ (وانظر نوادر)
القضاة : تكلف بعضهم في الأحكام ٣٤٥
القلم : فضله ٤٨

ك

- الكائنات : أقسامها ٢٦
الكتاب : نفعه ٣٨ فضله ٥٠ أقوال بعض العلماء في فضله ٥٢
مقايمة بينه وبين الولد ٨٩ قد يفضل صاحبه ٨٥ الترغيب
في اصطناعه ٨٤

كتاب الحيوان: مزج الجذء بالهزل فيه ٣٧

- الكتابة : فضلها ٤٧ الكتابة والسماع ٥٥ الكتابات القديمة ٦٨
فضلها في تسجيل الماهدات والمخالفات ٦٩ استخدامها
في أمور الدين والدنيا ٩٧

الكتيب : ما ينبغي أن تكون عليه لتُها ٨٩ قول ديمقراط

في تأليف كتب العلم ١٠٠ جمعها والمنايا بها ٦٠
 مشقة تصحيحها ٧٩ أفضلها ٨٦ كتب أبي حنيفة ٨٧
 والأخفش ٧١ أقوال الشعراء فيها ٩٤ بين أنصار الكتب
 وأنصار الشعر ٧٩ وراثة الكتب ١٠٠
 كلمات الله : قول فيها ٢٠٩

ل

اللّٰحَى : ذوات اللّٰحى والشوارب ١١٥
 اللغة : ضرورة جذّها للعالم والتكلم ١٥٣ لغة الكتب ٨٩
 الليل : سبب اختياره للنوم ٢٨٤

م

المآثر : تخليدها ٧١، ٧٢
 المتكلمون : دفاع عنهم ٢١٨
 مثل : أمثال عامة في الحيوان ٢٢٠ والسبع ٢٢٨ والكلاب ٢٥٩ ؛
 ٢٧٠ ، ٢٩٠
 المجوس : قولهم في بدء الخلق ١٩٠
 مسألة : طائفة من المسائل ٣٠٨
 المسخ : السخ من الحيوان ٢٩٧
 الماهدات : تسجيلها بالخط ٦٩
 المفسرون : زعمهم في حيوان سفينة نوح ١٤٦ رأى النظام في طائفة
 منهم ٣٤٣
 الملكات : تنوعها ، وقوتها ، وضرورة ظهورها ٢٠١

- الملوك : ما يحتاجون إليه ٢٨٧ نومهم ٢٨٥ رغبتهم في الحمان
التَّجَاج ٢٣٣
الملوك والأمرأء: طيسهم آثار من سبقهم ٧٣
النَّجْم : هو والججاج حينما حضرته الوفاة ٣٢٤
المؤلفات : وجوب العناية بتقييدها ٨٨
الميلول : الحكمة في تخالفها ١٤١

ن

- الناس : زهدهم فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه ١٧٠ أطولهم
أعماراً ١٥٧ نسك طوائف منهم ٢١٨، ١٧٣ من هجى بأكل
لحومهم ٢٦٨
النَّاهى : تقسيمه ٢٧
النَّباح : شعر في التَّباح والاستنباح ٣٦٧
النَّبذ : أثره في العمر ١٥٨
التَّناج : التَّناج المركَّب ١٣٧ قول في التَّناج المركَّب ١٨١ خضوع التَّناج
الركب للطبيعة ١٤٢ التَّناج المركَّب في الطيور ١٤٤ مما زعموا
في الخلق المركَّب ١٤٩ زعم لأرسطو في التَّناج المركَّب ١٨٣
جُرْهُم وبلقيس وذو القرنين من تاج مركَّب ١٨٧ وكذا
التَّسناس ١٨٩ (وانظر: نسل) .
النَّزعات : الحكمة في تخالفها ١٢١
نسك : نسك طوائف من الناس ١٧٣ ، ٢١٨
نَّسل : طلب النَّسل ١٠٨ نسل منزوع البيضة اليسرى ١٨٣ أثر زواج

- الأجناس المتباينة من الناس ١٥٧ امتناع التَّلَاقح بين بعض
الأجناس المتقاربة ١٥٦ (وانظر : نتائج)
نوادير : إفساد الإعراب لنوادير المولَّدين ٢٨٢ نوادر ديسيموس ٢٨٩
(وانظر : قصص)
النَّوم : اختيار الليل له ٢٨٤ نوم الملوك ٢٨٥

هـ

- هجاء : هجاء ضروب من الحيوان ٣٥٢ هجو الكلب ٢٥٤ هجو
من أكل لحم الكلب ٢٦٧ هجو الناس بهجو كلامهم ٣٨٣
الهند : خطوطهم ٤٦

و

- الوَسْم : وسم الإبل ١٦١ أقوال في وسم الحيوان ١٦٠
وفد : وفد قُرْحان ٣٦٩
ولد : مقايسة بين الولد والكتاب ٨٩ ولد الثَّعلب من الهرة
الوحشية ١٤٥ ولد الذَّئب من الضبع ١٨١ ولد الذَّئب من
الكلبة ١٨٣

ى

- اليد : فضلها ٤٩

٥ - ما ترجم من الأعلام في الشرح

٣٢٧	الحكم بن النضر بن الجارود	١	
	خ	٣٠٨	أحمد بن عبد الوهاب
٩١	خالد بن صفوان	١٣٣	الآخيمر السعدى
٧٦	خالد بن يزيد بن معاوية		ابن أذينة = عروة
١٦٩	ابنة الحسن	٢٢٤	إسحاق بن حسان
٣٥٥	خلف بن خليفة		الأشعر = الرقبان
٢٦٦	خليد عيّن	٢٤٧	أهرن الطبيب
	ذ	ث	
٢٥٦	أبو ذباب السعدى	٢٦٩	ثوب بن شحمة
	ابن أبي ذئب = محمد	ج	
	ر	٢٢٤	الجارود بن أبي سيرة
٣٤٧	ربيعة بن مقروم الضبي	٣٢٧	الجارود بن المعلّى
١٢٣	ابن رغبان	٤٠	جران التود
٣٦٠	الرقبان الأسدى		الجمّاز = محمد بن عمرو
	ز	ح	
٣٥٢	أبو زيد الطائى		ابن الحرّ = عبيد الله
	س	٢٥٥	أبو خزابة
		٥٢	الحسن اللؤلؤى
٢٦٧	سالم بن دارة	٣٨٣	حُسيل بن عرفة

ع

- عاصم بن سليمان البصري ١٧٨
ابن عاصر = عبد الله
عقباد بن أنف الكلب الصيداوي ٣١٩
ابن عباد = سعد
عبد الرحمن بن الحكم ٢٣٢
عبد الرحمن بن أم الحكم ٢٣٢
عبد الرحمن بن مهدي ٣٤٠
عبد الله بن عامر ٧٣
عبد الله بن علي ٢٥٥
عبد الله بن عنة الضبي ٢٣٠
عبد الله بن هلال الحيري ١٩٠
عبد الله بن همام السكولي ٢١٦
عبد المسيح بن عسلة ٢١١
عبيد الله بن الحر ١٣٤
عبيد الله بن الحسن القاضي ٣٤٥
العتبي = محمد بن عبد الله
عثمان بن الحكم ١٠٤
أبو عدنان ١٨٤
عروة بن أذينة ٢٢
ابن عسلة = عبد المسيح

- سعد بن عبادة ٣٠٨
أبو سعد الحزومي ٢٦٢
سعدان المكفوف ١٥٥
سعيد بن عبد الرحمن ٢٤
سعيد بن وهب ١٠٥
سلمان بن ربيعة ٩٢
سلمويه ٢٤٦ ، ٥٤
سلم الساجر ٣٠٩
أبو سيارة ١٣٩

ش

- شُبَيْل بن عَزْرَة ٣١٣
أبو الشَّعْمَق ٢٢٥
شيطان بن الحكم ٣٠٠

ص

- صالح بن إسحاق الجرشي ٣١٥
مُحَار العبدى ٩٠

ط

- طلحة بن عبيد الله ٣٣٢ ، ٢٥٥
طلحة الطلحات (هو السابق)

٢٤٦	ابن ماسوية	١٧١	عقيل بن علفة
٣٨٠	مالك بن أسماء القراري	٣٤٩	أبو عمر الكلب = صالح
٣٨٠	مالك بن حمار الشمخي	٣٣٧	عمرو بن عبيد
٥٣	محمد بن أحمد بن عبد العزيز	١٥٥	أبو العيثل
١٧٩	محمد بن أبي ذئب	٣٢٩	عوف بن محم الخزاعي
٥٣	محمد بن عبد الجبار العتي	٣٢٩	عوف بن محم الشيباني
٥٣	محمد بن عبد الله المتبي	٤١	عيسى بن عمر
١٧٤	محمد بن عمرو الجمار		غ
٥٩	محمد بن يسير	٣٠٨	الفريض
٢٤٣	الحلول	٣٦٢	غيلان بن سلمة الثقفي
١٨٨	الحختار بن أبي عبيد		ف
١٤	المسعودي	٢١٦	الفلافس النهشلي
٣٦٠	المطلب بن عبد الله بن مالك		ق
٣٧٨	مغلس بن لقيط	٧٨	ابن قرّة
٢٥٦	منازل بن زمعة النقي		ك
٣٢٧	المنذر بن الجارود	١٥	كعب بن زهير
٢٦٨	أبو الهوش الأسدي		ل
	ن		
٢٢	النربن تولب		العين النقي = منازل
١٩	نهل بن حرى		

ي	هـ
٨	٣٦٠
يزيد بن الحكم	أبو الهول الحميري
ابن يسير = إسماعيل	و
أبو يعقوب الخزيمى = إسحاق	٩٦
٣٢٩	٨
يونس بن حبيب	وردة (أم طرفة)
١٦٧	٣١٧
يونس بن عبيد	وزر بن جابر

٦ - مراجع التقديم والشرح والتحقيق

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
أخبار الحكماء	القفطى	السعادة	١٣٢٦	مصر
أخبار أبى نواس	ابن منظور	الاعتاد	١٣٤٣	»
أدب الدنيا والدين	للموردى	الأميرية	١٣٤٣	»
أدب الكاتب	ابن قتيبة	السلفية	١٣٤٦	»
أدب الكتاب	الصولى	السلفية	١٣٤١	»
الإرشاد الشافى	الدمهورى	الحلجى	١٣٤٤	»
الاشتقاق	ابن دريد	—	١٨٥٣ م	جوتنبجن
الإصابة	ابن حجر	السعادة	١٣٢٣	مصر
الأضداد	ابن الأنبارى	الحسينية	١٣٢٥	»
الأغانى	الأصبهانى	التقدم	١٣٢٣	»
الاقتضاب	البطلينوسى	الأدبية	١٩٠١ م	بيروت
آكام المرجان	الشبلى	السعادة	١٣٢٥	مصر
الأمالى	الزجاجى	»	١٣٢٤	»
»	القالى	دار الكتب	١٣٤٤	»
»	المرتضى	السعادة	١٣٢٥	»
البغلاء	الجاحظ	الجمهور	١٣٢٣	»
بقية الوعاة	السيوطى	السعادة	١٣٢٦	»
بلوغ الأرب	الآلوسى	الرحمانية	١٣٤٢	»
البيان والتبيين	الجاحظ	»	١٣٤٥	»
التاج	»	الأميرية	١٣٣٢	»
تاج المروس	الزبيدى	الخيرية	١٣٠٦	»

الكتاب	المؤلف	الطبعة	التاريخ	البلد
تاريخ الأمم الإسلامية	الخضري	التجارية	الطبعة الثالثة	مصر
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	السعادة	١٣٤٩	»
تأويل مختلف الحديث	ابن قتيبة	كرديستان	١٣٢٦	»
تذكرة أولى الألباب	داود الأنطاكي	—	—	»
تقريب التهذيب	ابن حجر	—	١٣٢٠	المهند
التنبيه	البكري	دار الكتب	١٣٤٤	مصر
نمارق القلوب	الثعالبي	الظاهر	١٣٢٦	»
جمع الجواهر	الحصري	الرحمانية	١٣٥٣	»
جواهر الألفاظ	قدامة	السعادة	١٣٥١	»
الحاسة	البحري	الرحمانية	١٩٢٩ م	»
»	أبو تمام	السعادة	١٣٣١	»
»	ابن الشجري	مجلس المعارف	١٣٤٥	حيدر أباد
حياة الحيوان	الدويري	صبيح	—	مصر
الحيوان	الجاحظ	المحيدة والتقدم	١٣٢٣	»
خزانة الأدب	البغدادي	بولاق	١٢٩٩	»
»	»	السلفية	١٣٤٧	»
خسة دواوين العرب	—	الوهبية	١٢٩٣	»
درة النواص	الحريري	الجوائب	١٢٩٩	تركيا
ديوان امرئ القيس	—	هندية	١٣٢٤	مصر
» جران العود	—	دار الكتب	١٣٥٠	»
» جرير	—	العلمية	١٣١٣	»
»	—	الصاوي	١٣٤٥	»
» حسان	—	الرحمانية	١٣٤٧	»
» الخطيئة	—	التقدم	—	»

الكتاب	المؤلف	الطبعة	التاريخ	البلد
ديوان زهير	الحريرى	(التسافى)	١٣٤٧	مصر
» الشياخ	—	السعادة	—	»
» طرفة	—	—	١٩٠٩ م	قازان
» الفرزدق	—	الصاوى	١٣٥٤	مصر
» لبيد	—	—	١٨٨١ م	ثينا
» اللعانى	أبوهلال المسكرى	—	١٣٥٢	مصر
» أبى نواس	—	العمومية	١٨٩٨ م	»
رسائل الجاحظ	—	(السامى)	١٣٢٤	»
زهر الآداب	الحصرى	الرحمانية	١٩٢٥ م	»
سر القضاة	ابن سنان الحلبي	»	١٣٥٠	»
السيرة	ابن هشام	—	١٨٥٩ م	جوتنجن
شذرات الذهب	ابن العماد الحنبلى	الصدق	١٣٥٠	مصر
شرح الحماسة	التبريزى	بولاق	١٢٩٦	»
شرح شواهد التنقى	السيوطى	البيهة	١٣٢٢	»
شعر قيس بن الخطيم	—	—	١٩١٤ م	ليبيك
الشعر والشعراء	ابن قتيبة	(الخاتمى)	١٣٢٢	مصر
شفاء الغليل	الخفاجى	السعادة	١٣٢٥	»
الصحاح	المجهرى	بولاق	١٢٨٢	»
الصناعتين	أبوهلال المسكرى	صبيح	—	»
الضرائر	الآلوسى	السقية	١٣٤١	»
طبقات الشعراء	ابن سلام	السعادة	—	»
» »	» »	—	١٩٠٦ م	ليدن
المقد	ابن عبد ربه	الجمالية	١٣٣١	مصر
العمدة	ابن رشيق	هندية	١٣٤٤	»

الكتاب	المؤلف	الطبعة	التاريخ	البلد
عيون الأخبار	ابن قتيبة	دار الكتب	١٣٤٣	مصر
» الأنباء	ابن أبي أصيمة	الوهبية	١٢٩٩	»
الفراسة	أفليمون	العلمية	١٣٤٧	حلب
الفصل	ابن حزم	الأديبة	١٣٢٠	مصر
قه اللغة	الثعالبي	المعارف الملكية	—	»
الفهرست	ابن النديم	الرحمانية	الطبعة الأولى	»
»	»	—	١٨٧١ م	لييسك
فوات الوفيات	الصلاح الكتبي	بولاق	١٢٨٣	مصر
قاموس الأعلام	الزركلي	العربية	١٣٤٥	»
القاموس المحيط	الفيروز آبادي	الحسينية	١٣٣٠	»
الكامل	ابن الأثير	(محمد منير)	١٣٤٨	»
»	المبرد	—	١٨٦٤ م	لييسك
»	»	التقدم	١٣٢٣	مصر
الكتاب	سيبويه	بولاق	١٣١٦	»
كشف الظنون	كاتب چلبى	العالم	١٣١٠	تركيا
لسان العرب	ابن منظور	بولاق	١٣٠٠	مصر
لسان الميزان	ابن حجر	مجلس المعارف	١٣٣٠	حيدرآباد
مبادئ اللغة	الخطيب الإسكافي	السعادة	١٣٢٥	مصر
مجمع الأمثال	الميداني	الهيئة	١٣٤٢	»
المحسن والأضداد	الجاحظ	الجنالية	١٣٣٠	»
محاضرات الأدباء	الراغب الأصفهاني	الشرقية	١٣٢٦	»
مختارات شعراء العرب	ابن الشجري	العامة	١٣٠٦	»
المختص	ابن سيده	بولاق	١٣١٨	»
المزهر	السيوطي	السعادة	١٣٢٥	»

الكتاب	المؤلف	اللغة	التاريخ	البلد
المشتبه	الذهبي	—	١٨٨١م	لندن
المعارف	ابن قتيبة	الإسلامية	١٣٥٣	مصر
معاني الشعر	الأشنانداني	الرقى	١٣٤٠	دمشق
معاهد التنصيص	العباسي	البهية	١٣١٦	مصر
معجم الأدباء	ياقوت	(دارالمأمون)	١٣٥٥	»
معجم البلدان	»	السعادة	١٣٢٣	»
معجم الحيوان	الفريرق أمين الملووف	القتطف	١٣٣٢	»
معجم الطبوعات العربية	يوسف مركيس	سركيس	١٣٤٦	»
الملقات	شرح التبريزي	السلفية	١٣٤٣	»
»	» الزوزنى	السعادة	١٣٤٠	»
المعمرين	السجستاني	»	١٣٢٣	»
مفاتيح العلوم	الخوارزمي	(مخدمير)	١٣٤٢	»
الفضليات	المفضل الضبي	الرحمانية	١٣٤٥	»
المقابس	التوحيدى	»	١٣٤٧	»
المقصود والمدود	ابن ولاد	السعادة	١٣٢٦	»
الموازنة	الآمدى	الإقبال	١٣٣٢	بيروت
الموشح	المرزبانى	السلفية	١٣٤٣	مصر
نزهة الألباء	أبو البركات الأنبارى	—	١٢٩٤	»
النقااض	أبو عبيدة	—	١٩٠٥م	لندن
النهاية	ابن الأثير	العثمانية	١٣١١	مصر
نهاية الأرب	النويرى	دارالكتب	١٣٤٢	»
النوادر	أبو زيد الأنصارى	الكاثوليكية	١٨٩٤م	بيروت
الوساطة	الجرجاني	المرقان	١٣٣١	صيدا
وفيات الأعيان	ابن خلكان	الميعنية	١٣١٠	مصر

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٦	٥	الآية المقصودة بالكلام هي قوله تعالى : « قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك » .
١٥	٥	جاء : « زيادة يقتضيها السياق » الخ ، هي تنبيه خاص لكلمة « إلى » للموضوعة بين متعقبات س ٦ من الصلب . وفيها كلمة « سن » صوابها « سر » .
١٩	١	« القمى » كذا في ط ، س . وصوابه « التهمى » كما في د
١٩	٩، ٨	« إن عافت الماء » يصح أيضاً أن تقرأ بفتح همزة « إن »
٢٠	١٢	« قتلته هيف الريح » كذا في الأصل . والصواب « قتلته الريح » كما في أمثال الميداني (٢ : ٥٩)
٢٠	٩	ما في د هو الصواب ، كما هو واضح في أمثال الميداني (٢ : ٥٩) .
٢١	٤	« بهيف الريح » كذا بالأصل . والصواب « بهيف الريح » كما في أمثال الميداني . وفيه الريح : يوم من أيامهم . انظر خبره في الأغاني (١٥ : ٧٠) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٨) والعقد (٢ : ٣٥٩) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٨٧) والعمدة (٢ : ١٦٧) ومعجم البلدان .
٢٨	٧	تجمل « لا » للموضوعة بين متعقبات : « ولا يكون » بزيادة واو قبلها وكلمة « يكون » بعدها وذلك طبقاً لما في د
٢٩	٨	« والتعلب » كذا في ط ، س . والوجه : « والتعلب أيضاً كذلك » كما في د . وجاء في (٥ : ١٣٣) من الحيوان : « وإنما الجبارى في سلاحها ، كالظراوى في فسلها ، وكالتعلب في بوله » .
٣٩	٧	روى هذه الأميات ابن منظور في أخبار أبي نواس ص ١٤ ثم

قال : « هذا شيء أخذته أبو نواس من مذاهب حكماء الهند ؛
فإنهم يقولون : إن الشيء إذا أفرط في البرودة أقلب حاراً .
وقالوا : إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد فإذا أكثر منه سخن » .

٤١ ٥ ش « والمباج بن رؤبة » كذا في بنية الوعاة للسيوطي ٢٧٠ . وجاء في الخزانة
(١ : ١١٤) خلا عن السيوطي : « وروى عن الحسن البصري ، والمباج
ورؤبة » . ومما يجبر بالقاري معرفته ، أن والده المباج يدعى « رؤبة »
كما يدعى ولده « رؤبة » فرؤبة هو ابن المباج بن رؤبة . ورواية عيسى
عن كل من المباج وولده محتملة .

٦٠ ٧ ش « فمرونا عليهم » صوابه « فمرونا عليهم » بالهال . جاء في اللسان (دمر) :
« وقد دمر عليهم دمر دمرأ ودموراً : دخل بغير إذن ، وقيل : هجم .
وهو نحو ذلك . ومنه قوله في الحديث : من نظر من صير باب قد دمر »
وانظر فقه اللغة ١٥٥ .

٧١ ١٠ « والسند المنعم كذا » هذا ما في ط ، س . وفي ل موضع
هذا كله : « والسمون » . وكلمة كذا في العبارة الأولى ، يبدو أنها
من التناسخ .

٧١ ١٣ « استيفاء » كذا في ط ، والوجه « استبقاء » كما .

٧٤ ١١ في العبارة شيء من الغموض لوجازة لفظها . فلتوضيحها يقال : إن

امراً القيس وهو من أقدم شعراء العرب قد ذكر في شعره « عدساً »

و « عدس » هو والد « زرارة » و زرارة كان قريب العهد من

مولد الرسول ، إذ أنه مات في يوم أواراة الثاني ، وكان ذلك

في أيام عمرو بن هند اللخمي ، الذي ولد الرسول في أيامه . فنخلص

مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربي لا يبعد عهده عن الإسلام

كثيراً . انظر مجمع الأمثال (٢ : ٣٥٨) وكامل ابن الأثير (١ :

٣٥٥) والعمدة (٢ : ١٦٨) ومعجم البلدان (أواراة) ومعجم

الزركلي (عمرو بن هند) .

٧٤ ٨ كذا ورد الشعر ، والوجه أن ثبت بين البيتين الثاني والثالث ،

هذا البيت الآتي ؛ ليستقيم الشعر ويتضح ، وهو كما في الديوان ١٥٩

٩٣ ٤ لم يفعلوا قتل آل حنظلة إنهم جبرئيل ما أنتموا
ما في ط م وافق لما في ل . وهو الصواب . وقد حذف الجاحظ جواب
« لولا » التي في أول الفقرة . وذلك من دأبه .

١١٢ ١٧ فاتنا أن ثبت كلمة « أصيد » أي أكثر صيداً ، بين كلتي

« الصائدة » و « كالإناث » ، وهذه الكلمة من ل .

١١٣ ١ « أحرص » كذا في ط ، س ، والوجه « وأحرص » كما في ل .

١١٧ ١٤ « ووفارة » كذا في ط و س . والصواب « ووفارة » بالفاء كما في ل .

١٢٠ ١٥ « عبدة » هي بفتح الباء لا بسكونها وجاء في الخزانة (٣ : ٢٥٦)

في ترجمة علقمة الفحل : « وعبدة بفتح العين والباء . وأما عبدة
ابن الطيب فهو بسكون الباء . كذا في الصحاح .

١٣١ ٥ ثبت بين هذا السطر والذي بعده ، العنوان الإضافي الآتي :

(خصاء البهائم والديكة) .

١٣٢ ١٤ « وكانوا هرباً » كذا في ط ، والوجه « أو كانوا » كما في ل .

١٤٦ ٤ الرواية المشهورة : « فأشهد أن رحك من زياد » انظر الأغاني

(١٧ : ٥٧ ، ٦٠) والمراجع المذكورة في التنبيه أسفل الصفحة .

١٧٧ ٤ يصح أن يقرأ البيت : « لو كان منذر أذ » ، والمغمود أراد

به السيف . .

١٧٧ ١٢ يحذف قوسا العنوان ، لأنه من العنوانات الأصلية .

١٧٨ ١ش في ل « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم » .

١٩٨ ٥ البيتان لأسماء بن خازجة كما في اللسان (أبل) .

٢٠٠ ١٤ وكذلك ص ٢١٨ س ٤ « والتجويز » كذا في الأصل بالزاي ، وهو

تصحيف من « والتجوير » من الجور بمعنى الظلم ، جاء

في الفصل لابن حزم (٣ : ٩٧) : « الكلام في التعديل والتجوير . قال أبو محمد رحمه الله : هذا الباب هو أصل ضلال المعتزلة نعوذ بالله من ذلك ، ثم قال : « وذلك أن جمهورهم قالوا : وجدنا من فعل الجور في الشاهد كان جائراً ، ومن فعل الظلم كان ظالماً ... الخ » .

٩ ٢٢٩ « التمسود » : جاء في تذكرة داود : « تمسود : هو اللحم إذا جف نيتاً ، ولا خير فيه » .

٦ ٢٣٠ سها القلم في ضبط البيت ، والوجه : « أعثمان بن حيان » والكلام استفهامي .

٢ ٢٤٥ « والخناء يابساً » كذا في الأصل ، والوجه في الكلمة الأولى « الأثناء » وهو الجمع الذي نطقت به المعجمات لكلمة « خنى » بالكسر . ومهما يكن من أمر الكلمة فهي مقحمة على الجملة ، والصواب حذفها ، كما يتضح من مقارنة هذه الجملة بما بعدها .

٢٤٩ ٤ ش « كذا » أى في ط ، س . وقد وجدت البارة في ل هكذا : « يسمى الخاني صاحب الأسم الظريان » وبنا تكون الجملة كاملة . أما الخاني والأسم ، فلم أعتد بعد إلى تعيينهما .

١٦ ٢٥٤ يصح أن يقرأ الرجز بالكسر أيضاً .
١٢٠ ٢٥٦ « الضحاك بن سعد » ، الشعر رواه أبو هلال العسكري في ديوان المعاني (١ : ١٩٦) منسوبة إلى سعيد بن العاص ، وروى البيت الثاني هكذا :

أبى القرارُ وتركُ الحربِ إذ كَشَفَتْ

عنك المَوَئِنِّي فلا دينَ ولا أدبَ

٣ ٢٥٧ في الأغانى (١٩ : ١٣٠) نسبة البيتين إلى تقيط بن زرارَة ،

يعزى بنى مالك بن حنظلة فى أخذ عمرو بن هند لهم ، وقتله
كثيراً منهم .

٢ ٢٧٣ صواب كتابة البيت ما يأتى ، محافظة على الوزن :

عريض الخلد والجبهة والصهوة والجنب

٣٠١ ٦ش يكتب التنبيه هكذا : « فى ط ، س : « وإن » ، وتصحيحه من ل ومن هذا
الجزء ص ١٩ » .

١٢ ٣٠٥ الوجه : « خالصاً من الملل » .

٣١٣ ١١ش لم يمين موضع التنبيه فى الخزانة ، وهو الجزء الأول ص ٩٢ طبع السلفية .
٣٣٧ ٤ش الشعر الذى رثى به النصور ، عمرو بن عبيد ، هو (كما فى المارقب ٢١٢ ،
وتاريخ بغداد ٦٦٥٢ ، ومعجم البلدان برسم مران) :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مَتَوَسِّدٍ قَبِراً مَرَّتْ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبِراً تَصْنَعُ مُؤْمِناً مَتَحَقِّقاً صَدَقَ الْإِلَهَ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحاً أَبْقَى لَنَا حَقّاً أَبَا عُثْمَانَ
وَمَرَّانٍ . موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة . وفيه
قبر عمرو بن عبيد ، كما فى معجم البلدان .

١٠ ٣٤٤ كلمة « واصل » صحيحة غير محرفة . يقال واصل هذا بهذا ،
كما يقال وصل هذا بهذا . انظر اللسان .

٦ ٣٥١ « بنى مقيدة الحمار » : مقيدة الحمار الحرة ، أى الأرض ذات
الحجارة السود النخرات ، التى كأنها أحرقت . سميت بذلك
لأن الحمار الوحشى يعتقل فيها فكأنه مقيد . وبنو مقيدة الحمار :
العقارب ، لأن أكثر ما تكون فى الحرة . اللسان (رمح) ،
(حمر) .

- صفحة سطر
 ١٥ ٣٥٤ لم أعثر على هذا الشمر فيما لدى من المراجع . ووجدت الشطر الأول في س هكنا : « قد كان في حُبِّي غزالة » .
- ١ ٣٦٣ ورد « الربيع بن خثيم » في الاشتقاق (١١٢ ، ١١٣) برسم :
 « الربيع بن خثيم » قال ابن دريد : « وخثيم تصغير أختم - يريد تصغير ترخيم - والأختم : المريض الأنف . ومنه اشتقاق خيشمة » . وقد ضبطه كذلك ابن حجر في تقريب التهذيب .
- ١٣ ٣٦٨ وجه كتابة البيت :
 ما أحسنَ الجيدَ منْ مُليكةَ والسَّلباتِ إذ زاتَها ترائبها

كتبه

عبد الله بن محمد بن عبد الله

صدر من هذه السلسلة

- ١ - ديوان أبي الطيب المتنبي تحقيق د. عبد الوهاب عزام
- ٢ - الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي تحقيق د. عبد الرحمن بدوي
- ٣ - قصة العلاج وما جرى له مع أهل بغداد تحقيق : سعيد عبد الفتاح
- ٤ - ديوان الحماسة لأبي تمام ج ١ تحقيق : د. عبد المنعم أحمد
- ٥ - ديوان الحماسة لأبي تمام ج ٢ تحقيق : د. عبد المنعم أحمد
- ٦ - رسائل إخوان الصفا ج ١
- ٧ - رسائل إخوان الصفا ج ٢
- ٨ - رسائل إخوان الصفا ج ٣
- ٩ - رسائل إخوان الصفا ج ٤
- ١٠ - كتاب التيجان
- ١١ - ألف ليلة وليلة ج ١
- ١٢ - ألف ليلة وليلة ج ٢
- ١٣ - ألف ليلة وليلة ج ٣
- ١٤ - ألف ليلة وليلة ج ٤
- ١٥ - ألف ليلة وليلة ج ٥
- ١٦ - ألف ليلة وليلة ج ٦
- ١٧ - ألف ليلة وليلة ج ٧
- ١٨ - ألف ليلة وليلة ج ٨
- ١٩ - تجريد الأغاني ج ١

- ٢٠ - تجريد الأغاني ج ٢
- ٢١ - تجريد الأغاني ج ٣
- ٢٢ - تجريد الأغاني ج ٤
- ٢٣ - تجريد الأغاني ج ٥
- ٢٤ - تجريد الأغاني ج ٦
- ٢٥ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة ج ١
- ٢٦ - الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة ج ٢
- ٢٧ - حلبة الكميت
- ٢٨ - البرصان والعرجان والعميان والحولان ج ١
- ٢٩ - البرصان والعرجان والعميان والحولان ج ٢
- ٣٠ - رسائل ابن العربي ج ١
- ٣١ - رسائل ابن العربي ج ٢
- ٣٢ - منامات الوهراني
- ٣٣ - الكشكول ج ١
- ٣٤ - الكشكول ج ٢
- ٣٥ - أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول
- ٣٦ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الأول)
- ٣٧ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثاني)
- ٣٨ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثالث)
- ٣٩ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الثاني)
- ٤٠ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الثالث)
- ٤١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور (الجزء الرابع)

- ٤٢ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الخامس)
- ٤٣ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس - الجزء الأول - الأعلام- القسم الأول)
- ٤٤ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس- الجزء الأول- الأعلام - القسم الثانى)
- ٤٥ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس - الجزء الثانى- الموظفين والوظائف)
- ٤٦ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس - الجزء الثالث-الاماكن و البلدان)
- ٤٧ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور
- (الفهارس - الجزء الرابع-المصطلحات- القسم الأول)
- ٤٨ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور
- (الفهارس - الجزء الرابع-المصطلحات- القسم الثانى)
- ٤٩ - فتوح مصر والمغرب الجزء الأول
- ٥٠ - فتوح مصر والمغرب الجزء الثانى
- ٥١ - المواعظ والاعتبار الجزء الأول
- ٥٢ - المواعظ والاعتبار الجزء الثانى
- ٥٣ - المواعظ والاعتبار الجزء الثالث
- ٥٤ - المواعظ والاعتبار الجزء الرابع
- ٥٥ - سيرة أحمد بن طولون
- ٥٦ - مجموعة مصنفات الشيخ إشراق الجزء الأول
- ٥٧ - مجموعة مصنفات الشيخ إشراق الجزء الثانى
- ٥٨ - اتعاظ الحنفا الجزء الأول
- ٥٩ - اتعاظ الحنفا الجزء الثانى
- ٦٠ - اتعاظ الحنفا الجزء الثالث
- ٦١ - مقالات الإسلاميين
- ٦٢ - ديوان أبى نواس هاتى الحكمى الجزء الأول

- ٦٣ - ديوان أبي نواس هائي الحكمى الجزء الثانى
- ٦٤ - ديوان أبي نواس هائي الحكمى الجزء الثالث
- ٦٥ - ديوان أبي نواس هائي الحكمى الجزء الرابع
- ٦٦ - ولاء مصر تأليف محمد بن يوسف الكندى
- ٦٧ - المنتخب من الأدب العرب الجزء الأول
- ٦٨ - الهوامل والشوامل لأبى حيان التوحيدى، ومسكويه
- ٦٩ - المنتخب من الأدب العرب الجزء الثانى
- ٧٠ - نواذر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون
- ٧١ - نواذر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون الجزء التامى
- ٧٢ - طبقات فحول الشعراء ج ١ .
- ٧٣ - طبقات فحول الشعراء ج ٢ .
- ٧٤ - الحيوان للجاحظ ج ١ .
- تحت الطبع**
- ٧٥ - الحيوان للجاحظ ج ٢ .

رقم: ٢٢٧٧/٢٠٠٢

مؤسسة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)

كتاب الحيوان للجاحظ : موسوعة يدعب حصرها في مجال واحد من مجالات المعرفة ، هذا على الرغم من العنوان البذي اعتمد مدخلا إلى الحديث ، وهو (الحيوان) ، نعم إنه مجرد مدخل إلى ما يشبه العرض الدرنى و المسموع لعوالم مترامية الأطراف ، ومشاهد ما بين وتسمى محقق ، وخيالى حالم ، وخرافى داهش ، ومن وراء الجميع يلوح الهدف السامى وهو الحدث على المعرفة التى تسكنها ربيعة التأمل فى كل ما حولنا ، وفى أنفسنا أيضاً ، فنحن البشر لا نعدو أن نكون نمونجا من تجليات حكمة الله فى خلقه ، شأننا فى ذلك شأن كل المخلوقات فى هذا الكون من حبه ان ونبات وجماد ، ونحس - بما أودع الله فيها من فضيلة العقل - مطالبون بتأمل مظاهر هذه الحكمة وتجلياتها ، فى أنفسنا ، وفى معجزات الكون ومعجزات الخاق من حولنا . يستوى فى ذلك التصريح والأعجم ، والتأطيق والتصلب ، والحق والجماد ، كما يستوى الجليل والحقر ، فالكون كتاب لم يرق بمداد ، وخطاب لم ينطقه لسان ، ولن يقرأ الكتاب ، ولن يسمع الخطاب ، إلا من نظر بعين عقله ، وأنصت بجميع وجدان .

Bibliotheca Alexandrina



0479136

شركة الأمل للطباعة والنشر

السعر : خمسة جنيهات